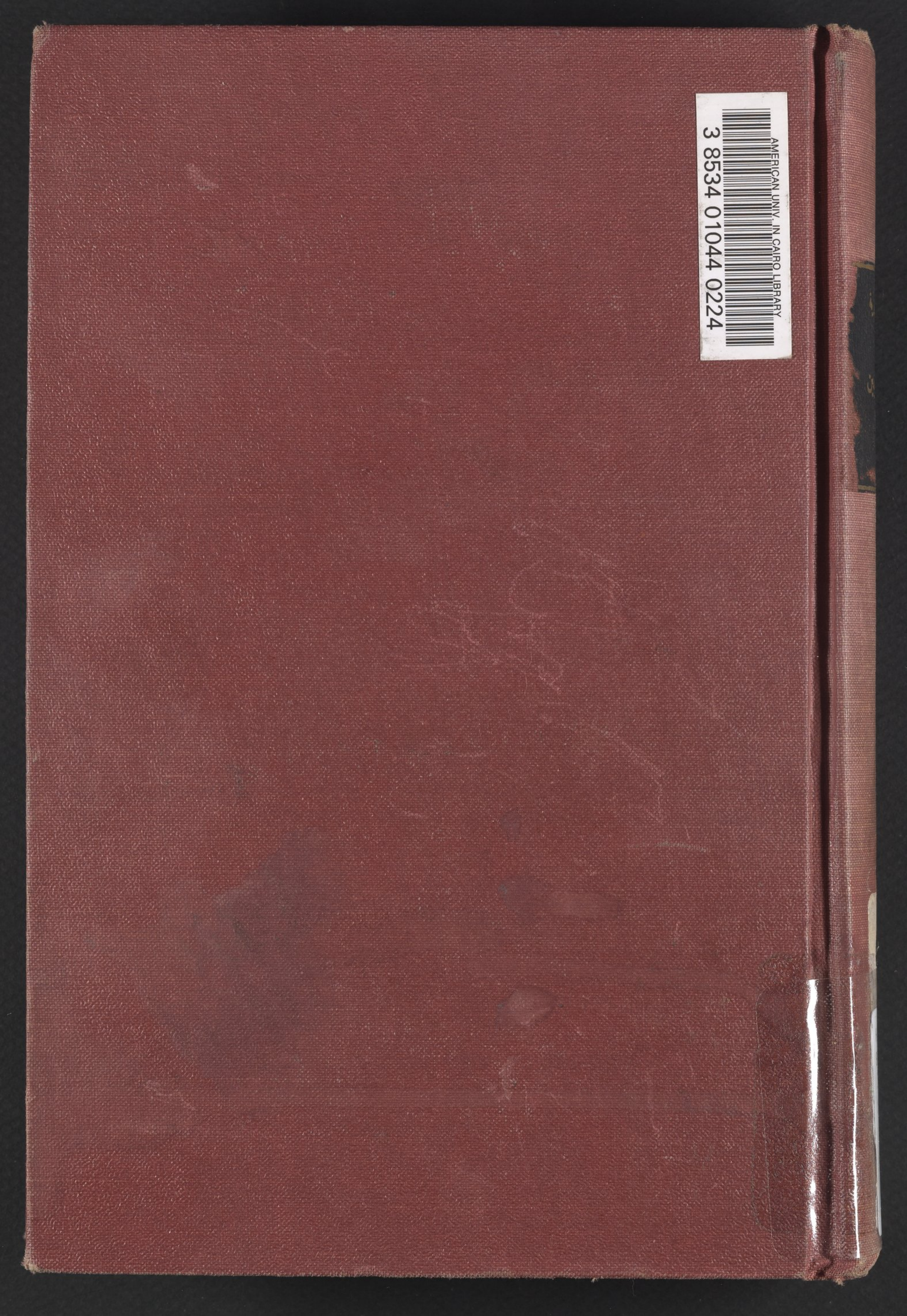
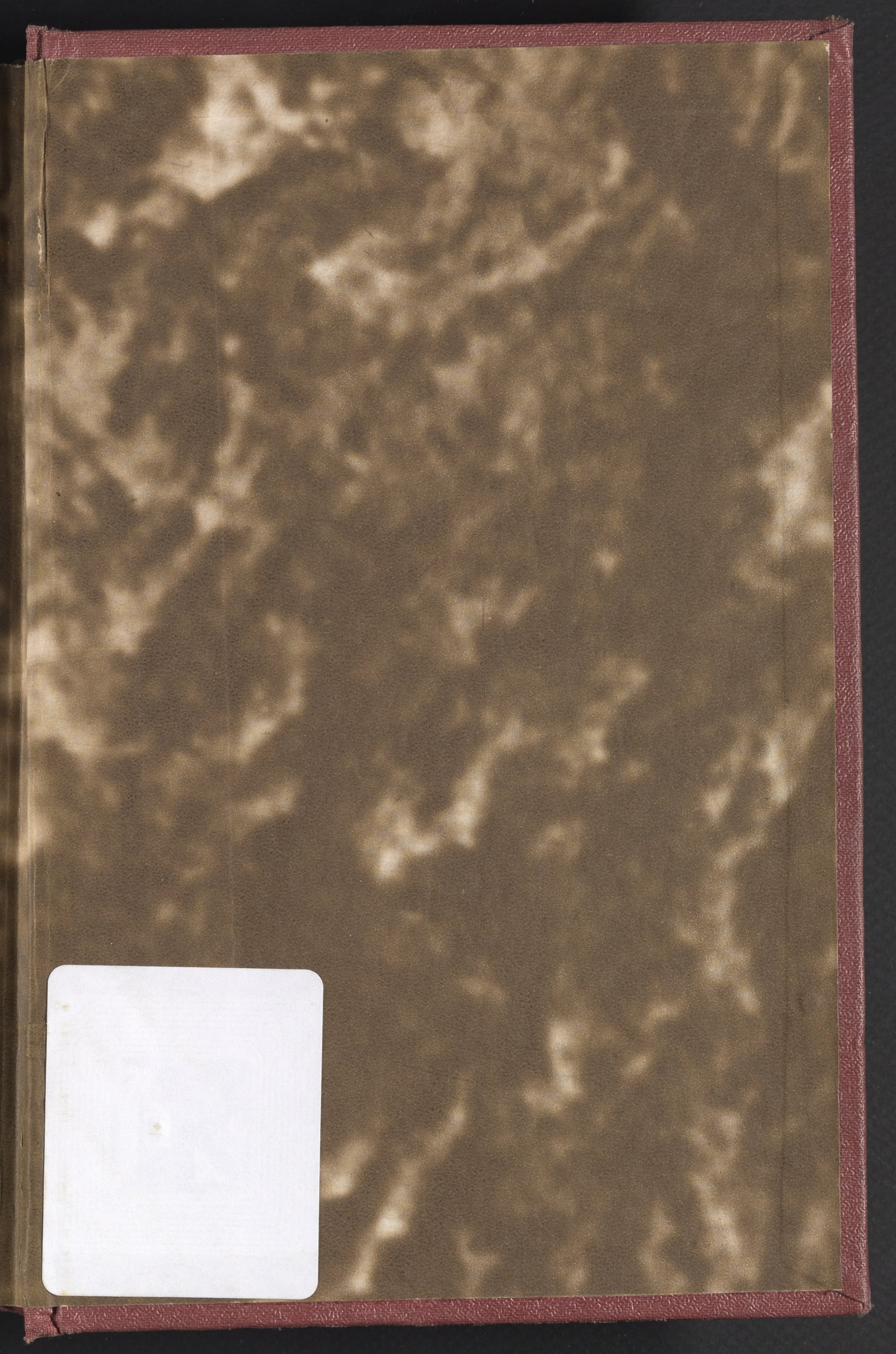
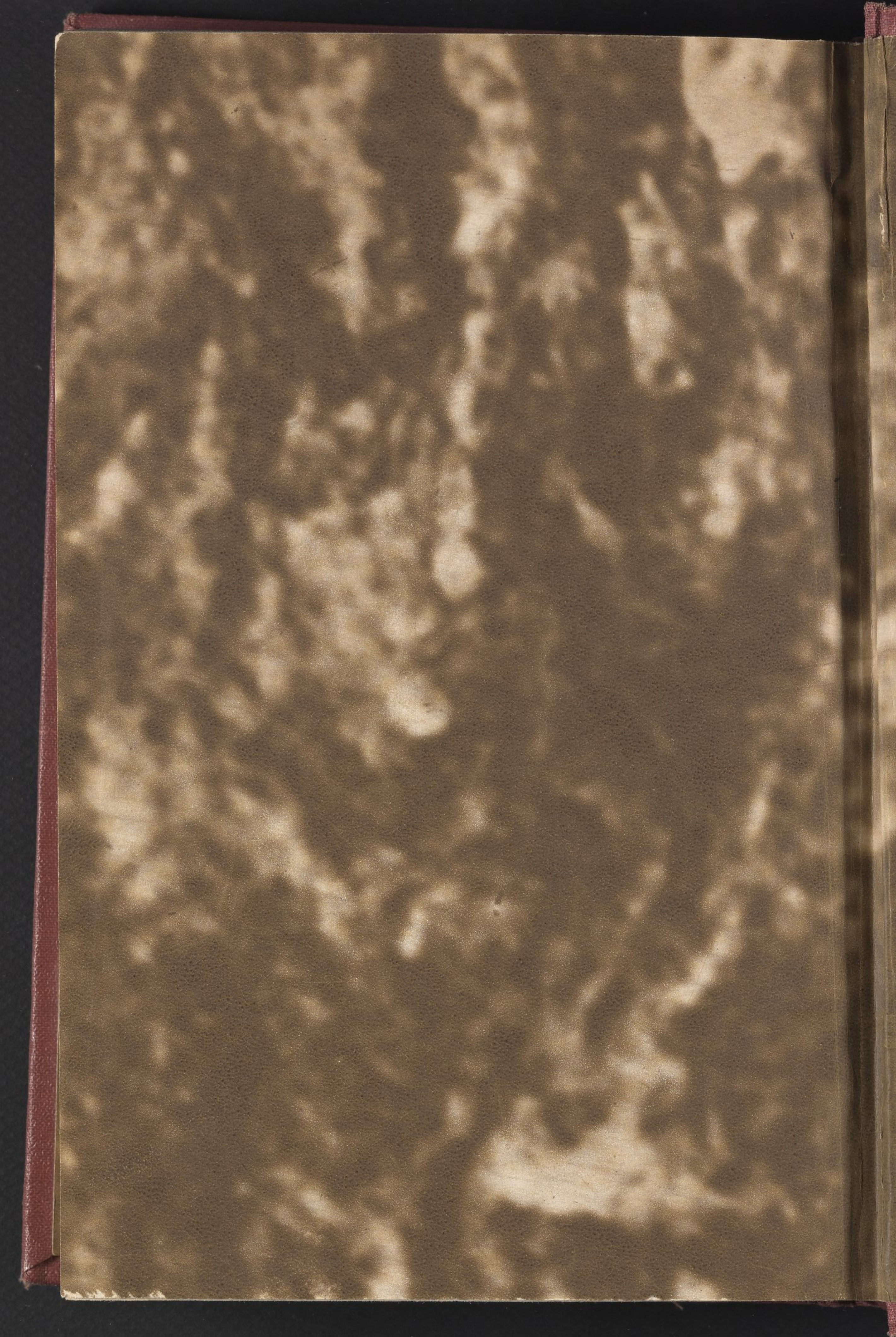






Ibn Qayyim al-Jawzīyah

Rawḍat al-muḥibbīn wa-
nuzhat al-mushtāqīn

روضة المحبين

ونزهة المشتاقين

تأليف

الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزيّة

المتوفّى سنة ٧٥١ ﻫ

صحّحها وعلّق عليها

أحمد عبيد

طبعت بنفقة

المكتبة العربية في دمشق

لأصحابها عبيد اخوان

مطبعة الترقي بدمشق
١ - ٤ - ١٣٤٩

مقدمة المصحح

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله الذي حبّب إلينا الإيمانَ وزيّنه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان . والصلاةُ والسلام على حبيبه وخليله المصطفى ، وعلى آله وأصحابه الذين رضي عنهم ورضوا عنه .

البحث عن الكتاب :

أما بعد فقد كان وقع لي منذ بضع سنين كتابُ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للشيخ محمد السفّاريني ، فطالعت فيه فصولاً رأيته ينقل في بعضها أبحاثًا قيّمة من كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة شمس الدين بن قيّم الجوزية رحمه الله تعالى . فحببت إليّ تلك النقولُ البحثَ عن الكتاب ، فما زلت في التنقيب عنه حتى أظفرني اللهُ - وله المنّةُ - بنسخةٍ منه ، فبادرت إلى استنساخها لتُدفع إلى الطبع ، فلما تمّ لي ذلك وشرعتُ في المقابلة والتصحيح علمت أن في خزانة كتب الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف نسخةً ثانيةً منه ،

فسافرت إلى منزله في زحلة (لُبنان) في يوم شاتٍ . فأُخبرت أن الأُستاذ مُشْتٍ في (جُونِيَة) ، فعدت أَدراجي إلى دمشق وقد

جرى القطارُ بنا في تيهِ غاشيةٍ من الثلوج ترامت فوقها السُّحُبُ
غارت بها أَعينُ الخضراءِ وانسدلت على المَدراجِ من ظلمائها حُجُبُ
ما يستبين بها أُفقٌ لمُطَّلعٍ ولا يُرى مَسلكٌ فيها ولا سَرَبُ [1]

ثم إني كتبت إليه أُفاوضه في أمر الكتاب فجاءني منه جوابٌ يقول فيه :

« لا سبيل إلى الحصول على الكتاب إلا برجوعي إلى زحلة فآسف لذلك . وكنت أود من كل قلبي أن أخدمك بنسختي وهي بغاية الضبط . هذا وإنني أدعو لك بالتوفيق في طبع هذا الكتاب النفيس الذى هو تحفة من تحف الآداب النادرة ، وأعجب من وجود نسخة منه مع أني بحثت عنه في خزائن أوربة ومصر وبلاد العرب فلم أجد له ذكراً ، وفاوضت أرباب المكاتب الكبرى مثل زكي باشا وتيمور باشا والكرملي وغيرهم فلم اقف على افادة عنه ، وكذلك علامتنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري قال لي : إنه لم يقف عليه مع كثرة بحثه ولا عرف عنه شيئاً . لم يذكر مترجمو المؤلف هذه النسخة بين مؤلفاته [2] ولكنه في مفتاح دار السعادة وغيرها نقل عنه وسماه أنه من مؤلفاته » اه

فتلبثتُ حتى رأيت أن سحابةَ الشتاء أوشكت أن تنقشع ، وأن البرقُعَ عن وجه الربيع كاد ينحسر ، فرحلت إلى جونية

(١) الابيات من نظمي قلتها في ذلك اليوم وهو الخامس من شعبان سنة ١٣٤٧

(٢) بل ذكره ابن رجب في ذيل الطبقات ونقل عنه كثيرون وذكره الحاج خليفة في كشف الظنون .

وما هو إلاّ يومٌ وبعضُ يومٍ حتى أنتقلت ألنسخةُ إلى ملكنا ، فبدأت بألمعارضة وألتصحيح وألطبع بمعونة شقيقيَّ محمد توفيق وحمدي عبيد ، فلما بلغنا ألصفحة ٣٦٨ وردت علينا من ألحجاز نسخة صاحب ألسمو ألملكي ألأمير عبد ألله أخي جلالة ألملك عبد ألعزيز بن عبد ألرحمن ألفيصل آل سعود حفظه ألله ، وهي نسخة مخرومة من ألأول وألآخر ، فعارضنا عليها إلى أثناء ألصفحة ٤٨١ حيث ينتهي ألموجود منها .

طريقتي في التصحيح :

هذا وقد رأيت في ألنسخ ألثلاث أختلافاً قليلاً وزياداتٍ في بعضها دون بعض . أما ألاختلاف فإن ترجّح ألصوابُ فيه أثبته وأشرت إليه ، وقد أسكت عن ألإشارة إليه أحياناً ، وإن لم يترجّح ألصوابُ كأن يصحَّ ألوجهان أو يكونَ ألوجهان غيرَ صواب أثبتّ أحدَهما في ألصلب وألآخرَ في ألتعليق . وأما ألزيادة فإن كانت في نسخة ألأصل لم أشِرْ إليها ، وإن كانت في نسخة لُبنان ألتي رمزتُ إليها بألحرف « ن » وضعتها بين قوسين مستطيلين [ ] ، وإن كانت ألزيادة في نسخة ألأمير وضعتها بين قوسين منحنيين ( ) . أما آياتُ ألقرآن ألحكيم وألأحاديثُ ألنبوية ألشريفةُ فقد ضبطتها بألشكل ألكامل ، وأحطت ألآياتِ بألقوسين ألمنحنيين وأشرت إلى مواضعها من كتاب ألله . وكذلك عُنيت بألإشارة إلى مَن ذكر ألأحاديثَ من أصحاب كتب ألسنة وألآثار ، معتمداً في ذلك على

ما كتبه علماء هذا الشأن ، وعزوت كلّ قولٍ إلى قائله ، وقد لا أتعرض إلى الحديث إذا كان المؤلف عزاه في الكتاب .

ولا بدّ من التنبيه هنا إلى أنني قلما أترك آيةً أو حديثاً أو شعراً أو غيرَ ذلك إلاّ وأعود فيه إلى الأصل الذي نقل المؤلف عنه إن استطعت إليه سبيلا . ولقد تبين لي في ذلك حقيقةُ ما قاله المؤلفُ في مقدمته من أنه علقه في حال بُعده عن وطنه ، وغَيبته عن كتبه . فإنني لم أجده يذكر الحديثَ بلفظه ، ولا القولَ بنصه . فربما جمع الآية من آيتين . والحديثَ من حديثين . وربما قدّم المؤخَّر ، وأخر المقدَّم ، وأبدلَ كلمةً بكلمة ، وغير حرفاً بحرف . وهذا ما جعلني أتعب كثيراً بالاهتداء إلى مواضع كلّ قول ، ولولا أن منّ الله عليَّ بالشيخ محمد نور الدّين الاستانبولي وهو أعرفُ من عرفت بمراجع الأحاديث ولا سيما أحاديث الصحيحين لما اهتديت إلى كثيرٍ منها ، جزاه الله تعالى خيراً . وقد كنت عَلَى أن أصحح الأحاديث عَلَى أصولها لولا أنني رأيت أن هذا يستدعي تغيير الكتاب من أصله فغنَيتُ عن ذلك بالتنبيه هنا عليه وقد أنبه عليه في موضعه بأن أقول : رواه فلا بنحوه ، أو بألفاظ متقاربة .

جواز التحديث بالمعنى لمن يعرف مدلول الالفاظ

وما كان المؤلف رحمة الله عليه بِدعاً في تغيير اللفظ فقد كان كثيرٌ من المحدّثين والحفاظ العارفين بمدلول الألفاظ كذلك ، ولم

يكن ذلك مما يَغُضُّ من شأنهم . قال ٱبن أبي حاتم : لم أرَ من ٱلمحدّثين من يحفظ ويأتي بٱلحديث عَلَى لفظٍ واحدٍ لا يغيّره سوى يحيى ٱلحِمَّاني في حديث شريك وذَكَرَ جماعة . وقال ٱلآجُرّي عن أبي داود : كان سليمان بن حربٍ يحدّث بٱلحديث ثم يحدّث به كأنه ليس ذاك . قلت : ومع هذا فقد قال فيه يعقوب بن أبي شيبة حدّثنا سليمان بن حربٍ وكان ثقةً ثَبْتاً صاحبَ حفظ ، وقال ٱلنسائي : ثقةٌ مأمون وكذلك وكيع بن ٱلجرّاح قال فيه محمد بن نصر ٱلمَرْوَزي : كان يحدّث بآخره من حفظهِ فيغيّر ألفاظ ٱلحديث ، كأنه كان يحدّث بٱلمعنى . وقيل لسفيان ٱلثوري : يا أبا عبد ٱلله حدِّثنا كما سمعت فقال : وٱلله ما إليه سبيل وما هو إلا ٱلمعاني فأُخبِرَ بذلك ٱلإمامُ أحمد بن حنبل فقال : هو كذلك . وقال ٱلنووي : جمهور ٱلعلماء عَلَى جواز ٱلرواية بٱلمعنى من ٱلعارف . ولا خلاف في ٱلمنع إذا ٱختلف ٱلمعنى . وقال ملا علي ٱلقاري : وإنما جاز نقلُ ٱلحديث بٱلمعنى إذا ٱضطُرَّ إليه بنسيان لفظه ، أما نقلُه بٱلمعنى مع حفظه لفظَه فيُخاف عليه أن يدخل تحت قوله صلى ٱلله عليه وسلم : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمِّداً فَلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ .

جواز العمل بالحديث الضعيف والرواية عن بني اسرائيل

ولئن مرّ بك في هذا ٱلكتاب شيءٌ من ٱلأحاديث ٱلضعيفة أو ٱلحكايات ٱلإسرائيلية فٱعلم أن ذلك ليس مما يُغْمَصُ عَلَى ٱلمؤلف ،

لأنهم إنما كانوا يتشددون في أحاديث الأحكام . قال الإمام أحمد رضي الله عنه : إذا روينا في الحلال والحرام شددنا في الاسانيد وإذا روينا في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد ، وكذلك الأخبار الإسرائيليات لا مانع من التحديث بها ، فقد روى البخاري وأبو داود وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسرائِيلَ وَلَا حَرَجَ . قال المناوي في شرحه : وإذنه هنا لا ينافي نهيه في خبر آخر لأن المأذون فيه التحدّث بقصصهم والمنهيّ عنه العملُ بالأحكام لنسخها .

فضل هذا الكتاب على امثاله

بقي كلمةٌ أحبّ أن أقولها ، وهي أن الكتب المصنفة في الحب هذا أنفعها ، لأنه جمع إلى لغة الحب وفلسفته ومذاهبِ الناس فيه لغةَ الشريعة وحكمتها وأدبها . فالقارئ يتنقل في هذه الروضة المونقةِ من فائدةٍ لغوية إلى قاعدةٍ أصولية ، ومن نكتةٍ أدبية إلى مسألةٍ فقهية ، ومن غيرها إلى غيرها مما لا سبيل إلى استقصائه ، وقد أفردت لطائفةٍ من فوائده المنبثّة فيه فهرساً سميته فهرسَ المطالب ليكون عوناً للمطالع على الإستفادة منها . كما جعلت لكلٍّ من الأحاديث والأعلام والقوافي فهرساً رتبته عَلَى حروف الهجاء .

أما غيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن فبعضها يَسْرُد من أخبار العشاق ما يزين العشق ويغري به ، ويذكر بعضها من مدح

الهوى وأهله ما يهوي بقارئه في دركات الشر والهلاك ، وليس في سائرها ما يتنزه عن سوء القول وخطل المجون . من أجل ذلك نرى أن في نشر هذه الكتب نشراً للرذيلة وطياً لمكارم الأخلاق ، وأن العامل على إذاعتها عاملٌ على هدم الفضيلة وابتناء الفساد . وليت شعري أي شرٍّ أشرى من أن يقرأ الفتى والفتاةُ وهما اليوم ما هما من قلة المعلومات الشرعية وضعفِ الوازع الديني والدُّنيوي كتاباً في العشق وأخبار العاشقين والمُجَّان لا يجدان فيه كلمةً تزجرهما عن فاحشةٍ أو تَصُدُّهما عن منكر ؟

إن هذا الكتاب قد شُحن بحمد الله بكل معنى جميل وقول عفيف ، فليس فيه ما ينبو السمع عنه من قَذْع الكلام وفاحش المُجُون ، حتى إنه برِيءٌ من ذكر السوآت إلاَّ ما ورد منها في الكتاب والسنة .

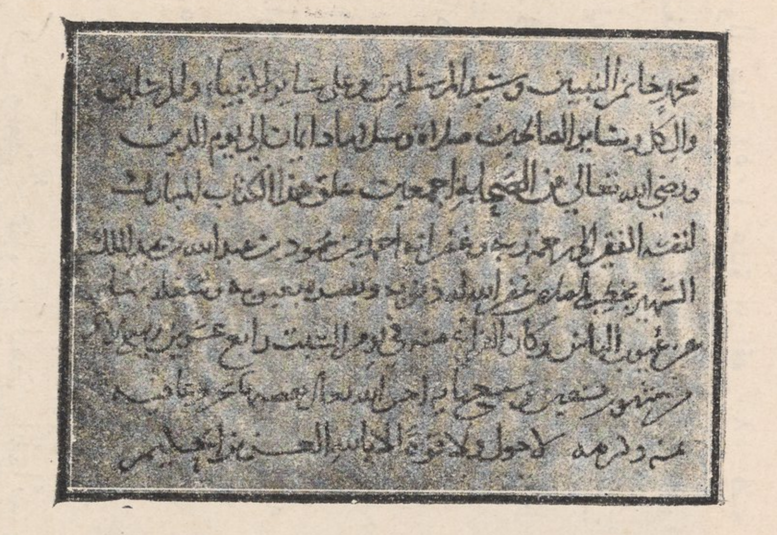
ومع ذلك رأيتُ أحذِف منه كلماتٍ وجُمَلاً لم يكن به إليها فاقة ، ولا له في إثباتها فيه ثروة ، ووضعتُ مكانَ المحذوف هذه النجمة * وأعلمت عليه بالهامش بنجمة أكبرَ منها * والمحذوفُ كلُّه لا يبلغ أربعَ صفحات من صفحات المطبوع . فعسى أن أكون بذلك من المحسنين .

وصف نسخة دمشق ٱلتي ٱعتمدنا عليها بٱلطبع

ظفرنا بهذه ٱلنسخة عام ١٣٤٧ هـ وهي أقرب ٱلنسخ ٱلثلاث من ٱلمؤلف عهداً فقد كُتبت سنة تسعين وسبعمائة ووفاةُ ٱلمؤلف سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فبينهما تسعٌ وثلاثون سنة صفحاتها ٤٧٨ صفحة في كل صفحة ١٧ سطراً طول ٱلصفحة بٱلسنتيمتر ١٩ وعرضها ١٤ وٱلمكتوب منها طوله ١٤ $\frac{1}{2}$ وعرضه ١٠ كتب في ٱلصفحة الأُولى منها : كتاب روضة ٱلمحبين ونزهة ٱلمشتاقين للشيخ ٱلإمام ٱلعالم العلامة شيخ ٱلإسلام المفتي الفرق شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب إمام المعمورة بدمشق المحروسة قدس الله روحه ونوَّر ضريحه . شعر حسن :

لله درُ كتابٍ كُلّهُ دُرَرٌ ينالُ من حاز معناهُ به رُتَبَا
فيا مُطالِعَهُ جد بالدُّعاء لمن كان المؤلفَ والقاري وَمن كتبا

وكتب في أعلى هذه الصفحة « من كتب الفقير إليه عز شأنه السيد عمر المع . . غفر له » وفي الجانب الأيسر منها كلمات بعضها بالعربي وبعضها بالتركي محي قسمٌ منها وشطب عَلَى قسم . والنسخة كثيرةُ التحريف والتصحيف وقد سقط منها كلماتٌ وجمل غيَّر بعضها المعنى فاحشاً وهي التي استدركناها من النسختين الأخريين وتراها في النسخة المطبوعة بين قوسين .



راموز الصفحتين الأولى والأخيرة من نسخة دمشق

وصف نسخة لبنان المرموز إليها بالحرف (ن)

أما النسخة الثانية التي اشتريناها من مكتبة الأستاذ المعلوف فعدد صفحاتها ٣٦٠ صفحة في كل صفحة ٢٥ سطراً طول الصفحة بالسنتيمتر ٢٠ وعرضها ١٥ وطول المكتوب منها ١٣ وعرضه ٨ ½ كتب في الصفحة الأولى منها :
« كتاب روضة المحبين ونزهة العاشقين تأليف الشيخ الامام العالم العلامة المفنن شمس الدين محمد بن القيم تغمده الله برحمته ورضوانه بمحمد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين » وكتب في أعلى الصفحة « من كتب الفقير عبد الباقي الخازن الموزع » و « في نوبة الفقير السيد زين العابدين ابن السيد علي ابن السيد محمد غفر الله ذنوبهم وستر عيوبهم » وفي الجانب الأيسر « الحمد لله على كل حال في نوبة العبد الحقير صالح التميمي الوفائي في شهر شوال سنة ١٠٥٤ عدة اوراقه ١٨٠ فضه ٧٤ » وتحت هذه العبارة طابعان صغير واكبر منه كتب في الصغير بالخط الكوفي « ما شاء الله لاقوة الا بالله » وفي الآخر « من ممتلكات الفقير الحاج مصطفى صدقي غفر له »
وكتب في أسفل الصفحة من جهة اليسار هذان البيتان بعنوان : لبعض أهل الفضل

من حَمِدَ الناسَ ولم يَبْلُهم ... ثم بلاهم ذمّ من يحْمَدْ
وصار بالوَحدَة مستأنساً ... يُوحشه الأقربُ والأبعد

وفي هذه النسخة عشرون ورقة من أوَّلها وورقتان من أثنائها كتبت بخط مغاير ، وفي الهوامش كلماتٌ وجملٌ سقطت من الأصل فاستُدْرِكت وبعضُ عناوينَ لبعض الفوائد وتصحيحات ربما كان بعضها إفساداً ، وتفسيرٌ لبعض الألفاظ اللغوية .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل المحبة الى الظفر بالمحبوب
سبيلا ونصب طاعته والخضوع له على صدق المحبة
دليلا وحرك بها النفوس الى انواع الكمالات ايثارا لطلبها
وتحصيلا واودعها العالم العلوي والسفلي لاخراج كماله
من القوة الى الفعل ايجادا وامدادا وقبولا واثار
بها الهمم السامية والعزمات العالية الى اشرف غاياتها
تخصيصا لها وتأهيلا فسبحان من صرف عليها القلوب كما
يشاء ولما يشاء بقدرته واستخرج بها ما خلق له كل حي
بحكمته وصرفها انواعا واقساما بين بريته وفصلها
تفصيلا فجعل لكل محب محبوبا نصيبا مفروضا كان في
محبته او مصيبا وجعله بحبه منعما او قتيلا فقسمها بين
محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب النيران ومحب
الصلبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب النسوان
ومحب الصبيان ومحب الاثمان ومحب الايمان ومحب الالحان ومحب
الايمان ومحب القرآن وفضل اهل محبته ومحبة كتابه
ورسوله على سائر المحبين تفضيلا فبالمحبة وللمحبة وجدت
الارض والسموات وعليها فطرت المخلوقات ولها
تحركت الافلاك الدائرات وبها وصلت الحركات الى
غاياتها واتصلت بداياتها بنهاياتها وبها ظفرت
النفوس بمطالبها وحصلت على نيل مآربها وتخلصت

[illegible]
الموفق لعبادة الله على دواعي شبابه ولا مخالفة لربه وعلى ذلك والى
الذي قد [illegible] على ذلك مخالفة الهوى الداعي
الى اماكن اللذات [illegible] عن شماله ولا يتبع هواه
لربه وعلى ذلك والذي [illegible]
وخالف هواه والذي [illegible]
[illegible] ذلك مخالفة هواه [illegible]
[illegible] يوم القيامة واصحاب الهوى قد بلغ منهم الجهد والعرق
كل مبلغ وهم ينتظرون [illegible] الهوى فالله سبحانه
وتعالى المسؤول ان يعيذنا من اهواء النفس الامارة بالسوء وان
يجعل هوانا تبعا لما يحبه ويرضاه انه على كل شيء قدير وتم
الكتاب بعون الله تعالى وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه
صلاة دائمة [illegible]

راموز الصفحتين الأولى والأخيرة من نسخة لبنان

وصف نسخة الأمير

وأما النسخة الثالثة فقد تفضّل بإعارتنا إياها صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله أخو جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود حفظه الله . وهي مخرومة من أوّلها وآخرها يبتدئ الموجود منها بقوله في أوائل المقدّمة : طامع في مغفرته (انظر الصفحة ٢ السطر ١٢ من هذه الطبعة) وينتهي بقوله في أوائل الباب السابع والعشرين : فذهب القصاب إلى مكانه فرجعت (أنظر ص ٤٨١ س ٧) وعدد الصفحات الباقية من هذه النسخة ٢٥٨ صفحة في كلٍّ منها ٢١ سطراً طول الصفحة بالسنتيمتر ٢٤ وعرضها ١٧ وطول المكتوب منها ١٧$\frac{1}{2}$ وعرضه ١١

والظاهر من الخط والورق أنها من خطوط القرن الماضي . وفي هذه النسخة أيضاً شيءٌ من التصحيف والتحريف ، وكثيراً ما كتبت الضاد فيها ظاء . ليس في هوامشها إلا كلمات قليلة سقطت من الأصل فاستُدْرِكت ، وإلا تصحيحات نَزْرة جدًّا ، وفي بعض الهوامش كلمة « بلغ » إشارة إلى أنها قد قرئت أو قوبلت عَلَى نسخة أخرى .

الباب التاسع عشر في ذكر فضيلة الجمال وميل النفوس
اليه على كل حال اعلم ان الجمال ينقسم قسمين ظاهرا وباطنا فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته وهو
جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع
محبته كما في الحديث الصحيح ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم
وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وان لم تكن ذات جمال فيكسو صاحبه من الجمال
والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسب روحه من تلك الصفات فان المؤمن يعطى حلاوة ومهابة
بحسب ايمانه فمن رآه هابه ومن خالطه احبه وهذا امر مشهود بالعيان فانك ترى الرجل
الصالح المحسن ذا الاخلاق الجميلة من احلا الناس صورة وان كان اسود وغير جميل ولا
سيما اذا رزق حظا من صلاة الليل فانها تنور الوجه وتحسنه وقد كان بعض النساء تكثر صلاة
الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن وجهي ومما يدل على
ان الجمال الباطن احسن من الظاهر ان القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل
اليه فصل ولما اما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن
بعض وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها يزيد في الخلق ما يشاء قالوا هو الصوت
الحسن والصورة الجميلة الحسنة والقلوب كالمطبوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه
وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة
من كبر قالوا يا رسول الله الرجل يحب ان يكون نعله حسنا وثوبه حسنا افذلك من الكبر
فقال لا ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس فبطر الحق جحده ودفعه بعد معرفته
وغمط الناس النظر اليهم بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم ولا باس
بهذا اذا كان لله وعلامته ان يكون لنفسه اشد ازدراء واستصغارا منه لهم فاما
ان احتقرهم لعظمته لنفسه عنده فهذا الذي لا يدخل صاحبه الجنة فصل
وكان الجمال الباطن من اعظم نعم الله تعالى على عبده يوجب شكرا فان شكره بتقواه وصيانته
ازداد جمالا على جماله وان استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شينا ظاهرا في الدنيا

راموز صفحة من نسخة الأمير

ترجمة المؤلف [1]

هو أبو عبدالله شمسُ الدّين محمدُ بن أبي بكر بن أيوبَ بن سعد ابن حَرِيز الزُّرْعي [2] ثم الدّمشقي المعروف بابن قيّم الجَوْزية الحنبلي .

مولده ووفاته :

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وتوفي وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وصُلّيَ

---

(١) جمعت هذه الترجمة من الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني ، وذيل طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ السيوطي ، والرد الوافر للحافظ ابن ناصر الدين ، وأبجد العلوم لصديق حسن خان ، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان الآلوسي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، ومنادمة الأطلال للشيخ عبدالقادر بدران ، والأعلام للسيد خير الدين الزركلي وغيرها .

(٢) قال السخاوي في الأنساب من كتابه الضوء اللامع : الزرعي نسبة لزُرع قرية من حوران . والذي رأيته بعد البحث أن هذه القرية هي التي تسمى الآن إزرع وكان اسمها في القديم زُرّ اوربما سميت زُرّة قال ياقوت في معجم البلدان ما ملخصه : (زُرّا) قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : أبو الحسن الجهني الزري من أهل زرا التي تدعى اليوم زُرْع وقال في موضع آخر : الغَرِيَّة قرية من أعمال زرع من نواحي حوران وقال أيضاً : (بسر) بالضم اسم قرية من أعمال حوران من أراضي دمشق بموضع يقال له اللحا (كذا ولعله اللجاة) وهو صعب المسلك إلى جنب زُرّة التي تسميها العامة زرع ويقال إن فيها قبر اليسع النبي عليه السلام . قلت : وهذه الحدود هي حدود إزرع اليوم . وأخبرني الشيخ محمد علي بك الميداني أن من أحاجي الحوارنيين الباقية الى اليوم (رأيت مبدنة زرع من غزة) أي رأيت مئذنتها منغزة اي مغروزة

عليه من الغد بالجامع الأموي عقيب الظهر ثم بجامع جرّاح [1] وكانت جنازته حافلة جدًّا ، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند والديه رحمهما الله .

علمه وعبادته واخلاقه :

كان رحمة الله عليه عالماً فقيهاً أصولياً مفسراً نحوياً عارفاً بالله متفنناً في علوم الإسلام ، وكان عارفاً بالتفسير لا يُجَارى فيه ، وبأُصول الدّين وإليه فيها المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يُلْحَقُ في ذلك ، وبالفقه وأُصوله ، وبالعربية وله فيها اليد الطُّولى وبعلم الكلام وغير ذلك ، وعالماً بعلم السلوك وكلام أَهل التصوّف وإشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فنٍّ من هذه الفنون المعرفةُ الشاملة وكان عالماً بالملل والنِّحَل ومذاهب أَهل الدُّنيا علماً أَتقنَ وأَشملَ من أَصحابها . وكان جريَّ اللسان ، واسعَ العلم والبيان ، عالماً بالخلاف ومذاهب السلف . أمّ بالمدرسة الجوزية [2] ودرّس بالصدرية [3] مدة طويلة وتصدّر للاشتغال ونشر

---

(١) خارج الباب الصغير وهو معروف الى اليوم وكان من قبل مسجداً للجنائز

(٢) هي بالبزورية المسمي قديماً بسوق القمح وقد اختلس جيرانها معظمها وبقي منها بقية صارت محكمة الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف ثم أقفلت مدة الى ان فتحتها جمعية الاسعاف الخيري وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال وقد احترقت في اول الثورة السورية ولا تزال كذلك الى اليوم .

(٣) كانت بدرب يقال له درب الريحان بجوار تربة القاضي جمال الدين المصري قال الشيخ عبد القادر بدران في كتاب منادمة الاطلال له : وتربة الجمال المصري –

العلم ليلاً ونهاراً[1]، وقصد للإفتاء ، ولكنه معجبٌ برأيه ، جريءٌ على أمور ، غلب عليه حبُّ شيخه ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ذلك ويُدندن حولَ مفرداته وينصرها ويحتجُّ لها . وهو الذي هذّب كتبه، ونشر علمه . وكان له حظٌّ عند الأمراء المصريين . وكان ذا عبادةٍ وتهجُّدٍ وطولِ صلاةٍ إلى الغاية القصوى وتألّه ولهج بالذكر والتلاوة وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته . وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار . حج مرّاتٍ كثيرةً وجاور بمكة ، وكان أهلُ مكة يذكرون عنه من شدّة العبادة وكثرةِ الطواف أمراً يتعجب منه ، وكان حسنَ الخلق كثيرَ التودُّد ، لا يحسُد ولا يحقِد .

شيوخه والآخذون عنه :

سمع من الشهاب النابلسي العابر ، والقاضي تقي الدّين سليمان ، وأبي بكر بن عبد الدّائم ، وعيسى المطعّم ، وابن الشيرازي ، وإسماعيلِ بن مكتوم ، والطبقة ، وفاطمة بنت جوهر وغيرهم . وأخذ العربية على أبي الفتح ، والمجد التونسي ، وقرأ الفقهَ على المجد الحرّاني ، والأصول على الصفيّ الهندي ، وكانت لأبيه في

---

[1] هي عند القبور التي يزعم الناس ان من جملتها قبر معاوية (بسوق التبن بجوار المدرسة الكاملية) ولا مدرسة هناك اليوم والمحقق أن الصدرية محيت آثارها وصارت دوراً .

ٱلفرائض يدٌ فأخذها عنه ، وقرأ عَلَى ٱلشيخ تقي الدّين أحمد بن تيمية ولازمه وأخذ عنه معظم علمه ، وكانت مدة ملازمته له منذ عاد من مصر سنة ٱثنتي عشرة وسبعمائة إلى أن مات .

أما تلاميذه ٱلذين أخذوا ٱلعلمَ عنه فخلقٌ كثير من حياة شيخه إلى أن مات وٱنتفعوا به وكان ٱلفضلاء كٱبن عبد ٱلهادي وغيره يتَلْمذون له . فممن أخذ عنه ولده ٱلحافظ إبراهيم ، وولده ٱلآخر عبد ٱلله ، وٱلحافظُ زين ٱلدين أبو ٱلفرج عبد ٱلرحمن بن أحمد ٱبن رجب موألف ذيل طبقات ٱلحنابلة ولازم مجالسه قبل موته أزيدَ من سنة ، والشيخُ شمس ٱلدّين محمد بن عبد ٱلقادر ٱلنابلسي ٱلمعروف بالجنة صاحب مختصر طبقات ٱلحنابلة لٱبن أبي يعلى ، وغيرُهم

أقوال العلماء فيه :

قال فيه ٱلحافظ ٱبن حجر ٱلعسقلاني ٱلشافعي : ولو لم يكن للشيخ تقي ٱلدّين من ٱلمناقب إلاَّ تلميذه ٱلشيخ شمس ٱلدّين بن قيّم ٱلجَوْزية صاحب ٱلتصانيف ٱلنافعة ٱلسائرة ٱلتي ٱنتفع بها ٱلمُوافق وٱلمُخالف لكان غايةً في ٱلدِّلالة عَلَى عظمة منزلته . وقال ٱلحافظ ٱبن رجب ٱلحنبلي : شيخنا ٱلإمام ٱلعلاّمة لم أشاهد مثله في ٱلعبادة ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أعرفَ بمعاني ٱلقرآن وٱلسنة وحقائق ٱلإيمان منه . وليس هو بٱلمعصوم ولكن لم أرَ في معناه مثله . وقال ٱلقاضي برهان ٱلدّين ٱلزُّرْعي : ما تحت أديم ٱلسماء أوسع علماً منه . وقال ٱلحافظ ٱبن

كَثِير : لاأعرف في زماننا من أهل العلم أكثرَ عبادةً منه . وقال الحافظ ابن ناصر الدّين الشافعي : الشيخ الإمام العلاَّمة شمس الدّين أحد المحققين ، علَم المصنفين ، نادرة المفسرين ، له التصانيف الأنيقة ، والتآليف التي في علوم الشريعة والحقيقة . وقال الحافظ السيوطي : وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية . وقال قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي : تلميذه (أي ابن تيمية) ابنُ قيّم الجوْزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق . وقال أيضاً : ولو لم يكن له من آثاره إلاّ ما اتصف به تلميذه ابن قيّم الجوزية من العلم لكفى . وقال الشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي : ثم إنّ ابن القيّم وإن كان علَى عقيدة شيخه كما عند المشنّعين عليهما فتبرئة شيخه عما نُسب إليه تبرئةٌ له أيضاً ، وتصحيح اعتقاده وتطبيقُه علَى الكتاب والسنة وعقيدةِ السلف تصحيحٌ لاُعتقاده وتطبيق . وقال ملا علي القاري فيه وفي شيخه : ومن طالعَ شرح منازل السائرين تبّين له أنهما كانا من أكابر أهل السنة والجماعة ، ومن أولياء هذه الأمة . وقال محمد المَقَّري : هو أكبر أصحاب تقي الدّين بن تيمية وقال صديق بن حسن خان : الحبر العظيم الشان الرفيع المكان . وقال السيد نعمان الألوسي : وآخر من سدّد هذا المذهب (الحنبلي) ونقحَ وهذّب ، آل قُدامة وآل تيمية وابنُ قيِّم الجوزية ومن أخذ عنهم في البلاد الشامية .

مؤلفاته :

ولابن قيم الجوزية تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم ، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه ، مغرى باقتناء كتبه فحصل منها مالا يحصى ، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً ، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم ؛ وهو طويل النفس في مؤلفاته يعاني الإيضاح جهده فيسهب جداً ، ومعظمها من كلام شيخه يتصرف فيه ، وله في ذلك ملكة قوية . فمن تصانيفه :

١ — إجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية (طبع في أمر تسر (الهند) سنة ١٣١٤ هـ)

٢ — أخبار النساء (طبع في مصر سنة ١٣٠٧ و سنة ١٣١٩ منسوباً إليه ولم يذكر احد من المحققين أنه له)

٣ — أعلام الموقعين عن رب العالمين (طبع في دهلي (الهند) سنة ١٣١٣ وفي مصر سنة ١٣٢٥ وطبع فيها طبعة اخرى بلا تاريخ)

٤ — إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (طبع في مصر سنة ١٣٢٢)

٥ — إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (طبع في مصر سنة ١٣٢٠)

٦ — أمثال القرآن .

٧ — بدائع الفوائد (طبع في مصر بلا تاريخ)

٨ — بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً .

٩ — بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل (وفي كشف الظنون بيان الاستدلال على بطلان محلل السباق والنضال ولعلهما كتاب واحد)

١٠ — التبيان في أقسام القرآن (جمع قسم طبع في مكة المكرمة سنة ١٣٢١)

١١ — التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير .

١٢ — التحفة المكية ·

١٣— تحفة المودود في أحكام المولود (طبع في لاهور (الهند) بعد سنة ١٣٣٩)

١٤ — تفسير الفاتحة · ١٥— تفسير المعوذتين (طبع في مصر)

١٦— تفضيل مكة على المدينة ·

١٧— تهذيب مختصر سنن ابي داود وايضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة (والمختصر للحافظ المنذري) ·

١٨ — جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام و بيان أحاديثها المعلولة· (طبع في الهند)·

١٩— جوابات عابدي الصلبان وأن ماهم عليه دين الشيطان ·

٢٠ — الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (و يسمى الداء والدواء طبع في مصر سنة ١٩٠٤ م و سنة ١٣٤٦ هـ وفي آره (الهند) سنة ١٣٠٧) ·

٢١— حادي الأرواح (وهو كتاب صفة الجنة طبع مع اعلام الموقعين في مصر سنة ١٣٢٥ واختصره أحد تلاميذه وسماه الداعي إلي أشرف المساعي كما ذكر في كشف الظنون) ·

٢٢ — حرمة السماع ·

٢٣ — حكم إغمام هلال رمضان ·

٢٤ — حكم تارك الصلاة (طبع مع كتاب الصلاة وما يلزم فيها للامام أحمد بن حنبل باسم الصلاة وأحكام تاركها سنة ١٣٢٣ و سنة ١٣٤٧ وضمن مجموعة الحديث النجدية ١٣٤٢ في مصر وكانت طبعت أولاً في الهند)

٢٥ — الرسالة الجلية في الطريقة المحمدية (نظم) ·

٢٦ — رفع التنزيل ·

٢٧ — رفع اليدين في الصلاة ·

٢٨— الروح (طبع في حيدر آباد الدكن (الهند) سنة ١٣١٨ و ١٣٢٤ واختصره برهان الدين البقاعي وسماه سر الروح وطبع في مصر سنة ١٣٢٦)

٢٩— روضة المحبين ونزهة المشتاقين (وهو هذا) ·

٣٠— زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء ·

٣٠ — زاد المعاد في هدي خير العباد (و يسمى الهدى النبوي طبع في كانبور (الهند) سنة ١٢٩٨ وفي مصر سنة ١٣٢٤ و سنة ١٣٤٧)

٣١ — السنة والبدعة (نقل عنه الشيخ داود النقشبندي البغدادي في كتاب صلح الاخوان له)

٣٢ — شرح الأسماء الحسنى .

٣٣ — شرح أسماء الكتاب العزيز .

٣٤ — شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل (طبع في مصر سنة ١٣٢٣)

٣٥ — الصبر والسكن .

٣٦ — الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم .

٣٧ — الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة .

٣٨ — الطاعون .

٣٩ — طب القلوب (ذكر الاستاذ المعلوف ان في مكتبة برلين نسخة منه)

٤٠ — الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (طبع في مصر سنة ١٣١٧)

٤١ — طريق الهجرتين وباب السعادتين (طبع في مصر على هامش اغاثة اللهفان في مصائد الشيطان سنة ١٣٢٠ وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة بخط المؤلف)

٤٢ — عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (طبع في مصر سنة ١٣٤١ و ١٣٤٩)

٤٣ — عقد محكم الاحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء (ذكر في كشف الظنون انه شرح الكلم الطيب لشيخه ابن تيمية ولم يسمه فلعله هذا)

٤٤ — الفتح القدسي .

٤٥ — الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه .

٤٦ — فضل العلم .

٤٧ — الفروسية المحمدية (في المكتبة الظاهرية بدمشق كتاب له ضمن مجموعة الكواكب الدراري اوله الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على جميع الأديان قال فيه : هذا مختصر في الفروسية الشرعية النبوية الخ)

٤٨ — الفوائد (طبع في مصر سنة ١٣٤٤)

٤٩ — الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان (طبع في مصر سنة ١٣٢٧ وذكر في كشف الظنون كتاباً اسمه الايجاز ولعله هذا) .

٥٠— الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (وهي القصيدة النونية طبعت في الهند ثم في مصر سنه ١٣١٩) .

٥١ — الكافية الشافية في النحو (ذكرها في كشف الظنون وقال : وله الكافية في الإنتصار للفرقة الناجية) .

٥٢— الكبائر (نقل عنه النقشبندي في صلح الاخوان) .

٥٣— الكلم الطيب والعمل الصالح .

٥٤— مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين (وهو شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الانصاري الهروي طبع في مصر سنة ١٣٣٣

٥٥— المسائل الطرابلسية .

٥٦ — معاني الادوات والحروف

٥٧— مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة (طبع في مصر سنة ١٣٢٣ وفي الهند سنة ١٣٢٩)

٥٨ — المهدي ٥٩ — المهذب

٦٠— نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول .

٦١— نكاح المحرم .

٦٢— نور المؤمن وحياته .

٦٣— هداية الحياري من اليهود والنصارى (طبع في مصر سنة ١٣٢٣ وطبع فيها أيضاً مع كتاب الفارق بين المخلوق والخالق سنة ١٣٢٢)

٦٤ — الهدى السوي (هكذا سماه في الكشف ولعله الهدى النبوى أو زاد المعاد)

٦٥— الوابل الصيب من الكلم الطيب (طبع في الهند ثم في مصر ضمن مجموعة الحديث النجدية سنة ١٣٤٢ ولعله هو والكلم الطيب كتاب واحد)

وله رحمه الله تعالى تصانيفُ غير ما ذُكر لا تحصى كثرةً ، ولكن عز وجودها في هذا الزمان ، ونسجت عليها عناكب النسيان ، وغابت عن العيان ، ودَرَجت في خبر كانَ وكلُّ تصانيفه مرغوبٌ فيها بين الطوائف .

محنته :

ولما كان هو علَى عقيدة شيخه مناصراً آراءه فقد كان من الطبيعي أن يناله ما نال شيخَه من الامتحان والإيذاء ، فحُبس معه في المرَّة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، بعد أن أُهين وطِيفَ به علَى جملٍ مضروباً بالدِّرة ، ولم يُفْرَج عنه إلاَّ بعد موت شيخه .

وكان في مدَّة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن والتدبر والتفكر ، ففُتح عليه من ذلك خيرٌ كثير ، وحصل له جانبٌ عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة . وتسلط بسبب ذلك علَى الكلام في علوم أهل المعارف والدُّخول في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئةٌ بذلك .

وامتُحن مرَّةً أُخرى بسبب فتاوي ابن تيمية ، وحُبس مرَّةً لإنكاره شدَّ الرِّحال لزيارة قبر الخليل ، وجرت له بسبب فتواه بمسألة الطلاق أمورٌ يطول بسطها مع ابن السُّبكي وغيره . وطلبه السبكي مرَّةً بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلِّلٍ ، فأنكر عليه ذلك الأمرَ إلى أن رجع عما كان يفتي به من ذلك ، وجرت له محنٌ أُخرى مع القضاة . وكان ينال من علماء عصره وينالون منه .

شعره وما تمثل به :

وله نظم كثيرٌ وشيءٌ من الشعر سيمرّ بك في هذا الكتاب وهو القائل :

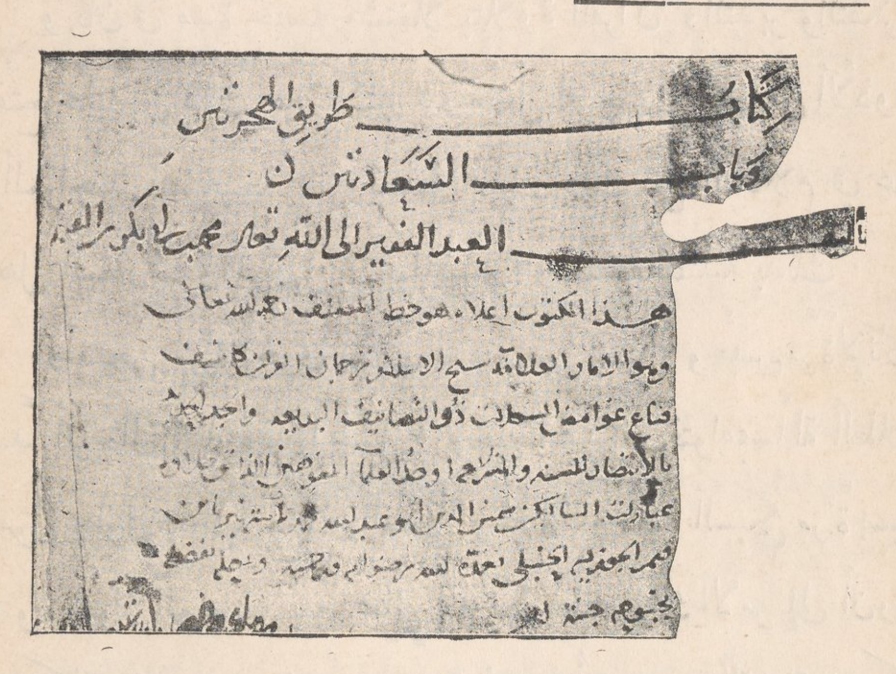
بُنَيُّ أبي بكرٍ غدا متمنِّياً	وصالَ المعالي والذُّنوبُ له همُّ
بُنَيُّ أبي بكرٍ لقد خاب سعيُه	إذا لم يكن في الصالحات له سهم

وكثيراً ما كان يتمثل بقول الشاعر :

عوى الذّئب فاستأنست بالذّئب إذ عوى ... وصوّت إنسانٌ فكدت أطير

وكان يقول : بالصبر واليقين ، تُنال الإمامة في الدّين . ويقول : لا بدّ للسالك من همةٍ تسيّره وتدنيه ، وعلمٍ يبصره ويهديه .

مثال من خط يده :



كتاب طريق الهجرتين
وباب السعادتين
تأليف العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن ابي بكر [illegible]
هذا المكتوب اعلاه هو خط المصنف رحمه الله تعالى
وهو الامام العلامة شيخ الاسلام ترجمان القرآن كاشف
قناع غوامض المشكلات ذو التصانيف البديعة واحد [illegible]
بالانتصار للسنة والشريعة وحد العلماء [illegible]
عبارات السالكين شمس الدين ابو عبد الله محمد [illegible]
قيم الجوزية الحنبلي [illegible]
[illegible] جنة [illegible]

نقلاً عن نسخة ربما كانت مسودّة المؤلف من كتاب طريق الهجرتين وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق (رقم ٣٤٠ توحيد) وتحت طرّتها خط أحد العلماء .

دمشق : منتصف ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ — أحمد عبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم

ألحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر بالمحبوب سبيلا، ونصب طاعته والخضوع له على صدق المحبة دليلا، وحرك بها النفوس إلى أنواع الكمالات إيثاراً لطلبها وتحصيلا، وأودعها العالم العلوي والسفلي لإخراج كماله من القوة إلى الفعل إيجاداً وإمداداً وقبولا، وأثار بها الهمم السامية والعزمات العالية إلى أشرف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلا. فسبحان من صرّف عليها القلوب كما يشاء ولما يشاء بقدرته، واستخرج بها ما خلق له كل حي بحكمته، وصرّفها أنواعاً وأقساماً بين بريته، وفصّلها تفصيلا، فجعل كل محبوبٍ لمحبه نصيبا، مخطئاً كان في محبته أو مصيبا، وجعله بحبه منعماً أو قتيلا. فقسمها بين محب الرحمن، ومحب الأوثان، ومحب النيران، ومحب الصلبان، ومحب الأوطان، ومحب الإخوان، ومحب النِّسوان، ومحب الصبيان، ومحب الأثمان[1]

(١) المراد بالاثمان الدراهم والدنانير

ومحب الإيمان ، ومحب الألحان ، ومحب القرآن ، وفضّل أهل محبته ومحبة كتابه ورسوله عَلَى سائر المحبين تفضيلا ، فبالمحبة وللمحبة وُجدت الأرض والسموات ، وعليها فُطرت المخلوقات ، ولها تحرّكت الأفلاك الدائرات ، وبها وصلت الحركات إلى غاياتها ، واتّصلت بداياتها بنهاياتها ، وبها ظفرت النفوس بمطالبها ، وحصلت عَلَى نيل مآربها ، وتخلصت من معاطبها ، واتخذت إلى ربها سبيلا ، وكان لها دون غيره مأمولاً وسولا ، وبها نالت الحياة الطيبة وذاقت طعم الإيمان لما رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد [صلى الله عليه وسلم] رسولا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقرٍّ بربوبيته ، شاهدٍ بوحدانيته ، منقادٍ إليه لمحبته ، مذعنٍ له بطاعته ، معترفٍ بنعمته ، فارٍّ إليه من ذنبه وخطيئته ، مؤملٍ لعفوه ورحمته ، طامعٍ في مغفرته ، بريء إليه من حوله وقوّته ، لا يبتغي سواه ربًّا ولا يتخذ من دونه وليًّا ولا وكيلا ، عائذٍ به ، ملتجٍ إليه ، لا يروم عن عبوديته انتقالاً ولا تحويلا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمينه عَلَى وحيه ، وسفيره [بينه و] بين عباده ، أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأعظمهم عنده جاها ، وأسمعهم[1] لديه شفاعة ، وأحبهم إليه ، وأكرمهم عليه ، أرسله للإيمان مناديا ، وإلى الجنة داعيا ، وإلى صراطه المستقيم هاديا ، وفي مرضاته ومحابِّه

---

(١) في ن : واوسعهم

ساعيا ، وبكل معروفٍ آمرا ، وعن كل منكرٍ ناهيا ، رفع له ذكره ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين[1] ، وقرن اسمه باسمه ، فإذا ذُكر اللهُ ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهدٌ ولا أذان حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين :

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ من الله ميمونٌ يلوح ويُشْهَدُ

---

(١) قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله تعالى في كتابه (التبيان في اقسام القرآن) ما ملخصه : ومن ذلك قوله في قصة لوط عليه السلام ومراجعته قومه : (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ٠ اكثر المفسرين من السلف والخلف ، بل لا يعرف السلف فيه نزاعا ان هذا قسم من الله لله بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ وهذا من اعظم فضائله ان يقسم الرب عز وجل بحياته ٠ وهذه مزية لا تعرف لغيره قال ابن عباس رضي الله عنهما : لعمرك أي وحياتك قال : وما اقسم الله تعالى بحياة نبيٍ غيره ٠ ولا ريب ان عمره وحياته من اعظم النعم والآيات فهو أهلٌ ان يقسم به والقسم به اولى من القسم بغيره من المخلوقات ٠ اه

وقال البيضاوي : (لعمرك) قسم بحياة المخاطب ٠ والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام ٠ وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك ٠

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته عليه : وكون المقسم به حياة النبي صلى الله عليه وسلم هو قول جمهور المفسرين ٠ واما كونه خطاباً للوط عليه الصلاة والسلام فيحتاج الى تقدير القول : أي قالت الملائكة للوط عليهم الصلاة والسلام : لعمرك الخ ٠ ولذا اخره المصنف رحمه الله تعالى عكس ما في الكشاف ٠ لانه مع مخالفته للرواية محتاج للتقدير وهو خلاف الاصل ٠ اه ملخصاً

وضمّ الإلٰه اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد[1]

وشق له من إسمه ليجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

أرسله عَلَى حين فترةٍ من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، وافترض عَلَى العباد محبته وطاعته ، وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسدّ إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتح لأحدٍ إلاّ من طريقه . فلا مطمع في الفوز بجزيل الثواب ، والنجاةِ من وبيل العقاب ، إلا لمن كان خلفه من السالكين ، ولا يؤمنُ عبدٌ حتى يكون أحبّ إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ، فصلّى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع عباده المؤمنين عليه ، كما وحّد الله وعرّف أمته به ودعا إليه ، صلاةً لا تروم عنه انتقالاً ولا تحويلاً ، وعَلَى آله الطيبين ، وصحبه الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيرا .

اما بعد فإن الله جلّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه ، جعل هذه القلوب أوعيةً فخيرها أوعاها للخير والرشاد ، وشرّها أوعاها للغيِّ والفساد ، وسلّط عليها الهوى ، وامتحنها بمخالفته لتنال بمخالفته جنة المأوى ، ويستحقّ من لا يَصلُح للجنة بمتابعته ناراً تلظّى ، وجعله مركب النفس الأمارة بالسوء وقوتها وغذاها ، وداء النفس

---

(١) زاد في هامش ن بعد هذا البيت :

ألم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد

المطمئنة ومخالفته دواها ، ثم أوجب سبحانه [وتعالى] عَلَى ٱلعبد
في هذه ٱلمدة ٱلقصيرة ٱلتي هي بالإضافة إلى الآخرة كساعةٍ من
نهار ، أو كبللٍ ينال الاصبع حين يدخلها في بحرٍ من ٱلبحار[1] ،
عصيانَ ٱلنفس الأَمارة ومجانبةَ هواها ، وردعَها عن شهواتها ٱلتي
في نيلها رداها ، ومنعها من الركون إلى لذاتها ، ومطالبة ما استدعته
ٱلعيون ٱلطامحة بلحظاتها ، لتنال نصيبها من كرامته وثوابه موفَّراً
كاملا ، وتلتذّ آجلاً بأضعاف ما تركته لله عاجلا ، وأمرها بالصيام
عن محارمه ليكون فطرها عنده يوم لقائه ، وأخبرها أن معظم نهار
ٱلصيام قد ذهب ، وأن عيد اللقاء قد اقترب . فلا يطول عليها الأَمد
باستبطائه [كما قيل] :

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويذهب[2] هذا كله ويزول

هيأها لأمرٍ عظيم ، وأعدَّها لخطبٍ جسيم ، وأدَّخر لها ما لا
عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر عَلَى قلب بشرٍ من ٱلنعيم
المقيم ، واقتضت حكمته ٱلبالغة أَنها لا تصل إليه إلا من طريق
ٱلمكاره وٱلنصَب ، ولا تعبرُ إليه إلا عَلَى جسر المشقة وٱلتعب ،

---

(١) أخذ هذا المعنى من الحديث الذي رواه مسلم عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع .

(٢) في ن : فيذهب .

فحجبه بالمكروهات صيانةً له علَى[1] الأنفس الدنيّات، المؤثِرَة للرذائل والسفليات، وشمّرت إليه النفوس العلويات، [والهمم العليّات، فامتطت في السير إليه ظهور العزمات]، فسارت في ظهورها إلى أشرف الغايات.

وركبٍ سرَوْا والليل مرخٍ رِواقَه	علَى كل مغبرّ الموارد قاتم
حدَوا عزماتٍ ضاعت الأرض بينها	فصار سُراهم في ظهور العزائم
أرتهم نجومُ الليل ما يطلبونه	علَى عاتق الشِّعرى وهام النعائم
فأمُّوا حمىً لا ينبغي لسواهم	وما أخذتهم فيه لومةُ لائم

أجابوا منادي الحبيب لما أذّن لهم حيّ على الفلاح، وبذلوا نفوسهم في مرضاته بذل المحب بالرضا والسماح، وواصلوا السير إليه بالغدوّ والرّواح. فحمِدوا عند الوصول مسراهم وإنما يحْمَدُ القوم السُّرى عند الصباح، تعبوا قليلا، فاستراحوا طويلا، وتركوا حقيرا، واعتاضوا عظيما. وضعوا اللذة العاجلة والعاقبة الحميدة في ميزان العقل فظهر لهم التفاوُت، فرأَوا من أعظم السفَه بيعَ الحياة الطيبة الدائمة في النعيم المقيم بلذة ساعةٍ تذهب شهوتها، وتبقى شقوتها. هذا وإن من أيام اللذات لو صفت للعبد من أول عمره إلى آخره لكانت كسحابة صيفٍ تتقشع عن قليل، وخيال طيفٍ ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل. قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ

(١) في تصحيحات ن: عن

سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)[١]
ومن ظفر بمأموله من ثواب الله ، فكأنه لم يُوتَرَ[٢] من دهره بما كان
يحاذره ويخشاه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا
ٱلبيت [من ٱلشعر] :

كأنك لم تُوتَرْ من الدهر مرةً   إذا أنت أدركت الذي أنت طالبه

فصل وهذا ثمرة ٱلعقل الذي به عُرف الله سبحانه وتعالى
وأسماؤه وصفات كماله ونعوت جلاله ، وبه آمن ٱلمؤمنون بكتبه
ورسله ولقائه وملائكته ، وبه عُرفت آيات ربوبيته وأدلة
وحدانيته ومعجزات رسله ، وبه ٱمتُثِلَت أوامره واجتُنِبَت نواهيه ،
وهو الذي تلمَّح ٱلعواقب فراقبها ، وعمل بمقتضى مصالحها ، وقاوم
ٱلهوى فردَّ جيشه مفلولا ، وساعد ٱلصبر حتى ظفر به بعد أن كان
بسهامه مقتولا ، وحثَّ عَلَى ٱلفضائل ، ونهى عن الرذائل ، وفتق

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٠٧

(٢) في النسختين لم توثر وكذلك البيت بعده . وقد ورد في سيرة سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه تأليف ابن الجوزي هكذا :

لا تأخذوا عقلاً من القوم إنني   أرى الجرح يبقى والمعاقل تذهب
كأنك لم توثر من الدهر ليلة   إذا انت أدركت الذي كنت تطلب

ويظهر ان هذا كله من التصحيف والصواب ما اثبتناه . يقال : وتر الرجلَ : أفزعه وأدركه بمكروه ووتره ايضاً اذا أصابه بوتر وهو الذَّحْل أي الثأر عامة او الظلم فيه .

المعاني وأدرك الغوامض ، وشدّ أزرَ العزم فاستوى عَلَى سوقه ، وقوّى أزر الحزم حتى حظي من الله بتوفيقه ، فاستجلب ما يزَين ، ونفي ما يَشين ، فإذا نزَل وسلطانه أسر جنود الهوى فحصرها في حبس من ترك لله شيئاً عوّضه الله خيراً منه ، ونهض بصاحبه إلى منازل الملوك ، إذا صيّر الهوى الملكَ بمنزلة العبد المملوك ، فهي شجرةٌ عرقها الفكر في العوَاقب ، وساقها الصبر ، وأغصانها العلم ، وورقها حسن الخُلق ، وثمرها الحكمة ، ومادّتها توفيق مَن أزِمّة الأُمور بيديه ، وابتداؤها منه وانتهاؤها إليه . وإذا كان هذا وصفَه ، فقبيح أن يُدال عليه عدوّه فيعزله عن مملكته ؛ [ويحطه عن رتبته] ، ويستنزله عن درجته ، فيصبح أسيراً بعد أن كان أميراً ، ومحكوماً بعد أن كان حاكماً ، وتابعاً بعد أن كان متبوعاً . ومن صبر عَلَى حكمه أرتعه في رياض الأماني والمنى ، ومن خرج عن حكمه أورده حياض الهلاك والردى ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لقد سبق إلى جنات عدنٍ أقوامٌ ما كانوا بأكثر الناس صلاةً ولا صياماً ولا حجًّا ولا اعتماراً ، لكنهم عقلوا عن الله مواعظه فوجلت منه قلوبهم ، واطمأنت إليه نفوسهم ، وخشعت له جوارحهم ، ففاقوا الناس بطيب المنزلة وعلوّ الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير الشرين . وقالت عائشة رضي الله عنها :

قد أفلح من جعل ٱلله له عقلا وقال ٱبن عباس رضي الله عنهما : ولد لكسرى مولودٌ فأحضر بعض المؤدبين ووضع ٱلصبي بين يديه وقال : ما خير ما أُوتي هذا المولود ؟ قال : عقلٌ يولد معه . قال : فإن لم يكن ، قال : فأدب حسنٌ يعيش به في ٱلناس . قال : فإن لم يكن ، قال : فصاعقةٌ تحرقه . وقال بعض أهل ٱلعلم : لما أهبط الله تبارك وتعالى آدم إلى الأرض أتاه جبريل عليه ٱلسلام بثلاثة أشياء : الدين ، والخلق ، وٱلعقل ، فقال : إن الله يخيرك بين هذه ٱلثلاثة ، فقال : ياجبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء إلا في الجنة ، ومدّ يده إلى ٱلعقل فضمّه إلى نفسه فقال للآخرين : اصعدا . فقالا : أُمرنا أن نكون مع ٱلعقل حيث كان . فصارت ٱلثلاثة إلى آدم [عليه ٱلسلام] وهذه ٱلثلاثة أعظم كرامةٍ أكرم ٱلله بها عبده ، وأجلّ عطيةٍ أعطاه إياها . وجعل لها ثلاثة أعداء : الهوى ، وٱلشيطان ، وٱلنفس الأمارة . والحرب بينهما دُولٌ وسجال ، (وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ)(1) . وقال وهب ٱبن منبه : قرأت في بعض ما أنزل ٱلله تعالى : إن ٱلشيطان لم يكابد شيئًا أشدَّ عليه من مؤمنٍ عاقل ، وإنه ليسوق مائة جاهلٍ فيستجرّهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء ، ويكابد المؤمن ٱلعاقل فيصعب عليه حتى ينال منه شيئًا من حاجته ، قال : وإزالة الجبل صخرةً صخرةً أهون علَى ٱلشيطان من مكابدة المؤمن ٱلعاقل ، فإذا لم يقدر عليه تحوّل إلى الجاهل فيستأسره ويتمكن من قياده

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٢٦

حتى يُسْلمه إلى ٱلفضائح ٱلتي يتعجل بها في الدنيا : الجلد والرجم وٱلقطع وٱلصلب وٱلفضيحة ، وفي الآخرة ٱلعار وٱلنار وٱلشنار . وإن الرجلين ليستويان في ٱلبر و يكون بينهما في ٱلفضل كما بين المشرق والمغرب بالعقل ، وما عبد[1] ٱللهُ بشيء أفضل من ٱلعقل . وقال معاذ بن جبل رضي ٱلله عنه : لو أن ٱلعاقل أصبح وأمسى وله ذنوبٌ بعدد الرمل كان وشيكاً بالنجاة والتخلص منها ، ولو أن الجاهل أصبح وأمسى وله من الحسنات وأعمال البر عدد الرمل لكان وشيكاً أن لا يسلم له منها مثقال ذرة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال إن العاقل إذا زلَّ تدارك ذلك بالتوبة والعقل الذي رُزقه ، والجاهل بمنزلة الذي يبني ويهدم ، فيأتيه من جهله ما يفسد صالح عمله . وقال الحسن : لا يتم دين الرجل حتى يتم عقله ، وما أودع الله امرأً عقلاً إلا استنقذه به يوماً . وقال بعض الحكماء : من لم يكن عقله أغلب الأشياء عليه كان حتفه وهلاكه في أحب الأشياء إليه . وقال يوسف ابن أسباط : العقل سراج ما بطن ، وزينة ما ظهر ، وسائس الجسد ، وملاك أمر العبد ، ولا تصلح الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه . وقيل لعبد الله بن المبارك : ما أفضل ما أُعطي الرجل بعد الإسلام ؟ قال : غريزة عقل ، قيل : فإن لم يكن ، قال : أدبٌ حسن ، قيل : فإن لم يكن ، قال : أخٌ صالحٌ يستشيره ، قيل : فإن لم يكن : قال صمتٌ طويل ، قيل : فإن لم يكن ، قال : موتٌ عاجل . وفي ذلك قيل :

---

(١) في ن : وما عبد الله شيء

ما وهب الله لامرئ هبةً ... أحسنَ من عقله ومن أدبِهْ

هما جمال الفتى فإن فقدا ... ففقدُه للحياة أجمل بِهْ

فصل وإذا كانت الدولة للعقل سالمهُ الهوى، وكان من خدمه وأتباعه، كما أن الدولة إذا كانت للهوىِ. صار العقل أسيراً في يديه، محكوماً عليه، ولما كان العبد لا ينفكّ عن الهوى ما دام حيًّا — فإن هواه لازمٌ له — كان الأمر بخروجه عن الهوى بالكليّة كالممتنع، ولكن المقدور[1] له والمأمور به أن يصرف هواه عن مراتع الهلَكَة إلى مواطن الأَمن والسلامة، مثاله: أن الله سبحانه وتعالى لم يأْمره بصرف قلبه عن هوى النساء جملة، بل أمره بصرف ذلك إلى نكاح ما طاب له منهن من واحدةٍ إلى أربع، ومن الإماء ما شاء، فانصرف مجرى الهوى من محلٍّ إلى محل، وكانت الريح دَبوراً فاستحالت صَباً، وكذلك هوى الظفر والغلبة والقهر، لم يأْمر بالخروج عنه، بل أمر بصرفه إلى الظفر والقهر والغلبة للباطل وحزبه، وشرع له من أنواع المغالبات بالسباق وغيره [مما] يمرّنه ويعدُّه للظفر، وكذلك هوى الكبر والفخر والخُيلاء مأذونٌ فيه، بل مستحبٌّ في محاربة أعداء الله. وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبا دُجانة سِماك بن خرَشة الأَنصاري يتبختر بين الصفين فقال: إنها لَمِشيَةٌ يبغضها اللهُ إلا في مثل هذا الموطن[2]. وقال: إن من الخيلاء

(١) كذا في النسختين وفي هامش ن: المندوب

(٢) لم نجد هذا الحديث في شيء من كتب السنة، وانما رواه أصحاب السير

ما يحبها الله ومنها ما يبغض الله ، فالتي يحبها اختيال الرجل في الحرب وعند الصدقة وذكر الحديث[1]. فما حرّم الله على عباده شيئاً إلا عوّضهم خيراً منه ، كما حرّم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوّضهم منه دعاء الإستخارة ، وحرّم عليهم الربا وعوّضهم منه التجارة الرابحة ، وحرّم عليهم القمار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيل والإبل والسهام ، وحرّم عليهم الحرير وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن ، وحرّم عليهم الزنا واللواط وأعاضهم منهما بالنكاح والتسري بصنوف النساء الحسان ، وحرّم عليهم شرب المسكر وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن ، وحرّم عليهم سماع آلات اللهو من المعازف والمثاني ، وأعاضهم عنها بسماع القرآن العظيم والسبع المثاني ، وحرّم عليهم الخبائث من المطعومات ، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات . ومن تلمح هذا وتأمله هان عليه ترك الهوى المردي ، واعتاض عنه بالنافع المجدي ، وعرف حكمة الله ورحمته

عن ابن اسحق عن جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار قال ابن الاثير في أسد الغابة هو معاوية بن كعب بن مالك .

(١) الحديث في مسند الامام احمد عن جابر بن عتيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ، وان من الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله . فاما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة . واما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير ريبة . واما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال واختياله عند الصدقة ، والخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل في الفخر والبغي .

وتمامَ نعمته عَلَى عباده فيما أمرهم به ونهاهم عنه [وفيما أباحه لهم] ، وأنه لم يأمرهم بما أمرهم به حاجةً منه إليهم ، ولا نهاهم عنه بخلاً منه [تعالى] عليهم ، بل أمرهم بما أمرهم إحساناً منه ورحمة ، ونهاهم عما نهاهم عنه صيانة لهم وحِمْيَة . فلذلك وضعنا هذا الكتاب وضع عقد الصلح بين الهوى والعقل ، وإذا تمَّ عقد الصلح بينهما سهل عَلَى العبد محاربة النفس والشيطان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، فما كان فيه من صوابٍ فمن الله فهو الموفق له والمعين عليه ، وما كان فيه من خطإٍ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله من ذلك بريئان . وقد جعلته تسعةً وعشرين باباً :

الباب الأول : في أسماء المحبة .

الباب الثاني : في اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها .

الباب الثالث : في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض .

الباب الرابع : في أن العالم العلوي والسفلي إنما وجد بالمحبة ولأجلها .

الباب الخامس : في دواعي المحبة ومتعلقها .

الباب السادس : في أحكام النظر وغائلته وما يجني عَلَى صاحبه .

الباب السابع : في ذكر مناظرةٍ بين القلب والعين .

الباب الثامن : في ذكر الشُّبَهِ التي احتجّ بها من أباح النظر إلى من لا يحل له الإستمتاع به وأباح عشقه .

الباب التاسع : في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة وما لها وما عليها في هذا الاحتجاج .

الباب الحادي والعشرون : في اقتضاء المحبة إفرادَ الحبيب بالحب ، وعدمَ التشريك بينه وبين غيره فيه .

الباب الثاني والعشرون : في غيرة المحبين على أحبابهم .

الباب الثالث والعشرون : في عفاف المحبين مع أحبابهم .

الباب الرابع والعشرون : في ارتكاب سبل[1] الحرام ، وما يفضي إليه من المفاسد والآلام .

الباب الخامس والعشرون : في رحمة المحبين ، والشفاعة لهم إلى أحبابهم في الوصال الذي يبيحه الدين .

الباب السادس والعشرون : في ترك المحبين أدنى المحبوبَيْن رغبةً في أعلاهما .

الباب السابع والعشرون : فيمن ترك محبوبه حراماً فبُذل له حلالاً ، أو أعاضه الله خيراً منه .

الباب الثامن والعشرون : فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام ، على لذة الوصال الحرام .

الباب التاسع والعشرون : في ذم الهوى ، وما في مخالفته من نيل المنى .

وسميته : (روضة المحبين ، ونزهة المشتاقين)[2] .

والمرغوب إلى من يقف على هذا الكتاب أن يعذر صاحبه ، فإنه علّقه في حال بعده عن وطنه ، وغيبته عن كتبه ، فما عسى أن يبلغ

---

(١) في ن : سبيل .

(٢) في ن : العاشقين .

خاطرُه المكدود، وسعيه المجهود، مع بضاعته المزجاه، التي حقيقٌ بحاملها أن يقال فيه: تسمع بالمُعَيْدي خيرٌ من أن تراه وها هو قد نصب نفسه هدَفًا لسهام الراشقين، وغَرَضًا لِأَسِنَّةِ الطاعنين، فلقاريه غُنْمُه، وعلى مؤلفه غُرْمُه، وهذه بضاعته تعرض عليك، ومَوْلِيَّته[1] تهدى إليك، فإن صادفت كفوًا كريمًا [لها] لن تعدم منه إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان، وإن صادفت غيره فالله [تعالى] المستعان، وعليه التكلان.

وقد رضي من مهرها بدعوةٍ خالصةٍ إن وافقت قبولاً واستحسانا، وبردٍّ جميلٍ إن كان حظها احتقاراً واستهجانا. والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته. فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثوابا، ومَن ذا الذي يكون قوله كله سديداً وعمله كله صوابا؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحيٌ يوحى، فما صح عنه فهو نقلٌ مصدَّق عن قائلٍ معصوم، وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم، فإن صحّ النقل لم يكن القائل معصوما، وإن لم يصحّ لم يكن وصوله إليه معلوماً.

فصل وهذا الكتاب يَصلُح لسائر طبقات الناس. فإنه يصلُح عونًا على الدين وعلى الدنيا، ومرقاةً للذة العاجلة ولذة العقبى، وفيه من ذكر أقسام المحبة وأحكامها ومتعلقاتها، وصحيحها وفاسدها، وآفاتها

---

(١) موليته: من له ولاية عليها.

وغوائلها ، وأسبابها وموانعها ، وما يناسب ذلك من نُكَتٍ تفسيرية ، وأحاديث نبوية ، ومسائل فقهية ، وآثار سلفية ، وشواهد شعرية ، ووقائع كونية ، مما يكون ممتعاً للقاريء ، مروحاً للناظر فيه ، فإن شاء أوسعه جداً وأعطاه ترغيباً وترهيباً ، وإن شاء أخذ من هزله ومُلَحه نصيباً ، فتارةً يضحكه وتارةً يبكيه ، وطوراً يبعده من أسباب اللذة الفانية وطوراً يرغبه فيها ويدنيه . فإن شئت وجدته واعظاً ناصحاً ، وإن شئت وجدته بنصيبك من اللذة والشهوة ووصل الحبيب مسامحاً . وهذا حين الشروع في الأبواب ، والله سبحانه الفاتح من الخير كل باب ، وهو المسؤول سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، مُدنياً من رضاه والفوز بجنات النعيم ، والله متولي سريرة العبد وكسبه ، وهو سبحانه عند لسان كل قائلٍ وقلبه ، (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[1] .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٦

الباب الأول

في أسماء المحبة

لما كان الفهم لهذا المسمى أشدَّ ، وهو بقلوبهم أعلق ، كانت أسماؤه لديهم أكثر . وهذا عادتهم في كل ما اشتدّ الفهم له ، أو كَثُر خُطوره على قلوبهم ، تعظيماً له ، أو اهتماماً به ، أو محبةً له . فالأول كالأسد والسيف ، والثاني كالداهية ، والثالث كالخمر . وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثةُ في الحب ، فوضعوا له قريباً من ستين[1] اسماً [وهي] : المَحَبَّة ، والعلاقة ، والهَوى ، والصَّبْوة ، والصَّبابة ، والشَّغَف ، والمِقَة ، والوَجْد ، والكَلَف ، والتَّتيُّم ، والعِشق ، والجوَى ، والدَّنَف ، والشَّجْو ، والشَّوق ، والخِلابة ، والبلابل ، والتَّباريح ، والسَّدَمُ ، والغَمَرات ، والوَهَل ، والشَّجَن ، واللاعِج ، والاكتِئاب ، والوَصَب ، والحزْن ، والكَمَد ، واللَّذْع ، والحُرَق ، والسُّهْد ، والأَرَق ، واللَّهْف ، والحنين ، والاستكانة ، والتَّبالة ، واللوْعة ، والفُتون ، والجُنون ، واللَّمَم ، والخَبْلُ ، والرَّسيس ، والداء المُخامِر ، والود ، والخُلَّة ، والخِلْم ، والغَرام ، والهُيام ، والتَّدْليه ، والوَلَهُ ، [والتعبُّد] .

---

(١) كذا في النسختين ولم يذكر المؤلف منها غير خمسين .

وقد ذُكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه ، وإنما هي من مُوجباته وأحكامه فتركنا ذكرها [١]

الباب الثاني

في اشتقاق هذه الاسماء ومعانيها

فأما المحبة فقيل : أصلها الصفاء لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونَضارتها حَبَب الأسنان ، وقيل : مأخوذة من الحُبَاب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد ، فعلى هذا المحبةُ غَليان القلب وثوَرانُه عند الإهتياج إلى لقاء المحبوب ، وقيل مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أَحب البعير إذا برك فلم يقم ، قال الشاعر [٢] :

حُلْت عليه بالفلاة ضربا [٣] ضربَ بعير السَّوْء إذ أَحبّا

فكأن المحبّ قد لزم قلبُه محبوبَه فلم يَرِمُ عنه انتقالا ، وقيل :

---

(١) الذي يظهر من قوله هذا أن كل ما ذكره اسماء وليس الامر كذلك فان اكثره من صفات الحب وآثاره كما يتضح ذلك في الباب التالي .

(٢) في حاشية ياقوت على الصحاح ان الشاعر هو ابو محمد الفقعسي .

(٣) هكذا في النسختين والذي في الكشاف ودواوين اللغة حلت عليه بالقفيل ضرباً اي بالسوط .

بل هي مأخوذة من ٱلقَلَق والاضطراب ، ومنه سمي ٱلقُرْط حِبًّا لقلقه في الأُذُن واضطرابه ، قال ٱلشاعر[1] :

تبيت الحيَّة ٱلنضناض[2] منه مكان ٱلحِبّ تستمع ٱلسِّرارا

وقيل: بل هي مأخوذة من ٱلحَبّ جمع حَبّة ، وهو لُباب ٱلشيء وخالصه [وأَصله] ، فان ٱلحَبّ أَصل ٱلنبات والشجر ، وقيل: بل هي مأخوذة من ٱلحُبّ الذي هو [إِناءٌ] واسعٌ يوضع فيه ٱلشيء فيمتلئ به بحيث لا يسَع غيرَه ، وكذلك قلب ٱلمحب ليس فيه سعةٌ لغير محبوبه ، وقيل: مأخوذة من ٱلحُبّ وهو الخشبات الأربع ٱلتي يستقر عليها ما يوضع عليها من جرَّةٍ أَو غيرها ، فسمي الحب بذلك لأَن ٱلمحب يتحمل لأَجل محبوبه الأَثقال، كما تتحمل الخَشَبات ثِقَل ما يوضع عليها ، وقيل: بل هي مأخوذةٌ من حَبّة ٱلقلب وهي سوَيداؤه ويقال: ثمرته ، فسميت ٱلمحبة بذلك لوصولها إِلى حَبّة ٱلقلب ، وذلك قريبٌ من قولهم ظَهَره إِذا أَصاب ظَهْره ، ورَأَسه إِذا أَصاب رأْسه ، ورآه إِذا أَصاب رئته[3] ، وبَطَنه إِذا أَصاب بَطْنه ، ولكن في هذه الأفعال وصل أَثرُ ٱلفاعل إِلى ٱلمفعول ، وأَما في ٱلمحبة فالأَثر إِنما

---

(١) هو الراعي .

(٢) قال عيسى بن عمر : سألت ذا الرمة عن النضناض فلم يزدني أن حرك لسانه في فيه .

(٣) هكذا في الصحاح قال ياقوت في حاشيته عليه : وهو كلام ابن السكيت واورد الازهري الرئة في ورى قال وتقول منه ور يته اذا اصبت ر ئته . اه ملخصاً .

وصل إلى ٱلمُحِبّ . و بعدُ ففيه لغتان حَبَّ وأَحَبَّ قال ٱلشاعر [١] :

أُحبّ أَبَا مروان [٢] من أَجل تمره [٣] وأَعلم أَن الرفق بالمرء أَرفقُ

ووالله لولا تمره [٢] مـا حببته ولا كان أَدنى من عُبيدٍ ومُشْرِقِ

كذلك أَنشده الجوهري بالإِقواء [٤] فجمع بين اللغتين [٥] ، ولكن في جانب ٱلفعل واسم ٱلفاعل غلّبوا الرباعي فقالوا : أَحبّه يُحبّه فهو مُحِب ، وفي ٱلمفعول غلّبوا فَعَلَ فقالوا في الأَكثر محبوبٌ ولم يقولوا : مُحَبٌّ إِلاَّ نادراً قال ٱلشاعر [٦] :

ولقد نزلتِ فلا تظُني غيره مني بمنزلة ٱلمُحَبّ ٱلمُكْرَمِ

فهذا من أَفعل ، وأَما حبيب فأَكثر استعمالهم له بمعنى ٱلمحبوب قال [ٱلشاعر] :

وما زرت ليلى أَن تكون حبيبةً إِليّ ولا دَينٌ لها أَنا طالبه [٧]

---

(١) قال ياقوت : هو غيلان بن شجاع النهشلي .

(٢) في الكشاف وشواهده : ابا ثروان .

(٣) في الصحاح : ثمره والثمر المال المثمر يخفف و يثقل وقرأ ابو عمرو وكان له ثمر بضم فسكون وفسره بانواع الاموال .

(٤) قال في التاج واللسان : وكان المبرد يرويه : وكان عياضٌ منه ادنى ومشرق . وعلى هذه الرواية لا يكون فيه اقواء . والاقواء اختلاف حركة الروي .

(٥) رواية الجوهري : احبّ بفتح الالف وكسر الحاء قال : وهذا شاذ لانه لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر الا ويشركه يفعل بالضم اذا كان متعديا ما خلا هذا الحرف اه . فعلى هذا لم يجمع فيه بين اللغتين بل جمع فيه بين الماضي والمضارع من حب .

(٦) هو عنترة بن شداد .

(٧) في ن : فأطالبه .

وقد استعملوه بمعنى المحب قال الشاعر :

وما هجرتك النفس أنك عندها ... قليلٌ ولا أنْ قلَّ منكِ نصيبها

ولكنهم يا أحسنَ الناس أُولعوا ... بقولٍ إذا ما جئت هذا حبيبُها

فهذا يحتمل أن يكون بمعنى المحبوب [وأن يكون بمعنى المُحِبّ ، وأما الحِبُّ بكسر الحاء فلغة في الحُبّ وغالب استعماله بمعنى المحبوب] قال في الصحاح : الحُبّ المحبة وكذلك الحِب بالْكسر . والحِبّ أيضاً الحبيب مثل خِدْنٍ وخَدِين . قلت : وهذا نظير ذِبْحٍ بمعنى مذبوح ، ونِهْب بمعنى منهوب ، ورِشْق بمعنى مرشوق ، ومنه السِّبِ ويشترك فيه الفاعل والمفعول ، قال أبو عبيد : السِّبُّ بالكسر الكثير السِّباب ، قال الجوهري : وسِبُّك الذي يُسابُّك قال حسان :

لا تَسُبَّنَّني فلست بسِبِّي ... إن سِبِّي من الرجال الكريمُ

والصواب أنه عبد الرحمن بن حسان[1] وقد يشترك فيه المصدر والمفعول نحو رِزْق . وفي إعطائهم ضمة الحاء للمصدر سرٌّ لطيف ، فإن الكسرة أخفُّ من الضمة ، والمحبوب أخف علَى قلوبهم من نفس الحُبّ ، فأعطَوُا الحركة الخفيفة للأخف ، والثقيلة للأثقل ، ويقال : أحبَّه حباً ومحبةً والمحبة أُمُّ [باب] هذه الأسماء .

فصل وأما كلام الناس في حدّها فكثير ، فقيل : هي الميل الدائم ،

---

(١) وكذلك هو في حاشية ياقوت .

بالقلب الهائم . وقيل : إيثار المحبوب ، على جميع المصحوب . وقيل : موافقة الحبيب ، في المشهد والمغيب . وقيل : اتحاد مراد المحب ومراد المحبوب . وقيل : إيثار مراد المحبوب ، على مراد المحب . وقيل : إقامة الخدمة ، مع القيام بالحرمة . وقيل استقلال الكثير منك لمحبوبك ، واستكثار القليل منه إليك . وقيل : استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب . وقيل حقيقتها أن تهب كلك لمن أحببته ، فلا يبقى لك منك شيء . وقيل : هي أن تمحو[١] من قلبك ما سوى المحبوب . وقيل : هي الغيرة للمحبوب أن تُنْتَقص حرمته ، والغيرة على القلب أن يكون فيه سواه . وقيل : هي الإرادة التي لا تنقص بالجفاء ، ولا تزيد بالبرّ . وقيل : هي حفظ الحدود ؛ فليس بصادق من ادّعى محبة من لم يحفظ حدوده . وقيل : هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك . وقيل : هي مُجانبة السُّلوّ على كل حال كما قيل :

ومن كان من طول الهوى ذاق سَلْوَةً   فإني من ليلى لها غيرُ ذائق
وأكثرُ شيءٍ نلتُهُ من وصالها   أمانيُّ لم تَصْدُق كلَمعةِ بارق

وقيل : نارٌ تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب . وقيل : ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قيل :

يُرادُ من القلب نسيانكم   وتأبى الطباعُ على الناقل

وقيل : عمى القلب عن رؤية غير المحبوب ، وصَمَمُه عن سماع العذل

---

(١) في ن : تمحق .

فيه . وفي الحديث حبُّكَ للشَّيءِ يُعْمِي وَيُصِمّ"[١] (رواه الإمام أحمد)
وقيل ميلُك إلى المحبوب بكلّيتك ، ثم إيثارُك له علَى نفسك وروحك
ومالك ، ثم موافقتُك له سرًّا وجهراً ، ثم علمُك بتقصيرك في حبه .
وقيل : هي بَذْلُك المجهود فيما يرضي الحبيب . وقيل : هي سكونٌ بلا
اضطراب ، واضطرابٌ بلا سكون ، فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى
محبوبه ، فيضطرب شوقاً إليه ويسكن عنده . وهذا معنى قول بعضهم :
هي حركةُ القلب علَى الدوام إلى المحبوب وسكونُه عنده ، وقيل : هي
مصاحبة المحبوب علَى الدوام كما قيل :

ومن عَجَبٍ أني أحِنُّ إليهمُ . وأسأل عنهم من لَقيت وهم معي
وتطلبهمُ عيني وهم في سوادها ويشتاقُهم قلبي وهم بين أضلُعي

وقيل هي أن يكون المحبوب أقربَ إلى المحبّ من رُوحه كما قيل :

يا مقيماً في خاطري وجَنَاني وبعيداً عن ناظري وعياني
أنتَ روحي إن كنتُ لستُ أَراها فهي أدنى إليَّ من كلّ داني

وقيل : هي حضور المحبوب عند المحب دائماً كما قيل :

خيالُكَ في عيني وذكركَ في فمي ومثواكَ في قلبي فأين تغيب ؟

وقيل : هي أن يستوي قرب دار المحبوب[٢] وبعدها عند المحب كما قيل :

ياثاوياً بين الجوانح والحَشَى مني وإن بَعُدت عليَّ دياره

---

(١) الذى في مسند الامام احمد المطبوع من حديث ابى الدرداء رضي الله عنه حبك الشيء يصم ويعمي .

(٢) في ن : الحبيب .

عطفاً عَلَى صب ٍّ بحبك هائم ٍ إن لم تَصِلْه تصدَّعت أعشارُه

لا يستفيق من ٱلغرام وكلما حجبوكَ عنه تهتَّكت أستارُه

وقيل هي ثبات ٱلقلب عَلَى احكام ٱلغرام، واستلذاذُ ٱلعذل فيه والملام كما قيل (١)

وقف ٱلهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأَخَّرٌ عنه ولا متقدَّم

وأَهنتِني فأَهنتُ نفسي جاهداً ما من يهون عليكِ ممن يُكْرَم (٢)

أَشبهتِ أَعدآئي فصرتُ أُحبهم إذ كان حظي منكِ حظي منهم

أَجدُ ٱلملامةَ في هواكِ لذيذةً حباً لذكركِ فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

فصل وأما ٱلعَلاقة وتسمى ٱلعلَق بوزن ٱلفلَق فهي من أسمائها قال الجوهري: وٱلعلَق أيضاً ٱلهوى يقال: نظرةٌ من ذي علَق قال ٱلشاعر (٣):

ولقد أردتُ ٱلصبرَ عنكِ فعاقني عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ

وقد علِقَها بالكسر وعلِق حبُّها بقلبه أي هوِيَها وعلِق بها عُلوقاً وسميت عَلاقةً لتعلُّق ٱلقلب بالمحبوب. قال ٱلشاعر (٤):

أَعلاقةً أمَّ ٱلوُلَيِّد بعد ما أفنانُ رأسكِ كالثَّغام ٱلمخْلِس (٥)

---

(١) هو لابي الشيص.

(٢) في ن: أُكرم وكذلك هو في الحماسة قال التبريزي: والعائد الضمير المحذوف.

(٣) قال ياقوت: هو ابن الدمينة.

(٤) قال ياقوت: هو المرار الفقعسي.

(٥) الثغام بالفتح نبت يكون في الجبل يبيض اذا يبس ويشبه به الشيب، والمخلس الذي خالط سوادَه البياض.

فصل وأما الهوى فهو ميل النفس إلى الشيء، وفعله هوِيَ يهوَى هوًى، مثل عَمِيَ يعمَى عمًى. وأما هوَى يهوِي بالفتح فهو السقوط، ومصدره الهُوِيُّ بالضم، ويقال الهوى أيضاً على نفس المحبوب قال الشاعر:

إن التي زعمت فؤادك ملَّها   خُلِقت هواك كما خُلِقت هوًى لها

ويقال: هـذا هوى فلان[1] وفلانةٌ هواه أي مهويّته ومحبوبته، وأكثر ما يُستعمل في الحبّ المذموم، كما قال الله تعالى: (وأمَّا مَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ ونهى النَّفسَ عنِ الهوى. فإنَّ الجنَّةَ هيَ المأْوى)[2] ويقال: إنما سمي هوًى لأنه يهوي بصاحبه. وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالاً مقيداً. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكُونَ هواهُ تبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ[3] وفي الصحيحين عن عروة قال: كانت خَوْلَةُ بنت حكيم من اللائي وهبْنَ أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة رضي الله عنها: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ)[4] قلت: يا رسول الله ما أرى ربك

---

(١) كذا في النسختين ولعل: الصواب هذا هوى فلانة.

(٢) سورة النازعات الآيتان ٤٠ و ٤١

(٣) قال النووي في الاربعين: هو حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح قال ابن حجر الهيتمي: واخرجه ابو نعيم في كتابه الاربعين التي شرط ان تكون من صحاح الاخبار والطبراني وابن ابي بكر بن ابي عاصم الاصبهاني اه وقال السيوطي في الجامع الكبير: رواه الحكيم وابو نصر السجزي في الابانة وقال حسن غريب والخطيب عن ابن عمرو.

(٤) سورة الاحزاب الآية ٥١

إلا يسارع في هواك . وفي قصة أسارى بدرٍ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فهوِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يَهْوَ ما قلت ، وذكر الحديث[1] . وفي السنن أن أعرابياً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جئت أسألك عن الهوى فقال : المرء مع من أحب[2]

فصل وأما الصَّبوة والصِّبا فمن أسمائها أيضاً قال في الصحاح : والصِّبا من الشوق يقال منه : تصابى وصبا يَصْبو صَبْوَةً وصُبُوًّا أي مال [إلى] الجهل وأصبته الجارية وصَبِيَ صَبَاءً مثل سَمِعَ سَماعا أي لعب مع الصبيان . قلت : أصل الكلمة من الميل يقال : صبا إلى كذا أي مال إليه ، وسُمِّيت الصَّبوة بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصَّبِيَة والجمع صَبايا مثل مَطِيَّةٍ وَمَطَايا ، والتصابي هو تعاطي الصَّبوة مثل التمايُل وبابِهِ . والفرق بين الصِّبا والصَّبوة والتصابي أن التصابي هي تعاطي الصِّبا وأن تفعل فعل ذي الصَّبْوة . وأما الصِّبا فهو نفس الميل وأما الصَّبوة فالمرَّة من ذلك مثل الغَشْوة والكَبْوة ، وقد يقال على الصفة اللازمة مثل القسوة وقد قال يوسف الصِّدِّيق عليه السلام : (وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[3]

---

(١) هو في صحيح الامام مسلم .

(٢) هذا الحديث مروي في الصحيحين ايضاً ولكن المؤلف عزاه الى السنن لان السؤال في الصحيحين لم يكن عن الهوى .

(٣) سورة يوسف الآية ٣٣

فصل وأما الصبابة فقال في الصحاح: هي رقة الشوق وحرارته، يقال: رجل صَبٌّ عاشقٌ مشتاق وقد صَبِبْتَ يارجلُ بالكسر قال الشاعر[1]:

ولست تَصَبُّ[2] إلى الظاعنين إذا ما صديقُك لم يَصَبَب

قلت: والصَّبابة من المضاعف من صبّ يصَبّ، والصِّبا والصَّبْوة من المعتلّ، وهم كثيراً ما يعاقبون بينهما، فبينهما تناسبٌ لفظي ومعنوي قال [الشاعر]:

تَشكّى المحبون الصَّبابةَ ليتني تحمّلتُ ما يلقَوْن من بينهم وحدي

ويقال: رجلٌ صَبٌّ وامرأةٌ صَبٌّ كما يقال: رجلٌ عَدْلٌ وامرأةٌ عَدْلٌ.

فصل وأما الشَّغَف فمن أسمائها أيضاً: قال الله تعالى (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)[3] قال الجوهري وغيره: والشَّغاف غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب يقال: شَغَفَه الحب أي بلغ شَغافَه، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا)[3] ثم قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغاف.

فصل وأما الشَّعَف بالعين المهملة ففي الصحاح شَعَفَه الحُبُّ أي أحرق قلبه، وقال أبو زيدٍ: أمرضه، وقد شُعِف بكذا فهو مشعوفٌ وقرأ الحسن (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) قال: بطنها [حُبًّا].

---

(١) قال ياقوت: هو الكميت.

(٢) في النسختين: ولست بصبٍّ

(٣) سورة يوسف الآية ٣٠

فصل وأما المِقَةُ فهي فعلة من وَمِق يَمِقُ والمِقَة المحبة والهاء عوضٌ من الواو كالعِظَة والعِدة والزِنَة ، فإن أصلها فعل فحذفوا الفاء فعوضوا منها تاء التأنيث جبراً للكلمة وتعويضاً لما سقط منها ، والفعل وَمِقه يَمِقه بالكسر فيهما أي أحبه فهو وامق .

فصل وأما الوَجْد فهو الحب الذي يتبعه الحزن ، وأكثر ما يُستعمل الوَجْدُ في الحزن [يقال منه : وَجَد وَجْداً بالفتح ، ونحن نذكر هذه المادة وتصاريفها] يقال : وجَدَ مطلوبه يجَده وُجوداً ، فإن تعلّق [ذلك] بالضالّة سمّوْه وِجْداناً ، ووَجَدَ عليه في الغضب مَوْجِدَةً (١) ووجد في الحزن وَجْداً بالفتح ، ووجد في المال أي صار واجداً [وَجْداً ووُجداً] ووِجْداً بالفتح والضم والكسر وجِدَةً إذا استغنى ، وأما إطلاق اسم الوَجْد عَلَى مجرّد المحبة فغير معروف ، وإنما يطلق عَلَى محبةٍ معها فقدٌ يوجب الحزن .

فصل وأما الكَلَف فهو من أسماء الحب [أيضاً] ، يقال : كَلِفْتُ بهذا الأمر أي أولعت به فأنا كَلِفٌ به قال [الشاعر] :

فتعلمي أنْ قد كَلِفتُ بكم ثم اصنعي ما شئتِ عن عِلم

وأصل اللفظة من الكُلْفة والمشقّة ، يقال : كلّفه تكليفاً إذا أمره

---

(١) زاد في الصحاح : ووِجداناً أيضاً .

بما يشقّ . قال الله تعالى : (لَا يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)[1] ومنه تكلّفت الأمر تجشّمته ، والكُلْفَة ما يتكلّف من نائبةٍ أو حقّ . والمتكلِّف المتعرّض لِمَا لا يعنيه قال الله تعالى : (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ)[2] وقيل : هو مأخوذ من الأثر وهو شيء يعلو الوجه كالسِّمسِم . والكَلَف أيضاً لونٌ بين السواد والحُمرة وهي حُمْرة كدِرَة تعلو الوجه والإسم الكُلْفَة .

فصل وأما التتيم[3] فهو التعبّد ، قال في الصحاح : تَيْمُ ٱللهِ أي عبد الله ، وأصله من قولهم : تيّمه الحب إذا عبّده وذلّله فهو متيّم ، ويقال : تامته المرأة قال لَقِيطُ بنُ زُرارة :

تامت فؤادك لو يحزُنْك ماصنعت   إحدى نسآء بني ذُهْلِ بنِ شَيْبانا

فصل وأما العشق فهو أمرّ هذه الأسمآء وأخبثها ، وقلّ ما وَلِعت به العرب ، وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يُفصحوا به ، ولا تكاد تجده في شعرهم القديم ، وإنما أولع به المتأخرون ، ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة إلا في حديث سُوَيد بن سعيد وسنتكلم

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٢) سورة ص الآية ٨٦

(٣) لم اجد التتيم في كتب اللغة وانما قالوا التَّيْم ان يستعبده الهوى وهو ذهاب العقل من الهوى .

عليه إن شاء الله تعالى · وبعد فقد استعملوه في كلامهم قال الشاعر :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا   سوى أن يقولوا إنني لكِ عاشق

نعم صدق الواشون أنتِ حبيبةٌ   إليّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائق

قال في الصحاح : العِشق فرْط الحب وقد عَشِقها عِشقًا مثل عِلم عِلماً وعشَقاً أيضاً عن الفراء · قال رؤبة :

ولم يُضِعْها بين فِرْكٍ وعَشَقْ

قال ابن السرّاج : إنما حرّكه ضرورةً وإنما لم يحرّكه بالكسر إتباعاً للعين كأنه كره الجمع بين كسرتين فإن هذا عزيزٌ في الأسماء ، ورجلٌ عِشّيقٌ مثل فِسّيق أي كثير العشق ، والتَّعشُّق تكلّف العشق قال الفراء : يقولون امرأةٌ محبٌّ لزوجها وعاشق · وقال ابن سيده : العشق عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودَعارته ، يعني في العفة والفجور · وقيل العِشْقُ الاسم والعَشَقُ المصدر ، وقيل : هو مأخوذ من شجرة يقال لها : عاشقة[1] تخضرّ ثم تدِقّ[2] وتصفرّ ، قال الزَّجّاج[3] واشتقاق العاشق من ذلك ، وقال الفراء : عَشِق عِشْقًا وعَشْقًا[4] وعَشَقًا إذا أفرط في الحب ،

---

(١) كذا في النسختين والذي في كتب اللغة عشقة بفتحتين وسيأتي قريباً ·

(٢) كذا في كتب اللغة وفي النسختين : ترق

(٣) في النسختين : الزجاجي والتصويب من دواوين اللغة

(٤) هكذا ضبطه في ن ولم ار من ذكره من اللغويين ·

و ٱلعاشق ٱلفاعل ، وٱلمعشوق ٱلمفعول ، وٱلعَشِيقُ يقال لهذا ولهذا ، وامرأة عاشقٌ وعاشقة قال[1] :

وَلَذّ كطعم ٱلصَّرْخَدِيّ طَرَحْتُه عَشِيّةَ خِمْسِ ٱلقوم وٱلعينُ عاشقه[2]

وقال ٱلفرآء : ٱلعشق نبتٌ لَزِجٌ ، وسُمِّي ٱلعشق الذي يكون من الإنسان لِلُصوقِهِ بالقلب وقال ابن الأعرابي : ٱلعَشَقَةُ اللبلابة تخضرّ و تصفرّ وتعلق بالذي يليها من الأشجار ، فاشتقّ من ذلك ٱلعاشق ، وقد اختلف ٱلناس هل يُطلَق هذا الإسم في حقّ الله تعالى ؟ فقالت طائفةٌ من ٱلصوفية : لا بأس بإطلاقه ، وذكروا فيه أثراً لا يثبتُ ، وفيه : فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته ، [و] قال جمهور ٱلناس : لا يُطلَق ذلك في حقه سبحانه [وتعالى] ، فلا يقال إنه يعشق ، ولا يقال عشقه عبده ، ثم اختلفوا في سبب ٱلمنع عَلَى ثلاثة أقوال : احدها عدم ٱلتوقيف[3] بخلاف ٱلمحبة ، ٱلثاني : ان ٱلعشق إفراط ٱلمحبة ، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى ، فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في ٱلشي ، ولا يبلغ عبدُه ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط

---

(١) هو الراعي .

(٢) قال في اللسان : صرخد موضع نسب اليه الشراب في قول الراعي وانشد البيت وقال : قال ابن بري ورواه ابن القطاع والعين عاشقَه قال : والرفع اصح لان قبله

وسربال كتان لبست جديده على الرحل حتى اسلمته بنائقُه

وقوله ولذٍ يريد ورب نوم لذيذ والهاء في عاشقه تعود على النوم وذكر العين على معنى الطرف . يقول مصححه : لا حاجة الى هذا التوجيه بعد ما نصوا على انه يقال امرأة عاشق .

(٣) التوقيف في الشرع كالنص .

في حبه ، الثالث أنه مأخوذ من التغير كما يقال للشجرة المذكورة عاشقة[1] ، ولا يطلق ذلك على الله سبحانه [وتعالى] .

فصل وأما الجَوَى ففي الصحاح : الجوى الحُرْقة وشدة الوجد من عشقٍ أو حُزْن ، تقول منه جوِي الرجل بالكسر فهو جوٍ مثل دوٍ ، ومنه قيل للماء [المتغير] المنتن جوٍ قال الشاعر[2] :

ثم كان المزاجُ ماءَ سحابٍ   لا جوٍ آجنٌ ولا مطروقُ

فصل واما الدَّنَفُ فلا تكاد تستعمله العرب في الحب ، وإنما وَلِع به المتأخرون ، وإنما استعملته العرب في المرض . قال في الصحاح : الدنَف بالتحريك المرض الملازم ، رَجل دنَفٌ أيضاً يعني بفتح النون وامرأةٌ دنَف وقومٌ دنَف ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع ، فإن قلت : رجل دَنِفٌ [بكسر النون] قلت امرأةٌ دَنِفَةٌ أنّثت وثنّيت وجمعت ، وقد دَنِفَ المريضُ بالكسر ثقُل ، وأَدْنَف بالألف مثله ، وأدنفه المرضُ يتعدى ولا يتعدى فهو مدْنِفٌ ومُدْنَف . قلت وكأنهم استعاروا هذا الإسم للحب اللازم تشبيهاً له به والله أعلم .

فصل وأما الشَّجْوُ فهو حبٌّ يتبعه همٌّ وحزن . قال في الصحاح :

---

(١) الصواب عشقة .

(٢) هو عدي بن زيد .

« ر : م ٤ »

الشَّجْوُ الهمّ والحزْن، يقال: شَجاه يَشْجُوهُ شَجْواً: إذا أحزنه، وأَشْجاه يُشيجيه إِشجاءً: إذا أَغَصَّه تقول منهما جميعاً شَجِيَ بالكسر يَشْجَى شجى قال [الشاعر][1]:

لا تنكروا القتل وقد سُبِينا   في حلقكم عظمٌ وقد شَجِينا

أراد حلوقكم[2]، والشَّجى ما يَنْشَبُ في الحَلْق من عظمٍ أوغيره، ورجلٌ شَجٍ أي حزينٌ وامرأةٌ شَجِيَة عَلَى فَعِلَة فأُطلق هذا الإسم عَلَى الحب للزومه كالشَّجى الذي يعلق بالحلق وينْشَب فيه.

فصل وأَما الشوق فهو سفر القلب إلى المحبوب، وقد وقع هذا الإسم في السنة، في المسند من حديث عمّار بن ياسر أَنه صلى صلاةً فأَوجز فيها، فقيل له: أَوجزت يا أَبا اليقظان، فقال: لقد دعوت فيها بدَعواتٍ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن: اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك عَلَى الخلق، أَحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي. وأَسأَلك خشيتك في الغيب والشهادة، وأَسأَلك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأَسأَلك القصد في الفقر والغنى، وأَسأَلك نعيماً لا ينفَد، وأَسأَلك قرة عينٍ لا تنقطع، وأَسأَلك الرضا بعد القضاء، وأَسألك برْد العيش بعد الموت، وأَسأَلك لذة النظر إلى وجهك، والشوق

---

(١) هو المسيب بن زيد مناة.

(٢) زاد في الصحاح فلهذا قال شجين.

إلى لقائك، في غير ضرّاء مضرّة، ولا فتنة مضلّة، اللهم زينّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين[1]. وجاء في أثرٍ إسرائيلي: طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق. [وقد] قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللهِ لَآتٍ)[2] قال بعض العارفين: لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعداً للقاء تسكن به قلوبهم.

وبعد فهذه اللفظة من أسماء الحب، قال في الصحاح: الشوق والاشتياق: نزاع النفس إلى الشيء، يقال: شاقني [الشيء يَشُوقُني فهو شائق وأنا مَشُوق] وشوّقني فتشوّقتُ إذا هيّج شوقك. قال الراجز:

يا دارَ ميّة بالدكاديك البُرَقْ[3] سقياً لقد هيّجتِ شوق المشتأَقْ

يريد المشتاق قال سيبويه: همَزَ ما ليس بمهموزٍ ضرورةً.

فصل واختُلِف في الفرق بين الشوق والاشتياق أيُّهما أقوى، فقالت طائفة: الشوق [أقوى] فإنه صفةٌ لازمة، والاشتياق فيه نوع افتعالٍ كما يدلّ عليه بناؤه كالاكتساب ونحوه، وقالت فرقة: الاشتياق أقوى لكثرة حروفه، وكلما قوي المعنى وزاد زادوا حروفه، وحكمت

---

(١) هكذا في النسختين وفي بعض ألفاظه اختلاف عما في المسند وجامعي السيوطي

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥

(٣) رواية الصحاح يا داريَ قال والدكداك من الرمل ما التبد منه بالارض ولم يرتفع والجمع الدكادك والدكاديك والبرقة بالضم غلظ فيه حجارة ورملٍ وطين مختلفة والجمع بُرَق.

فرقةٌ ثالثةٌ بين القولين وقالت: الاشتياق يكون إلى غائب، وأما الشوق فإنه يكون للحاضر والغائب . والصواب أن يقال: الشوق مصدر شاقه يشوقه إذا دعاه إلى الاشتياق إليه، فالشوق داعية الاشتياق ومبداه، والاشتياق موجبه وغايته، فإنه يقال: شاقني فاشتقت، فالاشتياق فعلٌ مطاوع لشاقني، واختلف أرباب الشوق هل يزول الشوق بالوصال أو يزيد؟ فقالت طائفةٌ: يزول فإن الشوق سفر القلب إلى المحبوب، فإذا وصل إليه انتهى السفر

وألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر(١)

قالوا: ولأن الشوق إنما يكون لغائب فلا معنى له مع الحضور، ولهذا إنما يقال للغائب: أنا إليك مشتاق: وأما من لم يزل حاضراً مع المحب فلا يوصف بالشوق إليه . وقالت طائفة: بل يزيد بالقرب واللقاء واستدلوا بقول الشاعر:

وأعظم ما يكونُ الشوقُ يوماً ... إذا دنت الخيامُ من الخيام

قالوا: ولأن الشوق هو حُرْقة المحبة والتهابُ نارها في قلب المحب، وذلك مما يزيده القرب والمواصلة . والصواب أن الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غيرُ النوع الذي كان عند الغَيْبة عن المحب قال ابن الرومي:

أعانقُها والنفسُ بعدُ مَشُوقةٌ ... إليها وهل بعد العناق تداني

وألثم فاها كي تزولَ صبابتي ... فيشتد ما ألقى من الهيمان

---

(١) البيت لمعقّر بن حمار .

ولم يكُ مقدارُ الذي بي من الجوَى ... لِيَشفيَه ما ترشُفُ الشفتان

كأن فؤادي ليس يشفي غليلَه ... سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

فصل وأما الخِلابة فهي الحبّ الخادع ، وهو الحب الذي وصل إلى الخِلْب وهو الحجاب الذي بين القلب وسواد البطن . وسمي الحب خِلابةً لأنه يخدع ألباب أربابه ، والخِلابة الخديعة باللسان يقال : خَلَبه يخلُبه بالضم واختلبه مثله . وفي المثل إذا لم تغلِب فاخْلُبْ ، أي فاخدع . والخَلِبة الخدّاعة [من النساء] قال الشاعر[1]

أودى الشبابُ وحبُّ الخالة[2] الخَلِبه ... وقد برئتُ فما بالقلب من قَلَبه[3]

قال ابن السّكّيت : رجل خلّاب أي خدّاع كذّاب ، ومنه البرق الخُلَّب الذي لا غيث فيه كأنه خادع ، ومنه قيل لمن يعِدُ ولا ينْجز : إنما أنت برق خُلَّب والخُلَّب أيضاً السحاب الذي لا مطر فيه ، ومنه الحديث : إذا بايعْتَ فقلْ لا خِلابة[4] أي لا خديعة والحب أحقّ ما يُسمّى بهذا الإسم لأنه يُعمي ويُصِمّ ويخدع لُبَّ المحب وقلبه .

---

(١) في الصحاح : قال النمر .

(٢) في الاصل : وحب الخالب وهو خطأ قال في الصحاح : امرأة خالة اي مختالة وقوم خالة اي مختالون . و يروى الخلبة ايضاً بفتح اللام على انه جمع وهم الذين يخدعون النساء .

(٣) اي برئت من داء الحب وقال ابن الاعرابي : معناه ليست به علة بقلب لها فينظر اليه .

(٤) الحديث رواه اصحاب الكتب الستة وغيرهم .

فصل وأما ٱلبلابل فجمع بَلْبَلَة ، يقال بلابل الحب و بلابل ٱلشوق . وهي وساوسه[١] وهمه . قال في ٱلصحاح : ٱلبَلْبَلَة و ٱلبَلْبَال : ٱلهم ووَسْواس ٱلصدر .

فصل وأما ٱلتباريح فيقال : تباريح الحب ، وتباريح ٱلشوق ، وتباريح ٱلجَوى . و برّح به الحب وٱلشوق : إذا أصابه منه ٱلبَرْح وهو ٱلشدة . قال في الصحاح : لقيت منه بَرْحاً بارحاً أي شدة وأذى قال ٱلشاعر :

أَجِدَّكَ هذا عَمْرَكَ ٱللهَ كلما دعاكَ ٱلهوى بَرْحٌ لعينيك بارحُ

ولقيت منه بنات بَرْحٍ وبني بَرْح ، ولقيت منه ٱلبِرَحين وٱلبُرَحين بكسر ٱلباء وضمها : أي ٱلشدائدَ والدواهي .

فصل وأما ٱلسَّدَم بالتحريك فهو الحب الذي يتبعه ندمٌ وحزن . قال في الصحاح : ٱلسَّدَم بالتحريك : النَدَم والحُزْن وقد سَدِم بالكسر ورجلٌ نادمٌ سادمٌ وندمان سَدْمان ، وهو إتباعٌ ، وماله همٌّ ولا سَدَمٌ إلا ذاك .

فصل وأما ٱلغمرات فهي جمع غَمْرَة ، وٱلغمرة ما يَغْمُرُ ٱلقلب من حبٍّ أو سكرٍ أو غفلة . قال الله تعالى : (قُتِلَ ٱلخَرَّاصُونَ . ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ)[٢] أي في غفلة قد غمرت قلوبهم وقال تعالى : فَذَرْهُمْ فِي

(١) في ن : وسواسه

(٢) سورة الذاريات الآيتان ١٠ و ١١

غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ)[1] ومنه [الماء] الغَمْرُ الكثير الذي يغطي من دخل فيه، ومنه غمرات الموت أي شدآئده، وكذلك غَمَرات الحبّ وهو [ما] يغطي قلب المحب فيَغْمُرُه ومنه قولهم رجلٌ غَمْرُ الرِّدآء كناية عن السخآء لأنه يَغْمُرُ العيوب أي يغطيها فلا يظهر مع السخآء عيب قال كُثَيِّر:

غَمْرُ الرِّدآء إذا تبسم ضاحكاً غَلِقت لضَحكته رقابُ المال

وقال القُطاميّ يصف سفينة نوح:

إلى الجُودِيّ حتى صار حِجْراً وكان لذلك الغَمْرِ انحسار[2]

أي لذلك الماء الذي غَمَرَ الأرض ومن عليها.

فصل وأما الوَهَل فهو بتحريك الهآء وأصله الفَزَع والرَّوع، يقال وَهِلَ يَوْهَلُ وهو وَهِلٌ ومُسْتَوْهِلٌ قال القُطَاميّ يصف إبلاً:

وترى لجَيْضتهنّ عند رحيلنا وَهَلاً كأنّ بهنّ جِنّةَ أَوْلَقِ[3]

---

(١) سورة المؤمنين الآية ٥٥

(٢) رواية الصحاح واللسان وغيرهما: وحان لتالك الغُمَرِ انحسار. والجودي هو الجبل الذي استوت عليه سفينة سيدنا نوح عليه السلام والحجر الممنوع الذي له حاجز والغُمَر جمع غمرة قال ابن سيده: وجمع السلامة اكثر.

(٣) في الاصل: بجيضتهن وفي ن: لحُيَّضهن. والتصويب من اللسان قال وهو الرَّوَغان والعدول عن القصد واصل الجَيْض الميل عن الشيء. والاولق الجنون وقيل الخفة من النشاط كالجنون.

وإنما كان الوَهَل من أسماء الحب لما فيه من الرّوع ومنه يقال جمالٌ رائع، فإن قيل ما سبب رَوْعَة الجمال ولأي شيء إذا رأى المحبُّ محبوبَهُ فجأة يرتاع لذلك ويصفرّ لونه ويُبْهَتُ قال الشاعر:

وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأُبْهَتَ حتى لا أكاد أُجيب

وكثيرٌ من الناس يرى محبوبه فيصفرّ ويرتعد، قيل هذا مما خفي سببه على أكثر المحبين فلا يدرون ما سببه، فقيل سببه أن الجمال سلطانٌ عَلَى القلوب، وإذا بدا راع القلوب بسلطانه، كما يَرُوعها الملك ونحوُه ممن له سلطانٌ عَلَى الأبدان، فسلطان الجمال والمحبة عَلَى القلوب، وسلطان الملوك عَلَى الأبدان، فإذا كان السلطان الذي عَلَى الأبدان يَرُوع إذا بدا، فكيف بالسلطان الذي هو أعظم منه؟ قالوا: وايضاً فإن الجمال يأسِر القلب فيحسّ القلب بأنه أسيرٌ ولا بدَّ لتلك الصورة التي بدت له، فيرتاع [كما يرتاع] الرجل إذا أحسّ بمن يأسِره، ولهذا إذا أمن الناظر من ذلك لم تحْصُل له هذه الرّوعة. قال الشاعر:

علامةُ من كان الهوى بفؤاده إذا ما رأى محبوبَهُ يتغير

فصل وأما الشَّجَن فهو من أسمائه، فإن الشَّجَن الحاجة حيث كانت، وحاجة المحب أشد شيء إلى محبوبه. قال الراجز:

إني سأُبدي لكِ فيما أُبدي لي شجنان شجنٌ بنجْدٌ وشجنٌ لي ببلاد السِّند

والجمع شجون . قال : والنفس شتّى شجونها[1] ويجمع على أشجان قال الشاعر :

تحمّل أصحابي ولم يجدوا وجدي وللناس أشجانٌ ولي شجنٌ وحدي

وقد شجنتني الحاجة تشجنني شجناً إذا حبستك ، ووجهٌ آخر أيضاً وهو أن الشّجن الحزن والجمع أشجان ، وقد شجِن بالكسر فهو شاجنٌ وأشجنه غيره وشجّنه أي أحزنه ، والحب فيه الأمران : هذا وهذا .

فصل وأما اللاعج فهو اسم فاعل من قولهم : لعجه الضربُ إذا آلمه وأحرق جلده . قال الهذلي[2] : ضرباً أليماً [بسبتٍ] يلعج الجلدا[3] ويقال هوى لاعجٌ لحرقة الفؤاد من الحب .

فصل وأما الإكتئاب فهو افتعالٌ من الكآبة ، وهي سوء الحال والإنكسار من الحزن ، وقد كئب الرجلُ يكأب كأبة [وكآبة]

---

(١) هذا بعض بيت وهو على رواية ابن بري :

ذكرتكِ حيث استأمن الوحشُ والتقت رفاقٌ به والنفس شتى شجونها

(٢) قال ياقوت : هو عبد مناف بن رِبع الجُربي وصدره :

اذا تجرد نوح قامتا معه

(٣) السبت : بالكسر كل جلد مدبوغ . وهذه الكلمة ساقطة من النسختين . قال في الصحاح وانما كسر اللام (من الجلد) ضرورة لان للشاعر ان يحرك الساكن في القافية بحركة ما قبله .

كرأفةٍ ورآفة ونشأةٍ ونشاءة فهو كئيبٌ وامرأةٌ كئيبة وكأباء أيضاً قال الراجز [1] :

أو أن ترَيْ كأباءَ لم تبرَنْشِقي

واكتأب الرجلُ مثله ورَمادٌ مُكْتئب اللون إذا ضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب ، والكآبة تتولد من حصول الحب وفوت المحبوب فتحدثُ بينهما حالةٌ سيئة تسمى الكآبة ·

فصل وأما الوَصَب فهو ألم الحب ومرضه فإن أصل الوَصَب المرض ، وقد وَصِب الرجلُ يوْصَب فهو وصِبٌ ، وأوْصبه اللهُ فهو مُوصَبٌ ، والموَصَّب بالتشديد الكثير الأوجاع · وفي الحديث الصحيح : لا يُصيبُ المُؤْمنَ من همٍّ ولا وَصَبٍ حتّى الشَّوْكةِ يُشاكُها إلّا كفّرَ اللهُ بها منْ خطاياه [2] ووصب الشيءُ يَصِبُ وُصوباً إذا دام ، تقول : وَصَبَ الرجلُ على الأمر إذا داوم عليه ، قال الله تعالى : (ولَهمْ عذابٌ واصِبٌ) [3] وقال تعالى : (ولهُ الدّينُ واصِباً) [4] أي الطاعة دائمةً ·

---

(١) قال ياقوت : هو جندل بن المثنى الطُهَوي يخاطب ابنة اخيه وقبله :

عز على عمك ان تؤوقي او ان تبيتي ليلة لم تُغبقي

قال في الصحاح : اوقته تأويقاً اي حملته المشقة والمكروه · والمبرنشق : الفرح المسرور وقد ابرنشق ·

(٢) الحديث في صحيح مسلم وغيره بالفاظ متقاربة ·

(٣) سورة الصافات الآية ٩

(٤) سورة النمل الآية ٥٢

فصل وأما الحزن فقد عُدَّ من أسمآء المحبة والصواب أنه ليس من أسمآئها، وإنما هو حالة تحدث للمحب، وهي ورود المكروه عليه، وهو خلاف المسرة ولما كان الحب لا يخلو من ورود ما لا يسرّ عَلَى قلب المحب كان الحزن من لوازمه، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ[1]، فاستعاذ صلى الله عليه وسلم من ثمانية أشيآء، كل شيئين منهما قرينان. فالهم والحزن قرينان، فإن ورود المكروه عَلَى القلب إن كان لما مضى فهو الحزن، وإن كان لما يستقبل فهو الهم، والعجز والكسل قرينان، فإن تخلُّف العبد عن كماله إن كان من عدم القدرة فهو العجز، وإن كان من عدم الإرادة فهو الكسل، والجبن والبخل قرينان، فإن الرجل يراد منه النفع بماله أَو ببدنه، فالجبان لا ينفع ببدنه، والبخيل لا ينفع بماله، وضَلَع الدَّيْن وغلبة الرجال قرينان، فإن قهر الناس نوعان: نوعٌ بحقٍّ فهو ضَلَع الدَّيْن، ونوعٌ بباطلٍ فهو غَلَبة الرجال. وقد نفى الله سبحانه عن أهل الجنة الخوف والحزن، فلا يحزنون عَلَى ما مضى، ولا يخافون مما يأْتي، ولا يطيب العيش إلا بذلك، والحب يلزمه الخوف والحزن.

(١) الحديث في الصحيحين وغيرهما.

فصل وأما الكَمَدُ فمن أحكام المحبة في الحقيقة وليس من أسمائها ، ولكن المتكلمون في هذا الباب لا يفرّقون بين اسم الشي ولازمه وحكمه ، والكَمَد الحزن المكتوم تقول منه : كَمِدَ الرجل فهو كَمِدٌ وَكَميدٌ والكُمْدة تغيّر اللون وأكمد القصّار الثوب إذا لم ينقّه .

فصل وأما اللَّذْع فهو من أحكام المحبة أيضاً ، وأصله من لَذْع النار . يقال : لَذَعته النار لَذْعاً أحرقته ، ثم شبهوا لَذْع اللسان بلَذْع النار ، فقالوا : لَذَعه بلسانه أي أحرقه بكلامه ، يقال : أعوذ بالله من لَوَاذِعِه .

فصل وأما الحُرَق فهي أيضاً من عوارض الحب وآثاره ، والحُرْقة تكون من الحب تارةً ومنه قولهم : ما لك حُرْقةٌ على هـذا الأمر وتكون من الغيظ ومنه في الحديث : تركتهم يتحرّقون عليكم[1] .

فصل وأما السُّهْد فهو أيضاً من آثار المحبة ولوازمها ، فالسُّهاد الأرَقُ وقد سَهِد الرجل بالكسر يسهَد سَهَداً ، والسُّهُد بضم السين والهاء القليل النوم . قال أبو كبير الهذلي :

فأتت به حُوشَ الجَنان مُبَطَّناً سُهُداً إذا ما نام ليلُ الهَوْجَلِ[2] .

وسهّدته أنا فهو مُسَهَّد .

---

(١) بحثت عن هذا الحديث فلم أجد من خرجه

(٢) حوش الجنان : أي حديد الفؤاد والمبطّن الضامر البطن والهوجل الرجل الاهوج .

فصل وأَما الأَرَق فهو أَيضاً من آثار المحبة ولوازمها فإنه السهر. وقد أَرِقت بالكسر أي سهرت، وكذلك ائترقت على افتعلت فأَنا أَرِق، وأَرّقني كذا تأريقاً أي أسهرني.

فصل وأَما اللَّهَفُ فمن أَحكامها وآثارها أَيضاً، يقال: لَهِف بالكسر يَلْهَف لهفاً أي حزن وتحسّر. وكذلك التلهّف على الشيء: وقولهم يا لَهْفَ فلان كلمةٌ يُتَحَسَّر بها على ما فات، واللَّهْفان المتحسّر، واللَّهيف المضطر.

فصل وأَما الحنين فقال [في الصحاح]: الحنين الشوقُ وتوَقانُ النفس، تقول منه حَنَّ إليه يحِنُّ حنيناً فهو حانٌّ والحَنَان الرحمة، تقول منه حَنَّ عليه يحِنّ حَناناً، ومنه قوله تعالى: (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا) [1] وتحنَّن عليه ترحّم، والعرب تقول: حنانَك يا ربّ وحنانَيك بمعنى واحدٍ أَي رحمتك. قال امرُؤُ القَيْس:

وَيَمْنَحُها بنو شَمَجَى بن جَرْمٍ   مَعيزَهم حَنَانك ذا الحَنَان [2]

---

(١) سورة مريم الآية ١٣

(٢) قال في اللسان ما خلاصته: يمنحها رواية الاصمعي اي يعطيها ورواه ابن الاعرابي ويمنعها فرواية الاصمعي تشكر وحمد ودعآء لهم، ورواية ابن الاعرابي تسخط وذم.

وقال طرفة:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبْقِ بعضَنا　　حنانيكَ بعضُ الشرّ أهونُ من بعض

وفي الحقيقة الحنين من آثار الحب وموجباته، وحنين الناقة صوتها في نِزَاعها إلى ولدها. وحَنَةُ الرجل امرأته قال:[1]

وليلةٍ ذاتِ دُجى سريتُ　　ولم تَضِرْني حَنَّةٌ وبيتُ

قلت: سُمّيت حَنّةً لأن الرجلَ يحِنُّ إليها أين كان.

فصل وأما الإستكانة فهي أيضاً من لوازم الحب وأحكامه، لا من أسمائه المختصة به، وأصلها الخضوع قال الله تعالى: (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)[2] وقال تعالى: (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا)[3] وأصلها استفعل من الكون، وهذا الاشتقاق والتصريفُ يطابق اللفظ، وأما المعنى فالمستكِنُّ ساكنٌ خاشعٌ ضدُّ الطائش، ولكن لا يوافق السكون تصريف اللفظة فإنه إن كان افتَعَل كان ينبغي أن يقال استكَنَ لأنه ليس في كلامهم افتعال، والحق أنه استفْعَل من الكون فنقلوا حركة الواو إلى الكاف قبلها فتحركت الواو أصلاً وانفتح ما قبلَها تقديراً فقلبت ألفاً كاستقام، والكَوْن الحالة التي فيها إنابةٌ وذلّ وخضوع. وهذا يُحمَد إذا كان

---

(١) هو ابو محمد الفقعسي.

(٢) سورة المؤمنين الآية ٧٦

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٦

لله ، ويذمُّ إذا كان لغيره ، ومنه الحديث: أَعُوذُ بِكَ مِن الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْر ،[١] أي الرجوع عن الإستقامة بعد ما كنت عليها ٠

فصل وأما التبالة فهي فعالة من تبَلَه إذا أفناه ، قال الجوهري: تَبَلهم الدهر وأتبلهم إذا أفناهم ٠ قال الأعشى:

أَأَن رأت رجلاً أعشى أضرَّ به رَيْبُ الزمان ودهرٌ متبِلٌ خَبِلُ

أي يذهب بالأهل والولد ، وتبله الحب أي أسقمه وأفسده ٠ قلت: ومنه قول كعب بن زهير بن أبي سُلْمى :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيَّمٌ عندها لم يُفْدَ مكبول

فصل وأما اللَّوْعة فقال في الصحاح: لَوْعة الحب حُرْقته وقد لاعه الحب يلُوعه والتاعَ فؤاده أي احترق من الشوق ومنه قولهم: أتانٌ لاعَةُ الفؤاد إلى جحشِها قال الأصمعي: أي لائعةُ الفؤاد وهي التي كأنها وَلْهى من الفزَع ٠

فصل وأما الفتون فهو مصدر فتَنَه يفتِنُه فتُونًا قال الله تعالى: (وفتنَّاكَ فتُونًا)[٢] أي امتحنَّاك واختبرناك ٠ والفتنَة يقال على ثلاثة

---

(١) هكذا في النسختين ويروى بعد الكون وهو ما تقتضيه المادة وتفسير المؤلف وقد رجح هذه الرواية النووي في الاذكار : فقال : وهي التي في اكثر اصول صحيح مسلم بل هي المشهورة فيها ٠ والحديث رواه ايضًا الترمذي والنسائي وابن ماجه ٠

(٢) سورة طه الآية ٤٠

معانٍ : أحدها الإمتحان والإختبار ومنه قوله تعالى : (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ)[١] أي امتحانك واختبارك ، والثاني الافتتان نفسه ، يقال : هذه فتنة فلان أي افتتانه . ومنه قوله تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)[٢] يقال أصابته الفِتْنة وفتَنَتْهُ الدنيا وفتنته المرأة وأفتنته ، قال الأعشى :

لئن فَتَنَتْني لَهْيَ بالأمس أفتنت سعيداً فأضحى قد قَلى كل مسلم

وأنكر الاصمعي أفتنته . والثالث المفتون به نفسه يُسمى فتنةً قال الله تعالى : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)[٣] وأما قوله تعالى : (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)[٤] أي لم تكن عاقبة شركهم إلا أن تبرأوا منه وأنكروه . وأما قوله تعالى : (يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ . ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ)[٥] فقيل المعنى يحرقون ، ومنه فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظرَ ما جودَته ودينارٌ مفتون . قال الخليل : والفَتْن الإحراق قال الله تعالى : (يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ [يُفْتَنُونَ])[٥] وورِقٌ فَتِينٌ أي فضةٌ محرَقة . وأُفْتِن الرجل وفُتِن إذا أصابته فتنةٌ فذهب

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٤

(٢) سورة الانفال الآية ٢٥

(٣) سورة التغابن الآية ١٥

(٤) سورة الانعام الآية ٢٣

(٥) سورة الذاريات الآيتان ١٣و١٤

ماله أو عقله . وفتنته المرأة إذا ولهته وقوله تعالى : (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ)[1] [أي لا تفتنون على عباده إلا من سبق في علم الله أنه يصلى الجحيم] فذلك الذي يفتتن بفتنتكم إياه ، وأما قوله [تعالى] : (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ)[2] فقيل الباء زائدة ، وقيل المفتون مصدر كالمعقول والميسور والمحلوف والمعسور ، والصواب أن يبصر مضمن معنى يشعر ويعلم قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ)[3] فعدى فعل الرؤية بالباء ، وفي الحديث : الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَسَعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفَتَّانِ[4] يروى بفتح الفاء وهو واحد وبضمها وهو جمع فاتن كتاجر وتجار ، والمقصود أن الحب موضع الفتون فما فتن من فتن إلا بالمحبة .

فصل وأما الجنون فمن الحب ما يكون جنوناً ومنه قوله :

قالت جُنِنْتَ بمن تهوى فقلت لها ... العشق أعظم مما بالمجانين
العشقُ لا يستفيق الدهرَ صاحبُه ... وإنما يُصرَع المجنونُ في الحين

(١) سورة الصافات الآيات ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣
(٢) سورة القلم الآيتان ٥ و ٦
(٣) سورة الاحقاف الآية ٣٣
(٤) الذي في الجامع الكبير للسيوطي : المسلم أخو المسلم الخ قال : رواه ابو داود والبيهقي والطبراني .

وأصل المادة من الستر في جميع تصاريفها ، ومنه أجنه الليل وجن عليه إذا ستره ، ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه ، ومنه الجنة لاستتارها بالأشجار ، ومنه المجن لاستتار الضارب به والمضروب ، ومنه الجن لاستتارهم عن العيون بخلاف الإنس فإنهم يؤنسون أي يرون ، ومنه الجنة بالضم وهي ما استترت به واتقيت . ومنه قوله تعالى : (إتخذوا أيمانهم جنة)[1] وأجننت الميت واريته في القبر فهو جنين . والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ويضره فهو شعبة من الجنون

فصل وأما اللمم فهو طرف من الجنون ، ورجل ملموم أي به لمم ويقال : أيضاً : أصابت فلاناً من الجن لمة وهو المس والشيء القليل قاله الجوهري . قلت : وأصل اللفظة من المقاربة ومنه قوله تعالى : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم)[2] وهي الصغائر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما رأيت أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه : إن العين تزني وزناها النظر ، واليد تزني وزناها البطش ، والرجل تزني وزناها المشي ، والفم يزني وزناه القبل ، ومنه ألم بكذا أي قاربه ودنا منه ، وغلام ملم أي قارب البلوغ ، وفي الحديث : إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم[3] ، أي يقرب [illegible] .

---

(١) سورة المجادلة الآية ١٦ والمنافقين الآية ٢ . (٢) سورة النجم الآية [illegible]

(٣) الحديث في الصحيحين . يقال : حبطت الدابة حبطاً بالتحريك اذا أصا[illegible] مرعى طيباً فأفرطت في الاكل حتى تنتفخ فتموت .

وبالجملة فلا يستبين كونُ اللَّمَم من أسماء الحب وإن كان قد ذكره جماعة إلا أن يقال: إن المحبوب قد ألَمَّ بقلب المحب أي نزل به ومنه ألْمِمْ بنا أي انزل بنا، ومنه قوله:

متى تأتنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا تجد حطباً جزْلاً وناراً تأججا

فصل وأما الخَبْلُ فمن موجبات العشق وآثاره لا من أسمائه [وإن ذُكر من أسمائه]، فإن أصله الفساد وجمعه خُبُول، والخَبَل بالتحريك الجن[1]، يقال به خبَلٌ أي شيء من أهل الأرض، وقد خبَله وخبَّله واختبَله إذا أفسد عقله أو عضوه، ورجل مُخبَّل وهو نوع من الجنون والفساد.

فصل وأما الرَّسِيسُ فقد كثُر في كلامهم رَسِيسُ الهوى والشوق ورَسيسُ الحب، فظنَّ من أدخله في أسماء الحب أنه منها وليس كذلك، بل الرَّسيسُ الشيء الثابت، فرَسِيسُ الحب ثباتُه ودوامُه، ويمكن أن يكون من رَسِّ الحُمَّى ورَسِيسها وهو أول مسِّها، فشبهوا رَسِيس الحب بحرارته وحرُقته برَسيس الحُمَّى، وكان الواجب على هؤلاء أن يجعلوا الأُوار من أسماء الحب لأنه يضاف إليه، قال الشاعر:

إذا وجدت أُوارَ الحبِّ في كبدي أقبلتُ نحو سقاء القوم أبتردُ
هبني بردتُ ببرْد الماء ظاهره فمن لنارٍ على الأحشاء تتقدُ

(١) في النسختين: الجنون والتصويب من دواوين اللغة.

وقد وقع إضافة الرَّسيسِ إلى الهوى في شعر ذي الرُّمة حيث يقول:

إذا غيَّر النأيُ المحبين لم يَكَدْ رَسيسُ الهوى من حُبِّ ميَّةَ يبرح

وفيه إشكالٌ نحويٌّ ليس هذا موضعه[1]

فصل وأما الداء المُخامِرُ فهو من أوصافه وسمي مُخامِراً لمخالطته القلب والروح يقال خامره قال الجوهري: والمُخَامَرة المخالطة، وخامر الرجل المكان إذا لزمه. وقد يكون أُخِذَ من قولهم استخمر فلانٌ فلاناً إذا استعبده، وكأن العشق داء مستعبِدٌ للعاشق، ومنه حديث مُعاذ: مَنِ اسْتَخْمَرَ قوْماً[2] أي أخذهم قهراً وتملك عليهم، فالحب داء مخالِطٌ مستعبِدٌ.

فصل وأما الود فهو خالص الحبّ وألطفه وأرقُّه، وهو من الحب

---

(١) قال عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ماخلاصته: رُوي عن عنبسة انه قال قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد قصيدته الحائية فلما انتهى الى هذا البيت ناداه ابن شبرمة ياغيلان اراه قد برح قال فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويتفكر ثم قال:

اذا غير النأي المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال فحدثت ابي قال اخطأ ابن شبرمة حين انكر على ذي الرمة واخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة انما هذا كقول الله تعالى: (ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها) وانما هو لم يرها ولم يكد. ثم عقب على هذا بفصل ازال فيه هذا الاشكال الذي اشار اليه المؤلف بأفصح بيان.

(٢) الحديث ذكره الزمخشري في الفائق وابن الاثير في النهاية وغيرهما من اصحاب اللغة ولم أر من خرجه.

بمنزلة الرأفة من الرحمة، قال الجوهري: وَدِدْتُ الرجل أَوَدُّه وُدًّا إذا أَحببته والوِدُّ والوُدّ والوَد المَوَدَّة، تقول بودّي أن يكون كذا، وأما قول الشاعر:

أَيها العائد المسائِلُ عنا ... وبودِّيكَ أَن ترى أكفاني

فإنما أشبع كسرة الدال ليستقيم له البيت فصارت ياء. والوِدُّ الوديد بمعنى المودود والجمع أَوُدٌّ مثل قِدْحٍ وأَقدُح وذئبٍ وأَذْؤُب، وهما يتوادّان وهم أَوِدّاء، والوَدُود المحب ورجالٌ وُدَدَاء يستوي فيه المذكر والمؤنث لكونه وصفاً داخلاً على وصفٍ للمبالغة. قلت: الوَدُود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المَوَدَّة، واختُلِفَ فيه على قولين: فقيل هو وَدودٌ بمعنى وادٍ كضَرُوب بمعنى ضارب وقَتُولٍ بمعنى قاتلٍ ونَؤُمٍ بمعنى نائم، ويشهد لهذا القول أَن فعولاً في صفات الله سبحانه وتعالى فاعلٌ كغفورٍ بمعنى غافر، وشكورٍ بمعنى شاكر، وصبورٍ بمعنى صابر، وقيل: بل هو بمعنى مَوْدُود وهو الحبيب وبذلك فسره البخاري في صحيحه، فقال: الوَدُود الحبيب، والأول أظهر لاقترانه بالغفور في قوله (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ)[1] وبالرحيم في قوله (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)[2] وفيه سرٌّ لطيف وهو أنه [يحب التوّابين وأنه] يحبّ عبده بعد المغفرة

(١) سورة البروج الآية ١٤

(٢) سورة هود الآية ٩٠

فيغفر له ويحبه كما قال : (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ) [1] فالتائب حبيب الله ، فالود أصفى ٱلحب وألطفه .

فصل وأما ٱلخُلَّة فتوحيد ٱلمحبة ، فالخليل هو ٱلذي توحّد حبُّه لمحبوبه ، وهي رتبةٌ لا تقبل ٱلمشاركة ، ولهذا اختص بها في ٱلعالم الخليلان إبراهيم ومحمدٌ صلوات الله وسلامه عليهما ، كما قال الله تعالى : (وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) [2] وصحّ عن ٱلنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إِنَّ ٱللَّهَ ٱتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا ٱتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً [3] وفي ٱلصحيح [4] عنه صلى ٱلله عليه وسلم : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ ٱلأَرْضِ خَلِيلاً لَٱتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً . وَلٰكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ ٱلرَّحْمٰنِ ، وفي ٱلصحيح أيضاً : إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِهِ [5] . ولما كانت الخُلة مرتبةً لا تقبل ٱلمشاركة امتحن الله سبحانه إبراهيم الخليل بذبح ولده لما أَخذ شعبةً من قلبه ، فأَراد سبحانه أَن يخلص تلك ٱلشعبة له ولا تكون لغيره ، فامتحنه بذبح ولده ، والمراد ذَبحه من قلبه ، لا ذَبْحُه بالمُدْيَة ، فلما أَسلما لأَمر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(٢) سورة النساء الآية ٢٥

(٣) قال السيوطي : رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما .

(٤) في ن : الصحيحين وهذا الحديث مروي في الصحيحين وغيرهما بالفاظ متقاربة . وسيأتي قريباً

(٥) رواه مسلم بلفظ آخر .

الله، وقدّم محبة الله تعالى عَلَى محبة الولد، خلَص مقام ٱلخُلة وفدي الولد بالذِّبح. وقيل: إنما سميت خُلّةَ لتخلّل ٱلمحبة جميع أَجزاء الرُّوح. قال:

قد تخلّلت مسلك الرُّوح مني وبذا سمي الخليل خليلا

والخُلَّةُ الخليل يُستوي فيه ٱلمذكر والمؤنث لأنه في الأَصل مصدر قولك خليلٌ بيّنُ الخُلَّة والخُلُولَة[1] قال

أَلا أَبْلِغا خُلَّتي جابراً بأَن خليلَك لم يُقْتَل

ويجمع عَلَى خِلال مثل قُلَّة وقِلال. والخِلّ الود والصديق، والخِلال أيضاً مصدر بمعنى ٱلمُخَالَّة ومنه قوله تعالى: (لاَ بَيْعٌ فيهِ وَلاَ خِلاَل)[2] وقال في الآية الأُخرى: (لاَ بيعٌ فيهِ وَلاَ خُلَّةٌ)[3] قال امرؤ ٱلقيس:

ولست بمقْلِيّ الخِلال ولا قالي[4]

والخليل ٱلصديق والأنثى خليلة، والخِلالة والخَلالة والخُلالة بكسر الخاء وفتحها وضمها ٱلصداقة وٱلمودّة قال[5]

وكيف تواصُلُ من أَصبحت خلالَتُه كأَبي مَرْحَبِ[6]

وقد ظن بعض من لا علم عنده أَن الحبيب أَفضل من الخليل، وقال: محمدٌ

---

(١) هو اوفى بن مطر المازني.

(٢) سورة ابراهيم الآية ٣١

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٤

(٤) قال ياقوت: صدره صرفت الهوى عنهن من خشية الردى

(٥) قال ياقوت: هو النابغة الجعدي (٦) قال في الصحاح: وأبو مرحب كنية الظل ويقال هو كنية عرقوب الذي قيل فيه مواعيد عرقوب.

حبيب الله وإبراهيم خليل الله ، وهذا باطل من وجوه كثيرة ، منها :
ان الخُلّة خاصة والمحبة عامة فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ،
وقال في عباده المؤمنين : (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[1] ومنها أن النبي صلى الله عليه
وسلم نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل ، وأخبر أن أحب النساء إليه
عائشة ومن الرجال أبوها ، ومنها أنه قال : إنّ اللهَ اتخذني خليلاً كما اتخذ
إبراهيم خليلاً ، ومنها أنه قال : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً
لاتَّخَذْتُ أَبَابَكْرٍ خَلِيلاً وَلٰكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُه[2]

فصل وأما الخِلْمُ فهو مأخوذ من المُخَالَمَة وهي المصادقة والمودّة ،
والخِلْمُ الصديق ، والأخلام الأصحاب قال الكميت :

إذا ابتسر الحربَ أَخْلامُها كِشَافاً وهُيِّجَتِ الأَفْحُلُ[3]

فصل وأما الغرام فهو الحب اللازم ، يقال رجل مُغْرَمٌ بالحب
أي قد لزمه الحب ، وأصل المادة من اللزوم . ومنه قولهم : رجل

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤

(٢) قال ابن مالك في شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح :
ان للناطق بولكن خوة الاسلام ثلاثة اوجه : سكون النون وثبوت الهمزة بعدها
مضمومة ، وضم النون وحذف الهمزة ، وسكون النون وحذف الهمزة .

(٣) في النسختين والصحاح اذا ابتشر والتصويب من اللسان قال : وابتسر
الفحل الناقة ضربها قبل الضبعة وهي شدة الشهوة والكشاف ان تلقح الناقة في غير
زمان لقاحها ويقال ذلك في الحرب على المثل .

مُغْرمٌ من ٱلغُرْم أَو ٱلدَّيْن، قال في الصحاح وٱلغَرَام الوَلوع، وقد أُغْرِمَ بالشيِّ أَي أُولِعَ به، وٱلغريم الذي عليه ٱلدَّين، يقال: خذ من غريم ٱلسوء ما سَنَحَ، ويكون ٱلغريم أيضاً الذي له ٱلدَّين. قال كُثَيِّر عزَّة:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفَّى غَرِيمَه   وعَزَّةُ ممْطولٌ مُعَنًّى غريمُها

ومن ٱلمادة قوله تعالى في جهنم: (إِنَّ عذابَهـا كانَ غَرَاماً)[1] وٱلغرام ٱلشر ٱلدائم ٱللازم وٱلعذاب. قال بشر[2]:

ويوم ٱلنِّسار ويوم الجِفَا   رِ كانا عذاباً وكانا غراما[3]

وقال الأَعشى:

إِن يعاقبْ يكنْ غراماً وإِن يعْـ   ـطِ جزيلاً فإِنه لا يبالي

وقال أبو عبيدة: (إِنَّ عذابَها كانَ غَراماً)[1] كان هلاكاً ولزاماً لهم. وللطف ٱلمحبة عندهم واستعذابهم لها لم يكادوا يطلقون عليها لفظَ ٱلغرام، وإِن لَهِج به ٱلمتأَخرون.

فصل وأَما ٱلهيام قال في الصحاح: هام على وجهه يَهِيمُ هَيْماً وهَيَماناً[4] ذهب من ٱلعشق أَو غيره، وقلبٌ مستهام أَي هائم، وٱلهُيام

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٥

(٢) وكذلك هو في الصحاح اما في اللسان فقد نسبه للطرماح.

(٣) النسار ماء لبني عامر ومنه يوم النسار لبني اسد وذبيان على بني جشم بن معاوية والجفار ماء لبني تميم بنجد ومنه يوم الجفار

(٤) هكذا في الصحاح. والذي في النسختين: هياماً وهيما.

بالضم أَشد العطش [والهُيامُ] كالجنون من العشق ، والهُيام داء يأْخذ الإِبل فتهيم لا ترعى يقال : ناقة هيماء قال : والهِيام بالكسر الإِبل العِطاش الواحد هَيْمان ، وناقة هَيْمى مثل عطشان وعَطْشى وقوم هِيمٌ أي عِطاش ، وقد هاموا هياماً وقوله تعالى : (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) [١] هي الإِبل العِطاش قلت : جمع أَهيَم هِيمٌ مثل أَحمر وحمر وهو جمع فَعلاء أَيضاً كصفراء وصفر [٢] .

فصل وأما التدْليهُ في الصحاح : التَّدْليهُ ذهاب العقل من الهوى يقال : دَلَّهَهُ الحبُّ أي حيره وأَدهشه ودَلِهَ هو يدْلَهُ قال أَبو زيد : الدَّلوهُ الناقة لا تكاد تحن إِلى إِلفٍ ولا ولد وقد دَلِهَتْ عن إِلْفها وعن ولدها تدْلَهُ دُلوهاً .

فصل وأما الوَلَهُ فقال في الصحاح : الوَلَهُ ذهاب العقل والتحيُّرُ من شدة الوجد ، ورجل وَالِهٌ وامرأة وَالِهٌ ووالِهَةٌ قال الأعشى :

فأَقْبلَتْ والهاً ثكْلى على عجَلٍ كلٌّ دهاها وكلٌّ عندها اجتمعا

وقد وَلِهَ يوْله ولَهاً وولَهاناً وتوَلَّهَ واتَّلَهَ وهو افتعل أُدغم قال الشاعر [٣] :

واتَّلَه الغيور

---

(١) سورة الواقعة الآية ٥٥

(٢) قال في اللسان : جمع على فُعُل ثم خفف وكسرت الهاء لأجل الياء ومن العرب من يقول هائم والانثى هائمة ثم يجمعونه على هيم .

(٣) هو مليح الهذلي والشاهد بعض بيت اورده في اللسان وهو :

إِذا ما حال دون كلام سُعْدي تنائي الدار واتَّله الغيور

وٱلتَّوْليهُ أَن يُفَرَّق بين الأم وولدها ، وفي الحديث: لَا تُوَلَّهُ وَالِدَةٌ بِوَلَدِها [١] ، أي لاتجعل والهاً وذلك في ٱلسبَّايا : وناقةٌ والِهٌ إذا اشتدّ وَجدُها عَلَى ولدها وٱلمِيلاَهُ ٱلتي من عادتها أَن يشتدّ وَجْدُها عَلَى ولدها صارت الواو ياء الكسرة ما قبلها . وماء مُولَهٌ ومُوَلَّهٌ أرسل في ٱلصحراء فذهب وقول رُؤْبَةَ :

به تَمَطَّتْ غَوْلَ كلّ مِيلَهِ بناحرَاجيجُ ٱلمَهارِي ٱلنُّفَّهِ [٢]

أَراد ٱلبلاد ٱلتي تُوَلِّهُ ٱلإنسان أَي تحيّره .

فصل وأَما ٱلتعبُّد فهو غاية الحب وغاية الذل ، يقال : عبَّده الحبُّ أَي ذلّله . وطريقٌ معبَّدٌ بالأقدام أَي مُذَلَّلٌ ، وكذلك ٱلمحب قد ذلّله الحب ووطَّأَه ، ولا تصلُح هذه ٱلمرتبة لأحد غير الله عز وجل ، ولا يغفر الله سبحانه لمن أَشرك به في عبادته ، ويغفر ما دون ذلك لمن شاء . فمحبة ٱلعبودية هي أَشرف أَنواع ٱلمحبة ، وهي خالص حق الله عَلَى عباده ، وفي ٱلصحيح عن مُعاذ أَنه قال : كنت سائراً مع رسول

---

(١) قال السيوطي : رواه البيهقي في السنن .

(٢) تمطت اي سارت سيراً طويلاً والغول بُعد المفازة والحراجيج جمع حرجوج وهي الناقة الطويلة على وجه الارض والمهاري الابل المنسوبة الى مَهْرَة بن حيْدان والنُّفَّهُ الكالّة المعيية . قال ياقوت : وجدت الازهري قد ذكر في تله قال الليث : فلاة مَتْلَهة اي متلفة والتله لغة في التلف وأنشد :

به تمطّت غوْل كل مَتْلَهِ

الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا مُعاذ فقلت: لَبَّيْكَ يا رسول الله وسَعْدَيْك، قال: ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ قلت: لبيك رسولَ الله وسَعْدَيْك، ثم سار ساعةً فقال: يا معاذُ قلت: لَبَّيْكَ رسول الله وسَعْدَيْك، قال: أَتدري ما حَقُّ الله عَلَى عباده؟ قلت: اللهُ ورسوله أعلم، قال: حقُّه عليهم أَن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً، أَتدري ما حقُّ ٱلعباد عَلَى الله إذا فعلوا ذلك؟ أَن لا يعذبهم بالنار[1]. وقد ذكر الله سبحانه رسولَه بالعبودية في أَشرف مقاماته، وهي مقـام ٱلتحدّي، ومقام الإِسراء، ومقام الدعوة، فقال في ٱلتحدّي: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)[2]، وقال في مقام الإسراء: (سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)[3]، وقال في مقام الدعوة: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللهِ يَدْعُوهُ)[4]. وإذا تدافع [أُولو العزم] ٱلشفاعةَ ٱلكبرى يوم ٱلقيامة يقول ٱلمسيح لهم: أُذهبوا إلى محمدٍ عبد غفرَ الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. فنال ذلك ٱلمقام بكمال ٱلعبودية لله وكمال مغفرة الله له، فأَشرف صفات ٱلعبد صفة ٱلعبودية، وأَحبُّ أَسمائه إلى الله أُسم ٱلعبودية، كما ثبت عن ٱلنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أَحَبُّ

---

(١) قال السيوطي: رواه الشيخان والامام احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣

(٣) سورة الاسراء الآية ١

(٤) سورة الجن الآية ١٩

ٱلأسمآء إلى الله عبدُ ٱللهِ وعبدُ ٱلرحمنِ ، وأصدقُها حارثٌ وهمَّام ، وأقبحها حربٌ ومُرَّة [1] . وإنما كان حارث وهمَّام أصدقها لأن كل أحد لابد له من همٍّ وإرادة وعزم ينشأُ عنه حرثه وفعله، و كلُّ أحدٍ حارثٌ وهمّام ، وإنما كان أقبحها حربٌ ومُرّة لما في مسمى هذين الإسمين من الـكراهة ونفور ٱلعقل عنهما وبالله ٱلتوفيق .

الباب الثالث

في نسبة هذه الاسماء بعضها الى بعض هل هي بالترادف او التباين

فالأسمآء الدالّة عَلَى مسمى واحد نوعان: أحدهما أن يدُلّ عليه باعتبار الذات فقط ، فهذا ٱلنوع هو ٱلمترادُف ترادفاً محضاً ، وهذا كالحِنْطة وٱلقمح وٱلبرّ [والإسم] وٱلـكُنْيَةِ واللقَب إذا لم يكن فيه مدحٌ ولا ذم وإنما أُتي به لمجرد ٱلتعريف، وٱلنوع ٱلثاني أن يدلّ عَلَى ذاتٍ واحدة باعتبار تبايُنِ صفاتها كأسمآء الرب تعالى، وأسماء كلامه ، وأسماء نبيه ، وأسمآء ٱليوم الآخر ، فهذا ٱلنوع مُترادِفٌ بالنسبة إلى الذات، متباينٌ بالنسبة إلى ٱلصفات، فالرب و الرحمن وٱلعزيز وٱلقدير وٱلملِكُ يدلّ عَلَى ذاتٍ واحدةٍ باعتبار صفاتٍ متعددة، و كذلك ٱلبشير وٱلنذير

---

(١) قال في تيسير الوصول: اخرجه ابو داود واللفظ له وللنسائي مختصراً . اقول : وروى القسم الاول منه مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم كما ذكره السيوطي

والحاشر والعاقب والماحي ، وكذلك يوم القيامة ويوم البعث ويوم الجَمْع ويوم التَّغَابُن ويوم الآزِفَة ونحوها ، وكذلك القرآن والفُرقان والكتاب والهُدى ونحوها ، وكذلك أَسماء السيف فإِنَّ تعدُّدها بحسب أَوصافٍ وإِضافاتٍ مختلفة ، كالمهنَّد والعَضْب والصَّارم ونحوها ، وقد عرَفتَ تبايُن الأَوصاف في أَسماء المحبة ، وقد أَنكر كثيرٌ من الناس الترادُف في اللغة ، وكأَنهم أَرادوا هذا المعنى ، وأَنه ما من اسمين لمسمًى واحدٍ إِلا وبينهما فرقٌ في صفةٍ أَو نسبةٍ أَو إِضافة ، سواء عُلِمت لنا أَو لم تُعْلَمَ ، وهذا الذي قالوه صحيحٌ باعتبار الواضع الواحد ، ولكن قد يَقَعُ الترادُف باعتبار واضعَيْن مختلفَيْن يسمي أَحدهما المسمى باسم ، ويسميه الواضع الآخر باسم غيره ، ويشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة [1] ، وهذا كثير ومن ههنا يقع الإِشتراك أَيضاً ، فالأَصل في اللغة هو التبايُن وهو أَكثر اللغة [والله أَعلم] .

---

(١) في هامش ن : قد يمكن الترادف باعتبار الواضع الواحد أيضاً بأن يضع اسماً لمسمًّى ثم ينساه لطول العهد او لغير ذلك فيضع اسماً آخر له ويشتهر الاسمان .

الباب الرابع

في ان العالم العلوي والسفلي انما وجد بالمحبة ولاجلها وان حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم وحركات الملائكة والحيوانات وحركة كل متحرك انما وجدت بسبب الحب

وهذا بابٌ شريفٌ من أشرف أبواب الكتاب ، وقبل تقريره لا بد من بيان مقدمة وهي ان الحركات ثلاث : حركةٌ إرادية ، وحركةٌ طبيعية ، وحركةٌ قَسْرية ، وبيان الحصر أن مبدأَ الحركة إما أن يكون من المتحرك أو من غيره ، فإن كان من المتحرّك فإما أَن يقارنها شعورُه وعلمُه بها أَوْ لا ، فإن قارنها الشعور والعلم فهي الإرادية ، وإن لم يقارنها الشعور والعلم فهي الطبيعية ، وإن كانت من غيره فهي القَسْرية ، وإن شئت أَن تقول المتحرّك إما أي يتحرّك بإرادته أولا ، فإن تحرّك بإرادته فحركته إرادية ، وإن تحرّك بغير إرادته فإما أن تكون حركته إلى نحو مركزه أَوْ لا ، فإن تحرّك إلى جهة مركزه فحركته طبيعية ، وإن تحرّك إلى غير جهة مركزه فحركتهُ قَسْرية ، إذا ثبت هـذا فالحركة الإرادية تابعةٌ لإرادة المتحرّك ، والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره ، ولا بد أَن ينتهيَ المراد لغيره إلى مرادٍ لنفسه دفعاً للدّور والتسلسل . والإرادة إما أن تكون

لجلب منفعةٍ ولذةٍ إما للمتحرّك وإما لغيره ، أو دفعِ ألمٍ ومضرّة إما عن المتحرّك أو عن غيره ، والعاقل لا يجلب لغيره منفعةً ولا يدفع عنه مضرةً إلا لما له هو في ذلك من اللذة ودفع الألم ، فصارت حركته الإرادية تابعةً لمحبته ، بل هذا حكم كل حيّ متحرّك ، وأما الحركة الطبيعية فهي حركة الشيء إلى مستقرِّه ومركزه ، وتلك تابعةٌ للحركة التي اقتضت خروجه عن مركزه ، وهي القَسْرية . التي إنما تكون بقسر قاسرٍ أخرجه عن مركزه إما باختياره كحركة الحجر إلى أسفل إذا رُمي به إلى جهة فوق ، وإما بغير اختيار محرّكه كتحريك الرياح للأجسام إلى جهة مهَابِّها ، وهذه الحركة تابعةٌ للقاسر ، وحركة القاسر ليست منه بل مبدؤها من غيره ، فإن الملائكة مُوَكَّلَةٌ بالعالم العلوي والسفلي تدبّره بأمر الله عز وجل كما قال الله تعالى : (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً)[1] وقال : (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً)[2] وقال تعالى : (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً ، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً ، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً ، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً)[3] وقال : (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً ، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً)[4] وقد وكّل الله سبحانه

---

(١) سورة النازعات الآية ٥

(٢) سورة الذاريات الآية ٤

(٣) أوائل سورة المرسلات .

(٤) أوائل سورة النازعات .

بالأفلاك والشمس والقمر ملائكة تحركها ، ووكل بالرياح ملائكة تصرفها بأمره وهم خزنتها . قال الله تعالى : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)[1] وقال غير واحد من السلف : عتت على الخزان فلم يقدروا على ضبطها (ذكره البخاري في صحيحه) ووكل بالقطر [ملائكة ، وبالسحاب] ملائكة تسوقه إلى حيث أُمرت [به] ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ : اُسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَتَبَّعَ السَّحَابَةَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى حَدِيقَةٍ فَأَفْرَغَتْ مَاءَهَا فِيهَا ، فَنَظَرَ فَإِذَا رَجُلٌ فِي الْحَدِيقَةِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاةٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ يَا عَبْدَ اللهِ ؟ فَقَالَ فُلَانٌ الْإِسْمُ الَّذِي سَمِعَهُ فِي السَّحَابَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ فِي هَٰذِهِ السَّحَابَةِ اُسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَمَا تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَنْظُرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَجْعَلُهُ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ : ثُلُثٌ أَتَصَدَّقُ بِهِ ، وَثُلُثٌ أُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِي ، وَثُلُثٌ أَرُدُّهُ فِيهَا[2] .

ووكل الله سبحانه بالجبال ملائكة ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاءه ملك الجبال يسلم عليه ويستأذنه في هلاك قومه إن أحب ، فقال : بَلْ أَسْتَأْنِي لَهُمْ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ

---

(١) سورة الحاقة الآية ٦

(٢) أخرجه مسلم مطولاً .

يَعْبُدُ ٱللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً[١] ووكّل بالرّحِمِ ملَكاً يقول: يا ربّ نطفة؟ يا ربّ علقة؟ يا ربّ مضغة؟ يا ربّ ذكرٌ أم أُنثى؟ فما الرزق؟ فما ٱلأَجل؟ وشقيٌّ أم سعيد؟ ووكّل بكل عبدٍ أربعةً من الملائكة في هذه الدنيا: حافظان عن يمينه وعن شماله يكتبان[٢] أعماله، ومُعقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه أقلُّهم اثنان يحفظونه من أمر الله[٣]، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بمسآءلة الموتى ملائكةً في ٱلقبور، ووكل بالرحمة ملائكة، وبالعذاب ملائكة، وبالمؤمن ملائكةً يثبتونه ويؤزُّونه إلى ٱلطاعات أزًّا، ووكّل بالنار ملائكةً يبنونها ويوقدونها، ويصنعون أغلالها وسلاسلها، ويقُومون بأمرها، ووكّل بالجنة ملائكةً يبنونها ويفرشونها[٤]، ويصنعون أرائكها وسُرُرَها وصِحافها ونَمارِقَها وزرابيَّها[٥] فأمر ٱلعالَم ٱلعُلوي وٱلسُّفلي والجنة وٱلنار بتدبير الملائكة بإذن ربهم تبارك وتعالى وأَمرِه، (لاَ يَسْبِقُونَه بِٱلْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[٦]

---

(١) لم أر من خرّجه.

(٢) في النسختين: يكتبون.

(٣) قال الخازن في تفسيره: معنى من امر الله بأمر الله واذنه وقال النسفي: ليس من امر الله بصلة للحفظ. كأنه قيل: له معقبات من امر الله الخ.

(٤) في هامش ن: يغرسونها

(٥) الارائك: الاسرة المنجدة المزينة. والصحاف: آنية الأكل والنمارق: الوسائد. والزرابي: البُسط.

(٦) سورة الانبياء الآية ٢٧

و(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[١] . فأخبر أنهم لا يعصونه في أمره ، وأنهم قادرون على تنفيذ أوامره ليس بهم عجز عنها ، بخلاف من يترك ما أُمِر به عجزاً فلا يعصي الله ما أمره ، وإن لم يفعل ما أمره به ، وكذلك البحار قد وُكّلت بها ملائكة تسجرها[٢] وتمنعها أن تفيض على الأرض فتغرق أهلها ، وكذلك أعمال بني آدم خيرُها وشرُّها قد وُكّلت بها ملائكة تحصيها وتحفظها وتكتبها ، ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحدَ أركان الإيمان الذي لا يَتِمّ إلا به . وهي خمس : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وإذا عُرِفَ [ذلك عرف] أن كل حركةٍ في العالم فسببها الملائكة ، وحركتهم طاعةُ الله بأمره وإرادته ، فيرجع الأمر كله إلى تنفيذ مراد الرب تعالى شرعاً وقدَراً ، والملائكةُ هم المنفِّذون ذلك بأمره ، ولذلك سُمُّوا ملائكةً من الألوكة وهي الرسالة ، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره ،

والمقصود أن حركاتِ الأفلاك ومـا حوته تابعةٌ للحركة الإرادية المستلزمة للمحبة ، فالمحبة والإرادة أصلُ كل فعل ومبداه ، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة ، حتى دفعه للأمور التي يبغضها ويكرهها ، فإنما يدفعها بإرادته ومحبته لأضدادها واللّذةِ التي يجدها بالدفع كما يقال : شفى غيظه وشفَى صدره ، والشفاء والعافية يكون للمحبوب وإن

---

(١) سورة التحريم الآية ٦

(٢) تسجرها : تملأها .

كان كريهاً ، مثل شرب الدوآء الذي يُدفَع به أَلمُ المرض ، فإنه وإن كان مكروهاً من وجهٍ فهو محبوبٌ لما فيه من زوال المكروه وحصول المحبوب ، وكذلك فعلُ الأشيآء المخالفة للهوى ، فإنها وإن كانت مكروهةً فإنما تُفْعَل لمحبةٍ وإرادة ، وإن لم تكن محبوبةً لنفسها فإنها مستلزِمَةٌ للمحبوب لنفسه . فلا يترك الحيُّ ما يُحبّه ويهواه ، إلا لما يُحبُّه ويهواه ، ولكن يترك أَضعفَهما محبةً لأقواهما محبة ، ولذلك كانت المحبة والإرادة أَصلاً للبغض والكراهة ، فإن البغيض المكروه ينافي وجودَ المحبوب ، والفعلُ إما أَن يتناول وجودَ المحبوب أَو دفعَ المكروه المستلزِم لوجود المحبوب ، فعاد الفعل كلُّه إلى وجود المحبوب .

والحركة الإختيارية أَصلُها الإرادة ، والقسريةُ والطبيعيةُ تابعتان لها ، فعاد الأَمر إلى الحركة الإرادية ، فجميع حركات العالم العُلوي والسفلي تابعةٌ للإرادة والمحبة ، وبها تحرّك العالَم ولأَجلها ، فهي العلة الفاعليّة والغائيّة ، بل هي التي بها ولأَجلها وُجد العالم ، فما تحرّك في العالَم العُلوي والسفلي حركةٌ إلا والإرادةُ [والمحبة] سببها وغايتُها ، بل حقيقة المحبة حركة نفس المحبّ إلى محبوبه ، فالمحبة حركةٌ بلا سكون . وكمالُ المحبة هو العبوديةُ والذلّ والخضوعُ والطاعة للمحبوب ، وهو الحق الذي به وله خُلِقَت السموٰات والارض والدنيا والآخرة ، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّموٰاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ)[1] وقال

(١) سورة الحجر الآية ٨٥

الله تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا)[١] وقال تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا)[٢] .

والحق الذي خُلق به ولأجله الخلقُ هو عبادة الله وحده ٱلتي هي كمالُ محبته والخضوع والذُّل له ، ولوازم عبوديته من الأمر وٱلنهي وٱلثواب وٱلعقاب ، ولأجل ذلك أرسل الرسل ، وأنزل ٱلكتب ، وخلق الجَنَّة وٱلنار . وٱلسموات والأَرضُ إنما قامت بالعدل الذي هو صراط الله الذي هو عليه وهو أحبُّ الأشياء [إلى الله تعالى] قال الله تعالى : حاكيًا عن نبيه شعيب عليه ٱلسلام : (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٣] فهو على صراطٍ مستقيم في شرْعه وقدَره ، وهو ٱلعدل الذي به ظهر الخلق والأَمر وٱلثواب وٱلعقاب ، وهو الحق الذي به وله خُلقت ٱلسمٰواتُ والأَرض وما بينهما ، ولهذا قال المؤمنون في عبادتهم : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ)[٤] فنزَّهوا ربهم سبحانه أن يكون خلق ٱلسمٰوات عبثًا لغير حكمةٍ ولا غايةٍ محمودة ، وهو سبحانه يُحْمَد لهذه ٱلغايات المحمودة كما يُحْمَد لذاته وأوصافه ، فالغايات المحمودة في أفعاله هي

---

(١) سورة ص الآية ٢٧

(٢) سورة المؤمنين الآية ١١٥

(٣) سورة هود الآية ٥٦

(٤) سورة آل عمران الآية ١٩١

الحكمة ٱلتي يحبها ويرضاها ، وخَلَق ما يكره لاستلزامه ما يحبه وتَرَتُّبِ المحبوب له عليه ، ولذلك يترك سبحانه [فعل] بعض ما يحبّه لما يترتب عليه من فوات محبوب له أعظَمَ منه ، أو حصولِ مكروهٍ أكرهَ إليه من ذلك المحبوب ، وهذا كما ثَبَّطَ قلوب أعدائه عن الإيمان به وطاعته ، لأنه يكره طاعاتِهم ويُفَوِّتُ بها ما هو أحبُّ إليه منها من جهادهم وما يترتب عليه من المُوالاة فيه والمعاداة ، وبذلِ أوليائه نفوسهم فيه ، وإيثار محبته ورضاه عَلَى نفوسهم ، ولأجل هذا خلق الموت والحياة وجعل ما عَلَى الأَرض زينة لها قال تعالى : (ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[1] وقال : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[2] وقال تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[3] [فأَخبر سبحانه عن خلق ٱلعالَم والموتِ والحياة وتزيين الأَرض بما عليها أَنه للإِبتلاء والامتحان ليختبر خلقه أَيهم أَحسن عملاً] فيكون عمله موافقاً لمحابِّ الرب تعالى ، فيوافق ٱلغاية ٱلتي خُلِق هو لها وخُلِق لأَجلها ٱلعالَم ، وهي[4] عبوديته

---

(١) سورة الملك الآية ٢

(٢) سورة الكهف الآية ٧

(٣) سورة هود الآية ٧

(٤) في النسختين : وهو .

المتضمنة لمحبته وطاعته، وهي العملُ الأحسنُ وهو مواقعُ محبته ورضاه، وقدَّر سبحانه مقاديرَ تخالفها بحكمته في تقديرها، وامتحن خلقه بين أمره وقدره ليبلوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً،

فانقسم الخلق في هذا الإبتلاء فريقين: فريقاً داروا مع أوامره ومحابِّه، ووقفوا حيث وقف بهم الأمر، وتحرّكوا حيث حرّكهم الأمر، واستعملوا الأمر في القَدَر، وركبوا سفينةَ الأمر في بحر القَدَر، وحكَّموا الأمر على القدر، ونازعوا القَدَر بالقدر امتثالاً لأمره واتباعاً لمرضاته، فهؤلاء هم الناجون.

والفريق الثاني عارضوا بين الأمر والقَدَر، وبين ما يحبه ويرضاه، وبين ما قدَّره وقضاه، ثم افترقوا أربع فِرَق:

فرقةٌ كذَّبت بالقَدَر محافظةً على الأمر، فأبطلت الأمر من حيث حافظت على القدر، فإن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر، وهو نظام التوحيد، فمن كذَّب بالقدر نَقَضَ تكذيبُه إيمانَه.

وفرقةٌ ردّت الأمر بالقَدَر وهؤلاء من أكفر الخلق، وهم الذين حكى الله قولهم في القرآن إذ قالوا: [لَوْ شَآءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ) [1] وقالوا أيضاً:] (لَوْ شَآءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) [2]

---

(١) سورة الانعام الآية ١٤٨

(٢) سورة النحل الآية ٣٥

وقالوا أيضاً (لَوْ شَاءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم)[١] وقالوا أيضاً : (أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُ)[٢] فجعلهم الله سبحانه وتعالى بذلك مكذّبين خارصين ليس لهم علم ، وأخبر أنهم في ضلال مبين .

وفرقةٌ دارت مع ٱلقدَر ، فسارت بسيْره ، ونزلت بنزوله ، ودانت به ، ولم تبالِ وافقَ الأمرَ أو خالفه ، بل دينُها ٱلقدَر ، فالحلالُ ما حلَّ بيدها قدراً ، والحرام ما حُرِمَتْه قدَراً ، وهم مع من غلَب قدَراً من مسلمٍ أو كافرٍ ، برًّا [كان] أو فاجراً ، وخواصُّ هؤلاء وعُبَّادُهم لما شَهِدوا الحقيقة ٱلكونية ٱلقدَرية صاروا مع ٱلكفار ٱلمسلَّطين بالقدَر ، وهم خُفَرَاؤهم ، فهولاء أيضاً كفّار .

وفرقةٌ وقفت مع ٱلقدَر مع اعترافها بأنه خلافُ الأمر ، ولم تدِن به ولكنها أسترسلت معه ، ولم تُحَكِّم عليه الأمر وعجَزَت عن دفع ٱلقدَر بالقدَر أتّباعاً للأمر ، فهؤلاء مفرِّطون ، وهم بين عاجزٍ وعاصٍ لله ، وهؤلاء ٱلفِرَقُ كلُّهم مؤتَمّونَ بشيخهم إبليس ، فإنه أولُ من قدّم ٱلقدَر على الأمر وعارضه وقال : (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[٣] وقال : (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢٠

(٢) سورة يس الآية ٤٧

(٣) سورة الحجر الآية ٣٩

صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)[١] فرد أمر الله بقدره ، واحتج على ربه بالقدر ، وانقسم أتباعه أربع فرق كما رأيت ، فإبليس وجنوده أرسلوا بالقدر إرسالاً كونياً ، فالقدرُ دينهم . قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)[٢] فدينهم ٱلقدر ، ومصيرهم سقر . فبعث الله الرسل بالأمر وأمرهم أن يحاربوا به أهل ٱلقدر ، وشرع لهم من أمره سفناً وأمرهم أن يركبوا فيها هم وأتباعهم في بحر ٱلقدر ، وخص بالنجاة من ركبها كما خص بالنجاة أصحاب ٱلسفينة ، وجعل ذلك آيةً للعالمين . فأصحابُ الأمر حربٌ لأصحاب ٱلقدر حتى يردُّوهم إلى الأمر ، وأصحاب ٱلقدر يحاربون أصحاب الأمر حتى يخرجوهم منه ، فالرسل دينهم الأمرُ مع إيمانهم بالقدر وتحكيم الأمر عليه ، وإبليسُ وأتباعه دينهم ٱلقدر ودفعُ الأمر به ، فتأمل هذه ٱلمسألة في ٱلقدر والأمر وانقسام ٱلعالم فيها إلى هذه الأقسام الخمسة وبالله ٱلتوفيق .

فحركاتُ ٱلعالَم ٱلعلوي وٱلسفلي وما فيهما موافقٌ للأمر ، إما الأمر الديني الذي يحبه ويرضاه ، وإما الأمر ٱلكوني الذي قدَّره وقضاه ، وهو سبحانه لم يقدره سدًى ولا قضاه عبثاً ، بل لما فيه من الحكمة وٱلغايات الحميدة ، وما يترتب عليه من أمورٍ يحب غاياتها وإن كره أسبابها ومبادئها ، فإنه سبحانه وتعالى يحب ٱلمغفرة وإن كره معاصيَ

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٦

(٢) سورة مريم الآية ٨٣

عباده، ويحب ٱلسَّتْر وإن كره ما يَسْتُر عبده عليه، ويحب ٱلعتق وإن كره ٱلسبب ٱلذي يُعتق عليه من ٱلنار، ويحب ٱلعفوَ كما في الحديث: اللهُمَّ إنَّك عفوٌّ تُحِبُّ ٱلْعَفْوَ فَٱعْفُ عَنّي وإن كره ما يعفو عنه من الأوزار، ويحب ٱلتوّابين وتوبتَهم وإن كره معاصيَهم ٱلتي يتوبون إليه منها، ويحب الجهادَ وأَهلَه بل هم أَحبُّ خلقه إليه وإن كره أفعالَ من يجاهدونه، وهذا بابٌ واسِعٌ قد فُتِح لك فادخل منه يُطلعك عَلَى رياضٍ من ٱلمعرفة مُونِقَةٍ مات منْ فاتته بحسرتها وبالله ٱلتوفيق.

وهذا موضعٌ يَضيق عنه عِدَّة أسفار واللبيب يدخل إليه من بابه، وسرٌّ هذا ٱلباب أنه سبحانه كاملٌ في أَسمآئه وصفاته، فله ٱلكمالُ ٱلمطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجهٍ ما، وهو يحب أَسمآءه وصفاتِه، ويحب ظهورَ آثارها في خلقه، فإن ذلك من لوازم كماله، فإنه سبحانه وِترٌ يحبُّ ٱلوِتر، جميلٌ يحبّ الجمال، عليمٌ يحبّ ٱلعلمآء، جوادٌ يحبّ الأَجواد، قويٌّ والمؤمنُ ٱلقوي أحبُّ إليه من ٱلمؤمن ٱلضعيف، حَيِيٌّ يحبّ أَهل الحيآء، وفيٌّ يحبّ أَهل الوفاء، شكورٌ يحبّ ٱلشاكرين، صادقٌ يحبّ ٱلصادقين، محسنٌ يحب المحسنين.

فإذا كان يحبّ ٱلعفو وٱلمغفرةَ والحِلْمَ وٱلصفحَ وٱلسَّتْرَ لم يكن بدٌّ من تقديره للأَسباب ٱلتي تَظهر آثارُ هذه ٱلصفات فيها، ويَستَدِلّ بها عبادُه عَلَى كمال أَسمآئه وصفاته، ويكون ذلك أَدْعى لهم إِلى محبته وحمدِه وتمجيدِه والثنآء عليه بما هو أَهلُه، فتحصلُ ٱلغاية ٱلتي خَلَق

لها الخلق ، وإن فاتت من بعضهم فذلك الفواتُ سببٌ لكمالها وظهورها ، فتضمن ذلك الفواتُ المكروهُ له أمراً هو أحبُّ إليه من عدمه ، فتأمل هذا الموضع حقَّ التأمل . وهذا ينكشف يوم القيامة للخليقة بأجمعهم حين يجمعهم في صعيدٍ واحد ، ويوصِل إلى كل نفسٍ ماينبغي إيصالُه إليها من الخير والشرّ ، واللذةِ والألم ، حتى مثقالِ الذَّرة ، ويوصِل كل نفس إلى غاياتِها التي تشهد هي أنها أولى بها ، فحينئذ ينطق الكونُ بأجمعه بحمده تبارك وتعالى قالاً وحالاً ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1] ، فحذف فاعل القول لأنه غير معين ، بل كل أحدٍ يَحمَدُه على ذلك الحكم الذي حكم فيه ، فيَحمَدُه أهلُ السموات وأهلُ الأرض الأبرارُ والفجارُ والإنسُ والجنُّ حتى أهلُ النار . قال الحسن أو غيره : لقد دخلوا النار وإن حَمْدَه لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلا ، وهذا والله أعلمُ هو السرُّ الذي حذف لأجله الفاعل في قوله : (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) [2] وقوله : (وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) [3] كأن الكون كله نطق بذلك وقاله لهم والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٥

(٢) سورة الزمر الآية ٧٢

(٣) سورة التحريم الآية ١٠

الباب الخامس

في دواعي المحبة ومتعلقها

الداعي قد يُراد به ٱلشعورُ الذي تتبعَه الإِرادةُ والميل، فذلك قائمٌ بالمحبّ، وقد يُراد به ٱلسببُ الذي لأَجله وُجدت ٱلمحبةُ وتعلّقت به، وذلك قائمٌ بالمحبوب. ونحن نريد بالداعي مجموعَ الأَمرين، وهو ماقام بالمحبوب من ٱلصفات ٱلتي تدعو إِلى محبَّته، وما قام بالمحب من ٱلشعور بها، والموافقةَ ٱلتي بين المحبّ والمحبوب، وهي الرابطة بينهما وتسمّى بين المخلوق والمخلوق مناسبةً وملاءمة.

فها هنا ثلاثة أُمور: وصفُ المحبوب وجماله، وشعورُ المحب به، والمناسبةُ وهي ٱلعلاقة والملاءمة ٱلتي بين المحب والمحبوب، فمتى قوِيت ٱلثلاثة وكمُلت، قوِيت المحبة واستحكمت، ونقصان المحبة وضعفُها بحسب ضعفِ هذه ٱلثلاثة أَو نقْصِها، فمتى كان المحبوبُ في غاية الجمال، وشعورُ المحب بجماله أَتمَّ شعور، والمناسبةُ ٱلتي بين الرُّوحين قويةً، فذلك الحبُّ ٱللازم الدائم، وقد يكون الجمال في نفسه ناقصاً لكن هو في عين المحب كامل، فتكون قوّة محبته بحسب ذلك الجمال عنده، فإِن حُبَّك للشيء يُعمي ويُصِمّ، فلا يرى ٱلمحبُّ أَحداً أَحسنَ من محبوبه، كما يُحْكى أَنّ عزَّة دخلت علَى الحجاج فقال لها: يا عزة والله ما أَنتِ

كما قال فيك كُثيِّر ، فقالت: أيها الأمير إنه لم يرني بالعين ٱلتي رأيتني بها . ولا ريب أن المحبوب أحلى في عين محبه وأكبرُ في صدره من غيره ، وقد أفصح بهذا ٱلقائلُ في قوله [1] :

فوالله ما أدري أزيدتْ ملاحةً وحسناً على ٱلنِّسوان أم ليس لي عقلُ

وقد يكون الجمالُ موفَّراً لكنه ناقصُ ٱلشعور به فتضعفُ محبتُه لذلك ، فلو كُشِفَ له عن حقيقته لأسر قلبَه ، ولهذا أُمِرَ ٱلنساءُ بستْر وجوههن عن الرجال ، فإن ظهور الوجه يُسفِر عن كمال المحاسن فيقع الإفتتان ، ولهذا شُرِع للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة ، فإنه إذا شاهد حسنها وجمالَها كان ذلك أدعى إلى حصول المحبة والأُلفة بينهما كما أشار إليه ٱلنبي صلى الله عليه وسلم في قوله: إذا أرادَ أحدُكمْ خطبةَ ٱمرأةٍ فلينظُرْ إلى ما يدْعُوهُ إلى نكاحِهَا فإنَّهُ أحرَى أنْ يُؤْدَمَ بينهمَا [2] أي يُلْأَم ويوافق ويصلح . ومنه الأَدام ٱلذي يَصلُحُ به الخبز ، وإذا وُجِد ذلك كلُّه وٱنْتفتِ المناسبة وٱلعلاقة ٱلتي بينهما لم تستحكم ٱلمحبة ، وربما لم تقع

---

(١) هو الحكم بن معمر الخضري .

(٢) جمع هذا من حديثين الاول رواه ابو داود ولفظه : اذا خطب احدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل قال فى تهذيب التهذيب: ورواه البزار والحاكم . والآخر رواه النسائي عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال : خطبت امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : انظرت اليها ؟ قلت : لا قال : فانظر اليها فانه اجدر ان يؤدم بينكما .

ٱلبتةَ ، فإِن ٱلتناسُبَ الذي بين الأَرواح من أَقوى أَسباب ٱلمحبة ، فكلُّ ٱمرئٍ يصبو إِلى من يناسبه .

وهذه ٱلمناسبة نوعان : أَصليةٌ من أَصل الخلقة ، وعارضةٌ بسبب ٱلمجاورة أو الإِشتراك في أَمرٍ من الأُمور ، فإِن من ناسب قصدُك قصده حصل ٱلتوافُق بين رُوحك ورُوحه ، فإِذا اختلف ٱلقصدُ زال ٱلتوافُق ، فأَما ٱلتناسُب الأَصلي فهو ٱتفاق أَخلاق وتشاكُل أَرواح وشوق كلّ نفس إِلى مُشاكلها ، فإِن شبه ٱلشيء ينجذب إِليه بالطبع ، فتكون الروحان متشاكلتين في أَصل الخلقة فتنجذب كلٌّ منهما إِلى الأُخرى بالطبع ، وقد يقع الإِنجذاب والميلُ بالخاصيّة ، وهذا لا يعلَّل ولا يُعرَف سببُه كانجذاب الحديد إِلى الحجر ٱلمِغناطيس . ولا ريب أَن وقوع هذا ٱلقدْر بين الأَرواح أَعظم من وقوعه بين الجمادات كما قيل :

محاسنُها هَيُولى كل حسنٍ ومِغْناطِيسُ أَفئِدَةِ الرجال

وهذا ٱلذي حمَلَ بعضَ ٱلناس عَلَى أَن قال : [إِن] ٱلعشق لا يقف عَلَى الحُسْن والجمال ولا يلزم من عدَمِه عدَمُه ، وإِنما هو تشاكُل ٱلنفوس وتمازُجُها في ٱلطباع المخلوقة فيها ، كما قيل :

وما ٱلحُبُّ من حسنٍ ولا من مَلاحةٍ ولكنه شيءٌ به الرُّوحُ تكْلَفَ

قال هذا ٱلقائل : فحقيقتُه أَنه مرْآة يُبصر فيها ٱلمحبُّ طباعَه ورِقّته في صورة محبوبه ، ففي الحقيقة لم يحبّ إِلا نفسه وطباعَه ومشاكِلَه . قال [بعضهم] لمحبوبه : صادفتُ فيك جوهرَ نفسي ومشاكَلتَهــا في كل

أحوالها ، فانبعثت نفسي نحوك وانقادت إليك ، وإنما هويتُ نفسي .
وهذا صحيح من وجهٍ ، فإن المناسبة عِلّةُ الضمّ شرعاً وقدراً ،
وشاهِدُ هذا بالاعتبار أن أحبّ الأغذية إلى الحيوان ما كان أشْبَهَ
بجوهر بدنه وأكثرَ مناسبةً له ، وكلما قويت المناسبة بين الغاذي والغَذِيّ
كان ميلُ النفس إليه أكثر ، وكلما بعدت المناسبة حصلت النَّفْرَةُ
عنه ، ولا ريب أن هذا قَدْرٌ زائدُ على مجرّد الحسن والجمال ، ولهذا
كانت النفوسُ الشريفةُ الزكيةُ العلْويةُ تعشق صفاتِ الكمال بالذات ،
فأحبّ شيءٍ إليها العلمُ والشجاعةُ والعِفّةُ والجودُ والإحسان والتصبرُّ
والثبات لمناسبة هذه الأوصاف لجوهرها ، بخلاف النفوس اللئيمةِ الدنيّة
فإنها بِمَعْزِلٍ عن محبّة هذه الصفات ، وكثيرٌ من الناس يحمله على الجود
والإحسان فرطُ عشقه ومحبّتِهِ له واللذّة التي يجدها في بذله ، كما قال
المأمون : لقد حُبّب إليّ العفوُ حتى خشيتُ أن لا أُوجر عليه . وقيل
للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [تعالى] : تعلمتَ هذا العلم لله ؟ فقال :
أما لله فعزيز ، ولكن شيءٌ حُبّب إليّ ففعلتُه . وقال آخر : إني لأفرح
بالعطاء وألتذّ به [أكثر و] أعظم مما يفرح الآخذ بما يأخذه مني . وفي
هذا قيل في مدح بعض الكرماء [من أبيات] :

وتأخذُه عند المكارم هزّةٌ كما اهتزّ عند البارِحِ الغُصنُ الرَّطْبُ

وقال شاعر الحماسة :

تراه إذا ما جئته متهلّلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلُهْ

وكثيرٌ من الأجواد يعشق الجود أعظمَ عِشق، فلا يصبِرُ عنه مع حاجته إلى ما يجود به، ولا يقبل فيه عذلَ عاذل، ولا تأْخذه لومةُ لائم، وأما عشاقُ ٱلعلم فأعظمُ شغفًا به وعشقًا له من كل عاشقٍ بمعشوقه، وكثيرٌ منهم لا يَشْغَلُه عنه أَجملُ صورة من ٱلبشر. وقيل لأُمرأَةِ ٱلزُّبَيْرِ بن بكّار أو غيره: هنيئًا لكِ إذ ليست لك ضَرَّة، فقالت: واللهِ لَهذه ٱلكتبُ أضرُّ عليَّ من عِدَّة ضرائر. وحدثني أخو شيخنا عبدُ الرحمن ابن تيمية عن أبيه قال: كان ٱلجَدُّ إذا دخل الخلاء يقول لي: أُقرأْ في هذا ٱلكتاب وارفع صوتك حتى أَسمع. وأعرِف من أصابه مرضٌ من صُداعٍ وحُمّى وكان ٱلكتاب عند رأسه، فإذا وَجَد إفاقةً قرأَ فيه، فإذا غُلب وضعه، فدخل عليه ٱلطبيب يومًا وهو كذلك فقال: إن هذا لا يَحِلّ لك فإنك تُعِين عَلَى نفسك وتكون سببًا لفوات مطلوبك. وحدثني شيخنا قال: ابتدأَ بي مرضٌ فقال لي ٱلطبيب: إن مطالعتك وكلامك في ٱلعلم يزيد المرض فقلت له: لا أصبر عن ذلك وأنا أُحاكمك إلى علمك، أَليست ٱلنفس إذا فرحت وسُرّت قَوِيت ٱلطبيعةُ فدفعت المرض؟ فقال: بلى فقلت [له]: فإن نفسي تُسَرُّ بالعلم فتقوى به ٱلطبيعةُ فأَجدُ راحة، فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا، أَو كما قال.

فعشقُ صفات ٱلكمال من أَنفع ٱلعشق وأَعلاه، وإنما يكون بالمناسبة ٱلتي بين الرُّوح وتلك ٱلصفات ولهذا كان أَعلى الأَرواح وأَشرفُها [أعلاها وأَشرفَها] معشوقًا كما قيل:

أنت ٱلقتيلُ بكلّ من أحْبَبْتَه   فاختَرْ لنفسك في ٱلهوى من تَصْطفي

فإذا كانت المحبّةُ بالمشاكلة والمناسبة ثبتت وتمكّنت ولم يزِلْها إلا مانعٌ أقوى من ٱلسبب ، وإذ لم تكن بالمشاكلة فإنما هي محبةٌ لغرضٍ من الأغراض تزول عند انقضائه وتضمحلّ ، فمن أَحبّك لأَمرٍ ولّى عند ٱنقضائه ، فداعي المحبة وباعثُها إن كان غرضاً للمحبّ لم يكن لمحبته بقاء ، وان كان أمراً قائماً بالمحبوب سريعَ الزوال والإنتقال زالت محبته بزواله ، وإن كان صفةً لازمةً فمحبتُه باقيةٌ ببقاء داعيها ما لم يعارضه معارضٌ يوجب زوالَها ، وهو إما تغيرٌ حالٍ في المحب ، أو أذًى من ٱلمحبوب ، فإن الأذى إما أن يُضعِفَ ٱلمحبةَ أو يزيلَها قال [ٱلشاعر] :

خذي ٱلعفوَ مني تستديمي مودّتي   ولا تنطِقي في سَوْرتي حين أغضبَ
فإني رأيتُ الحبَّ في ٱلقلب والأذى   إذا ٱجتمعا لم يَلْبثِ ٱلحبُّ يذهب

وهذا موضعٌ ٱنقسمَ ٱلمحبون فيه قسمين : ففرقةٌ قالت : ليس بحبٍّ صحيح ما يزيله الأذى ، بل علامةُ الحب ٱلصحيح أنه لا ينقص بالجفوة ولا يذهبه الأذى ، قالوا : بل ٱلمحب يلتذّ بأذى محبوبه له ، كما قال أبو ٱلشيص :

وقف ٱلهوى بي حيث أنتِ فليس لي   متأَخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ
وأَهنتِني فأَهنتُ نفسيَ جاهداً   ما مَنْ يهون عليكِ ممن يُكرَم
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أُحبُّهم   إذ كان حظي منكِ حظيَ منهم

أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً حباً لِذكركِ فَليَلُمْني اللوَّم [1]

فهذا هو الحب على الحقيقة فإنه متضمن لغاية الموافقة ، بحيث قد اتخذ مرادهُ ومرادَ محبوبه من نفسه ، فأهان نفسه موافقةً لإهانة محبوبه له ، وأحبّ أعداءه لما أشبههم محبوبُهُ في أذاه . وهذا وإن كانت الطباعُ تأباه لكنه موجَبُ الحبّ التامّ ومقتضاه . وقالت فرقةٌ : بل الأذى يزيل الحب ، فإن الطباع مجبولةٌ عَلَى كراهة من يؤذيها ، كما أن القلوب مجبولةٌ عَلَى حبّ من يحسن إليها . وما ذكره أولئك فدعوى منهم .

والإنصاف أن يقال يجتمع في القلب بغض أذى الحبيب وكراهتهُ ، ومحبتهُ من وجهٍ آخر ، فيحبه ويُبغض أذاه ، وهذا هو الواقع ، والغالبُ منها يواري المغلوب ويبقى الحكم له ، وقد كشف عن [بعض] هذا المعنى الشاعرُ في قوله [2] :

ولو قلتِ طأْ في النار أعلمُ أنه رضاً لكِ أو مُدْنٍ لنا من وصالِكِ
لقدّمتُ رِجْلي نحوها فوطئتُها هدىً منكِ لي أو ضلةً من ضلالكِ
وإن ساءني أن نِلْتِني بمساءةٍ فقد سرّني أني خطَرتُ ببالِكِ

فهذا قد أنصف حيث أخبر أنه يسوءه أن يناله محبوبه بمساءة ويسره خطورُه بباله ، لا كمن ادّعى أنه يلتذّ بأذى محبوبه له ، فإن هذا

(١) تقدمت هذه القطعة في الصفحة ٢٥

(٢) هو عبد الله بن الدمينة .

خارجٌ عن ٱلطباع ، اللهم إلا أن يكون ذلك الأذى وسيلةً إلى رضى ٱلمحبوب وقربه ، فإنه يلتذّ به إذا لاحظ غايته وعاقبته ، فهذا يقع ، وقد أخبرني بعض الأطباء قال : إني ألتذ بالدواء ٱلكريه إذا علمتُ ما يحصلُ به من ٱلشفاء ، وأضعه على لساني وأترشّفه محبةً له ، ومن هذا ٱلتذاذُ ٱلمحبين بالمشاقِ ٱلتي توصلهم إلى وصال محبوبهم وقربه ، وكلما ذكروا روحَ ٱلوصال وأن ما هم فيه طريقٌ موصلٌ إليه ، لذّ لهم مقاساته وطاب لهم تحمّلُه [كما] قال [ٱلشاعر] :

لها أحاديثُ من ذكراك تشغَلُهَا … عن ٱلشراب وتُلْهيها عن الزاد

لها بوجهك نورٌ تستضيءُ به … ومن حديثك في أعقابِها حادي

إذا شكَت من كَلالِ ٱلسيرِ أوعدُها … رَوحَ اللقاء فتقوى عند ميعاد

والمقصود أن المحبة تستدعي مشاكلةً ومناسبة ، وقد ذكر الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها : أن امرأةً كانت تدخل على قريشٍ فتضحكهم ، فقدمت المدينة فنزلت على امرأةٍ تُضحك ٱلناس ، فقال ٱلنبي صلى الله عليه وسلم : على من نزلت فلانة ؟ فقالت : على فلانةٍ المضحكة ، فقال : ٱلأَرْوَاحُ جنودٌ مجندةٌ ، فَمَا تعارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ ، وَمَا تناكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ . وأصلُ الحديث في ٱلصحيح[1] . وذُكر لبقراط رجلٌ من أهل ٱلنقص يحبه فاغتمّ لذلك

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم وابو داود وغيرهم .

وقال: ما أَحبني إلا وقد وافقته في بعض أَخلاقه، وأَخذ المتنبي هذا المعنى فقلبه وأَجاد فقال:

وإذا أَتتك مذَمَّتي من ناقصٍ   فهي ٱلشهادةُ لي بأَني فاضل[1]

وقال بعض الأَطباء: ٱلعشقُ ٱمتزاجُ ٱلرُّوح بالرُّوح لما بينهما من ٱلتناسبِ وٱلتشاكل، فإذا امتزج ٱلماء بالماء امتنع تخليصُ بعضِه من بعض، ولذلك تَبْلُغُ ٱلمحبةُ بين ٱلشخصين حتى يتأَلَّم أَحدُهما بتأَلُّم الآخر، ويَسْقَمَ بسقمه وهو لا يَشْعُرُ، ويُذكر أَن رجلاً كان يحب شخصاً فمرض فدخل عليه أَصحابه يعودونه فوجدوا به خفةً فانبسط معهم، وقال: من أَين جئتم؟ قالوا: من عند فلانٍ عُدْناه، فقال: أَوَ كان عليلاً؟ قالوا: نعم وقد عُوفِيَ فقال: والله لقد أَنكرتُ عِلَّتي هذه ولم أَعرف لها سبباً غير أَني توهمت أَن ذلك لعلةٍ نالت بعضَ من أُحبّ، ولقد وجدت يومي هذا راحة ففرِحتُ طمعاً أَن يكون اللهُ سبحانه وتعالى شفاه، ثم دعاد بدواةٍ فكتب إلى محبوبه:

إني حُمِمْتُ ولم أَشعر بحُمَّاكِ   حتى تحدَّث عُوَّادي بشكواكِ
فقلتُ ما كانت الحُمَّى لتطرُقَني   من غير ما سببٍ إلا لحُمَّاكِ
وخَصلةٍ كنتُ فيها غيرَ متَّهمٍ   عافانيَ ٱللهُ منها حين عافاكِ
[حتى إذا اتفقت نفسي ونفسُك في   هذا وذاك وفي هذا وفي ذاكِ]

---

(١) الذي في ديوان المتنبي المطبوع: فهي الشهادة لي باني كامل

ويُحكى أن رجلاً مرض من يُحبه فعاده المحبُّ فمرض من وقته، فعوفيَ محبوبه فجاء يعوده فلما رآه عُوفي من وقته وأنشد:

مَرِضَ الحبيبُ فعُدْتُه فمرضتُ من حَذَري عليه
وأتى الحبيبُ يعودُني فبرئت من نظري إليه

وأنت إذا تأملتَ الوجودَ لا تكاد تجد اثنين يتحابَّان إلا وبينهما مشاكلةٌ أو اتفاقٌ في فعلٍ أو حالٍ أو مقصدٍ، فإذا تباينت المقاصدُ والأوصاف والأفعال والطرائق لم يكن هناك إلا النَّفْرَةُ والبعدُ بين القلوب، ويكفي في هذا الحديثُ الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ وتعاطُفِهِمْ كمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ إذا اشْتكى منه عضوٌ تداعى لهُ سائِرُ الجَسَدِ بالحُمَّى والسَّهَر،[1]

فان قيل: فهذا الذي ذكرتم يقتضي أنه إذا أحب شخصٌ شخصاً أن يكون الآخر يحبه فيشتركان في المحبة، والواقعُ يشهد بخلافه، فكم من محبٍّ غير محبوب بل بسيف البغض مضروب، قيل: قد اختلف الناس في جواب هذا السؤال، فأما أبو محمد بن حزم فإنه قال: الذي أذهب إليه أن العشق اتصالٌ بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخلقة في أصل عنصرِها الرفيع، لا على ما حكاه محمد بن داود عن بعض أهل الفلسفة أن الأرواح أكرٌ مقسومةٌ لكن على سبيل مناسبةِ قواها في مقرِّ عالمها العلوي

(١) رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده.

ومجاورتها في هيئة تركيبها . وقد علمنا أن سرّ ٱلتمازج وٱلتباين في ٱلمخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال، فالشكلُ إنما يستدعي شكلَه وٱلمثلُ إلى مثله ساكنٌ . وللمجانسة عملٌ محسوسٌ وتأثيرٌ مشاهَد . وٱلتنافرُ في الأضداد، وٱلموافقةُ في الانداد، وٱلنزاعُ فيما تشابه موجود بيننا، فكيف بالنفس وعالَمُها ٱلعالمُ ٱلصافي الخفيف، وجوهرُها الجوهرُ ٱلصعّادُ ٱلمعتدل، وسِنْخُها ٱلمهيّأُ لقبول الإتفاق وٱلميل وٱلتَّوْق والإنحراف وٱلشهوة وٱلنّفار؟ والله تعالى يقول: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)[1] فجعل عِلّةَ ٱلسكون أنها منه، ولو كان عِلّةَ الحب حسنُ ٱلصورة الجسدية لوجب أن لا يُستحسَن الأنقصُ من ٱلصور، ونحن نجد كثيراً ممن يؤْثِرُ الأدنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محيداً لقلبه عنه، ولو كان للموافقة في الأخلاق لما أحب ٱلمرءُ من لا يساعده ولا يوافقه، فعلمنا أنه شيءٌ في ذات ٱلنفس، وربما كانت ٱلمحبة لسببٍ من الأسباب، وتلك تفنى بفناء سببها .

قال: ومما يؤكد هذا ٱلقول أننا قد علمنا أن ٱلمحبة ضُروب: فأفضلُها محبةُ ٱلمتحابّين في الله عز وجل إما لاجتهاد في ٱلعمل، وإما لاتفاقٍ في أصل المذهب، وإما لفضلِ علمٍ يمنحه الإنسانُ، ومحبةُ ٱلقرابة . ومحبةُ الألفة والإشتراك في ٱلمطالب، ومحبةُ ٱلتصاحب وٱلمعرفة، ومحبةٌ لبرٍّ يضعه ٱلمرء عند أخيه، ومحبةٌ لطمعٍ في

---

(١) سورة الاعراف الاية ١٨٩

جاه المحبوب ، ومحبة المتحابيّن لسرٍّ يجتمعان عليه يلزمهما ستره ، ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من [اتصال] النفوس . وكل هذه الأجناس فمنقضية مع انقضاء عللها ، وزائدة بزيادتها ، وناقصة بنقصانها ، متأكّدة بدنوّها ، فاترة ببعدها ، حاشا محبةِ العشق الصحيح المتمكن من النفس . ثم أورد هذا السؤال[1] قال : والجوابُ أن نفس الذي لا يحب من يُحبه مكتنفةُ الجهات ببعض الأعراض الساترة ، والحُجُب المحيطة بها من الطبائع الأرضية ، فلم تحُسّ بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلّصت لاستويا [في الاتصال والمحبّة][2] ، ونفس المحب متخلِّصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة . طالبة له قاصدة إليه باحثة عنه مشتهية لملاقاته جاذبة [له] لو أمكنها كالمغناطيس والحديد ، وكالنار في الحجر .

وأجابت طائفة أخرى أن الأرواح خُلقت على هيئة الكرة ثم قُسِمت . فأي روحين تلاقيتا هناك وتجاورتا تألفتا في هذا العالم وتحابتا ،

---

(١) يشير الى السؤال الذي تقدم في الصفحة ٨٥ وهو : فان قيل فهذا الذي ذكرتم يقتضي انه اذا احب شخص شخصاً ان يكون الاخر يحبه فيشتركان في المحبة والواقع يشهد بخلافه . وهذا السؤال ليس لفظ ابن حزم وانما اورده المؤلف بالمعنى . وقد قابلنا ما هنا من كلام ابن حزم على كتابه طوق الحمامة المطبوع في مدينة ليدن (١٩١٤ م) واصلحنا عليه بعض الالفاظ .

(٢) زيادة من طوق الحمامة .

وإن تنافرتا هناك تنافرتا هنا ، وإن تآلفتا من وجهٍ وتنافرتا من وجهٍ كانتا كذلك ها هنا ، وهـذا الجواب مبنيٌّ على الأصل الفاسد الذي أصّله هؤلاء أن الأرواح موجودةٌ قبل الأجساد ، وأنها كانت متعارفةً متجاورةً هناك ، تتلاقى وتتعارف وهذا خطأ ، بل الصحيح الذي دلّ عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقةٌ مع الأجساد ، وأن الملك الموكَّل بنفخ الرُّوح في الجسد ينفُخ فيه الرُّوحَ إذا مضى على النطفة أربعةُ أشهر ودخلت في الخامس ، وذلك أول حدوث الرُّوح فيه . ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط ، وأقبحُ منه قولُ من قال : إنها قديمةٌ ، أو توقَّف في ذلك ، بل الصواب في الجواب أن يقال : [إن] المحبة كما تقدَّم قسمان : محبةٌ عرَضيةٌ غرَضيةٌ ، فهذه لا يجب الإشتراك فيها بل يقارنها مَقْتُ المحبوب وبغضُه للمحب كثيراً ، إلا إذا كان له معه غرضٌ نظيرُ غرضه فإنه يحبّه لغرضه منه ، كما يكون بين الرجل والمرأة اللذَيْن لكلٍّ منهما غرضٌ مع صاحبه ، والقسم الثاني محبةٌ رُوحانية سببها المشاكلة والإتفاق بين الرُّوحين ، فهذه لا تكون إلا من الجانبيْن ولا بدّ ، فلو فتّش المحبّ المحبةَ الصادقةَ قلبَ المحبوب لوجد عنده من محبته نظيرَ ما عنده أو دونه أو فوقه .

فصل وإذا كانت المحبةُ من الجانبيْن استراح بها كلٌّ واحدٍ من المحبين ، وسكّن ذلك بعضَ ما به وعدّه نوعاً من الوصال ، وقالت امرأةٌ من العرب :

حَجَجت ولم أَحْجُج لذنبٍ عملته ... ولكن لتعدِيني على قاطع الحبْلِ

ذهبتَ بعقلي في هواه صغيرةً ... وقد كبرت سِنّي فرُدَّ به عقلي

وإلا فسوّ الحبَّ بيني وبينه ... فإنك يا مولاي توصفُ بالعدل

وقال آخر:

فيا ربِّ أشغلها بحبي كما بها ... شَغَلتَ فؤادي كي يخفّ الذي بيا

وقالت امرأةٌ تعاتب بعلَها: أسأل الذي قسم بين العباد معايشهم أن يَقْسِم الحبَّ بيني وبينك. ثم أنشدت:

أدعو الذي صَرَف الهوى ... مني إليكَ ومنكَ عني

أن يبتليك بما أبتلا ... ني أو يسلَّ الحبَّ مني

وقال آخر:

فيا رب إن لم تَقْسِمِ الحبَّ بيننا ... بشَطْرَين فاجعلني علَى هجرها جَلْدا

وأعقبنيَ السُّلوانَ [عنها] ورُدَّ لي ... فؤاديَ من سلْمى أُثبْكَ به حَمْدا

وقال أبو الهذيل العلاَّف: لا يجوز في دَوْر الفلك ولا في تركيب الطبائع ولا في الواجب ولا في الممكن أن يكون محبٌّ ليس لمحبوبه إليه ميل، وإلى هذا المذهب ذهب أبو العباس الناشئ حيث يقول:

عيناكِ شاهِدَتان أنكِ من ... حرّ الهوى تجدين ما أَجِدُ

بكِ ما بنا لكنْ علَى مَضَضٍ ... تتجَلَّدين وما بنا جلَد

وقال أبو عُيَيْنة:

تبيتُ بنا تَهْذِي وأهذي بذكرها ... كلانا يقاسي الليلَ وهْوَ مُسَهَّد

وما رَقَدَتْ إلا رأتني ضجيعها كذاك أراها في الكرى حين أرقد
تقرُّ بذنبي حين أغفو ونلتقي وأسألها يقظان عنه فتجحدُ
كلانا سوآءٌ في الهوي غير أنها تجلَّدُ أحيانًا وما لي تجلُّد

وقال عُرْوَةُ بن أُذَيْنَة :

إن التي زَعَمَتْ فؤادك ملَّها خُلِقَتْ هواك كما خُلقت هوًى لها
فبك الذي زَعَمَتْ بها فكلاكما أبدى لصاحبه الصَّبابة كلَّها

فإذا تشاكلت النفوس وتمازجت الأرواح وتفاعلت تفاعلت عنها الأبدان، وطلبت نظير الإمتزاج والجوار الذي بين الأرواحِ ، فإن البدن آلة الرُّوح ومركَبُه ، وبهذا ركَّب الله سبحانه شهوة الجماع بين الذكر والأنثى طلبًا للإمتزاج والإختلاط بين البدنين ، كما هو بين الرُّوحين ، ولهذا يسمي جماعًا وخِلاطًا ونكاحًا وإفضآء ، لأن كل واحدٍ منهما يُفضي إلى صاحبه فيزول الفضآء بينهما .

فإن قيل : فهذا يوجب تأكُّد الحبّ بالجماع وقوَّته به والواقعُ خلافهُ فإن الجماعَ يُطفئ نار المحبة ويُبَرّد حرارتها ويسكّن نفسَ المحب ، قيل : الناسُ مختلفون في هذا فمنهم من يكون بعد الجماع أقوى محبةً وأمكنَ وأثبتَ مما قبلَه ، ويكون بمنزلة من وُصف له شيءٌ ملائمٌ فأَحبّه ، فلما ذاقه كان له أشدَّ محبة وإليه أشدَّ اشتياقًا ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عروج الملائكة إلى ربهم أنه سبحانه يسألهم عن عباده — وهو أعلم بهم — فيقولون : [إنهم] يسبحونك

ويحمدونك و يقدّسونك فيقول : وهل رأوني ؟ فيقولون : لا فيقول : فكيف لو رأوني ؟ فتقول الملائكة : لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتقديساً وتمجيداً ثم يقولون : ويسألونك الجنة فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا فيقول : فكيف لو رأوها : فتقول الملائكة : لو رأوها لكانوا أشدَّ لها طلباً وذكر الحديث[1] ومعلومٌ أن محبةَ من ذاق الشيء الملائمَ وعدِمَ صبرَه [عنه] أقوى من محبة من لم يَذُقْه ، بل نفسه مفطومةٌ عنه ، والمودَّةُ التي بين الزوجين والمحبةُ بعد الجِماع أعظمُ من التي كانت قبله . والسببُ الطبيعي أن شهوة القلب ممتزجةٌ بلذة العين ، فإذا رأت العينُ اشتهى القلب ، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمع شهوةُ القلب ولذةُ العين ولذة المباشرة ، فإذا فارق هذه الحال كان نِزَاعُ نفسه إليها أشدَّ ، وشوقُه إليها أعظمَ كما قيل :

وأكثرُ ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دنت الديارُ من الديار

ولذلك يتضاعف الألم والحسرة عَلَى من رأى محبوبه أو باشره ثم حِيلَ بينه و بينه ، فتضاعفُ أَلَمِه وحسرته في مقابلة مضاعفة لذة من عاوده ، وهذا في جانب المرأة أقوى فإنها إذا ذاقت عُسَيْلَةَ الرجل ولا سيما أول عُسَيْلَة لم تكد تصبر عنه بعد ذلك ، قال أيمن بن خُرَيم :

يميت العتابَ خِلاطُ النساء ويُحيي اجتنابُ الخِلاط العتابا

و تزوج زهير بن مسكين الفهري جارية ولم يكن عنده ما يرضيها به ،

---

(١) رواه البخاري مطولاً ومسلم والامام احمد .

فلما أمكنته من نفسها لم ترَ عنده ما ترضى به فذهبت ولم تعُدْ ، فقال في ذلك أشعاراً كثيرة منها :

تقول وقد قَبَّلْتُهَا ألف قُبْلةٍ كفاكَ أما شيءٌ لديك سوى ٱلقُبَلْ

فقلت لها حبٌّ عَلَى ٱلقلبِ حفظهُ وطولُ بكآءٍ تستفيض له ٱلمُقَل

فقالت لعمر الله ما لذة ٱلفتى من ٱلحب في قول يخالفه ٱلفعل *

وقال آخر :

ولما شكوتُ ٱلحبَّ قالت كذبتَني فكم زورةٍ مني قصدتُك خاليا

فما حلَّ فيها من إزارٍ للذةٍ فعدتُ وحاجاتُ ٱلفؤآد كما هيا

وهل راحةٌ للمرء في وِرد منهَلٍ ويَرْجِعُ بعدَ ٱلوِرْد ظمآنَ صاديا

وقال ٱلعباس بن الأحنف :

لم يَصْفُ وصلٌ لمعشوقَيْن لم يذُقا وصلاً يُحِلّ عَلَى كل اللذّاذات *

وقد كشف ٱلشاعر سبب ذلك حيث يقول :

لو ضَمَّ صبٌّ إلفه ألْفاً لما أجدى وزادت لوعةٌ وغرامُ

أرواحهم من قبل ذاك تآلفتْ فتآلَفَتْ من بعدها الأجسام

وقال ٱلمؤلف :

سأَلتُ فقيهَ ٱلحبِّ عن علة ٱلهوى وقلتُ له أشكو إلى ٱلشيخ حاليا

فقال دوآءُ ٱلحب أن تُلصِقَ ٱلحشا بأحشاء من تهوى إذا كنتَ خاليا

وتَتَّحدا من بعد ذاك تعانقاً وتَلْثَمه حتى يُرى لك ناهيا

فتقضيَ حاجاتِ ٱلفؤآد بأسرها عَلَى الأمن ما دام ٱلحبيبُ مؤاتيا

إذا كان هذا في حلالٍ فحبذا وصالٌ به الرحمنُ تلقاه راضيا

وإن كان هذا في حرامٍ فإنه عذابٌ به تلقى العنا والمكاويا *

وقال ابن الرومي :

أُعانقُها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليها وهل بعد العناق تداني

وألثمُ فاها كي تزول صبابتي فيشتدُّ ما ألقى من الهيمان

ولم يكُ مقدارُ الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفُ الشفتان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله سوى أن أرى الرُّوحين تمتزجان (١)

وقال الطبراني في معجمه الأوسط : حدثنا بكر بن سهل : حدثنا عبد الله بن يوسف : حدثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن مَيْسَرَة ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً قال : يا رسول الله عندنا يتيمة قد خطبها رجلان موسِرٌ ومعسِرٌ ، وهي تهوى المعسِرَ ، ونحن نهوى الموسِرَ ، : فقال : لَمْ يُرَ للمتحابّينَ مثلُ التزويجِ . قال أبو القاسم الطبراني : لم يروِه عن طاوس إلا إبراهيم ، ولا رواه عن إبراهيم إلا محمد بن مسلم ، وسفيان الثوري ، تفرد [به] مؤمَّل بن إسماعيل عن الثوري انتهى . وقد رواه أبو الفرج ابن الجوزي من حديث حسَّان بن بِشْر : حدثنا أحمد بن حَرْب : حدثنا ابن عُيَيْنة : حدثنا عمرو ، عن جابر فذكره . وقال المعافى بن عِمْران : حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن سليمان بن موسى ، عن عمرو ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . وحدثنا علي بن

(١) تقدمت هذه الابيات في الصفحتين ٣٦ و٣٧

حرب الطائي: حدثنا ابن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس.
وذكره الدارقطني في كتاب الغرائب وقال: تفرد [به] يزيد بن مروان، عن عمرو بن هرون، عن عثمان بن الأسود المكي، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس.

وقالت هند بنت المهلب: ما رأيت لصالحي النسآء وشرارهن خيراً من إلحاقهن بمن يسكن إليه من الرجال، ولرب مسكونٍ إليه غير طائل والسكن على كل حالٍ أوفق.

وذكر الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: أربعٌ لا يشبعن من أربعٍ: أرضٌ من مطرٍ، وأنثى من ذكرٍ، وعينٌ من نظرٍ، وعالمٌ من علمٍ. وهذا باطلٌ قطعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كثير عن أبي هريرة رضي الله عنه[1]. وذكر الطبراني في معجمه الأوسط من حديث ابن عمر يرفعه: فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر المخيط في الطين إلا أن الله سترهن بالحيآء وقال: لم يروه عن ليث إلا أبو المسيب[2] سلم بن سلام عن سويد عن عبد الله بن أسامة

---

(١) نقل في طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى هذا الحديث من رواية الحاكم ايضاً عن عائشة رضي الله عنها لا عن أبي هريرة وفي سنده عبد السلام بن عبد القدوس ونقلنا في التعليق عليه من تهذيب التهذيب قول أبي حاتم في عبد السلام: يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به منها حديث اربع لا يشبعن من اربع الخ ثم قال: هذا منكر.

(٢) في الاصل: المثيب، وفي ن: المنيب والتصويب من تهذيب التهذيب والتقريب.

عن يعقوب بن خالد عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما . قلت وهذا أيضاً لا يَصِحُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده مظلم لا يحتج بمثله .

فصل ورأت طائفةٌ أن الجماع يُفسد العشقَ ويُبطله أو يُضعفه ، واحتجت بأُمور منها : أن الجماع هو الغاية التي تُطْلَب بالعشق فما دام العاشقُ طالباً فعشقه ثابتٌ ، فإذا وصل إلى الغاية قضى وطَرَه ، وبَرَدَت حرارةُ طلبه ، وطَفِئَتْ نارُ عشقه ، قالوا : وهذا شأن كل طالبٍ لشيءٍ إذا ظَفِر به ، كالظمآن إذا رَوِيَ والجائع إذا شَبِع ، فلا معنى للطلب بعد الظفر . ومنها أن سبب العشق فكريٌّ وكلما قَوِيَ الفكرُ زاد العشق ، وبعد الوصول لا يبقى الفكر ، ومنها أنه قبل الظفر ممنوعٌ والنفسُ مُولَعَةٌ بحبّ ما مُنِعَتْ منه كما قال(١) :

وزادني كَلَفاً في الحبّ أن مُنِعَتْ أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

وقال الآخر :

لولا طِرادُ الصيدلم تكُ لَذَّةٌ فتَطارَدي لي بالوصال قليلا

قالوا : وكانت الجاهلية الجهلاء في كفرهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقابا ، وكانوا يصونون العشق عن الجماع ، كما ذُكر أن أعرابياً عَلِق امرأةً فكان يأتيها سنين وما جرى بينهما ريبة ، قال : فرأيت ليلةً بياض كفّها

---

(١) هو الاحوص . ورواية العجز في الاغاني : وحَبُّ شيءٍ الى الانسان ما منعا

في ليلةٍ ظلماءَ فوضعتُ يدي عَلَى يدها فقالت: مَهْ لا تفسد ما صَلُح فإنه ما نكح حبٌّ إلا فسد · فأخذ ذلك المأمون فقال:

ما الحبّ إلا نظرةٌ — وغمزُ كفٍّ وعَضُدْ
أو كُتُبٌ فيها رُقًى — أجلّ من نفث العُقَدْ
ما الحبّ إلا هكذا — إن نُكِحَ الحبُّ فَسَدْ
من كان هذا حبه — فإنما يبغي الوَلَدْ

* قال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما تعدون العشق فيكم؟ قالت: العناق
* والضمة والغَمْزَةُ والمحادثة * · وسئل أعرابيٌّ عن ذلك فقال: مصُّ
* الرِّيق، ولثْمُ الشَّفَة، والأخذ من أطايب الحديث* وقال بعضهم: الحبّ يطيب بالنظر ويَفْسُد بالغمز · قال هؤلاء: والحب الصحيح يوجب إعظامَ [المحبوب] وإجلالَه والحياءَ منه، فلا تطاوع نفسه أن يلقي جلباب الحياءَ عند محبوبه، وأن يُلْقِيَهُ عنه · ففي ذلك غاية إذلاله وقهره كما قيل:

إذا كان حظ المرء ممن يُحِبُّه — حراماً فحظي ما يَحِلّ ويَجْمُلُ
حديثٌ كماءِ المُزْنِ بين فُصُوله — عتابٌ به حسن الحديث يُفَصَّلُ
ولَثْمُ فمٍ عذبِ اللِّثاثِ كأنما — جناهن شهد فُتَّ فيه القَرَنْفُلُ
وما العشق إلا عفةٌ ونزاهةٌ — وأنسُ قلوبٍ أُنْسُهن التغزُّلُ
وإني لأستحيي الحبيبَ من التي — تَرِيبُ وأُدعى للجميل فأُجْمِلُ

وزعم بعضهم أنه كان يُشْرَط بين العشيقة والعاشق أنّ له من نصفها

ٱلأَعلى إلى سُرَّتها ينال منه ما يشاء من ضمٍ وتقبيل ورَشْف ، وٱلنصفُ ٱلأَسفل يَحْرُم عليه وفي ذلك قال شاعر ٱلقوم :

فللحبّ شطرٌ مُطلَقٌ من عِقاله ولِلبَعْل شطرٌ ما يُرام مَنيعُ

وقال ٱلآخر :

لها شطرٌ فمن حِلٍّ وَبِلٍّ ونصفٌ كالبَحيرَة ما يُهاج (١)

وهذا كان من دين الجاهلية فأَبطلته ٱلشريعةُ ، وجعلت ٱلشَّطْرين كليهما للبَعْل . وٱلشعرآء قاطبةً لا يرون بالمحادثة وٱلنظر للأَجنبيات بأْساً ، وهو مخالفٌ للشرع وٱلعقلِ فإن فيه تعريضاً للطبع لما هو مجبولٌ عَلَى الميل إليه ، وٱلطبعُ يسْرِق ويَغلِبُ ، وكم من مفتونٍ بذلك في دينه ودنياه . فإن قيل فقد أَنشد ٱلحاكم في مناقب ٱلشافعي له :

يقولون لا تنظُرْ وتلك بليَّةٌ ألا كلُّ ذي عينين لا بدَّ ناظرُ

وليس ٱكتحالُ ٱلعين بالعين ريبةً إذا عفَّ فيما بين ذاك ٱلضمآئر

[فإن صحت عن ٱلشافعي فإنما أَراد ٱلنظر الذي لا يدخل تحت ٱلتكليف ، كنظرة ٱلفجْأَة أَو ٱلنظر المباح . وقد ذهب أَبو بكر محمد بن داودَ ٱلأَصفهانيُّ إلى جواز ٱلنظر إلى من لا يحلُّ له كما سيأْتي كلامه إن شآء الله تعالى . قال أَبو ٱلفرج بن ٱلجوزي وأَخطأَ في ذلك وجرَّ عليه خطأُه

---

(١) البل بالكسر : المباح يقال : حلٌّ بلٌّ وهو إتباع . والبحر : شق الأُذن وكان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة .

اشتهاره بين الناس وافتضاحه . وذهب أبو محمد بن حزم إلى جواز العشق للأجنبية من غير ريبة، وأخطأ في ذلك خطأ ظاهراً فإن ذريعة [العشق] أعظم من ذريعة النظر، وإذا كان الشرع قد حرم النظر لما يؤدي إليه من المفاسد كما سيأتي بيانه إن شاء الله [تعالى] فكيف يجوز تعاطي عشق الرجل لمن لا يحل له؟

والمقصود أن هذه الفرقة رأت [أن] الجماع يفسد العشق فغارت عليه مما يفسده . وإن لم تتركه ديانة . وقيل لبعض الأعراب: ماينال أحدكم من عشيقته إذا خلى بها؟ قال: اللمس والقبل وما يشا كلها . قال: فهل يتطاولان إلى الجماع؟ فقال: بأبي وأمي ليس هذا بعاشق، هذا طالب ولد . ويحكى أن رجلا عشق امرأة فقالت له يوماً: أنت صحيح الحب غير سقيمه — وكانوا يسمون الحب على الخنا الحب السقيم — * وسيأتي تمام الكلام في هذا في باب عفاف المحبين، إن شاء الله تعالى .

وفصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب، ولا بد أن تنتهي المحبة بينهما إلى المعاداة والتباغض والقلى كما هو مشاهد بالعيان، فكل محبة لغير الله آخرها قلى وبغض، فكيف إذا قارنها ما هو من أكبر الكبائر؟ وهذه عداوة بين يدي العداوة الكبرى التي قال الله تعالى فيها: [الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين] (١) وسنذكر إن شاء الله تعالى من ظفر بمحبوبه وترك قضاء

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧

وَطَرِه منه رغبةً في بقاء محبته وخشيةً أن تنقلب قلًى وبغضاً في الباب
الموعود به فإن ذلك أليقُ به . وأما الجماعُ المباحُ فإنه يزيد الحبّ إذا
صادف مرادَ المحبّ ، فإنه إذا ذاق لذّتَه وطَعْمَه أوجب له ذلك رغبةً
أُخرى لم تكن حاصلةً قبل الذّوق . ولهذا لا يكاد البِكْران يصبر أحدُهما
عن الآخر ، هذا ما لم يعرِض للمحبّ ما يُفسده ويُوجب نقلَه إلى غيرِ
المحبوب . وأما ما احتجّ به الآخرون فجوابُه أن الشهوة والإرادة لم
تُطفَأْ نارُها بالكلية ، بل فترت شهوةُ ذلك الوقت ثم تعود أمثالَها ،
وإنما يظهر هذا إذا غاب أحدُهما عن حبيبه ، وإلا فما دام بمرأى منه
وهو قادرٌ عليه متى أحبّ فإن النفس تسكُن بذلك وتطمئن به ، وهذا
حال كلّ من كان بحضرته ما يحتاج إليه من طعامٍ وشرابٍ ولباس
وهو قادرٌ عليه ، فإن نفسه تسكُن [عنده] فإذا حِيل بينه وبينه اشتدّ
طلبه له ونزاعُ نفسه إليه ، علَى أن المحبّ للشيء متى أفرط في تناوُل محبوبه
نَفَرَتْ نفسُه منه ، وربما انقلبت محبّتُه كراهِيَةً . وسيأتي مزيدُ بيانٍ
لهذا في باب سلُوّ المحبين إن شاء الله تعالى .

فصل ودواعي الحبّ من المحبوب جمالُه ، إما الظاهرُ أو الباطن
أو هما معاً ، فمتى كان جميلَ الصورة جميلَ الأخلاق والشّيَم والأوصاف
كان الداعي منه أقوى ، وداعي الحبّ من المحبّ أربعة أشياء :
أوّلها النظر إما بالعين أو بالقلب إذا وُصف له ، فكثيرٌ من الناس

يحب غيره ويفنى فيه محبةً وما رآه لكن وُصفَ له ، ولهذا نهى ٱلنبي صلى الله عليه وسلم ٱلْمَرْأَةَ أَن تَنْعَتَ ٱلْمَرْأَةَ لِزَوْجِهَا حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا (والحديث في ٱلصحيح)[1] ، ٱلثاني ٱلاستحسان ، فإِن لم يورث نظرُه ٱستحسانًا لم تقع ٱلمحبة ، الثالث ٱلفكر في ٱلمنظور وحديثُ ٱلنفسِ بهِ ، فإِن شُغل عنه بغيره مما هو أَهمُّ عنده منه لم يَعْلَقْ حبُّه بقلبه ، وإِن كان لا يعدم خطراتٍ وسوانحَ ، ولهذا قيل : ٱلعشق حركة قلبٍ فارغ . ومتى صادف هذا ٱلنظرُ والإِستحسانُ وٱلفكرُ قلباً خالياً تمكَّن منه كما قيل :

أَتاني هواها قبل أَنْ أَعرِف ٱلهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكَّنا

فإِن قيل : فهل يتوقف عَلَى ٱلطمع في ٱلوصول إلى ٱلمحبوب أَم لا ؟ قيل : ٱلناسُ في هذا عَلَى أَقسام : منهم من يعشق ٱلجمالَ ٱلْمطْلَقَ فقلبُه مُعَلَّقٌ به إِن ٱستقلَّت ركائبُه وإِن حلَّت مضاربُه ، وهذا لا يتوقف عشقُه عَلَى ٱلطمع . ومنهم من يعشق الجمالَ ٱلمقيَّد سواءٌ طَمِعت نفسُه في وصاله أَم لم تطمعِ ، ومنهم من لا يعشق إِلا من طمعت نفسه في وصاله ، فإِن يئس منه لم يعلق حبُّه بقلبه ، والأَقسام ٱلثلاثة واقعةٌ في ٱلناس ، فإِذا وُجد ٱلنظرُ وٱلاستحسانُ وٱلفكرُ وٱلطمعُ هاجت بلابلُه ، وأَمكن من معشوقه مقاتله ، وٱستحكم دآؤه وعجَز عن الأَطباء دواؤه[2]

---

(١) الحديث رواه البخاري وابو داود والترمذي والامام احمد في مسنده ولفظه في رواية البخاري لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها .

(٢) هكذا وردت هاتان الجملتان في النسختين وأرى الصواب ان يقال : امكن معشوقه من مقاتله ، وعجز الاطباء عن دوائه .

تالله ما أسر الهوى من عاشقٍ   إلا وعزَّ على النفوس فكاكه

وإذا كان النظر مبدأ العشق فحقيقٌ بالمطلق أن لا يعرِّض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه، وإذ قد أفضى بنا الكلام إلى النظر فلنذكر حكمه وغائلته.

الباب السادس

في أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ الآية[1] فلما كان غضُّ البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيُباح للمصلحة الراجحة ويحرم إذا خيف منه الفسادُ ولم يعارضه مصلحةٌ أرجحُ من تلك المفسدة لم يأمر سبحانه بغضه مطلقاً بل أمر بالغضّ منه، وأما حفظ الفرج فواجبٌ بكل حال لا يباح إلا بحقه فلذلك عمّ الأمر بحفظه.

وقد جعل الله سبحانه العينَ مرآة القلب، فإذا غضّ العبدُ بصره غضّ القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلبُ شهوته. وفي الصحيح أن الفضل بن عباس رضي الله عنهما كان رديف رسول الله

---

(١) سورة النور الآيتان ٣٠ و ٣١

صلى الله عليه وسلم يوم ٱلنحر من مُزْدَلِفَةَ إلى مِنًى ، فمرّت ظُعُن يجرين فطفق ٱلفضل ينظر إليهنّ فحوّل رسولُ ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم رَأْسَهُ إلى ٱلشّقِ ٱلآخر [١] ، وهذا منعٌ وإنكار بالفعل . فلو كان النظر جائزاً لأقرّه عليه ، وفي الصحيح عنه صلى ٱلله عليه وسلم أنه قال : إنّ ٱللهَ عزّ وجلّ كَتَبَ على ٱبْنِ آدمَ حظَّهُ مِنَ ٱلزِنَى أدركَ ذلكَ لا مَحالَةَ ، فٱلْعَيْنُ تَزْني وَزِنَاهـا ٱلنَّظَرُ ، وَٱللِّسَانُ يَزْني وَزِنَاهُ ٱلنُّطْقُ ، وَٱلرِّجْلُ تَزْني وَزِنَاهَا ٱلْخُطَى ، وَٱلْيَدُ تَزْني وَزِنَاهَا ٱلْبَطْشُ ، وَٱلْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمنّى وَٱلْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ [٢] فبدأ بزنى ٱلعين لأنه أصل زنى ٱليد وٱلرّجل وٱلقلب وٱلفرْج ، ونبه بزنى اللسان بالكلام على زنى ٱلفم بالقُبَل ، وجعل ٱلفرج مصدقاً لذلك إن حقق ٱلفعل أو مكذباً [له] إن لم يُحَقّقْه . وهذا ٱلحديث من أبين الأشياء على أن ٱلعين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها ، ففيه ردٌّ على من أباح ٱلنظر مطلقاً .
وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا عليُّ لا تُتْبِعِ ٱلنَّظْرَةَ ٱلنَّظْرَةَ فإنَّ لكَ ٱلأُولى وليْسَتْ لكَ ٱلثّانِيَةُ [٣] .

ووقعت مسألة : ما تقول ٱلسادة ٱلعلماء في رجل نظر إلى امرأةٍ [نظرةً] فعلق حبُّها بقلبه وٱشتدَّ عليه الأمر ، فقالت له نفسه : هذا كله

---

(١) ذكره البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم (٢) قال الحافظ المنذري وقد اورده بنحوه : رواه مسلم والبخاري باختصار والنسائي وابو داود .

(٣) قال الحافظ المنذري : رواه احمد والترمذي وابو داود .

من أوَّل نظرةٍ فلو أعدْتَ ٱلنظرَ إليها لرأيتَها دون ما في نفسك فسلوتَ عنها ، فهل يجوز له تعمُّدُ ٱلنظر ثانياً لهذا ٱلمعنى ؟

فكان ٱلجواب : الحمد لله لا يجوز هذا لعشرة أوْجُهٍ : أحدها أن ٱللهُ سبحانه أمر بغضّ ٱلبصر ولم يجعل شفاء ٱلقلب فيما حرّمه علَى ٱلعبد ، ٱلثاني أن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم سئل عن نظر ٱلفجْأَة وقد علم أنه يؤَثّر في ٱلقلب فأمر بمداواته بصرف ٱلبصر لا بتكرار ٱلنظر ، ٱلثالث أنه صرّح بأن الأُولى له وليست له ٱلثانية ، ومحالٌ أن يكون [دآؤه مما له و] (١) دوآؤُه فيما ليس له ، الرابع أن ٱلظاهر قوةُ الأمر بٱلنظرة ٱلثانية لا تناقصهُ ، وٱلتجرِبةُ شاهدةٌ به ، وٱلظاهر أن ٱلأمر كما رآه أول مرَّةٍ فلا تحسنُ ٱلمخاطرة بالإعادة ، الخامس أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابُه ، ٱلسادس أن إبليس عند قصده للنظرة ٱلثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسنٍ لِتَتِمّ ٱلبلية ، ٱلسابع أنه لا يُعانُ علَى بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر ٱلشرع وتداوي بما حرّمه عليه ، بل هو جديرٌ أن تتخلف عنه ٱلمعونة ، ٱلثامن أن ٱلنظرة الأُولى سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس ، ومعلومٌ أن ٱلثانية أشدّ سمًّا فكيف يتداوى من ٱلسمّ بالسمّ ؟ ٱلتاسع أن صاحب هذا ٱلمقام في مقام معاملة ٱلحق عزَّ وجلَّ في ترك محبوبٍ كما زعم ، وهو يريد بٱلنظرة ٱلثانية أن يتبيّن حالَ ٱلمنظور إليه ، فإن لم يكن مرضياً تركه ، فإذاً يكون تركه لأنه

---

(١) زيادة من غذآء الالباب للسفاريني .

لا يلائم غرضه لا لله تعالى ، فأين معاملة الله سبحانه بترك المحبوب لأجله؟

العاشر يتبين بضرب مثلٍ مطابقٍ للحال وهو أنك إذا ركبت فرساً حديداً فمالت بك إلى درب ضيقٍ لا ينفذ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج ، فإذا اهمت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل ، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصِح بها وردّها إلى وراء عاجلاً قبل أن يتمكن دخولها ، فإن رددتها إلى ورائها سهل الأمر ، وإن توانيت حتى ولجت وسقتها داخلاً ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها ، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى داخل ؟ فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب ، فإن عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه ، وإن كرر النظر ونقب [عن] محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة ، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال [شجرة الحب] (١) تنمي حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات [والفتن] (١) ويلقي القلب في التلف . والسبب في هذا أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فطلبت المعاودة ، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة ، ولو أنه غض أولاً لاستراح قلبه وسلم ، وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس (٢) ، فإن السهم (٣) شأنه

---

(١) زيادة من غذاء الالباب .

(٢) رواه الامام احمد وسيأتي قريباً

(٣) في النسختين : فان السم ولعل الصواب ما اثبتناه .

أن يسريَ في القلب فيعمل فيه عمل السمّ الذي يُسقاه المسمومُ ، فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولا بدّ .

قال المرّوذيُّ : قلت لأحمد : الرجل ينظر إلى المملوكة . قال : أخاف عليه الفتنة : كم نظرةٍ قد ألقت في قلب صاحبها البلابل . وقال ابن عباس : الشيطان من الرجل في ثلاثة : في نظره وقلبه وذكره ، وهو من المرأة في ثلاثة : في بصرها وقلبها وعَجُزِها .

فصل ولما كان النظرُ من أقرب الوسائل إلى المحرَّم اقتضت الشريعةُ تحريمه ، وأباحته في موضع الحاجة ، وهذا شأن كل ما حرِم تحريمَ الوسائل فإنه يباح للمصلحة الراجحة ، كما حُرّمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلةً إلى التشبُّه بالكفار في سجودهم للشمس ، أُبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح . وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : النظرةُ سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس فمَنْ غضَّ بصرَهُ عن محاسنِ امرأةٍ أورثَ اللهُ قلبَهُ حلاوةً يجدُها إلى يومِ يلقاهُ ، أو كما قال . وقال جريرُ بن عبد الله رضي الله عنهما : سألت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فأمرني أن أصرف بصري[1] ونظرةُ الفجأة هي النظرةُ الأولى التي تقع بغير قصدٍ من الناظر ،

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه مسلم وابو داود والترمذي .

فما لم يعتمده القلب لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تعمداً أثم، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولا يستديم النظر فإن استدامته كتكريره، وأرشد من ابتلي بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته، وقال: إن معها مثل الذي معها[1]، فإن في ذلك التسلي عن المطلوب بجنسه. والثاني أن النظر يثير قوة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أصل كل فتنة كما ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء[2]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: اتقوا الدنيا واتقوا النساء. وفي مسند محمد بن إسحاق السراج من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أخوف ما أخاف على أمتي النساء والخمر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكفر من كفر ممن مضى إلا من قبل النساء، وكفر من بقي من قبل النساء.

فصل وفي غض البصر عدة فوائد: أحدها تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول

---

(١) هذا اللفظ في رواية الخطيب والامر باتيان الأهل في مثل هاته الحال جاء في أحاديث رواها احمد ومسلم وابو داود.

(٢) قال السيوطي: رواه البخاري ومسلم واحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة

له إليه ، وذلك غاية أَلَمه وعذابه ، قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهاةٌ ، فجعلتُ أَنظر إليها وأملأُ عيني من محاسنها فقالت لي : يا هذا ما شأْنك ؟ قلت : وما عليكِ من النظر ؟ فأَنشأَت تقول :

وكنتَ متى أرسلتَ طرفكَ رائداً — لقلبك يوماً أَتْعبَتْكَ المَناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادرٌ — عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرَّمية ، فإن لم تقتله جرحته ، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترْمى في الحشيش اليابس ، فإن لم تُحرقْه كله أحرقت بعضه كما قيل :

كلُّ الحوادث مَبْداها من النظر — ومُعظَمُ النار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرر
كم نظرةٍ فتكَتْ في قلب صاحبها — فتكَ السهام بلا قوسٍ ولا وَتَر
والمرءُ ما دام ذا عينٍ يُقَلّبها — في أعينِ الغيدِ(١) موقوفٌ عَلَى الخطر
يَسُرّ مقلتَه ما ضرَّ مهجته — لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضرر(٢)

والناظر يرْمي من نظره بسهامٍ غرَضُها قلبُه وهو لا يَشْعُرُ ، فهو إنما يرْمي قلبه ولي من أَبيات :

يا رامياً بسهام اللَّحْظِ مجتهداً — أَنتَ القتيلُ بما ترمي فلا تُصبِ
وباعثَ الطَّرف يرْتاد الشفاءَ له — توَقّهُ إنه يأْتيك بالعَطَبِ

---

(١) في ن : في اعين العين

(٢) في ن : جاء بالضرر .

وقال ٱلفرزدق:

تزوَّدَ منها نظرةً لم تَدَعْ له فؤاداً ولم يَشعُرْ بما قد تزوَّدا

فلم أرَ مقتولاً ولم أرَ قاتلاً بغير سلاحٍ مثلَها حين أقصدا

وقال آخر:

ومن كان يُؤْتى من عدوٍّ وحاسدٍ فإني من عيني أُتيتُ ومن قلبي

هما ٱعتوَراني(١) نظرةً ثم فكرةً فما أبقيا لي من رقادٍ ولا لُبِّ

وقال آخر:

رماني بها طَرْفي فلم تخْطِ مقلتي وما كل من يُرمى تصاب مقاتلُهْ

إذا مِتُّ فٱبكوني قتيلاً لطَرْفه قتيلَ صديقٍ حاضرٍ ما يُزايلُهْ

وقال ٱبن ٱلمعتز:

متيمٌ يرعى نجومَ ٱلدُّجى يبكي عليه رحمةً عاذلُهْ

عيني أشاطت(٢) بدمي في ٱلهوى فٱبكوا قتيلاً بعضُه قاتلُهْ

ومثله للمتنبي:

وأنا ٱلذي ٱجتلبَ ٱلمنيةَ طرفُه فمَنِ ٱلمُطالبُ وٱلقتيلُ ٱلقاتلُ

وقال أيضاً:

يا نظرةً نفتِ الرُّقادَ وغادرت في حدِّ قلبي ما بَقِيتُ فلولا

---

(١) اعتوراني: اي تداولاني فيما بينهما.

(٢) أشاط دمَه وبدمه أذهبه أو عمل في هلاكه أو عرّضه للقتل.

كانت من ٱلبَكحلاء سُؤْلي إِنما أَجَلي تَمَثَّل في فؤَادي سُولا

وقال أَيضاً

وُقِيَ ٱلأَميرُ من ٱلعيون[1] فإِنه ما لا يزول ببأسه وسخائه

يستأْسِرُ ٱلبطلَ ٱلكَميَّ بنظرةٍ ويحول بين فؤاده وعزائه

وقال ٱلصوري :

إِذا أَنت لم ترْعَ ٱلبروقَ ٱللوامحا ونمتَ جرى من تحتك ٱلسيلُ سائحا

غرسْتَ ٱلهوى بٱللحظ ثم ٱحتقرته وأَهملتَه مُستأْنِساً متسامحا

ولم تدرِ حتى أَينعت[2] شَجَراتُه وهبّت رياحُ ٱلوجد فيه لَواقحا

فأَمسيتَ تستدعي من ٱلصبر عازباً عليك وتستدني من ٱلنوم نازحا

ودخل أَصبهان مُغنٍ فكان يتغنى بهذين ٱلبيتين :

سماعاً يا عبادَ ٱلله مني وكفُّوا عن ملاحظة ٱلمِلاح

فإِن ٱلحبَّ آخرُه ٱلمنايا وأَوَّلُه شبيهٌ بٱلمُزاح

وقال آخر :

وشادنٍ لما بدا أَسلَمني إِلى ٱلرَّدى

بطَرفه ولطفه وطَرفه لما بدا

أَردتُ أَن أَصيده فصاد قلبي وغدا

---

(١) نسخ في ديوان المتنبي المطبوعة : وقي الامير هوى العيون .

(٢) في ن : اشعبت ولعلها مصحفة من اعشبت

وقال آخرُ يعاتب عينَه :

والله يابصري الجاني على جسدي | لأطفئنَّ بدمعي لوعة الحزن
تالله تطمعُ أن أبكي هوىً وضنىً | وأنت تشبع من غمْضٍ ومن وسن
هيهات حتى ترى طرفاً بلا نظرٍ | كما أرى في الهوى شخصاً بلا بدن

وقال آخر :

يا من يرى سقمي يزيـ | ـدُ وعلّتي أعيتْ طبيبي
لا تعجبنّ فهكذا | تجْني العيونُ على القلوب

وقال آخر :

لواحظُنا تجني ولا علمَ عندنا | وأنفسُنا مأخوذةٌ بالجرائر (١)
ولم أرَ أغبى من نفوس عفائفٍ | تُصَدّق أخبارَ العيون الفواجر
ومن كانت الأجفان حجّابَ قلبه | أذِنَّ على أحشائه بالفواقر (٢)

وقال آخر :

ومستفتحٍ بابَ البلاء بنظرةٍ | تزوّد منها قلبُه حسْرةَ الدَّهْر
فوالله ما تدري أيدري بما جنت | على قلبه أم أهلكتْه وما يدري

وقال آخر :

أنا ما بين عدويـ | ـن هما قلبي وطرفي
ينظر الطرفُ ويهوى الـ | ـقلبُ والمقصودُ حتفي

---

(١) الجرائر : الذنوب والجنايات .

(٢) الفواقر : الدواهي .

وقال الخفاجي[١]

رمتْ عينها عيني وراحت سليمةً ... فمَنْ حاكمٌ بين الكحيلة والعبْرى

فيا طرْفُ قد حذّرتكَ النظرة التي ... خلستْ فما راقبتَ نهياً ولا زجْرا

ويا قلبُ قد أرداك طرفي مرّةً ... فويحك لِمْ طاوعته مرّةً أُخرى

ولي من أبياتٍ لعل معناها مبتكر:

ألم أقل لك لا تَسْرِقْ ملاحظةً ... فسارقُ اللحظ لا ينجو من الدَّرَك[٢]

نصبتُ طرفي له لما بدا شَرَكاً ... فكان قلبيَ أَوْلىٰ منه بالشَّرَك

الفائدة الثانية أنه يورثُ القلبَ نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه و[في] الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمةً تظهر في وجهه وجوارحه. ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: (اللهُ نورُ السمٰوات والأرضِ) عقيب قوله: (قُلْ للمؤمنينَ يغضُّوا مِنْ أبصارِهِم)[٣] وجاء الحديث مطابقاً لهذا حتى كأنه مشتقٌّ منه وهو قوله: النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، فمن غضَّ بصرَه عن محاسن امرأةٍ أورث اللهُ قلبَهُ نوراً. الحديث.

الفائدة الثالثة أنه يُورث صحة الفِراسة فإنها من النور وثمراته،

---

(١) هو عبد الله بن سعيد المعروف بابن سنان الخفاجي وهو غير الشهاب احمد الخفاجي فان هذا متأخر.

(٢) الدَرَك: التبِعة وهي ما يترتب على الفعل من الخير والشر الا ان استعماله في الشر.

(٣) سورة النور الآيتان ٣٣و٢٨

وإذا اُستنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي ، والنظر بمنزلة التنفس فيها ، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه والنفس فيها دائماً تتنفس

وقال شجاع الكرماني : من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته . وكان شجاع لا تخطئ له فراسة والله سبحانه [وتعالى] يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه ، فمن غض [بصره] عن المحارم عوضه الله سبحانه [وتعالى] إطلاق نور بصيرته ، فلما حبس بصره لله أطلق الله [نور] بصيرته ، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته .

الفائدة الرابعة أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ، ويسهل عليه أسبابه ، وذلك بسبب نور القلب ، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات ، وانكشفت له بسرعة ونفذ من بعضها إلى بعض . ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم ، وانسد عليه باب العلم وطرقه .

الفائدة الخامسة أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته ، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة . وفي الأثر : [إن] الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل [القلب] وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه .

قال الحسن : إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين [١] إن ذل المعصية لفي قلوبهم . أبى الله إلا أن يذل من عصاه . وقال بعض الشيوخ : الناسُ يطلبون العزّ بأبواب الملوك ، ولا يجدونه إلا في طاعة الله . ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه [فيه] ، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه [فيه] ، وفيه قسطٌ ونصيبٌ من فعل من عاداه بمعاصيه ، وفي دعاء القنوت : إنه لا يَذِلّ من واليت ، ولا يَعِزّ من عاديت .

الفائدة السادسة أنه يورث القلب سروراً وفرحةً وانشراحاً أعظمَ من اللذّة والسرور الحاصلِ بالنظر ، وذلك لقهره عدوّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه ، وأيضاً فإنه لما كفّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرّةُ نفسه الأمّارة [بالسوء] أعاضه الله سبحانه مسرّةً ولذةً أكملَ منها ، كما قال بعضهم : والله للذّةُ العفة أعظمُ من لذة الذنب . ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها [ذلك] فرحاً وسروراً ولذةً أكملَ من لذّة مُوافقة الهوى بما لا نسبة بينهما ، وها هنا يمتاز العقل من الهوى .

الفائدة السابعة أنه يُخَلِّص القلبَ من أسر الشهوة ، فإن الأسير هو أسيرُ شهوته وهواه ، فهو كما قيل : طليق برأي العين وهو أسير

ومتى أسرت الشهوةُ والهوى القلبَ تمكّن منه عدوُّه وسامه سوءَ العذاب [وصار]

كعصفورةٍ في كف طفلٍ يسومها ... حياضَ الردى والطفلُ يلهو ويلعب [٢]

---

(١) الهملجة : حسن سير الدابة . والطقطقة : حكاية صوت حوافر الدواب . والبراذين : الدواب مفردها برذون .

(٢) في ن : كعصفورة في يد طفل يهينها ... تذوق حياض الموت والطفل يلعب

الفائدة الثامنة أنه يسدّ عنه باباً من أبواب جهنم ، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل ، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول ، فمتى هتك الحجاب ضري على المحظور ، ولم تقف نفسه منه عند غاية ، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها ، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد ، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد[1] ، وإن كان أحسن [منه] منظراً وأطيب مخبرا ، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه .

الفائدة التاسعة أنه يقوّي عقله ويزيده ويثبّته ، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب ، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ، ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره ، قال [الشاعر] :

وأعقل الناس من لم يرتكب سبباً   حتى يفكّر ما تجني عواقبه

الفائدة العاشرة أنه يخلّص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة ، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ، ويوقع في سكرة العشق ، كما قال الله تعالى عن عشاق الصّور (لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون)[2] . فالنظرة كأس من خمر ، والعشق هو سكر ذلك الشراب ، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر ، فإن سكران الخمر

(١) التليد : القديم وضده الطارف .

(٢) سورة الحجر الآية ٧٢

يُفيق ، وسكران ٱلعشق قلَّما يفيق إلا وهو في عسكر الأَموات ، كما قيل :

سكران سكر هوًى وسكر مدامةٍ ومتى إفاقتُه مَن به سُكران ؟

وفوائدُ غضّ ٱلبصر وآفاتُ إرساله أَضعافُ أَضعافِ ما ذكرنا ، وإنما نبَّهنا عليه تنبيهاً ولا سيما ٱلنظر إلى من لم يجعل ٱلله سبيلاً إلى قضاء ٱلوطَر منه شرعاً ، كالمُرْدان ٱلحسان ، فإن إطلاقَ ٱلنظر إليهم ٱلسمُّ ٱلناقع وٱلداءُ ٱلعُضَال . وقد روى ٱلحافظ محمد بن ناصر من حديث ٱلشَّعْبي مُرْسَلاً . قال : قدم وفدُ عبد ٱلقيس عَلَى ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم وفيهم غلامٌ أَمردُ ظاهرُ ٱلوضاءة ، فأَجلسه ٱلنبيُّ صلى الله عليه وسلم وراءَ ظهره وقال : كانَتْ خَطِيئَةُ مَنْ مَضَى مِنَ ٱلنَّظَر . وقال سعيد بن ٱلمسيَّب : إذا رأَيتم ٱلرجل يحدُّ ٱلنظرَ إلى ٱلغلام ٱلأَمرد فاتَّهِموه . وقد ذكر ابن عدي في كامله من حديث بقيةَ عن ٱلوازع عن أَبي سَلَمَةَ عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسولُ ٱللهِ صلى ٱلله عليه وسلم أَن يحدَّ ٱلرجل ٱلنظر إلى ٱلغلام الأَمرد ، وكان إبراهيم ٱلنَّخَعي وسفيانُ ٱلثوريُّ وغيرُهما من ٱلسلَف ينْهَوْن عن مجالسة ٱلمُرْدان . قال ٱلنَّخَعي : مجالستُهم فتنةٌ وإنما هم بمنزلة ٱلنساء . وبالجملة فكم من مُرْسِلٍ لحظاته رجع بجيش صبره مغلولا ، ولم يُقلع حتى تَشَحَّط بينهم قتيلا

يا ناظراً ما أَقلعت لحَظاته حتى تشحَّط[1] بينهن قتيلا

---

(١) تشحط المقتول بدمه : اي تخبط واضطرب وتمرّغ .

الباب السابع

في ذكر مناظرة بين القلب والعين ، ولوم كلٍّ منهما صاحبه والحكم بينهما

لما كانت العين رائداً ، والقلب باعثاً وطالباً ، وهذه لها لذة الرؤية ، وهذا له لذة الظفر ، كانا في الهوى شريكَيْ عِنان . ولما وقعا في العناء ، واشتركا في البلاء ، أقبل كلٌّ منهما يلوم صاحبَه ويعاتبُه ،

فقال القلب للعين : أنتِ الذي سقْتِني إلى موارد الهلكَات ، وأوقعتِني في الحسرات بمُتابعتك اللحظات ، ونزَّهتْ طرفك[1] في تلك الرياض ، وطلبت الشفاء من الحدَق المِراض ، وخالفت قول أحكم الحاكمين ، (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ)[2] وقولَ رسوله صلى الله عليه وسلم : النَّظَرُ إلى المرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، فَمَنْ تَرَكَهُ [من] خَوْفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَثَابَهُ اللهُ إِيماناً يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ (رواه الإمام أحمد) حدثنا هشيم حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن محارب بن دثار ، عن صلة ، عن حذيفة .
وقال عمر بن شبَّة : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا عيينة بن عبد الرحمن القرشي : حدثنا أبو الحسن المدني[3] : حدثنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نَظَرُ الرَّجُلِ فِي مَحَاسِنِ

---

(١) في ن : ونزهت نفسك .

(٢) سورة النور الآية ٣٠

(٣) في ن : المزني .

المرأة سهم من سهام إبليس مسموم، فمن أعرض عن ذلك السهم أعقبه الله عبادة تسره. فمن الملوم سوى من رمى صاحبه بالسهم المسموم؟ أو ما علمت أنه ليس شيء أضر على الإنسان من العين واللسان؟ فما عطب أكثر من عطب إلا بهما، وما هلك أكثر من هلك إلا بسببهما، فلله كم من مورد هلكة أورداه، ومصدر ردى عنه أصدراه، فمن أحب أن يحيى سعيداً أو يعيش حميداً فليغض من عنان طرفه ولسانه ليسلم من الضرر، فإنه كامن في فضول الكلام وفضول النظر. وقد صرح الصادق المصدوق بأن العينين تزنيان وهما أصل زنى الفرج، فإنهما له رائدان، وإليه داعيان، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمر السائل أن يصرف بصره، فأرشده إلى ما ينفعه ويدفع عنه ضرره، وقال لابن عمه علي رضي الله عنه محذراً [له] مما يوقع [في] الفتنة ويورث الحسرة: لا تتبع النظرة النظرة [1]. أوما سمعت قول العقلاء: من سرح ناظره، أتعب خاطره، ومن كثرت لحظاته، دامت حسراته، وضاعت عليه أوقاته [وفاضت عبراته] وقول الناظم:

نظر العيون إلى العيون هو الذي ... جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلا

ما زالت اللحظات تغزو قلبه ... حتى تشحط بينهن قتيلا

وقال آخر:

تمتعتما يا مقلتي بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد

(١) تقدمت هذه الاحاديث في الصفحات ١٠٢ و١٠٤ و١٠٥

أعينيّ[1] كُفّا عن فؤآدي فإنه　　من الظلم سعيُ اثنين في قتل واحد

فصل قالت العين: ظلمتني أولاً وآخرا، وبؤت بإثمي باطناً وظاهرا، وما أنا إلا رسولك الداعي إليك، ورائدك الدالُّ عليك.

وإذا بعثت برائدٍ نحو الذي　　تهوى وتعتبه ظلمت الرائدا

فأنت الملك المطاع، ونحن الجنود والأتباع، أركبتني في حاجتك خيل البريد، ثم أقبلت عليّ بالتهديد والوعيد. فلو أمرتني أن أغلق عليّ بابي، وأرخي عليّ حجابي، لسمعتُ وأطعت، ولما رعيت في الحمى ورتعت. أرسلتني لصيدٍ قد نُصبت لك حبائله وأشراكه، واستدارت حولك فخاخه وشباكه. فغدوت أسيرا، بعد أن كنت أميرا، وأصبحت مملوكاً، بعد أن كنت مليكا. هذا وقد حكم لي عليك سيدُ الأنام، وأعدلُ الحكام عليه الصلاة والسلام حيث يقول: إنَّ في الجسدِ مضغةً إذا صلحتْ صلحَ لها سائرُ الجسدِ، وإذا فسدتْ فسد لها سائرُ الجسدِ، ألا وهيَ القلبُ[2]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: القلبُ ملك والأعضاء جنودُه، فإن طاب الملكُ طابت جنوده، وإذا خبُث الملك خبثت جنودُه. ولو أنعمت النظرَ لعلمت أن فساد رعيتك بفسادك، وصلاحها ورشدها برشادك. ولكنك هلكت وأهلكت رعيتك، وحملت على العين الضعيفة خطيئتك، وأصلُ بليتك أنه خلا منك حبٌّ

---

(١) في الاصل فعيناي وفي ن: اعيناي　(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما

الله وحبُّ ذكره وكلامه وأسمائه وصفاته ، وأقبلتَ على غيره وأعرضتَ عنه ، وتعوَّضت بحب من سواه والرغبة فيه منه . هذا وقد سمعتَ ما قصّ عليك من إنكاره سبحانه على بني إسرائيل استبدالهم طعاماً بطعامٍ أدنى منه ، فذمّهم على ذلك ونعاه عليهم . وقال : (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)[1] فكيف بمن استبدل بمحبة خالقه وفاطره ، ووليّه ومالكِ أمره ، الذي لا صلاح له ولا فلاح ، ولا نعيمَ ولا سرور ، ولا فرحة ولا نجاة ، إلا بأن يوحِّدَه في الحب ويكونَ أحبَّ إليه مما سواه ، فانظر بالله بمن استبدلت ؟ وبمحبة من تعوَّضت ؟ رضيتَ لنفسك بالحبس في الحشّ[2] ، وقلوبُ محبيه تجول حول العرش . فلو أقبلتَ عليه وأعرضتَ عما سواه لرأيت العجائب ، ولأَمِنْتَ من المتالف والمعاطب ، أوَ ما علمتَ أنه خصَّ بالفوز والنعيم ، من أتاه بقلبٍ سليم ، أي سليمٍ مما سواه ، ليس فيه غيرُ حبه واتّباع رضاه . قالت : وبين ذنبي وذنبك عند الناس ، كما بين عمايَ وعماكَ في القياس . وقد قال من بيده أزمَّة الأُمور :(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[3] .

فصل فلما سمعت الكبد تحاوُرَهما الكلام ، وتناوُلَهما الخصام ، قالت : أنتما على هلاكي تَسَاعَدْتما ، وعلى قتلي تعاونتما . ولقد أنصف من حكى مناظرتكما ، وعلى لساني متظلماً منكما :

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١ (٢) الحش مثلثة : المخرج وهو أيضاً البستان وكانوا يقضون حوائجهم في البساتين . (٣) سورة الحج الآية ٤٦

يقول طَرْفي لقلبي هِجتَ لي سَقَماً | والعينُ تزعمُ أن القلبَ أنكاها
والجسمُ يشهد أن العينَ كاذبةٌ | وهي التي هيَّجت للقلب بَلْواها
لولا العيونُ وما يجنينَ من سقمٍ | ما كنتُ مُطَّرَحاً من بعضِ قتلاها
فقالت الكبدُ المظلومةُ اتَّئِدا | قطعتماني وما راقبتما اللهَ

وقال آخر :

يقول قلبي لطرْفي أن بكى جزعاً | تبكي وأنتَ الذي حمَّلتَني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه | بل أنتَ حمَّلتَني الآمال والطَّمَعا
حتى إذا ما خلا كلٌّ بصاحبه | كلاهما بطويل السُّقم قد قنِعا
نادتهما كبدي لا تبْعدا فلقد | قطعتماني بما لاقيتما قِطعا

وقال آخر :

عاتبتُ قلبيَ لما | رأيتُ جسمي نحيلا
فألزم القلبُ طرفي | وقال كنتَ الرسولا
فقال طرفي لقلبي | بل كنتَ أنتَ الدليلا
فقلتُ كُفّا جميعاً | تركتماني قتيلا

ثم قالت : أنا أتولى الحكمَ بينكما . أنتما في البلية شريكا عِنان ، كما أنكما في اللذّة والمسرة فرَسا رهان . فالعينُ تلتذّ ، والقلبُ يتمنّى ويشتهي ، ولهذا قال فيكما القائل :

ولما سلَوْتُ الحبَّ بشَّر ناظري | لقلبي فقال القلبُ لي ولك الهنا
تخلَّصتَ من إحياء ليلكَ ساهراً | وخلَّصتَني من لوعة الهجر والضَّنا

كلانا مُهَنًّا بالبقاء فإن تعد فلا أنت يبقيك الغرام ولا أنا

وإن لم تدرِ كيف كما عنايةُ مقلِّبِ القلوب والأبصار، وإلا فما لكِ من قرّةٍ ولا للقلب من قرار. قال الشاعر:

فوالله ما أدري أنفسي ألومها على الحبّ أم عيني المشومةَ أم قلبي

فإن لُمتُ قلبي قال لي العينُ أبصرت وإن لُمتُ عيني قالت الذنبُ للقلب

فعيني وقلبي قد تقاسمتما (١) دمي فيا ربّ كن عونًا على العين والقلب

قالت: ولما سقيتِ القلبَ ماءَ المحبة بكؤوسك، أوقدت عليه نارَ الشوق فارتفع إليك البخار، فتقاطر منك فشرِقتِ بشربه أوّلاً، وشرِقت بحر ناره ثانياً. قال:

خذي بيدي ثم اكشفي الثوبَ فانظري ضنى جسدي لكنني أتستّر

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها رُوحٌ تذوب فتقطر

قالت: والحاكم بينكما الذي يحكم بين الروح والجسد إذا اختصما بين يديه، فإن في الأثر المشهور: لا تزالُ الخصومةُ يومَ القيامةِ بينَ الخلائقِ حتّى تختصمَ الرُّوحُ والجسدُ فيقولُ الجسدُ للرُّوحِ: أنتَ الذي حرّكتني وأمرتني وصرّفتني، وإلا فأنا لم أكنْ أتحرّكُ ولا أفعلُ بدونِك. فتقولُ الرُّوحُ له: وأنتَ الذي أكلتَ وشربتَ وباشرتَ وتنعّمتَ، فأنتَ الذي تستحقُّ العقوبةَ، فيرسلُ اللهُ سبحانهُ إليهما ملَكاً يحكمُ بينهما فيقولُ: مثلُكما مثلُ مقعدٍ بصيرٍ وأعمى يمشي، دخلا

(١) في ن: قد تقاسمتا. والرواية التي احفظها: فعيني وقلبي في دمي قد تشاركا

بستاناً فقال المقعد للأعمى : أنا أرى ما فيه من الثمار ولكن لا أستطيع القيام ، وقال الأعمى : أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيئاً ، فقال له المقعد : تعال فاحملني فأنت تمشي وأنا أتناول ، فعلى من تكون العقوبة ؟ فيقول : عليهما ، قال : فكذلك أنتما . وبالله التوفيق .

الباب الثامن

في ذكر الشبه التي احتج بها من أباح النظر
الى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح عشقه

قالت هذه الطائفة : بيننا وبينكم الكتاب ، والسنة ، وأقوال أئمة الإسلام ، والمعقول الصحيح .

أما الكتاب فقوله تعالى : (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)[1] وهذا يعم جميع ما خلق الله فما الذي أخرج من عمومه الوجه المليح ؟ وهو من أحسن ما خلق وموضع الإستدلال به والإعتبار أقوى ، ولذلك يسبح الخالق سبحانه عند رؤيته ، كما قال بعض الناظرين إلى جميل الصورة :

ذي طلعةٍ سبحان فالقِ صبحه ... ومعاطف جلت يمينُ الغارس

مرت بأرجاء الخيال طيوفه ... فبكت على رسم السلوّ الدارس

(١) سورة الاعراف الآية ١٨٥

ورؤية الجمال البديع تنطق ألسنة الناظرين بقولهم : سبحان الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، والله تعالى لم يخلق هذه المحاسن عبثاً ، وإنما أظهرها ليستدل الناظر إليها على قدرته ووحدانيته وبديع صنعه ، فلا تعطّل عما خلقت له .

وأما السنة فالحديث المشهور : النظر إلى الوجه المليح[1] عبادة . وفي الحديث الآخر : أطلبوا الخير من حسان الوجوه . وفي هذا إرشاد إلى تصفح الوجوه وتأملها . وخطب رجل امرأة فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها ، فقال : هل نظرت إليها ؟ فقال : لا قال : اذهب فانظر إليها . ولو كان النظر حراماً لما أطلق له أن ينظر فإنه لا يأمن الفتنة .

وأما أقوال الأئمة فحكى السمعاني أن الشافعي [رضي الله عنه] كتب إليه رجل في رقعة :

سل المفتيَ المكيَّ هل في تزاورٍ ونظرةِ مشتاقِ الفؤاد جُناح

فأجابه [الشافعي] :

معاذ إله العرش أن يذهب التقى تلاصقُ أكبادٍ بهن جراح

وذكر الخرائطي هذا السؤال والجواب عن عطاء بن أبي رباح ، وأوّله سألت عطا المكيّ . وذكر الحاكم في مناقب الشافعي رضي الله عنه من شعره :

---

(١) في ن : الجميل .

يقولون لا تنظر وتلك بليّةٌ ألا كلُّ ذي عينين لا بدّ ناظر

وليس اكتحالُ العين بالعين ريبةً إذا عفّ فيما بين ذاك الضمائر

وذكر الإستراباذي في [كتاب] مناقب الشافعي أن رجلاً كتب إلى سعيد بن المسيَّب :

يا سيّد التابعين والبرره نسيتُ في العشق سورة البقره

فكن بفتواك مشفقاً رفقاً باهى بك اللهُ أكرمَ البرره

هل حرّم اللهُ لثم خدّ فتىً أوصافه بالجمال مشتهره

فأجابه سعيد :

ياسائلي عن خفيّ لوعته عليك بالصبر تحمدنَ أثره

ولا تكن طالباً لفاحشةٍ أو كالذي ساق سيله مطره[1]

وراقب الله واخشَ سطوته وخالف الفاسقين والفجره

وقبّل الخد من حبيبك ذا في كل يومٍ وليلةٍ عشره

وقال أبو العباس المبرّد في الكامل : قال أعرابي أنشدنيه أبو العالية :

سألت الفتى المكيّ ذا العلم ما الذي يحلّ من التقبيل في رمضان

فقال لي المكيُّ أما لزوجةٍ فسبعٌ وأما خُلّةٍ فثمان

وذكر أبو بكر الخطيب في كتابٍ رواه مالك عن بعضهم :

أقول لمفتٍ بين مكّة والصفا لك الخيرُ هل في وصلهنّ حرام

وهل في صموتِ الحِجْلِ[2] مهضومة الحشا عِذابِ الثنايا إن لثمتُ أثام

---

(١) في ن : سيله نظره · (٢) الحجل : الخلخال ·

فقال لي ٱلمفتي وسالت دموعُه عَلَى ٱلخدّ من عينيه فهي تُوأمُ
ألا ليتني قبلتُ تلك عشيةً ببطن مِنًى والمحرِمون نيام

وقال الحاكم في كتاب مناقبِ ٱلشافعي: حدثنا أبو ٱلعلآء بن كوشياد ٱلحارثي[١]: أنبأَنا علي بن سليمان الأَخفش، عن محمد بن ٱلجهم قال: سمعت ٱلربيع يقول: حضرت ٱلشافعي بمكة وقد دفع إليه رجلٌ رقعة فيها:

أَقول لمفتي خيْفِ مكة وٱلصفا لك ٱلخير هل في وصلهن حرام
وهل في صُموت ٱلحِجْل مهضومة ٱلحشا عِذابِ ٱلثنايا إِن لَثِمْتُ أَثام

قال فوقّع ٱلشافعي فيها:

فقال لي ٱلمفتي وفاضت دموعُه عَلَى ٱلخدّ من عينٍ وهنّ تُوأَم
أَلا ليتني قبلت تلك عشيةً ببطن مِنًى وٱلمُحْرِمون قيام

وقال عمرو بن سفيان ٱبن ٱبنة جامع بن مُرْخَيَة[٢]

إِنا سأَلنا مالكاً وقرينه ليثَ بن سعدٍ عن لِثَام ٱلوامق
أَيجوز قالا وٱلذي خلق ٱلورى ما حرَّم ٱلرَّحمن قُبلة عاشق

ذكر [ذلك] صاحب كتاب رستاق ٱلاتفاق وهو شاعر ٱلمصريين وأَنشد فيه لعمرو بن سفيان هذا وكتب بها إِلى ٱبن عُيَيْنة

قلنا لسفيان ٱلهلالي مرَّةً أَيحرم ضم ٱلعاشق ٱلمشتاق[٣]

---

(١) في ن: ابو العلآء بن كوشيار الحاري .
(٢) قال في تاج العروس: ومرخية كمحسنة لقب جامع بن مالك بن شداد قال وفي التكملة لقب جامع بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن ابي بكر بن قلاب
(٣) كذا في النسختين .

لحبيبه من بعد نَأْيٍ ناله ... فأجاب لا والواحدِ الخلّاق

وأنشد فيه لجَدّه جامع، وكتب بها إلى علي بن زيد بنِ جُدْعان:

سألنا ابن جُدْعان بن عمرٍ وأخا العلا ... أيحرُم لثمُ الحِبِّ في ليلة القدر

فقال لنا المكيّ وناهيك علمهُ ... ألا لا ومن قد جاء بالشفع والوِتر

وأنشد لإبراهيم بن الدين (١) وكتب بها إلى أبي بكر بن عياش أحد أئمة القرّاء

سألت ابن عيّاشٍ وكان معلّماً ... لك الخير هل في ضمّة الحِبّ من وِزْر

فقال أبو بكر ولا في لِثامه ... ألم يأتِنا التنزيل بالوَضع للإِصر

وأنشد لآخر: وكتب بها إلى الإمام أحمد بن حنبل قال: وزعم

بعضهم أنه إسحاق بن مُعاذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته:

سألتُ إمام الناس نجْلَ بن حنبلٍ ... عن الضمّ والتقبيل هل فيه من باس

فقال إذا جلّ العزآء فواجبٌ ... لأنك قد أحييت عبداً من الناس

وأنشد لابن مُرْخِيَةَ، وكتب بها إلى أبي حنيفة:

كتبتُ إلى النُّعمان يوماً رسالةً ... نسائله عن لَثْم حِبٍّ ممنَّع

فقال لنا لا إثْم فيه وإنه ... شهيٌّ إذا كانت لعشرٍ وأربع

وكتب رجل إلى [أبي] جعفر الطحاوي:

أبا جعفرٍ ماذا تقول فإنه ... إذا نابنا خَطْبٌ عليك المعوّل

فلا تُنكِرَنْ قولي وأبشر برحمة الـ ... إله عن الأمر الذي عنه نسأل

---

(١) هكذا هو في الاصل، وفي ن: ابراهيم بن المدبني وسيأتي أيضاً في الباب التاسع وهو هناك في نسخة الاصل: ابن المدين وفي ن: ابن المنذر.

أَبِالْحب عارٌ أم من الْحب مهربٌ ... وهل من لَحَا أهلَ الصبابة يَجْهل

وهل بمباحٍ فيه قتلُ متيَّمٍ ... يهاجره أحبابُه وهو يوصل

فرأيُكَ في ردّ الجواب فإنني ... بما فيه تقضي أيها الشيخ أَفعل

فأَجابه الطَّحاوي :

سأقضي قضاءً في الذي عنه تَسأَل ... وأَحكمُ بين العاشقين فأَعدل

فديتك ما بالحب عارٌ علِمْتُه ... وللعار تركُ الحب إن كنت تعقل

ومهما لحا في الحبّ لاحٍ فإنه ... لعمرك عندي من ذوي الجهل أَجهل

وليس مباحاً عندنا قتلُ مسلمٍ ... بلا تِرَةٍ[1] بل قاتلُ النفس يُقْتَل

ولكنه إن مات في الحبّ لم يكن ... له قَوَدٌ فيه ولا عنه يُعْقَل[2]

وصالُك من تهوى وإن صدّ واجبٌ ... عليك كذا حكمُ المتيَّم يفعل

فهذا جوابٌ فيه عندي قناعةٌ ... لما جئت عنه أيها الصبّ تسأَل

ويكفي أَن المعتزلة من أَشد الناس تعظيماً للذنوب، وهم يخلّدون أَصحابَ الكبائر ولا يرَوْن تحريمَ ذلك، كما ذكره الحافظ أَبو القاسم ابن عساكر في تاريخه المشهور لبعض المعتزلة :

سأَلنا أَبا عثمان عمْراً وواصلاً ... عن الضمّ والتقبيل للخدّ والجيد

فقالا جميعاً والذي هو عادلٌ ... يجوز بلا إثمٍ فدع قول تفنيد .

---

(١) التِرَة : الذَّحْل اي الثأر عامةً او الظلم فيه .

(٢) القوَد : القصاص والعقل الدية وقد عقل عنه : اي غرم عنه ما لزمه من دية وجناية .

وقال إسحاق بن شبيب :

سألنا شيوخَ ٱلواسطيِّن كلَّهم عن ٱلرَّشفِ وٱلتقبيل هل فيهما إثمُ

فقالوا جميعاً ليس إثمًا لزوجةٍ ولا خُلَّةٍ وٱلضمُّ من هذه غُنْمُ

وأنشد أبو ٱلحسن علي بن إبراهيم بنِ محمد بن سعد ٱلخير في كتابه شرح ٱلكامل :

فلما أن أُبيح لنا ٱلتلاقي تعانقنا كما ٱعْتنق ٱلصديقُ

وهل حرَجاً تراه أو حراماً مَشُوقٌ ضمَّه صبٌّ مَشُوقُ

وقال ٱلخطيب في تاريخ بغداد : حدثنا أبو ٱلحسن عليّ بن أيوب بن ٱلحسن إملاءً : حدثنا أبو عبد ٱلله ٱلمرْزُباني وٱبن حيُّويه وٱبن شاذان قالوا : حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عُرْفة نِفْطَوَيْه بقُرْطُبَة قال : دخلت علَى محمد بن داود الأَصبهاني في مرضه ٱلذي مات فيه فقلت له : كيف تجدُك ؟ قال : حبّ من تعلم أورثني ما ترى فقلت له : ما منعك عن الإستمتاع به مع ٱلقدرة عليه ؟ قال ٱلإستمتاع علَى وجهين : أحدُهما ٱلنظرُ ٱلمباح ، وٱلثاني ٱللذّة ٱلمحظورة ، فأَما ٱلنظر ٱلمباح فأورثني ما ترى ، وذكر ٱلقصة . وسيأْتي في باب عفاف ٱلعشاق . وٱلمقصود أنه لم يرَ ٱلنظرَ إلى معشوقه ولا عِشْقَه حراماً . وجرى علَى هذا ٱلمذهب أبو محمد بن حزْم في كتاب طوق ٱلحمامة له . قالوا : ونحن نحاكمكم إلى واحدٍ يعَدّ بآلاف موئلفة ، وهو شيخ ٱلإسلام ٱبنُ تيمية فإنه سئل : ما تقول ٱلسادة ٱلفقهاء رضي ٱلله عنهم في رجلٍ عاشقٍ في صورة وهي

مُصِرّة عَلَى هجره منذ زمنٍ طويلٍ لا تزيده إلا بعداً ، ولا يزداد لها إلا حباً ، وعشقه لهذه الصورة من غير فسقٍ ولا خنى ، ولا هو ممن يُدَنِّسُ عشقه بزنى ، وقد أفضى به الحالُ إلى الهلاك لا محالة ، إن بقي مع محبوبه عَلَى هذه الحالة ، فهل يحِلّ لمن هذه حاله أن يُهْجَر ؟ وهل يجب وصاله عَلَى المحبوب المذكور ؟ وهل يأثم ببقائه عَلَى هجره ؟ وما يجب من تفاصيل أمرهما ؟ وما لكل واحدٍ منهما عَلَى الآخر من الحقوق مما يوافق الشرع [الشريف] ؟

فأجاب بخطه بجوابٍ طويل قال في أثنائه : فالعاشقُ له ثلاثُ مقامات : إبتداءٌ ، وتوسطٌ ، ونهاية . أما ابتداؤه فواجبٌ عليه فيه كتمانُ ذلك وعدمُ إفشائه للخلق ، مراعياً في ذلك شرائطَ الفتُوّة من العفة مع القدرة ، فإن زاد به الحال إلى المقام الأوسط فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه ، فيخفّ بإعلامه وشكواه إليه ما يجد منه ، ويحذر من إطلاع الناس عَلَى ذلك ، فإن زاد به الأمرُ حتى خرج عن الحدود والضوابط التحق بالمجانين والموسوسين . فانقسم العشاق قسمين : قسمٌ قنِعوا بالنظرة بعد النظرة ، فمنهم من يموت وهو كذلك ولا يُظهِر سرّه لأحدٍ ، حتى محبوبُه لا يدري به ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ عَشِقَ فعفّ فكتمَ فماتَ فهوَ شهيدٌ [1] ، والقسمُ الثاني أباحوا

---

(١) قال محمد القاوقجي في كتابه اللؤلؤ المرصوع عند الكلام على هذا الحديث ما ملخصه : يروى من طريق سويد الانباري وهو مما انكره ابن معين وغيره قال —

لمن وصل إلى حدٍّ يخاف عَلَى نفسه منه ٱلقُبْلَةَ في ٱلحين ، قالوا لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك ٱلنفس ، وٱلقُبلَةُ صغيرةٌ وهلاكُ ٱلنفس كبيرة .
وإذا وقع ٱلإنسان في مَرَضَين داوى ٱلأَخطر ولا خطرَ أَعظمُ من قتل ٱلنفس حتى أوجبوا علَى ٱلمحبوب مطاوعته عَلَى ذلك إذا علم أَن ترك ذلك يؤدي إلى هلاكه ، وٱحتجوا بقول ٱللّٰه تعالى : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)[١] وبقوله تعالى : (ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَآئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ)[٢] وبحديث ٱلذي قال : يا رسول ٱللّٰه إني لقيت أُمرأَةً أجنبيةً فأَصبت منها كلَّ شيْءٍ إلَّا ٱلنكاح ، قال : أَصَلَّيت معنا ؟ قال : نعم ، قال : إن ٱللّٰه قد غفر لك[٣] فأَنزل ٱللّٰه تعالى : (وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ ٱللَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ)[٤] ثم قال : فإن كان هذا ٱلسائلُ كما زعم ممن لا يدنس عِشقَه

ـ السخاوي : ولكنه لم ينفرد به سويد فقد رواه الزبير بن بكار بسند صحيح . وقال السيوطي أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور والخطيب .

(١) سورة النسآء الآية ٣١

(٢) سورة النجم الآية ٣٢

(٣) أخرجه الترمذي بنحوه وفي إسناده قيس بن الربيع ضعفه وكيع وابن المديني وقال ابن معين : ضعيف الحديث لا يساوي شيئاً . ورواه الترمذي ايضاً من طريق آخر وقال : هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ وكذا قال ابن المديني وابن خزيمة : لم يسمع من معاذ بن جبل رضي الله عنه . اه ملخصاً من تفسير الخازن وتهذيب التهذيب .

(٤) سورة هود الآية ١١٤

بزِنى ، ولا يَصْحبه بخنى فَيَنْظُرُ في حاله ، فإن كان من ٱلطبقة ٱلأُولى فٱلنظر كافٍ لهم إن صدقت دعواهم ، وإن كان من ٱلطبقة ٱلثانية فلا بأس بشكواه إلى محبوبه كي يرِقَّ عليه ويرحَمه ، وإن غلب عليه ٱلحال فٱلتحق بالثالثة أُبيح له ما ذكرنا بشرط أن لا يكون أُنْمُوذَجاً لفعل ٱلقبيح ٱلمحرَّم ، فيلتحق بٱلكبائر ويستحق ٱلقتل عند ذلك ويزول عنه ٱلعذر ويحقّ عليه كلمةُ ٱلعذاب . انتهى ما ذكرناه من جوابه .

قالوا : وقد جوّزت طآئفة من [فقهآء] ٱلسلف وٱلخلف [وٱلعلمآء] ٱستمنآء ٱلإِنسان بيده إذا خاف ٱلزنى ،[1] وقد جوّزت طآئفةٌ من ٱلفقهآء لمن خاف عَلَى نفسه في ٱلصوم ٱلواجب من شدَّة ٱلشّبق أن تنشقق أُنْثَياه أن يجامع ٱمرأته ، وبنوْا عَلَى ذلك فرعاً وهو إذا كان له ٱمرأتان حائضٌ وصآئمة فهل يطأُ هذه أو هذه عَلَى وجهين [ولا ريب] أن ٱلنظر وٱلقُبلة

---

(١) لقد جوز العلماء رحمهم الله ذلك لمن خشي على نفسه الزنى لعظم مفاسده الدينية والصحية والاجتماعية ، وخصوصاً في هذا العصر الذي توفرت فيه — بفضل المدنية الحديثة — أسباب العهر والفجور . ولا يظنن بالعلماء ظانٌّ أنهم أطلقوا القول في الجواز إطلاقاً يبيح للانسان استعمال هذه العادة السيئة كما اراد وانما هم أباحوا ذلك عند خوف الوقوع في الفاحشة والعياذ بالله تعالى . ولا يباح الا بالقدر الذي تزول به هـذه الحاجة ، بعد تعاطي الامور المعينة على اطفاء نار الشهوة كالصوم واجتناب كل ما يثيرها من نظر وقراءة وحديث ولقد نهى الاطباء — وشددوا في النهي — عن تلك العادة وعظموا امرها لما في الافراط فيها من ضنك للجسم ونهك للقوى العقلية والجثمانية . وليس معنى هذا انها اشد ضرراً من الزنى كما فهم بعضهم فليس اضر على البشر عامة من كبيرة الزنى عصمنا الله واياكم مما نهانا عنه .

والوطء

والضم إذا تضمن شفاءه من دائه كان أسهل من الإستمناء باليد والوطي في نهار رمضان . ولا ريب أن الشريعة جاءت بالتزام الدخول في أدنى المفسدتين دفعاً لأعلاهما ، وتفويت أدنى المصلحتين تحصيلاً لأعلاهما، فأين مفسدة النظر والقبلة والضم من مفسدة المرض والجنون أو الهلاك جملة ؟ فهذا ما احتجت به هذه الفرقة ونحن نذكر ما لها وما عليها في ذلك بحول الله وقوته [وعونه] .

الباب التاسع

في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة ومالها وما عليها في هذا الاحتجاج

وشبههم التي ذكروها دائرة بين ثلاثة أقسام: أحدها نقول صحيحة لا حجة لهم فيها ، الثاني نقول [كاذبة] عمن نسبت إليه من وضع الفساق والفجار كما سنبينه ، الثالث نقول مجملة محتملة لخلاف ما ذهبوا إليه .

فأما احتجاجهم بقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ) (١) فهو نظير احتجاجهم بعينه على إباحة السماع الشيطاني الفسقي بقوله تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (٢) قالوا : والقول عام فحملوا لفظه ومعناه ماهو

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٥

(٢) سورة الزمر الآيتان ١٧ و١٨

بريءٌ منه . وإنما ٱلقول هاهنا ما أمرهم ٱلله باستماعه ، وهو وَحيُهُ ٱلذي أنزله عَلَى رسوله وهو ٱلذي قال فيه (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ)[١] وقال تعالى : (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ)[٢] فهذا هو ٱلقول ٱلذي أُمِروا باتباع أحسنه كما قال : (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)[٣] والنظر ٱلذي أَمَرَنا سبحانه به ٱلمؤدِّي إلى معرفته والإيمان به ومحبَّتِهِ والاستدلالِ عَلَى صدق رُسله فيما أخبروا به عنه من أسمآئه وصفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا ٱلنظرُ ٱلذي يوجب تعلُّقَ ٱلناظر بالصورة ٱلتي يَحرُم عليه الاستمتاع بها نظراً ومباشرة ، فهذا ٱلنظر ٱلذي أمر ٱلله سبحانه [وتعالى] صاحبه بغضّ بصره ، هذا مع أن ٱلقوم لم يبتلَوْا بالمُرْدان ، وهم كانوا أشرفَ نفوساً وأطهرَ قلوباً من ذلك ، فإذا أمرهم بغضّ أبصارهم عن ٱلصورة التي تباح لهم في بعض الأحوال خشيةَ الإفتتان ، فكيف النظر إلى صورة لا تباح بحال ؟

ثم يقال لهذه الطائفة : النظر الذي ندب ٱلله إليه نظرٌ يثاب عليه الناظر ، وهو نظرٌ موافق لأمره ، يقصد به معرفةَ ربه ومحبَّتَه ، لا النظرُ الشيطاني .

ويشبه هذا الإستدلال استدلال بعض الزنادقة المنتسبين إلى ٱلفقه عَلَى حلّ ٱلفاحشة بمملوكِ الرجل بقوله تعالى : (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)[٤] ومعتقدُ ذلك كافرٌ حلالُ الدم بعد قيام

---

(١) سورة المؤمنين الآية ٦٨

(٢) سورة القصص الآية ٥١

(٣) سورة الزمر الآية ٥٥

(٤) سورة المؤمنين الآية ٦ وسورة المعارج الآية ٣٠

الحجة عليه ، وإنما تسترت هذه الطائفة لهواها وشهواتها ، وأوهمت أنها تنظر عبرة واستدلالاً ، حتى آل ببعضهم الأمر إلى أن ظنوا أن نظرهم عبادة ، لأنهم ينظرون إلى مظاهر الجمال الإلهي ، ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى عن قول إخوان النصارى يظهر في تلك الصورة الجميلة ، ويجعلون هذا طريقاً إلى الله ، كما وقع فيه طوائف كثيرة ممن يدعي المعرفة والسلوك .

قال شيخنا رحمه الله تعالى:[1] وكفر هؤلاء شر من كفر قوم لوط ، وشر من كفر عباد الأصنام ، فإن أولئك لم يقولوا : إن الله سبحانه يتجلى في تلك الصورة ، وعباد الأصنام غاية ما قالوه : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى)[2] ، وهؤلاء قالوا : نعبدهم لأن الله ظهر في صورهم . وحكى لي شيخنا أن رجلاً من هؤلاء مر به شاب جميل فجعل يتبعه بصره ، فأنكر عليه جليس له وقال : لا يصلح هذا لمثلك ، فقال : إني أرى فيه صفات معبودي وهو مظهر من مظاهر جماله ، فقال : لقد فعلت به وصنعت ، فقال : وإن . قال شيخنا : فلعن الله أمة معبودها موطوؤها . قال : وسئل أفضل متأخريهم العفيف التلمساني فقيل له : إذا كان الوجود[3] واحداً فما الفرق بين الأخت والبنت والأجنبية حتى تحل هذه وتحرم هذه ؟ فقال : الجميع عندنا سواء ولكن هؤلاء

---

(١) مهما قال المؤلف قال شيخنا فالمراد به شيخه ابو العباس احمد بن تيمية

(٢) سورة الزمر الآية ٣ (٣) في ن : الموجود .

المحجوبون قالوا : حرام فقلنا : حرام عليكم [1] . ومن هؤلاء الزنادقة من يخص ذلك ببعض الصور ، فهؤلاء من جنس النصارى بل أهم إخوانهم ، فالنظر عند هؤلاء إلى الصور المحرمة عبادة ، ويشبه أن يكون هذا الحديث من وضع بعض هؤلاء الزنادقة أو مجان الفساق ، وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم بريء منه . وسئل شيخنا عمن يقول : النظر إلى الوجه الحسن عبادة ويروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فهل ذلك صحيح أم لا ؟ فأجاب بأن قال : هذا كذب باطل ، ومن روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أو ما يشبهه فقد كذب عليه صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا لم يروه أحد من أهل الحديث لا بإسناد صحيح ولا ضعيف بل هو من الموضوعات ، وهو مخالف لإجماع المسلمين . فإنه لم يقل أحد إن النظر إلى المرأة الأجنبية والصبي الأمرد عبادة . ومن زعم ذلك : فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، فإن النظر منه ما هو حرام ، ومنه ما هو مكروه ، ومنه ما هو مباح والله أعلم . وأما الحديث الآخر : وهو : أُطْلُبوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ [2] فهذا وإن كان قد روي بإسناد إلا أنه باطل لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو صح لم يكن فيه حجة لهذه الطائفة ، فإنه إنما أمر بطالب الخير منهم لا بطلب وصالهم

---

(١) الظاهر ان هذه الكلمة مكذوبة على العفيف فقد قيل انه كان من كبار الاولياء وحاش لله ان يقول عالم بهذا فضلاً عن ولي .

(٢) أذكر أنني قرأت تفسيراً لهذا الحديث وجيهاً وغالب ظني انه للشريف المرتضى في اماليه وخلاصته اطلبوا الخير من الجهات الحسان وهو من اضافة الصفة الى الموصوف .

ونيل المحرم منهم ، فإن الوجه الجميل مظِنَّة الفعل الجميل ، فإن الأخلاق في الغالب مناسبة للخلقة بينهما نسبٌ قريب وأما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم للخاطب بأن ينظر إلى المخطوبة فذلك نظرٌ للحاجة ، وهو مأمورٌ به أمرَ استحباب عند الجمهور ، وأمرَ إيجابٍ عند بعض أهل الظاهر ، وهو من النظر المأذون فيه لمصلحةٍ راجحة ، وهو دخول الزوج على بصيرة وأبعد من ندمه ونفْرَته عن المرأةَ[1] ، فالنظر المباح أنواعٌ هذا أحدُها بخلاف النظر إلى الصورة المحرَّمة .

فصل وأما ما ذكره السمعاني عن الشافعي رحمه الله تعالى فمن تحريف الناقل . والسائلُ لم يذكر لفظ الشافعي ، والبيتان هكذا هما :

سألت الفتى المكيَّ هل في تزاوُرٍ ونظرةِ مشتاقِ الفؤآد جُناح

فقال معاذ اللهِ أن يُذهبَ التقى تلاصقُ أكبادٍ بهنَّ جِراح

فهذا السائل هو الذي ذكر السؤآل والجواب ، وهو مجهول لا يُعْرَف هل هو ثقة أم لا ؟ ثم إن الجواب لا يدُلّ عَلَى مقصود هذه الفرقة بوجهٍ ما ، بل هو حجةٌ عليها فإنه نهى أن يُذهب التقى تلاصُق هذه الأكباد ، فكأنه قال : لا تتلاصق هذه الأكباد لئلا يُذهب تلاصُقها التقى ، فالتلاصقُ المذكور فاعلٌ ، والتقى مفعولٌ ، فكأنه قال : لا يفعل لئلا يُذهب التلاصقُ التقى . وجوابٌ آخرُ وهو أن هذا التلاصُق إنما يكون

(١) كذا في النسختين ولعل فيه سقطاً مثل ان يقال : ليكون أقرب الى مودته ورحمته ، وأبعد من ندمه الخ

غير مُذهبٍ للتقي إذا كان في عشق مباح بل مستحبّ كعشق الزوجة والأمة[1] .

وأما ما ذكروا عن سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى فقد أجاب عنه سعيدٌ نفسُه ، فإنه لما مرّ به مُرْخِيَةُ هذا السائل — وكان من بني كلاب — قال سعيد : هذا من أكذب العرب قيل : كيف يا أبا محمد قال : أليس الذي يقول ؟

سألت سعيدَ بنَ المُسيّب مفتيَ الـ مدينة هل في حب دَهْماءَ من وِزْرْ

فقال سعيدُ بنُ المسيّب إنما تُلام على ما تستطيع من الأَمْرْ

كذب واللهِ ما سألني عن شيءٍ من هذا قطُّ . ولا أفتيته . وإذا كان هذا جوابَ سعيدٍ في مثل هذا فما جوابُه لمن سأله أن يقبّل حبيباً أجنبياً كلّ يوم وليلةٍ عشرة ؟ فقبّح الله الفسقة الكذّابين على العلماء لا سيما على مثل سعيد ، فهؤلاء كلُّهم فسقةٌ كاذبون أرادوا تنفيق فِسقهم بالكذب على علماء وقتهم ، كما نفّق الفاسقُ أبو نُواس كذبه على إسحاق ابن يوسف الأزرق . قال عبد الله بن محمد بن عائشة : أتيت إسحاق بن

---

(١) ذكر السبكي في الطبقات الكبرى هذه القصة عن الربيع بن سليمان وفيها قال الربيع : فانكرت على الشافعي ان يفتي لحدث بمثل هذا فقلت : يا ابا عبد الله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؟ فقال لي : يا ابا محمد هذا رجل هاشمي قد عرّس في هذا الشهر يعني شهر رمضان وهو حديث السن فسأل هل عليه جناح ان يقبل أو يضم من غير وطء فأفتيته بهذا . قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي انه مثل ما قال الشافعي قال: فما رأيت فراسة أحسن منها .

يوسف الأزرق يوماً فلما رآني بكى قلت: ما يبكيك؟ قال: هذا أبو نواس قلت: ماله؟ قال: يا جارية ائتيني بالقرطاس فإذا فيه مكتوب:

يا ساحرَ المقلتين والجيدِ   وقاتلي منه بالمواعيد
توعدني الوصل ثم تخلفني   ويلاه من مخلفٍ لموعودي (١)
حدثني الأزرق المحدِّث عن   شمرٍ وعوفٍ عن ابن مسعود
لا يُخلف الوعدَ غيرُ كافرةٍ   أو كافرٍ في الجحيم مصفود

كذب والله عليّ وعلى التابعين وعلى الصحابة . ولو صحّ عن سعيد لم يكن لكم فيه حجةٌ فإن سعيداً أمره بالصبر أوّلاً ومراقبة الله وخوفِ سطوته ومخالفةِ الفسقة، ثم أمره بتقبيل خدّ من يحبه كلّ يومٍ عشر مرات، وهذا قطعاً إنما أراد به من يحِلّ [له] تقبيلُه من زوجةٍ أو سُرّية، فأمره أن يعتاض بقبلتها عن قُبلة من لا يحِلّ له، ولا يظُنُّ بعلماء الإسلام غيرَ هذا إلا مُفْرِطٌ في الجهل أو متَّهمٌ على الدين.

وأما ما ذكره المبرّد عن الأعرابي الذي سأل المفتيَ المكّيّ عن القُبلة في رمضان فقال: للزوجة سبعٌ وللخُلّة ثمان فهذا المستفتي والمفتي لا يُعرَف واحدٌ منهما حتى يُقبل خبرُه، ولو صحّ ذلك وعُرف المستفتي والمفتي لكانت الخُلة هي أمَته الجميلة، وهي التي يحِلّ تقبيلُها ثمانياً فأكثر. وأما أن يفتيَ أحدٌ من أهل الإسلام بأنه يحِلّ تقبيلُ المرأة الأجنبية

(١) في ن: مواعيدي.

ٱلمحرَّمة عليه ثمانياً في رمضان [أَو غيره] (١) فمعاذ ٱللهِ من ذلك، وهكذا حكمُ
ٱلأَثر ٱلذي ذكره ٱلخطيب في كتابٍ رواه مالك ولا يُظَن بعالمٍ أَنه تمنَّى أَن
يقبّل أمرأَةً أَجنبيةً وهو محرِمٌ ببطن مِنى، فإِن ٱلقُبلة ٱلمذكورة تعرِّضُ ٱلحجَّ
للفساد وتُبْطله عند طائفة، فإِن صحَّ هذا فإِنما أَراد أمرأَته أَو أَمته.

وأَما ٱلأَثر ٱلذي ذكره ٱلحاكم في مناقب ٱلشافعي رحمه ٱلله تعالى
فليس بين ٱلحاكم وبين ٱلربيع من يحتجّ به. ويدل عَلَى [أَن] ٱلقصة
كذبٌ ظاهرٌ أَن ٱلمستفتيَ زعم أَن ٱلشافعيَّ أَجاب بقوله: فقال ليَ
ٱلمفتي وفاضت دموعُه. وهذا إِنما هو حكاية ٱلمستفتي قولَ ٱلمفتي فَمن
هو ٱلحاكي عن ٱلشافعي؟ فدعوا هذه ٱلأَكاذيبَ وٱلتُّرَّهات.

وأَما ما ذكرتم عن عمرو بن سفيان [ابن بنت جامع] فمن ذكر هذا
عن عمرو [بن سفيان]؟ ومن هو عمرو بن سفيان ابن بنت جامع بن مُرْخِيَةَ
هذا؟ وهذا موضعُ ٱلبيتين ٱلمشهورين:

سأَلنا عن ثُمالة كلَّ حيٍّ ... فقال ٱلقائلون ومَن ثُمالَهْ
فقلت محمدُ بنُ يزيدَ منهم ... فقالوا زدتَنا بهمُ جهالَهْ (٢)

---

(١) زيادة من عندي يقتضيها الكلام وربما كانت من سقطات النسخ.

(٢) قال ابن خلكان في ترجمة المبرد. ثمالة واسمه عوف بن اسلم بطن من الازد، وفي المبرد يقول بعض شعراء عصره وهجا قبيلته بسببه وذكر القالي في الامالي انها لعبد الصمد به المعذل واورد هذين البيتين وبعدهما ثالث قال: ويقال: ان هذه الابيات للمبرد وكان يشتهي ان يشتهر بهذه القبيلة فصنع هذه الابيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار.

وهل يحل لأحدٍ أن يصدِّق عن مالكٍ والليث بن سعد أنهما أجازا تقبيل خدّ المرأة الأجنبية المعشوقة أو خدّ الأمرد الجميل الصورة ؟ هذا وقصةُ مالك مع الذي ضمّ صبياً [إليه] فأفتى بضربه ستمائة سوطٍ فمات ، فقال له أبو الفتى : قتلتَ ابني فقال : قتله الله . فمَنْ هذا تشديدُه وفتواه هل يفتي بجواز تقبيل خدود المُرْد الحسان ؟ نعم ما حرّم الرحمنُ قُبلةَ عاشقٍ يحلّ لمعشوقه مواصلتُه ، ولا قُبلةَ الرجل خدّ ولده كما قبّل الصدّيق رضي الله عنه خدَّ ابنته عائشة رضي الله عنها ، ورأى أعرابيٌّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقبل أحدَ ابني ابنته فقال : وإنكم لتُقبّلون الصبيان؟ إن لي عشرةً من الولد ما قبّلتهم ، فقال : أَوَ أملِكُ [لكَ] إنْ نزعَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قلبِكَ ؟[1]

وأما صاحبُ كتاب رُسْتاق الإتفاق وهو شاعر المصريين فلعمرُ اللهِ لقد أفسدت إذْ أسندت ، فإنه الفاسقُ الماجنُ المسمى أبو الرّقَعْمَق ، ولكن لا يُنكَر هذا المتنُ بهذا الإسناد ، فإنه لا يليق إلا به .

وأما قصةُ إبراهيم بن المدين[2] عن أبي بكر بن عيَّاش فنقلٌ غير مُصَدَّق عن قائلٍ غيرِ معصوم .

---

(١) هذا من حديثين رواهما البخاري ومسلم .

(٢) تقدم القول في هذا الاسم في تعليق الصفحة (١٢٦) وازيد هنا انه كتب في هامش ن : ابراهيم بن المدبر .

وأَما ما ذكروا عن الإمام أَحمد رحمه الله تعالى فوالذي لا إله غيرُه إنه لَمِنْ أَقبح الكذب عليه، ولو أَن هذا الكاذبَ الفاسقَ نفَّق هذه الكَذْبة بغيره لراج أَمرُها بعضَ الرَّواج، ولكن من شدة جهله نفَّقها بأَحمد بن حنبل وهو كمن نسب إليه القولَ بأَن القرآن مخلوق، أَو تقديمَ عليٍّ عَلَى أَبي بكر، أَو تقديمَ الرأْي عَلَى السنة، وأَمثالَ ذلك، وكذلك ما ذُكر عن أَبي حنيفة رحمه الله تعالى، ولو صحَّ لم يكن فيه حجةٌ لهذه الطائفة، فإنه قال: لا إثم فيه إذا كانت لعشرٍ وأَربع، ولم يقل إذا كانت أَجنبية، ونحن نقول بما قال أَبو حنيفة رحمه الله تعالى إذا كان المعشوق حلالاً.

وأَما ما ذُكر عن الطَحاويّ فلا نعلم صحته عنه، و[إن صح] فإنما أَراد [به] التقبيلَ المباح، فإن الرجلَ قد يُبتلى بهجر زوجته أَو أَمته له فيسأَل أَطباءَ الدين وأَطباءَ الجسم وأَطباءَ الحب عن دوائه، فيجيبه كلٌّ منهم بمقتضى علمه وما عنده. وقد شكى مُغيثٌ زوجُ بَرِيرَةَ حبَّه لها فشفع عندها [النبيُّ صلى الله عليه وسلم] أَن تراجعه فلم تفعل[1]، وشكى إليه رجلٌ أَن امرأَته لا تردُّ يدَ لامسٍ فقال: طلِّقها فقال: إني أَخاف أَن تتبعها نفسي، فقال: استمتع بها (ذكره الإمام أَحمد والنسائي) قال بعض أَهل العلم: راعي النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ذكره البخاري وسيأتي قريباً معزوّاً اليه وأحمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

دفعَ أعلى ٱلمفسدتين بأَدناهما ، فإنه لما شكى إليه أَنها لا تَرُدُّ يدَ لامسٍ أَمره بطلاقها ، فلما أَخبره عن حبّها وأَنه يخاف أَن لا يصبِرَ عنها ولعل حبّه لها يدعوه إلى معصيةٍ أَمره أَن يمسكها مداواةً لقلبه ودَفعاً للمفسدة ٱلتي يخافها باحتمال ٱلمفسدة ٱلتي شكى منها . وأَجاب أَبو عبيدة(١) عنه بأَنها كانت لا تَرُدّ يد لامسٍ يطلب منها ٱلعطآء ، فكانت لا تَرُدّ يدَ من سأَلها شيئاً من مال ٱلزوج ، ورُدَّ عليه هذا ٱلتأْويلُ بأَنه لا يقال لطالب ٱلعطآء لامسٌ وإنما يقال له ملتمس . وأَجابت طآئفة أُخرى عنه بأَن طرآن ٱلمعصية عَلَى ٱلنكاح لا توجب فساده . وقال ٱلنسآئي : هذا ٱلحديث مُنكر . وعندي أَن له وجهاً غيرَ هذا كلّه ، فإن ٱلرجل لم يشكُ من ٱلمرأَة أَنها تزني بكل من أَراد ذلك منها ، ولو سأَل عن ذلك لما أَقرّه رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم عَلَى أَن يقيمَ مع بَغِيٍّ ويكون زوجَ بَغِيٍّ ديُّوثاً ، وإنما شكى إليه أَنها لا تجذِبُ نفسها ممن لاعبها ووضع يدَه عليها أَو جذب ثوبها ونحو ذلك ، فإن من ٱلنسآء من تلين عند ٱلحديث وٱللعب ونحوه . وهي حَصانٌ عفيفةٌ إذا أُريد منها ٱلزنى ، وهذا كان عادةَ كثيرٍ من نسآء ٱلعرب ولا يَعُدُّون ذلك عيباً ، بل كانوا في ٱلجاهلية يرون للزوج ٱلنصفَ ٱلأَسفلَ وللعشيق ٱلنصف ٱلأَعلَى

فللحبِّ ما ضَمَّت عليه نقابها ... وللبَعْل ما ضُمَّت عليه ٱلمآزرُ

وٱلمقصود أَن ٱلقوم كانوا مع ٱلعاشق عَلَى معشوقه إذا كان يُباح

---

(١) في ن : ابو عبيد .

له وصاله، وسنذكر ذلك في باب مساعدة العشاق بالمباح من التلاق إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكروا عن شيوخ المعتزلة وشيوخ الواسطيين، فأما [أبو] عثمان المذكور وهو عمرو بن عبيد وواصل وهو واصل بن عطاء وهما شيخا القوم ولو أفتيا بذلك لكانت فتيا من مبتدعين مذمومين عند السلف والخلف، فكيف والمخبر بذلك رجل مجهول من المعتزلة كذب على من يعظمها المعتزلة لينفق فسقه ؟

وأما قصة محمد بن داود الأصبهاني فغايتها أن تكون من سعيه المعفو المغفور، لا من عمله المشكور، وسلط الناس بذلك على عرضه، والله يغفر لنا وله، فإنه تعرض بالنظر إلى السقم الذي صار به صاحب فراش، وهذا لو كان ممن يباح له لكان نقصاً وعيباً، فكيف من صبي أجنبي ؟ وأرضاه الشيطان بحبه والنظر إليه عن مواصلته، إذ لم يطمع في ذلك منه، فنال [منه] ما عرف أن كيده لا يتجاوزه وجعله قدوة لمن يأتم به بعده كأبي محمد بن حزم الظاهري وغيره، وكيد الشيطان أدق من هذا .

وأما أبو محمد فإنه على قدر يبسه وقسوته في التمسك بالظاهر وإلغائه للمعاني والمناسبات والحكم والعلل الشرعية انماع في باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرمة، فوسع هذا الباب جداً وضيق باب المناسبات والمعاني والحكم الشرعية جداً . وهو من الخرافة[1] في الطرفين حين رد

(١) في ن : وهو من الجزافة .

ٱلحديث ٱلذي رواه ٱلبخاريُّ في صحيحه في تحريم آلات اللهو بأنه معلَّق غير مُسْنَدٍ، وخفي عليه أن ٱلبخاريَّ لقي من علّقه عنه وسمع منه، وهو هشام بن عَمَّار وخفي عليه أن ٱلحديث قد أسنده غير واحدٍ من أئمة ٱلحديث غير هشام بن عمار، فأبطل سنةً صحيحةً ثابتةً عن رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم لا مَطْعَنَ فيها بوجهٍ (١).

وأما من حاكمتمونا إليه وهو شيخ الإسلام ٱبن تيمية فنحن راضون بحكمه، فأين أباح لكم ٱلنظرَ ٱلمحرَّم وعشقَ ٱلمُرْدان وٱلنساء الأجانب؟ وهل هذا إلا كذبٌ ظاهر عليه؟ وهذه تصانيفُه وفتاواه كلُّها ناطقةٌ بخلاف ما حكيتموه عنه، وأما ٱلفُتْيا ٱلتي حكيتموها فكذب عليه لا تناسب كلامه بوجه، ولولا الإطالة لذكرناها جميعها حتى يعلم ٱلواقف عليها أنها لا تصدرُ عمن دونه فضلاً عنه، وقلت لمن أوقفني عليها: هذه كذب عليه لا يشبه كلامه، وكان بعض الأُمراء قد أوقفني عليها قديماً وهي بخط رجلٍ متَّهم بالكذب، وقال لي: ما كنت أظن ٱلشيخ برِقَّة هذه ٱلحاشية، ثم تأملتها فإذا هي كذبٌ عليه، ولولا الإطالة لذكرنا من فتاويه ما يبين أن هذه كذب.

وأما ما ذكرتم من مسألة ٱلتزام أدنى ٱلمفسدتين لدفع أعلاهما

---

(١) الحديث الذي يشير اليه هو قوله صلى الله عليه وسلم: ليكونن من امتي اقوام يستحلون الحرَ (اي الفرج) والحرير والخمر والمعازف ولينزلن اقوام الى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولوا ارجع الينا غداً فيبيتهم الله تعالى ويضع العلَمَ ويمسخ آخرين قردةً وخنازيرَ الى يوم القيامة.

فنحن لا ننكر هذه القاعدة بل هي من أصح قواعد [الشريعة] ، ولكن الشأن في إدخال هذه الصورة فيها . بل نحاكمكم إلى هذه القاعدة نفسها فإن احتمال مفسدة ألم الحب مع غض البصر وعدم تقبيل المحبوب وضمه ونحو ذلك أقل من مفسدة النظر والتقبيل ، فإن هذه المفسدة تجر إلى هلاك القلب وفساد الدين ، وغاية ما يقدر من مفسدة [الإمساك] عن ذلك سقم الجسد أو الموت تفادياً عن التعرض للحرام ، فأين إحدى المفسدتين من الأخرى ؟ على أن النظر والقبلة والضم لا يمنع السقم والموت الحاصل بسبب الحب ، فإن العشق يزيد بذلك ولا يزول .

فما صبابة مشتاقٍ على أملٍ من الوصال كمشتاقٍ بلا أمل

ولا ريب في أن محبة من له طمع أقوى من محبة من يئس من محبوبه ، ولهذا قال الشاعر :

وأبرح ما يكون الحب[1] يوماً إذا دنت الديار من الديار

فإن قيل : فقد أباح الله سبحانه للمضطر الميتة والدم ولحم الخنزير ، وتناولها في هذه الحال واجب عليه قال مسروق والإمام أحمد رحمهما الله تعالى : من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل فمات دخل النار ، فغاية النظرة والقبلة والضمة أن تكون محرمة ، فإذا اضطر العاشق إليها فإن لم تكن واجبة فلا أقل من أن تكون مباحة ، فهذا قياس واعتبار صحيح ، وأين مفسدة موت العاشق إلى مفسدة ضمه ولثمه ؟

---

(١) في ن : الشوق .

فالجواب أن هذا يتبين بذكر قاعدة ، وهي أن ٱلله سبحانه وتعالى لم يجعل في ٱلعبد ٱضطراراً إلى ٱلجماع بحيث إن لم يفعله مات ، بخلاف ٱضطراره إلى ٱلأكل وٱلشرب وٱللباس ، فإنه من قِوام ٱلبدن ٱلذي إن لم يباشره هلك ، ولهذا لم يُبِحْ من ٱلوَطْء ٱلحرام ما أباح من تناوُل ٱلغذاء وٱلشراب ٱلمحرَّم ، فإن هـذا من قبيل ٱلشهوة وٱللذة ٱلتي هي تتمةٌ وفَضْلَة ، ولهذا يمكن ٱلإنسانَ أن يعيش طول عمره بغير تزوّج وغير تَسَرٍّ ، ولا يمكنه أن يعيش بغير طعامٍ ولا شرابٍ ، ولهذا أَمر ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم ٱلشبابَ أن يداووا هذه ٱلشهوة بٱلصوم ، وقال تعالى عن عُشّاق ٱلمرْدان : (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَآءِ)[1] فأخبر أن ٱلحامل عَلَى ذلك مجرَّدُ ٱلشهوة لا ٱلحاجةُ فضلاً عن ٱلضرورة ، وٱلشهوةُ ٱلمجرَّدة لا تلتحق بٱلضرورات ولا بٱلحاجات ، وٱلحِميَةُ عنها خشيةَ إفضائها إلى مرضٍ أصعبَ منها جارٍ مجرى ٱلحِمية عن تناول ما يضرّ من ٱلأطعمة وٱلأشربة ، وذلك لا تدعو ٱلضرورةُ إلى تناوُله وإن كانت ٱلنفسُ قد تشتهيه ، فٱلقُبلةُ وٱلنظرُ وٱلضمُّ ونحوُها جارٍ مجرى [تناوُل] ٱلفاكهة ٱلمضرّة وٱلزفر[2] ٱلمضرّ للمحموم ومن به مرض

---

(١) سورة الاعراف الآية (٨١) وسورة النمل الآية (٥٥) بزيادة همزة الاستفهام .

(٢) قال في هامش ن : لا ادري ما اراد بالزفر فان اراد الاطعمة المستعملة بالأدهان كما هو المعروف في التركية فليس ذلك بعربي ولا يوجد في كتب اللغة بهذا المعنى والله اعلم .

يضره معه تناوُل ذلك ، فإذا قال ٱلمريض : أنا [إن] لم أتناول ذلك وإلا خشيتُ ٱلموتَ لم يكن صادقاً في قوله ، وإنما ٱلحاملُ له على ذلك مجرَّدُ ٱلشهوة ، وربما زاد تناوُل ذلك في مرضه ، فٱلطبيبُ ٱلناصح لا يفسح له فيه ، فكيف يفسح ٱلشارعُ ٱلحكيم ٱلذي شريعتُه غايةُ طِبّ ٱلقلوب وٱلأديان وبها تحفظ صحتها وتدفع موادّها ٱلفاسدة في تناوُل ما يزيد ٱلداءَ ويقوّيه ويمدّه ؟ هذا من ٱلمحال ، بل ٱلشريعةُ تأمر بٱلحِمْيَة عن أسباب هذا ٱلداء خوفاً من ٱستحكامه وتَوَلُّدِ داءٍ آخرَ أصعبَ منه .

وأما مسألة من خاف تشقُّق أُنْثَيَيْه وأنه يباح له ٱلوَطْءُ في رمضان فهذا ليس على إطلاقه ، بل إن أمكنه إخراجُ مائه بغير ٱلوَطْء لم يجُزْ له ٱلوَطْءُ بلا نزاع ، وإن لم يمكنه ذلك إلا بٱلوَطْء ٱلمباح فإنه يجري مجرى ٱلإفطار لعذر ٱلمرض ثم يقضي ذلك ٱليوم ، وٱلإفطار بٱلمرض لا يتوقف على خوف ٱلهلاك ، فكيف إذا خاف تلَفَ عُضوٍ من أعضائه ٱلقاتلة[1] بل هذا نظيرُ من ٱشتدّ عطشه وخاف إن لم يشرب أن يحدث له داء من ٱلأدواء : أو يتلف عضوٌ[2] من أعضائه ، فإنه يجوز له ٱلشربُ ثم يقضي يوماً مكانه . فإن قيل : فلو ٱتفق له ذلك ولم يكن عنده إلا ٱلأجنبيةُ هل يباح له وَطْؤُها لئلا تتلف أُنْثَيَاه ؟ قيل : لا يباح له ذلك ، ولكن له أن يخرج ماءه

---

(١) في النسختين : من اعضاء القاتل .

(٢) في ب : أو تلف عضو

* بٱستمنائه * وٱلله أعلم ، وقد سئل أبو ٱلخطاب محفوظ بن أحمد ٱلكَلْوَذاني في رقعة :

قل لأَبي ٱلخطاب نجم ٱلهُدى ... وقُـدْوةِ ٱلعالَم في عصره
لا زلت في فتواك مستأْمناً ... من خُدَعِ ٱلشيطان أو مكره
ماذا ترى في رَشَإٍ أَغْيَدٍ ... حاز ٱللَّمىٰ وٱلدُّرَّ في ثغره
لم يَحْكِهِ بدرَ ٱلتِّمِ في حسنه ... حتى حكى ٱلزُّنبورَ[1] في حُضْره
فهل يجيز ٱلشرعُ تقبيلَه ... لمستهامٍ خاف من وِزره
أم هل عَلَى ٱلمشتاق في ضمّه ... من غير إدناءٍ إلى صدره
إثمٌ إذا ما لم يكن مضمِراً ... غيرَ ٱلذي قدّم من ذكره

فأَجاب :

يا أَيها ٱلشيخُ ٱلأَديب ٱلذي ... قد فاق أَهل ٱلعصر في شعره
تسأَل عن تقبيل بدرِ ٱلدُّجىٰ ... وعَطْفِ زَنْدَيك عَلَى نحره
هل ورد ٱلشرعُ بتحليله ... لمستهامٍ خاف من وِزْره
من قارف ٱلفتنة ثم ٱدّعى ٱلـ ... ـعصمة قد نافق في أمره
هل فتنةُ ٱلمرء سوى ٱلضم وٱلتـ ... ـتقبيل للحِبّ عَلَى ثغره
وهل دواعي ذلك ٱلمشتهَىٰ ... إلا عناقُ ٱلبدر[2] في خِدْره

---

(١) الزنبور : ضرب من الذباب لسّاع وهو أيضاً : الخفيف الظريف السريع الجواب : والحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه . قال ابو نواس من طردية مطلعها : اذا الشياطين رأت زنبوراً : يعطيك أقصى حُضره الموفورا ... شدًّا ترى من همزه الأظفورا

(٢) في هامش ن : الظبي .

وبذ لُه ذاك لمشتاقه ... يزري على هاروت في سِحْره

ولا يجيزُ الشرعُ أسبابَ ما ... يُورِّط المسلمَ في حَظْره [1]

فانجُ ودع عنك صُداع [2] الهوى ... عساك أن تسلمَ من شرّه

هذا جوابُ الكَلْوَذانيّ قد ... جاءك يرجو الله في أجره

فهذا جواب أهل العلم وهو مطابقٌ لما ذكرناه والله تعالى أعلم .

[وسئل الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله بأبيات :

يا أيها العالمُ ماذا ترى ... في عاشقٍ ذاب من الوَجْدِ

من حبّ ظبيٍ أغيدٍ أهيف ... سهلِ المحيّا حسنِ القدّ

فهل ترى تقبيلَه جائزاً ... في الفم والعينين والخدّ

من غير ما فحشٍ ولا ريبةٍ ... بل بعناقٍ جائزِ الحدّ

إن كنت ما تفتي فإني إذاً ... أصيح من وجدي وأستعدي

فكتب رحمه الله تعالى الجواب :

ياذا الذي ذاب من الوَجْد ... وظل في ضُرٍّ وفي جَهْدِ

إسمع فدتك النفس من ناصحٍ ... بنصحه يَهْدي إلى الرُّشد

لو صحّ منك العشقُ ماجئتني ... تسألني عنه وتستعدِي

فالعاشقُ الصادقُ في حبه ... مـا باله يسأل ما عندي

غَيَّبه العشقُ فما إن يُرى ... يُعيدُ في العشقِ ولا يُبدي

---

(١) في ن : ولا يجيز الشرع إثبات ما ... تورط المسلم في خطره

(٢) في ن : خداع الهوى .

وكلُّ ما تذكر مستفتياً حرّمه اللّهُ عَلَى العبد
إلا لما حلله ربُّنا في الشرع بالإبرام والعَقْد
فَعَدِّ عن طُرْق الهوى معْرِضاً وقف ببابِ الواحدِ الفَرْد
وسَلْه يَشفيك ولا يبتلي قلبك بالتعذيب والصَّدّ
وعِفَّ في العشقِ ولا تُبْدِه واصْبِرْ وكاتِمْ غايةَ الجُهْد
فإن تَمُتْ محتسباً صابراً تَفُزْ غداً في جنة الخُلد

الباب العاشر

في ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه

فالذي عليه الأطباء قاطبةً أنه مرض وَسوْاسي شبيهٌ بالماليخوليا ، يجلبُه المرءُ إلى نفسه بتسليط فكره عَلَى استحسان بعض الصوَّر والشمائل ، وسببُه النفسانيُّ الاستحسان والفكر ، وسببه البَدَنيُّ ارتفاع بخارٍ رديٍّ إلى الدّماغ عن منيٍّ محتقن ، ولذلك أكثر ما يعتري العزّاب ، وكثرةُ [الجماع] تزيله بسرعة .

وقال بعض الفلاسفة : العشق طمعٌ يتولد في القلب ويتحرك وينْمِي ، ثم يتربى ويجتمع إليه موادٌّ من الحرص ، وكلما قوي ازداد صاحبهُ في في الاهتياج واللّجاج والتمادي في الطمع والحرص عَلَى الطلب ، حتى يؤديَه ذلك إلى الغمّ والقلَق ، ويكون احتراقُ الدم عند ذلك باستحالته

إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليها · ومن غلبة السوداء يحصل له فساد الفكر، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل[1] ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي إلى الجنون، فحينئذٍ ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غماً، وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحاً، وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعة وعشرين ساعة فيظن أنه [قد] مات، فيدفن وهو حي، وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور[2] قلبه، وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت، وتراه إذا ذُكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه · وقال أفلاطون: العشق حركة النفس الفارغة · وقال أرسطاطاليس: العشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب · ومن هذا أخذ جرير قوله:

فلست براءٍ عيبَ ذي الودّ كلّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتُ راضيا

فعينُ الرِّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ... ولكنّ عينَ السُّخط تبدي المساويا

وقال أرسطو: العشق جهلٌ عارضٌ صادف قلباً فارغاً لا شُغْل له من تجارةٍ و[لا] صناعةٍ · وقال غيره: هو سوءُ اختيارٍ صادف نفساً فارغة قال قيس بن الملوّح:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً[3] فتمكّنا

(١) في الاصل: يحصل له هذا الفكر و يكون زوال العقل ·

(٢) التامور: علقة القلب ودمه وعمّ بعضهم به كل دم ·

(٣) في ن: فارغاً ·

وقال بعضهم : لم أرَ حقاً أشبهَ بباطلٍ ولا باطلاً أشبه بحقٍّ من العشق، هزلُه جِدّ، وجِدّه هزل، وأولُه لعِب، وآخرُه عطَب . وقال الجاحظ : العشق اسمٌ لما فضَلَ عن المحبة، كما أن السَّرف اسمٌ لما جاوز الجود، والبخل اسمٌ لما جاوز الإقتصاد، فكل عشقٍ يسمى حبّاً، وليس كل حبّ يسمى عشقاً، والمحبةُ جنسٌ والعشقُ نوعٌ منها . ألا ترى أن كل محبةٍ شوقٌ وليس كل شوق محبة؟ وقالت فرقةٌ أُخرى : العشق هو الإستهيام[1] والتضرُّع واللَّوَذانُ بالمعشوق، والوَجدُ هو الحبّ الساكن، والهوى أن يهوى الشيءَ فيتبعه غيّاً كان أو رشداً، والحبّ حرفٌ ينتظم هذه الثلاثة .

وقال المأمون ليحيى بن أكثم : ما العشق؟ فقال : سوانحُ تسنح للمرء فيهيم بها قلبُه وتؤثِرُها نفسُه . فقال له ثُمامةُ بن أشرس : اسكت يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق أو مُحرِمٍ صاد ظبياً[2]، فأما هذه فمن مسائلنا نحن، فقال [له] المأمون : قل يا ثُمامة، قال : العشق جليسٌ مُمتِع، وأليفٌ مؤنِسٌ، وصاحبٌ ملك مسالكُه لطيفة، ومذاهبُه غامضة، وأحكامه جارية، ملَكَ الأبدانَ وأرواحَها، والقلوبَ وخواطرَها، والعقولَ وآراءَها، قد أُعطي عِنان طاعتها، وقوّةَ تصرُّفها، توارى عن الأبصار مَدخَلُه، وعَمِيَ في القلوب مسلكُه . فقال له المأمون : أحسنت يا ثُمامة . وأمر له بألف دينار .

---

(١) كذا في النسختين وهو استفعال من الهيام ولم أجده فيما لديّ من دواوين اللغة .
(٢) في ن : صاد صيداً .

وقال بعضهم : قلت لمجنون قد أذهب عقله العشق : أجز هذا البيت

وما الحبُّ إلا شعلةٌ قدحت بها عيونُ المها باللحظ بين الجوانح

فقال بديهاً :

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها كفعل الذي جاءت به كفُّ قادح

وقال الأصمعي : سألت أعرابياً عن العشق فقال : جلَّ والله عن أن يُرى ، وخفي عن أبصار الورى ، فهو في الصدور كامنٌ ككمون النار في الحجر ، إن قدح أورى ، وإن ترك توارى . وقال بعضهم : العشق نوعٌ من الجنون ، والجنون فنون ، فالعشق فنٌّ من فنونه . واحتج بقول قيس :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشقُ أعظمُ مما بالمجانين
العشقُ لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يُصْرَع المجنونُ في الحين[1]

وقال آخر : إذا امتزجت جواهرُ النفوس بوصف المشاكلة أنتجت لمحَ نورٍ ساطعٍ تستضيء به النفسُ في معرفة محاسن المعشوق فتسلك طريقَ الوصول إليه . وقال أعرابي : العشقُ أعظمُ مسلكاً في القلب من الرُّوح في الجسم ، وأملك بالنفس من ذاتها ، بطن وظهر فامتنع وصفه عن اللسان ، وخفي نعته عن البيان ، فهو بين السحر والجنون ، لطيفُ المسلك والكمون . وقيل العشق ملكٌ غشومٌ ، مسلَّطٌ ظلوم ، دانت له القلوب ، وانقادت له الألباب ، وخضعت له النفوس . العقلُ أسيرُه ، والنظرُ رسوله ، واللحظ لفظه ، دقيقُ المسلك ، عسيرُ المخرج . وقيل لآخر :

---

(١) تقدم هذان البيتان في الصفحة ٤٩

ما تقول في العشق؟ فقال: إن لم يكن طرفاً من الجنون، فهو نوعٌ من السحر.

وأما الفلاسفة المشّاؤون[1] فقالوا: هو اتفاق أخلاق وتشاكل محبّاتٍ وتجانسها، وشوقُ كلّ نفسٍ إلى مشاكلها ومجانسها في الخلقة القديمة قبل إهباطها إلى الأجساد قلت: هذا مبني على قولهم الفاسد بتقدّم النفوس على الأبدان وعليه بنى ابنُ سينا قصيدته المشهورة

هبطتْ إليك من المحلّ الأرفعِ

وسمعت شيخنا يحكي عن بعض فضلاء المغاربة وهو جمال الدين بن الشريشيّ شارحُ المقامات أنه كان ينكر أن تكون هذه له قال: وهي مخالفةٌ لما قرّره في كتبه من أن حدوث النفس الناطقة مع البدن.

وقال آخرون في وصفه: دقّ عن الأفهام مسلكُه وخفي عن الأبصار موضعُه وحارت العقول في كيفية تمكّنه غير أن ابتداء حركته وعظمَ سلطانه من القلب، ثم يتغشّى سائرَ الأعضاء فيبدي الرّعدةَ في الأطراف، والصفرة في الألوان، والضعفَ في الرأي، واللّجلجة في الكلام، والزّللَ والعثار، حتى يُنسَبَ صاحبُه إلى الجنون. وقيل لأبي زهير المديني[2]: ما العشق قال: الجنون والذل وهو داءُ أهل الظّرف.

---

(١) المشاؤن: لقب لاتباع المعلم الاول ارسطو وقيل لقبوا به لانه كان يعلمهم وهم مشاة او لأن محل التعليم كان يسمى بالممشي قاله سلطان بك محمد في كتابه الفلسفة العربية وقال الزبيدي في تاج العروس: المشائيون فرقة من الحكماء كانوا يمشون في ركاب افلاطون.

(٢) في ن: المدني.

ونظر عاشقٌ إلى معشوقه فارتعدت فرائصه وغُشِيَ عليه فقيل لحكيم: ما الذي أصابه؟ فقال: نظر إلى من يحبه فانفرج له قلبه فتحرك الجسم بانفراج القلب. فقيل له: نحن نحب أولادنا وأهلنا ولا يصيبنا ذلك فقال: تلك محبة العقل وهذه محبة الرُّوح قال:

وما هو إلا أن يراها فُجَاءَةً ... فتصطكَّ رِجلاه ويسقطَ للجَنْبِ

وقال: العشقُ مَلِكٌ مسلَّطٌ عَلَى قهر النفوس وأَسْر القلوب. قال الشاعر:

مَلَكَ القلوبَ فأَصبحت في أَسره ... وبودّها أن لا يُفَكّ إسارُها

وقال أعرابي في وصفه: بالقلب وَثْبَتُه، وبالفؤاد وَجْبَتُه، وبالأَحشاء نارُه، وسائرُ الأَعضاء خُدّامُه، فالقلبُ من العاشق ذاهلٌ، والدمعُ منه هامل. والجسم منه ناحل. مرورُ الليالي تجدّده، وإساءة المحبوب لا تفسده. وقيل: ليس هو موقوفاً على الحسن والجمال، وإنما هو تشاكُلُ النفوس وتمازُجها في الطباع المخلوقة فيها كما قيل:

وما الحُبُّ من حُسْنٍ ولا من مَلَاحةٍ ... ولكنه شيءٌ به الرُّوح تكْلَفُ[1]

وقيل أَولُ العشق عنَاء، وأوسطُه سقم، وآخرُه قتل. كما قال [ابن الفارض رحمه الله]

هوا الحبُّ فاسْلَمْ بالحشا ما الهوى سَهْلُ ... فما اختاره مُضْنًى به وله عقْلُ

وعش خالياً فالحبُّ أوله عنىً[2] ... وأَوسطُه سُقْمٌ وآخرُه قتلُ

---

(١) تقدم في الصفحة ٧٨

(٢) رواية الديوان: فالحب راحته عني.

الباب الحادي عشر

في العشق هل هو اضطراري خارج عن الاختيار أو أمر اختياري واختلاف الناس في ذلك وذكر الصواب فيه

فنقول: اختلف الناس في العشق هل هو اختياريٌّ أو اضطراري خارج عن مقدور البشر فقالت فرقة: هو اضطراريٌّ وليس باختياري، قالوا: وهو بمنزلة محبة الظمآن للماء البارد، والجائع للطعام، وهذا مما لا يُملَك.

قال بعضهم: والله لو كان لي من الأمر شيءٌ ما عذّبتُ عاشقاً، لأن ذنوبَ العشّاق اضطرارية، فإذا كان هذا قولَه فيما تولّد عن العشق من فعلٍ اختياري فما الظن بالعشق نفسه؟ وقال [أبو] محمد بنُ حزْم: قال رجلٌ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إني رأيت امرأةً فعشقتُها فقال عمر: ذاك مما لا يُملَك. وقال كامل في سلمى:

يلومونني في حبّ سَلْمى كأنما ... يرَوْن الهوى شيئاً تَيَمَّمْتُهُ عمْدا

ألا إنما الحبُّ الذي صدَعَ الحشا ... قضاءٌ من الرحمن يَبْلو به العبدا

وقال التميمي في كتاب امتزاج الأرواح: سئل بعض الأطبآء عن العشق فقال: إن وقوعه بأهله ليس باختيارٍ منهم، ولا بحرصهم عليه، ولا لذة لأكثرهم فيه، ولكن وقوعه بهم كوقوع العِلَل المُدْنِفَة، والأمراض المُتْلِفَة، لا فرق بينه وبين ذلك. وقال المدائني: لام رجلٌ رجلاً

من أهل الهوى فقال: لو صحّ لذي هوًى اختيارٌ لاختار أن لا يهوى .
ويدُلّ عَلَى ذلك من السنة ما رواه البخاري في صحيحه من قصة بَرِيرة
أن زوجها كان يمشي خلفها بعد فراقها له وقد صارت أجنبيةً منه، ودموعُه
تسيل عَلَى خديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عبَّاسُ ألا تَعْجَبُ مِنْ
حُبِّ مُغيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغضِ بَرِيرَةَ مُغيثًا؟ ثم قال لها: لَوْ رَاجَعْتِيهِ
فقالت: أتأمُرُنِي؟ فقال: إنَّمَا أَنَا شَافِعٌ قالت: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . ولم
يَنْهَهُ عن عشقِها في هذه الحال، إذ ذلك شيءٌ لا يُملَكُ ولا يدخل تحت
الإختيار . وقال جامع:

سألت سعيدَ بنَ المسيَّب مفتيَ الـ ... مدينة هل في حبِّ دَهْماءَ من وِزْرِ
فقال سعيدُ بنُ المسيِّب إنما ... يلام عَلَى ما يُستطاع من الأمر (١)

قالوا: والعشقُ نوعٌ من العذاب، والعاقلُ لا يختار عذابَ نفسه، وفي
هذا قال المؤمَّل:

شفَّ المؤمَّلَ يوم الحِيرَةِ النظرُ ... ليتَ المؤمَّلَ لم يُخْلَق له بَصَرُ
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لا عَذَّبتهم بعدها سَقَر

فيقال: إنه عَمِيَ بعد هذا . وقال آخر: ليس الهوى إلى الرأي فيملِكه،
ولا إلى العقل فيدركه ثم أنشد:

ليس خطبُ الهوى بخطبٍ يسير ... لا يُنبِّيكَ عنه مثلُ خبير
ليس أمرُ الهوى يُدَبَّر بالرأ ... ي ولا بالقياس والتفكير

---

(١) في ن: تلام على ما تستطع وهي الرواية التي تقدمت في الصفحة ١٣٧

إنما ٱلأمرُ في الهوى خطَرَاتٌ   مُحْدِثاتُ ٱلأُمورِ بعد الأُمورِ

وقال ٱلقاضي أبو عمر[١] محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان ٱلنُّوقَاتي في كتابه محنة ٱلظراف: العشاقُ معذورون عَلَى ٱلأحوال، إذ ٱلعشق إنما دهاهم عن غير ٱختيار، بل ٱعتراهم عن جبرٍ وٱضطرار، وٱلمرءُ إنما يلام عَلَى ما يستطيع من الأمور، لا عَلَى ٱلمقضِيِّ [عليه] وٱلمقدور. فقد قيل: إن ٱلحامل كانت ترى يوسفَ عليه ٱلصلاةُ وٱلسلام فتضعُ حَمْلَهَا، فكيف ترى هذه وضعته؟ أَباختيارٍ كان ذلك أم باضطرارٍ؟ قال غيره: وهؤلاء النِّسوة قَطَّعن أيديَهنّ لما بدا لهنّ حسنُ يوسف عليه ٱلسلام وما تمكّن حبُّه من قلوبهن، فكيف لو شُغِفْنَ حبّاً؟ وكان مُصْعَبُ ٱبنُ ٱلزُّبَيْرِ إذا رأته ٱلمرأة حاضت لحسنه وجماله. قال فيه الشاعر:

إنما مُصعبٌ شهابٌ من اللـ   ـهِ تجلَّت عن وجهه الظلماءُ

ومن ها هنا أخذ أحمد بن ٱلحسين ٱلكندي [ٱلمتنبي] قوله:

تقِ اللهَ وٱستُرْ ذا ٱلجمالَ ببُرْقُعٍ   فإن لُحْتَ حاضت في ٱلخدور ٱلعوَاتقُ[٢]

فإذا كان هذا مجرَّدَ ٱلرؤية فكيف بٱلمحبة التي لا تُملَك؟ وقال هشام بن عُرْوة عن أبيه: مات بالمدينة عاشقٌ فصلى عليه زيدُ بن ثابتٍ فقيل له في ذلك فقال: إني رَحِمْتُه. ورُوئي أبو السائب ٱلمخزوميُّ — وكان من العلم والدين بمكان — متعلقاً بأستار ٱلكعبة وهو يقول: أللهم ٱرحم

(١) في النسختين: أبو عمرو.. التوقاني والتصويب من معجم البلدان لياقوت والاعلام لزركلي

(٢) رواية النسخ المطبوعة من ديوان المتنبي: خف الله.. فان لحت ذابت الخ.. والعواتق الشابات من النساء.

العاشقين وقوِّ قلوبهم واعطف عليهم [قلوبَ] المعشوقين ، فقيل له في ذلك فقال : والله للدعاءُ لهم أفضلُ من عُمْرةٍ من الجِعْرانة[١] ثم أنشد :

يا هجرُ كُفَّ عن الهوى ودع الهوى للعاشقين يطيبُ يا هجْرُ
ماذا تريدُ من الذين جفونُهم قَرْحى وحَشْوُ قلوبهم جمْرُ
متبدّلين[٢] من الهوى ألوانُهم مما تُجِنُّ قلوبهم صُفْرُ
وسوابقُ العبَرات فوق خدودهم دررٌ تفيض كأنها قَطْرُ

ويُذكَرُ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مرّ بجاريةٍ تتغنّى :

هل عليَّ ويحكما إن هويتُ[٣] من حَرَج

فتبسم وقال : لا حرجَ إن شاء الله[٤] . قالوا : وقد فسّر كثيرٌ من

---

(١) الجعرانة : موضع بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة .

(٢) في الاصل : متلذذين .

(٣) في ن : إن لموت .

(٤) قال القشيري في الرسالة : وقد روي ان رجلاً أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج
أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج
هل عليَّ ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا . قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في شرح الرسالة : هذا حديث موضوع اه . يقول مصححه : فكان يجدر بالمؤلف ان لا ينقله ما دام الحديث غير ثابت وليس قوله : (ويذكر) بمغنٍ في هذا المقام عن البيان بل كان الاجدر به — وقد نقله — أن يصرح بوضعه كما هي عادته .

ٱلسلف قوله تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) [١] بالعشق. وهذا لم يريدوا به التخصيص، وإنما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل ما لا يطاق. والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدري لا الشرعي الأمري.

قالوا: وقد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم [الله] من العشق، ولو كان اختياراً لأزالوه عن نفوسهم. ومن هاهنا يتبين خطأ كثير من العاذلين، وعذلهم في هذه الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه قال:

يا عاذلي والأمرُ في يده هلاّ عذلتَ وفي يدي الأمرُ

وإنما ينبغي العذلُ قبل تعلّق هذا الداء بالقلب كما قيل [فيه]:

يذكّرني حم والرمحُ شاجرٌ فهلاّ تلا حم قبل التقدم [٢]

وقالت فرقة أخرى: بل هو اختياري تابع لهوى النفس وإرادتها، بل هو استحكامُ الهوى الذي مدح اللهُ من نهى عنه نفسه فقال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) [٣] فمحال أن ينهى الإنسانُ نفسه عما لا يدخل تحت قدرته.

---

(١) آخر سورة البقرة.

(٢) اختلف الرواة في قائل هذا البيت فبعضهم ينسبه لشريح بن أبي أوفى وبعضهم للاشتر النخعي وبعضهم لغيرهما. وهو من أبيات قيلت في محمد بن طلحة رضي الله عنه لما طعنه القائل فذكّره القرآن لان حم على قول قتادة اسم من اسماء القرآن وقيل: بل قال محمد لما طعن: (اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) فهذا معنى قوله: يذكرني حم أي بتلاوة الآية المذكورة لأنها من حم. انظر تفسير سورة المؤمن من فتح الباري

(٣) سورة النازعات الايتان ٤٠ و٤١

قالوا: والعشق حركة اختيارية للنفس إلى نحو محبوبها، وليس بمنزلة الحركات الاضطرارية التي لا تدخل تحت قدرة العبد. قالوا: وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى أصحاب المحبة الفاسدة الذين يحبون من دونه أنداداً، ولو كانت المحبة اضطرارية لما ذُمّوا على ذلك. قالوا: ولأن المحبة إرادة قوية، والعبد يُحمد ويُذمّ على إرادته، ولهذا يُحمد مريدُ الخير وإن لم يفعله، ويُذمّ مريدُ الشر وإن لم يفعله. وقد ذمّ الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا، وأخبر أن لهم عذاباً أليماً[1] ولو كانت المحبةُ لا تُملَك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم. قالوا: والعقلاء قاطبةً مطبقون على لوم من يحبّ ما يتضرر بمحبته. وهذا فطرةٌ فطرَ الله عليها الخلقَ، فلو اعتذر بأني لا أملك قلبي لم يقبلوا له عذراً.

وفصل النزاع بين الفريقين أن مبادئ العشق وأسبابه اختياريةٌ داخلةٌ تحت التكليف، فإن النظر والتفكّر والتعرّض للمحبة أمرٌ اختياريٌّ، فإذا أتى بالأسباب كان ترتّبُ المسبَّب عليها بغير اختياره كما قيل:

تولّعَ بالعشق حتى عشِقْ ... فلما استقلّ به لم يُطِقْ

رأى لُجّةً ظنّها موجةً ... فلما تمكّنَ منها غرِق

---

(١) في النسختين: عذاب أليم.

تمنّى ٱلإقالةَ من ذنبه ‌ ‌ فلم يستطعْها[١] ولم يَستَطِقْ

وهذا بمنزلة ٱلسكر مع شُرْب ٱلخمر، فإن تناوُل ٱلمسكر ٱختياريٌّ وما يتولّد عنه من ٱلسكر ٱضطراريٌّ، فمتى كان ٱلسببُ واقعاً بٱختياره لم يكن معذوراً فيما تولَّد عنه بغير ٱختياره، فمتى كان ٱلسببُ محظوراً، لم يكن ٱلسكرانُ معذوراً. ولا ريب أَن متابعةَ ٱلنظر وٱستدامةَ ٱلفكر بمنزلة شرب ٱلمسكر فهو يلام عَلَى ٱلسبب، ولهذا إذا حصل ٱلعشقُ بسببٍ غير محظور لم يُلَمْ عليه صاحبُه، كمن كان يعشق ٱمرأَته أو جاريتَه ثم فارقها وبقي عشقُها غيرَ مفارقٍ له، فهذا لا يُلام عَلَى ذلك كما قد تقدم في قصة بَرِيرَةَ ومُغِيث. وكذلك إذا نظر نظرةَ فُجآءَةٍ ثم صرف بصرَه وقد تمكّن ٱلعشقُ من قلبه بغير ٱختياره، عَلَى أن عليه مدافعتَه وصرفَه عن قلبه بضده، فإذا جآء أَمرٌ يَغْلِبُه فهناك لا يلام بعد بذل ٱلجُهد في دفعه. ومما [يبيّن ما] قلناه أَن سكر ٱلعشق أَعظمُ من سكر ٱلخمر كما قال [ٱللهُ] تعالى عن عُشّاق ٱلصُّور من قوم لوطٍ (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[٢] وإذا كان أدنى ٱلسكرَين لا يُعْذَر صاحبُه إذا تعاطى أَسبابَه فكيف يعذَر صاحبُ ٱلسكر ٱلأقوى مع تعاطي أَسبابه؟ وإذ قد وصلنا إلى هذا ٱلموضع فلنذكر باباً في سكرة ٱلحب وسببها.

---

(١) في النسختين: فلم يستطع.

(٢) سورة الحجر الآية ٧٢

الباب الثاني عشر

في سكرة العشاق

ولا بد قبل الخوض في ذلك من بيان حقيقة السكر وسببه وتولده فنقول: السكر لذة يغيب معها العقل الذي يعلم به القول ويحصل معه التمييز. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)[1] فجعل الغاية التي يزول بها حكم السكران [أن] يعلم ما يقول، فمتى لم يعلم ما يقول فهو في السكر، وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه، وهذا هو حد السكران عند جمهور أهل العلم. قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [تعالى]: بماذا يعلم أنه سكران؟ فقال: إذا لم يعرف ثوبه من ثوب غيره ونعله من نعل غيره. ويذكر عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: إذا اختلط كلامه المنظوم، وأفشى سره المكتوم. وقال محمد بن داود [الأصفهاني]: إذا عزبت عنه الهموم، وباح بسره المكتوم. فالسكر يجمع معنيين: وجود لذة، وعدم تمييز، والذي يقصد السكر قد يقصد أحدهما وقد يقصد كليهما، فإن النفس لها هوى وشهوات تلتذ بإدراكها، والعلم بما في تلك اللذات من المفاسد العاجلة والآجلة يمنعها من تناولها، والعقل يأمرها بأن

---

(1) سورة النساء الآية ٤٣

لا تفعل ، فإذا زال ٱلعقلُ ٱلآمرُ وٱلعلمُ ٱلكاشفُ ٱنبسطت ٱلنفس في هواها ، وصادفت مجالاً واسعاً .

وحرّم ٱلله سبحانه وتعالى ٱلسكر لشيئين ذكرهما في كتابه من قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَعَنِ ٱلصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)[1] فأخبرَ ٱلله سبحانه أنه يوجب ٱلمفسدةَ ٱلناشئةَ من ٱلنفس بواسطة زوال ٱلعقل ، ويمنع ٱلمصلحةَ ٱلتي لا تتمّ إلا بالعقل . وقد يكون سببُ ٱلسكر ألماً كما يكون لذةً . قال ٱلله تعالى : (يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ ٱللهِ شَدِيدٌ)[2] وقد يكون سببه قوّة ٱلفرح بإدراك ٱلمحبوب بحيث يختلط كلامُه ، وتتغيّر أفعاله بحيث يزول عقلُه ، وربما قتله ٱلفرحُ بسببٍ طبيعيٍّ وهو ٱنبساط دم ٱلقلب ٱنبساطاً خارجاً عن ٱلعادة ، وٱلدمُ حامل ٱلحارّ ٱلغريزيّ فيبرُد ٱلقلبُ بسبب ٱنبساط دمه فيحدث ٱلموت ، وقد جرى هذا لأحمد بن طُولون أميرِ مصرَ فإنه مرّ بصيادٍ في يومٍ باردٍ وعنده بُنيٌّ له ، فرقَّ عليهما ، وأمر غلامَه أن يدفع إليه ما معه من ٱلذّهب ، فصبّه في حِجره ومضى ، فاشتدَّ فرحُه به

---

(١) سورة المائدة الآية ٩١

(٢) اول سورة الحج .

فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح فقضى مكانَه . فعاد الأميرُ من شأنه فوجد الرجلَ ميتاً والصبيّ يبكي عند رأسه ، فقال : من قتله ؟ فقال : مرّ بنا رجلٌ — لا جزاه الله خيراً — فصبَّ في حِجر أبي شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى وَهلةً واحدةً فعجَز عن احتماله فقتله ، ولو أعطيناه ذلك بالتدريج لم يقتله . فحرّض الصبيَّ علَى[1] أن يأخذ الذهب فأبى وقال : والله لا أُمسك شيئاً قتل أبي .

والمقصودُ أن السكرَ يوجب اللذّة ويمنع العلم ، فمنه السكرُ بالأطعمة والأشربة ، فإن صاحبها يحصلُ له لذةٌ وسرورٌ [بها] يحمله علَى تناولها لأنها تغيّب عنه عقلَه فتغيب عنه الهموم والغموم والأحزان تلك الساعة ، ولكن يَغلَط في ذلك فإنها لا تزول ولكن تتوارى ، فإذا صحا عادت أعظمَ ما كانت وأوفرَه ، فيدعوه عودُها إلى العوْد كما قال الشاعر :

وكأسٍ شربتُ علَى لذةٍ   وأُخرى تداويتُ منها بها

ومن الناس من يقصدُ بها منفعةَ البدن وهو غالط ، فإنه يترتب عليها من المضرّة المتولّدة علَى[2] السكر ما هو أعظمُ من تلك المنفعة بكثير ، واللذةُ الحاصلة بذكر الله والصلاة عاجلاً وآجلاً أعظمُ وأبقى وأدفعُ للهموم والغموم والأحزان . وتلك اللذة أجلبُ شيءٍ للهموم والغموم عاجلاً وآجلاً ، ففي لذة ذكر الله والإقبالِ عليه والصلاةِ بالقلب والبدن

---

(١) في النسختين : فحرض على الصبي .

(٢) في ن : عن السكر .

من ٱلمنفعة ٱلشريفة ٱلعظيمة ٱلسالمة عن ٱلمفاسد ٱلدافعة للمضارّ غنًى وعِوَضٌ للإنسان ٱلذي هو إنسانٌ عن تلك ٱللذة ٱلناقصة ٱلقاصرة ٱلمانعة لما هو أكملُ منها ٱلجالبة لألمٍ أعظمَ منها.

فصل ومن أسباب ٱلسكر حبُّ ٱلصُّوَر، فإنه إذا ٱستحكم ٱلحبُّ وقوِيَ أسكر ٱلمحبّ، وأشعارُهم بذلك مشهورة كثيرةٌ ولا سيما إذا ٱتصل ٱلجماعُ بذلك ٱلحب، فإن صاحبَه ينقص تمييزُه أو يعدم في تلك الحالة بحيث لا يميز، فإن ٱنضاف إلى ذلك ٱلسكر سكرُ ٱلشراب بحيث يجتمع عليه سكرُ ٱلهوى وسكرُ ٱلخمر وسكر لذة ٱلجماع فذلك غايةُ ٱلسكر. ومنه ما يكون سببُه حبَّ ٱلمال وٱلرِّئاسة وقوةَ ٱلغضب، فإن الغضب إذ قوِيَ أوجب سكراً يقرُب من سكر ٱلخمر. ويدخل ذلك في الإغلاق ٱلذي أبطل ٱلنبي صلى الله عليه وسلم وقوع الطلاق فيه بقوله: لا طَلاق في إغلَاق[1] (رواه أبو داود) وقال أظنه الغضب. وفسرّه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [تعالى] أيضاً بالغضب. ومما يدُل عَلَى صحة ذلك قولُهُ تعالى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُمْ بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ)[2] قال ٱلسلَف في تفسيرها: هو ٱلرجل يدعو على

(١) كذا في النسختين ولفظه في الجامع الصغير لا طلاق ولا عتاق في اغلاق قال رواه احمد في مسنده وابو داود وابن ماجة والحاكم وكذلك اورده المؤلف في رسالته اغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان.

(٢) سورة يونس الآية ١١

نفسه وأهله في وقت الغضب من غير إرادةٍ منه لذلك، فلو استجاب [الله] دعاءه لأهلكه وأهلك من دعا عليه، ولكن لرحمته لما علم أن الحامل له على ذلك سكرُ الغضب لا يجيب دعاءه. ومن هذا قول الواجد لراحلته بعد يأسه منها وإيقانه بالهلاك: اللهم أنت عبدي وأنا ربك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ[1] ولم يكن بذلك كافراً لعدم قصده. وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تحقيقاً لشدة الفرح الذي أفضى به إلى ذلك. وإنما كانت هذه الأشياء قد توجب السكرَ لأن السكرَ سببُه [ما] يوجب اللذةَ القاهرةَ التي تغمرُ العقل، وسببُ اللذة إدراكُ المحبوب، فإذا كانت المحبة قويةً وإدراك المحبوب قوياً والعقلُ ضعيفاً حدث السكر، لكن ضعف العقل يكون تارةً من ضعف المحبة وتارةً من قوة السبب الوارد، ولهذا يحصُل [من السكر للمبتدئين في إدراك الرئاسة والمال والعشق والخمر ما لا يحصُل] لمن اعتاد ذلك وتمكن فيه.

فصل ومن أقوى أسباب السكر الموجِبَة له سماعُ الأصوات المطربة من جهتين: من جهة أنها في نفسها توجب لذةً قويةً ينغمر معها العقل، ومن جهة أنها تحرّك النفس إلى نحو محبوبها كائناً ما كان، فيحصُل بتلك الحركة الشوقُ والطلب مع التخيّل للمحبوب وإدناء صورته إلى القلب

---

(١) هو من حديث رواه مسلم.

وٱستيلائها عَلَى ٱلفكر لذةٌ عظيمةٌ تقهَرُ ٱلعقلَ، فتجتمع لذة ٱلألحان ولذة ٱلأشجان، ولهذا يَقْرِن ٱلمَعْنِيُّون بهذه ٱللذات سماعَ ٱلألحان بٱلشراب كثيراً ليكمُلَ لهم ٱلسكرُ بٱلشراب وٱلعشقِ وٱلصوتِ ٱلمطرِبِ، فيجدون من لذة ٱلوصال وسكره في هذه ٱلحال ما لا يجدونه بدونها. فٱلخمرُ شرابُ ٱلنفوس، وٱلألحانُ شَرابُ الأرواح، ولا سيّما إذا ٱقترن بها من الأقوال ما فيه ذكر ٱلمحبوب ووصفُ حال ٱلمحب عَلَى مقتضى ٱلحال ٱلتي هو فيها، فيجتمع سماعُ الأصوات ٱلطيبةِ وإدراكُ ٱلمعاني ٱلمناسبة، وذلك أقوى بكثيرٍ من اللذة ٱلحاصلةِ بكل واحدٍ منها عَلَى ٱنفراده، فتستولي ٱللذة عَلَى ٱلنفس وٱلرُّوحِ وٱلبدن أتمَّ ٱستيلاءٍ فيحدث غايةُ ٱلسكر. فكيف يدّعي ٱلعذرَ مَن تعاطى هذه ٱلأسباب ويقول: إن ما تولّد [عنها ٱضطراريٌّ غيرُ ٱختياري. وبالله ٱلتوفيق].

الباب الثالث عشر

في أن اللذة تابعة للمحبة في الكمال والنقصان

فكلما قويت المحبة قويت اللذة بإدراك المحبوب ، وهذا الباب من أجلّ أبواب الكتاب وأنفعها . ونذكر فيه بيان معرفة اللذة وأقسامها ومراتبها فنقول : أما اللذة ففسّرت بأنها إدراك الملائم كما أن الألم إدراك المنافي . قال شيخنا : والصواب أن يقال إدراك الملائم سبب اللذة ، وإدراك المنافي سبب الألم ، فاللذة والألم ينشآن عن إدراك الملائم والمنافي ، والإدراك سببٌ لهما ، واللذة أظهر من كل ما تعرَّف به فإنها أمر وجدانيّ ، وإنما تعرَّف بأسبابها وأحكامها . واللذة والبهجة والسرور وقرة العين وطيب النفس والنعيم ألفاظ متقاربة المعنى ، وهي أمر مطلوب في الجملة ، بل ذلك مقصود كل حيّ ، وذلك أمر ضروريٌّ من وجوده ، وذلك في المقاصد والغايات بمنزلة الحسّ والعلوم البديهية في المبادئ والمقدّمات ، فإن كل حيٍّ له علمٌ وإحساسٌ ، وله عملٌ وإرادة ، وعلم الإنسان لا يجوز أن يكون كلّه نظريًا استدلاليًا لاستحالة الدور والتسلسل ، بل لا بدّ له من علمٍ أوّله بديهي يبدأه النفس ويبتدئ فيها ، فلذلك يسمّى بديهيًا وأوليًّا ، وهو من نوع ما تضطرّ إليه النفس ويسمّى ضروريًا . فإن النفس تضطرّ إلى العلم تارة وإلى العمل أخرى ، وكذلك

العملُ الإختياريُّ المراديّ له مُرادٌ، فذلك المرادُ إما أن يُراد لنفسه أو لشيء آخر، ولا يجوز أن يكون كلُّ مرادٍ مراداً لغيره حذراً من الدَّور والتسلسل، فلا بدّ من مُرادٍ مطلوبٍ محبوبٍ لنفسه، فإذا حصل المطلوبُ المرادُ المحبوب فاقترانُ اللذة والنعمة والفرح والسرور وقُرّة العين به على قدر قوّة محبته وإرادته والرغبة فيه، وذلك أمرٌ ذوقيٌّ وجديٌّ، ولهذا يغلِب على أهل الإرادة والعمل من السالكين اسمُ الذوق والوَجد لما في وجود المراد المطلوب من الذوق [والوجد] الموجِب للفرح والسرور والنعيم. فهاهنا ثلاثةُ أنواع من الأسماء متقاربة المعاني: أحدُها الشهوةُ والإرادةُ والميل والطلب والمحبة والرغبةُ ونحوها، الثاني الذَّوقُ والوَجد والوصولُ والظفر والإدراك والحصولُ والنَّيلُ ونحوُها، [الثالثُ اللذَّةُ والفرَح والنعيم والسرور وطيب النفس وقرّة العين ونحوُهم] وهذه الأمور الثلاثة متلازمة.

فصل وإذا كانت اللذةُ مطلوبةً لنفسها فهي إنما تُذَمُّ إذا أعقبت ألماً أعظمَ منها أو منعت لذةً خيراً منها، وتُحمَدُ إذا أعانت على اللذة الدائمة المستقرّة وهي لذةُ الدار الآخرة ونعيمها الذي هو أفضلُ نعيمٍ وأجلّه كما قال الله تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[1] وقال تعالى: (لِلَّذِينَ

---

(١) سورة يوسف الآيتان ٥٦ و٥٧

أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ)[١]
وقال تعالى : (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا · وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)[٢]
وقال تعالى : (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[٣] وقال
العارفون بتفاوت ما بين الأمرين لفرعون : (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا
تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا · إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)[٤] والله سبحانه و تعالى إنما خلق
الخلق لدار القرار وجعل اللذة كلها بأسرها فيها كما قال الله تعالى :
(وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ)[٥] وقال تعالى : (فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)[٦] وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
يقول الله تعالى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ[٧] أى غير ما أطلعتم عليه
وهذا هو الذي قصده الناصح لقومه الشفيقُ عليهم حيث قال : (يَا قَوْمِ
اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ · يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ

---

(١) سورة النحل الآية ٣٠ وكانت في النسختين ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون وهي من آية اخرى ·

(٢) سورة الاعلى الآيتان ١٦ و١٧

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٤ (٤) سورة طه الآيتان ٧٢ و٧٣

(٥) سورة الزخرف الآية ٧١ (٦) سورة السجدة الآية ١٧

(٧) رواه البخاري ومسلم والترمذي ببعض اختلاف في الزيادة الاخيرة وهي ليست في رواية البخاري ·

وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ)[١] فأخبرهم أن ٱلدُّنيا متاعٌ يتمتَّعُ بها إلى غيرها والآخرةَ هي ٱلمستقرُّ والغاية .

فصل وإذا عُرِفَ أن لذاتِ ٱلدنيا ونعيمَها متاعٌ ووسيلةٌ إلى لذَّاتِ ٱلدارِ ٱلآخرة ولذلك خُلقت كما قال ٱلنبي صلى ٱللهُ عليه وسلم : ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمَرْأَةُ ٱلصَّالِحَةُ[٢] فكلُّ لذة أعانتْ عَلَى لذاتِ ٱلدَّار ٱلآخرة فهي محبوبةٌ مَرْضِيَّةٌ للرَّب تعالى ، فصاحبُها يلتذّ بها من وجهين : من جهةِ تنعُّمهِ وقُرَّة عينه بها ، ومن جهة إيصالها له إلى مرضات ربه وإفضائها إلى لذةٍ أكملَ منها ، فهذه هي ٱللذة التي ينبغي للعاقل أن يسعى في تحصيلها ، لا ٱللذةُ ٱلتي تعقُبُه غايةَ ٱلألم وتفوّت عليه أعظمَ ٱلمذات ، ولهذا يثابُ ٱلمؤمنُ عَلَى كلّ ما يلتذّ به من ٱلمباحات إذا قصدَ به ٱلإعانةَ وٱلتوصُّل إلى لذة ٱلآخرة ونعيمها ، فلا نسبة بين لذة [صاحب] ٱلزوجة أو ٱلأمةِ ٱلجميلةِ ٱلتي يحبها وعينُه قد قرَّت بها ، فإنه إذا باشرها وٱلتذَّ قلبُه وبدنُه ونفسُه بوصالها أُثيب عَلَى تلك ٱللذة في مقابلة عقوبة صاحب ٱللذة ٱلمحرمة عَلَى لذته ، كما قال ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم : (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ أَجْرٌ قَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي ٱلْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟

---

(١) سورة المؤمن الآيتان ٣٨و٣٩

(٢) هذه رواية مسلم قال السيوطي : ورواه الامام احمد في مسنده والنسائي .

قالوا : نعم قال . فَكَذٰلِكَ إِذا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ يَكُونُ لَهُ أَجْرٌ [١] .

واعلم أن هذه اللذة تتضاعف وتتزايد بحسب ما عند العبد من الإقبال على الله وإخلاص العمل له والرغبة في الدار الآخرة ، فإن الشهوة والإرادة المنقسمة في الصور اجتمعت له في صورة واحدة ، والخوف والهم والغم الذي في اللذة المحرمة معدوم في لذته ، فإذا اتفق له مع هذا صورة جميلة ورزق حبها ورزقت حبه وانصرفت دواعي شهوته إليها وقصرت بصره عن النظر إلى سواها ونفسه عن التطلع إلى غيرها فلا مناسبة بين لذته ولذة صاحب الصورة المحرمة . وهذا أطيب نعيم ينال من الدنيا ، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة بها ينال خير الدنيا والآخرة وهي : قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وزوجة حسناء إن نظر إليها سرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله فالله المستعان .

وقال القاسم بن عبد الرحمن : كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ القرآن فإذا فرغ قال : أين العزاب؟ فيقول : ادنوا مني [ثم] قولوا : اللهم ارزقني امرأة إذا نظرت إليها سرتني ، وإذا أمرتها أطاعتني ، وإذا غبت [عنها] حفظت غيبتي في نفسها ومالي .

والألم والحزن والهم والغم ينشأ من عدم العلم بالمحبوب النافع ، أو من عدم إرادته وإيثاره مع العلم به ، أو من عدم إدراكه والظفر به مع محبته وإرادته ، وهذا من أعظم الألم . ولهذا يكون ألم الإنسان

---

(١) رواه مسلم والترمذي وسيأتي بعضه معزواً تخريجه للنسائي .

في البرزخ وفي دار الحيوان بفوات محبوب به أعظم من ألمه بفواته في الدنيا من ثلاثة أوجه: أحدها معرفته هناك بكمال ما فاته ومقداره، الثاني شدّة حاجته إليه وشوقُ نفسه إليه مع أنه قد حيل بينه وبينه كما قال الله تعالى: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)[1]، الثالث حصول ضده المؤلم له. فليتأمل العاقل هذا الموضع ولينزل نفسه منزلة من قد فاته أعظمُ محبوبٍ وأنفعه وهو أفقرُ شيء وأحوجه إليه فواتاً لا يُرجى تداركُه وحصل على ضده، فيا لها من مصيبةٍ ما أوجعها، وحالةٍ ما أفظعها، فأين هذه الحال من حالة من يلتذ في الدنيا بكل ما يقصدُ به وجه الله سبحانه وتعالى من الأكل والشرب واللباس والنكاح وشفاء الغيظ بقهر العدو وجهادٍ في سبيله، فضلاً عما يلتذ به [من] معرفة ربه وحبه له وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والإقبال عليه وإخلاص العمل له والرضا به وعنه والتفويض إليه وفرح القلب وسروره بقربه والأنس به والشوق إلى لقائه كما في الحديث الذي صححه ابن حبان والحاكم: وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ[2]، وهذه اللذة لا تزال في الدنيا في زيادةٍ مع تنقيصها بالعدو الباطن من الشيطان والهوى والنفس والدنيا والعدوّ الظاهر، فكيف إذا تجرّدت الروح وفارقت دار الأحزان والآفات واتّصلت بالرفيق الأعلى (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

---

(١) آخر آية من سورة سبأ.

(٢) تقدم مطولاً في الصفحة ٣٤ وعزاه الى مسند احمد.

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا)[1] فاذا أفضى إلى دار النعيم فهناك من أنواع اللذة والبهجة والسرور ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر . فبؤساً وتعساً للنفوس الوضيعة الدنيئة التي لا يهزّها الشوقُ إلى ذلك طرباً ولا تتقدُ نارُ إرادتها لذلك رغباً ، ولا تبعدُ عما يصدُّ عن ذلك رهباً ، فبصائرُها كما قيل :

خفافيشُ أعشاها النّهارُ بضوئه ... ولا أمَها قِطْعٌ من الليل مظلم[2]

تجول حول الحشّ ، إذا جالت النفوسُ العلْويّةُ حول العرش ، وتندسّ في الأجحار ، إذا طارت النفوس الزكية إلى أعلى الأوكار

فلم تر أمثالَ الرجال تفاوتوا ... إلى الفضل حتى ألفُ ألفٍ بواحد

فصل وكلُّ لذةٍ أعقبت ألماً أو منعت لذةً أكملَ منها فليست بلذةٍ في الحقيقة وإن غالطت النفس في الالتذاذ بها ، (فأي لذةٍ] لآكل طعامٍ شهيٍّ مسمومٍ يقطّع أمعاءه عن قريب ؟ وهذه هي لذات الكُفّار والفُسّاق بعلوهم في الأرض وفسادهم وفرحهم فيها بغير الحق ومرحهم . وذلك مثلُ لذة الذين اتخذوا من دون الله أولياء يحبونهم

---

(١) سورة النساء الآيتان ٦٩و٧٠

(٢) الخفاش : الوطواط يبصر في الليل ويعمى في النهار والجمع خفافيش . ولا أمها : وافقها . والقطع بالكسر : ظلمة آخر الليل او القطعة منه .

كحب ٱلله فنالوا بهم مودة بينهم في ٱلحياة ٱلدنيا . ثم ٱستحالت تلك ٱللذة أعظم ألم وأمرّه . ومن ذلك لذة ٱلعقائد ٱلفاسدة وٱلفرح بها ، ولذة غلبة أهل ٱلحق وٱلظلم وٱلعدوان وٱلزنى وٱلسرقة وشرب ٱلمسكرات . وقد أخبر ٱلله سبحانه وتعالى أنه لم يمكّنهم من ذلك لخير يريده بهم ، إنما هو ٱستدراج منه لينيلهم به أعظم ٱلألم قال ٱلله تعالى: (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في ٱلخيرات بل لا يشعرون)[1] وقال تعالى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد ٱلله ليعذبهم بها في ٱلحياة ٱلدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)[2]

فصل وأما ٱللذة ٱلتي لا تعقب ألماً في دار ٱلقرار ولا توصل إلى لذة هناك فهي لذة باطلة ، إذ لا منفعة فيها ولا مضرة ، وزمنها يسير ليس لتمتع ٱلنفس بها قدر ، وهي لا بد أن تشغل عما هو خير وأنفع منها في ٱلعاجلة والآجلة وإن لم تشغل عن أصل ٱللذة في الآخرة . وهذا ٱلقسم هو ٱلذي عناه ٱلنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: كل لهو يلهو به ٱلرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من ٱلحق (رواه مسلم) ولهذا كانت لذة ٱللعب بالدف في ٱلعرس جائزة فإنها تعين على ٱلنكاح ، كما تعين لذة ٱلرمي بالقوس وتأديب ٱلفرس على ٱلجهاد ، وكلاهما محبوب لله . فما أعان على حصول محبوبه

(١) سورة المؤمنين الآيتان ٥٥و٥٦ (٢) سورة التوبة الآية ٥٥

فهو من الحق، ولهذا عدّ ملاعبة الرجل امرأته من الحق لإعانتها على مقاصد النكاح الذي يحبه الله سبحانه وتعالى، وما لم يعن على محبوب الرب تعالى فهو باطل لا فائدة فيه، ولكن إذا لم يكن فيه مضرة راجحة لم يحرم ولم ينه عنه، ولكن إذا صد عن ذكر الله وعن الصلاة صار مكروهاً بغيضاً للرب عز وجل مقيتاً عنده إما بأصله وإما بالتجاوز فيه. وكل ما صدّ عن اللذة المطلوبة فهو وبال على صاحبه، فإنه لو اشتغل حين مباشرته له بما ينفعه ويجلب له اللذة المطلوبة الباقية لكان خيراً [له] وأنفع

ولما كانت النفوس الضعيفة كنفوس النسآء والصبيان لا تنقاد إلى أسباب اللذة العظمى إلا بإعطائها شيئاً من لذة اللهو واللعب بحيث لو فطمت عنه كل [الفطام] طلبت ما هو شر لها منه رخص لها من ذلك فيما لم يرخص فيه لغيرها. وهذا كما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جوارٍ يضربن بالدف فأسكتهن لدخوله وقال: هذا رجل لا يحب الباطل [1] فأخبر أن ذلك باطل ولم يمنعهن منه لما يترتب لهن عليه من المصلحة الراجحة، ويترك به مفسدة أرجح من مفسدته، وأيضاً فيحصل لهم من التألم بتركه مفسدة هي أعظم من مفسدته، فتمكينهم من ذلك من باب الرحمة والشفقة والإحسان، كما مكّن النبي صلى الله عليه وسلم أبا عميرٍ من اللعب بالعصفور بحضرته [2]،

---

(١) رواه الامام احمد في قصة اخرى ليس فيها ذكر الدف والجواري بل قاله صلى الله عليه وسلم للاسود بن سريع وكان ينشده شعراً.

(٢) ذكره البخاري ومسلم والترمذي.

ومكّن الجاريتين من الغناء بحضرته[١] ، ومكّن عائشة رضي الله عنها من النظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد[١] ، ومكّن تلك المرأة أن تضرب على رأسه بالدف[٢] ونظائر ذلك . فأين هذا من اتخاذ الشيوخ المشار إليهم المقتدى بهم ذلك ديناً وطريقاً مع التوسع فيه غاية التوسع بما لا ريب في تحريمه ؟ ونظيرُ هذا إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبُهم من الزكاة والغنيمة لضعف قلوبهم عن قلوب الراسخين في الإيمان من أصحابه ، ولهذا أعطى هؤلاء ومنع هؤلاء وقال : أَكِلُهُمْ إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغناء والخير[٣] ونظير هذا مزاحه صلى الله عليه وسلم مع من كان يمزح معه من الأعراب والصبيان والنساء تطييباً لقلوبهم ، واستجلاباً لإيمانهم ، وتفريحاً لهم . وفي مراسيل الشعبي أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مرّ على أصحاب الدِّركلة فقال : خذوا يا بني أرفدة[٤] حتى تعلم اليهودُ والنصارى أنّ في دِينِنا فسحة (ذكره أبو عبيد وقال الدِّرْكِلة لعبة العجم) فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم يبذل للنفوس من الأموال والمنافع ما يتألفها به على الحق المأمور به ويكون المبذول مما يلتذ به الآخذ ويحبه ، لأن ذلك وسيلة إلى غيره ، ولا يفعل ذلك مع من لا يحتاج إليه كالمهاجرين والأنصار ، بل يبذل لهم أنواعاً أُخر من الإحسان إليهم

(١) هو في الصحيحين .

(٢) لعله يشير الى انشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي في دلائل النبوة وليس فيه ذكر للدف والالحان .

(٣) لم اجد من خرجه بهذا اللفظ وفي الصحيحين ما يؤيده

(٤) أرفده : ابو الحبش . والحديث رواه الخرائطي في اعتلال القلوب

والمنافع في دينهم ودنياهم . ولما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه [ممن] لا يحب هذا الباطل ولا سماعه، ولا يحتاج أن يتألف بما يتألف به غيره، وليس مأموراً بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من التأليف على الإيمان به وطاعته بكل طريق - كان إعراضه عنه كمالاً بالنسبة إليه، وحال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل .

فصل إذا عرف هذا فأقسام اللذات ثلاثة : لذة جثمانية، ولذة خيالية وهمية، ولذة عقلية روحانية . فاللذة الجثمانية لذة الأكل والشرب والجماع، وهذه اللذة يشترك فيها مع الإنسان الحيوان البهيم، فليس كمال الإنسان بهذه اللذة لمشاركة أنقص الحيوانات له فيها، ولأنها لو كانت كمالاً لكان أفضل الإنسان وأشرفهم وأكملهم أكثرهم أكلاً وشرباً وجماعاً : وأيضاً لو كانت كمالاً لكان نصيب رسل الله وأنبيائه وأوليائه منها في هذه الدار أكمل من نصيب أعدائه . فلما كان الأمر بالضد تبين أنها ليست في نفسها كمالاً وإنما تكون كمالاً إذا تضمنت إعانة على اللذة الدائمة العظمى كما تقدم .

فصل وأما اللذة الوهمية الخيالية فلذة الرئاسة والتعاظم على الخلق والفخر والاستطالة عليهم . وهذه اللذة وإن كان طلابها أشرف نفوساً من طلاب اللذة الأولى فإن آلامها وما توجبه من المفاسد والمضار أعظم من التذاذ النفس بها، فإن صاحبها منتصب لمعاداة كل من تعاظم

وترأّس عليه . ولهذا شروطٌ وحقوقٌ تفوّت على صاحبها كثيراً من لذاته الحسية ، ولا يتمّ إلا بتحمل مشاقّ وآلامٍ أعظم منها . فليست هذه في الحقيقة بلذّةٍ وإن فرحت بها النفس وسُرَّت بحصولها . وقد قيل : إنه لا حقيقة للذّة في الدُّنيا وإنما غايتُها دفعُ آلامٍ كما يُدفع ألمُ الجوع والعطش وألمُ الشهوة بالأكل والشرب والجماع . ولذلك يُدفع ألمُ الخمول وسقوطِ القدر عند الناس بالرِّئاسة والجاه . والتحقيقُ أنَّ اللذة أمرٌ وجوديٌّ يستلزم دفع الألم بما بينهما من التضادّ .

فصل وأما اللذةُ العقليةُ الرُّوحانية فهي كلذة المعرفة والعلم والإتصاف بصفات الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والمروءة وغيرها ، فإن الإلتذاذ [بذلك] من أعظم اللذات ، وهو لذةُ النفس الفاضلة العُلوية الشريفة ، فإذا انضمَّت اللذة بذلك إلى لذة معرفة الله [تعالى] ومحبته وعبادته وحدَه لا شريك له والرضا به عوضاً عن كل شيءٍ ولا يتعوَّض بغيره عنه فصاحب هذه اللذة في جنةٍ عاجلةٍ نسبتُها إلى لذات الدُّنيا كنسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا ، فإنه ليس للقلب والرُّوح ألذُّ ولا أطيبُ ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحدَه وقرّةِ العين به والأُنسِ بقربه والشوقِ إلى لقائه ورؤيته ، وإن مثقال ذرةٍ من هذه اللذّة لا يُعْدَل بأمثال الجبال من لذات الدنيا . ولذلك كان مثقالُ ذرةٍ من إيمانٍ بالله ورسولِه يُخَلّص من الخلود في دار الآلام ،

فكيف بالإيمان الذي يمنع دخولها ؟ قال بعض العارفين : من قرَّت عينه بالله قرَّت به كلُّ عين ، ومن لم تقرَّ عينه بالله تقطَّعت نفسه على الدُّنيا حسرات . ويكفي في فضل هذه اللذّةِ وشرفها أنها تخرج من القلب ألمَ الحسرة علَى ما يفوت من هذه الدُّنيا ، حتى إنه ليتألَّم بأعظم ما يلتذّ به [أهلها] ، ويفرُّ منه فرارَهم من المؤلم . وهذا موضعٌ الحاكمُ فيه الذوقُ لا مجرَّدُ لسان العلم . وكان بعضُ العارفين يقول : مساكين أهل الدُّنيا خرجوا من الدُّنيا ولم يذوقوا طيبَ نعيمها ، فيقال له : ومـا هو ؟ فيقول : محبةُ الله والأُنسُ به والشوقُ إلى لقآئه ومعرفةُ أسمآئه وصفاته . وقال آخر : أطيب ما في الدنيا معرفتُه ومحبتُه ، وألذُّ ما في الآخرة رؤيتُه وسماعُ كلامه بلا واسطة . وقال آخر : واللهِ إنه ليمرُّ بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحـال إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبةَ مَن في محبته عذابُ القلب والرُّوح كيف توجب لصاحبهـا لذةً يتمنّى أنه لا يفارقه حبُّه [كما] قال شاعرُ الحماسة :

تَشكّى المحبون الصبابةَ ليتني ... تحمّلتُ ما يلقونَ من بينهم وحدي (١)

فكانت لقلبي لذةُ الحبّ كلُّها ... فلم يلقَها قبلي محبٌّ ولا بعدي

قالت رابعة : شغلوا قلوبهم بحبّ الدنيا عن الله ، ولو تركوها لجالت في الملكوت ثم رجعت إليهم بطرائف الفوائد . وقال مسلم الخوّاص :

(١) تقدم هذا البيت في الصفحة ٢٨

تركتموه وأقبل بعضكم على بعض ، ولو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب .
وقالت امرأة من العابدات : لو طالعت قلوب المؤمنين بفكرها ما ذخر لها
في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصفُ لها في الدنيا عيش ، ولم تقرَّ
لها في الدنيا عين . وقال بعض المحبين : إن حبه عزّ وجلّ شغل قلوبَ
محبّيه عن التلذّذ بمحبة غيره ، فليس لهم في الدنيا مع حبه عزّ وجلّ
لذة تُداني محبته ، ولا يؤمِّلون في الآخرة من كرامة الثواب أكبرَ عندهم
من النظر إلى وجه محبوبهم . وقال بعض السلف : ما من عبدٍ إلا وله
عينان في وجهه يبصر بهما أمرَ الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمرَ
الآخرة ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتيْن في قلبه فأبصر بهما
من اللذّة والنعيم ما لا خطر له مما وُعِدَ به مَنْ لا أصدقُ منه حديثاً ،
وإذا أراد به غيرَ ذلك تركه على ما هو عليه ثم قرأ : (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا)[1] ولو لم يكن للقلب المشتغل بمحبة غير الله المعرِضِ عن ذكره
من العقوبة إلا صدأه وقسوته وتعطيله عما خُلِقَ له لكفى بذلك عقوبة .
وقد روى عبدُ العزيز بن أبي روّاد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا
يَصْدَأُ الْحَدِيدُ قيل : يا رَسُولَ اللهِ فَمَا جِلَاؤُهَا ؟ قال : تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ[2]
وقال بعض العارفين : إن الحديد إذا لم يُستعمل غَشيه الصدأُ حتى يفسده ،

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريج احاديث الإحياء : رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف

كذلك ٱلقلب إذا عُطِّل من حب ٱلله وٱلشوق إليه وذِكره غلَبه ٱلجهلُ حتى يميته ويُهلِكه . وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي قال : أذِبْه بٱلذكر . وأبعدُ ٱلقلوب من ٱلله ٱلقلب ٱلقاسي ، ولا يُذهب قساوته إلّا حبٌّ مقلقٌ ، أو خوفٌ مزعج ، فإن قيل : ما ٱلسبب ٱلذي لأجله يلتذّ ٱلمحبُّ بحبه وإن لم يظفر بحبيبه ؟ قيل ٱلحبّ يوجب حركةَ ٱلنفس وشدّة طلبها ، وٱلنفسُ خُلِقت متحركةً بٱلطبع كحركة ٱلنار ، فٱلحبُّ حركتُها ٱلطبيعيةُ ، فكل من أحبّ شيئاً من ٱلأشياء وجد في حبه لذةً ورَوْحاً ، فإذا خلا عن ٱلحب مطلقاً تعطلت ٱلنفسُ عن حركتها وثقُلت وكسِلت وفارقها خفةُ ٱلنشاط . ولهذا تجد ٱلكسالى أكثرَ ٱلناس همّاً وغمّاً وحزناً ، ليس لهم فرحٌ ولا سرورٌ ، بخلاف أرباب ٱلنشاط وٱلجِدّ في ٱلعمل أيِّ عملٍ كان ، فإن كان ٱلنشاطُ في عملٍ هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته كان ٱلتذاذُهم بحبه ونشاطهم فيه أقوى . وبٱلله ٱلتوفيق .

الباب الرابع عشر

فيمن مدح العشق وتمناه ، وغبط صاحبه على ما أوتيه من مناه

هذا موضعٌ انقسم الناس فيه قسمين ، وربما كان للشخص الواحد فيه مجموعُ الحالتين ، فقسمٌ مدحوا العشقَ وتمنَّوْه ورغبوا فيه ، وزعموا أَن مَن لم يَذُقْ طعمه لم يذق طعم العيش قالوا : وقد تبيَّن أَن كمالَ اللذّة تابعٌ لكمال الحبّ ، فأَعظم الناس لذةً بالشيء أكثرهم محبةً له ، وقد تقدم تقريرُه . قالوا : وقد حبّب اللهُ سبحانه [وتعالى] إلى رُسُله وأَنبيائه نساءَهم وسراريَهم ، فكان آدم أبو البشر شديدَ المحبة لحوّآء ، وقد أَخبر اللهُ سبحانه وتعالى أَنه خلق زوجته منه ليسكن إليها . قالوا : وحبُّه لها هو الذي حمله عَلَى موافقتها في الأَكل من الشجرة . قالوا : وأَوّلُ حبٍّ كان في هذا العالَم حبُّ آدمَ لحوّآءَ وصار ذلك سُنّةً في ولده في المحبة بين الزوجين . قالوا : وهذا داود من محبته للنسآء جمع بين مائة امرأَةٍ ، وكذلك ابنه سليمان . قالوا : وقد عاب اليهودُ عليهم لعائنُ الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم محبة النسآء وكثرة تزوُّجه فأَنزل الله سبحانه وتعالى ذبًّا عن رسوله صلى الله عليه وسلم وإِخباراً بأَن ذلك من فضله وإِنعامه عليه : (أَمْ يحسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتينَا آلَ إِبْرَاهِيم

ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً) [١] قالوا : وقد كان عند إبراهيمَ خليلِ ٱلرحمن أجملُ ٱلنسآء سارّة ، ثم تسرّى بهاجر وكانت ٱلمحبة لها [٢] . قال سعد بن أبي وقّاص رضي ٱلله عنه : كان إبراهيم يحبّ سُرّيّته هاجرَ محبةً شديدة ، وكان يزورها في كل يومٍ عَلَى ٱلبُراق من ٱلشام من شغفه بها . قال ٱلخرائطي : حدثنا نصر بن داود ، حدّثنا ٱلواقدي ، عن محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيهِ فذكره ، وقد ثبت في ٱلصحيح من حديث ٱلشّعبيّ عن عمرو بن ٱلعاص رضي ٱلله عنه قال : بعثني رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم عَلَى جيشٍ وفيهم أبو بكر وعمرُ رضي ٱلله عنهما ، فلما رجعت قلت : يا رسول ٱلله من أحبُّ ٱلناس إليك؟ قال : وما تريد؟ قلت : أحبّ أن أعلم قال : عائشة قلت : إنما أعني من ٱلرجال قال : أبوها [٣] . وذكر مباركُ بن فُضالة عن علي بن زيد عن عمته عن عائشة أن فاطمةَ رضي ٱلله عنهم ذكرتها عند ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم فقال لها : يا بُنَيَّة إنها حبيبة أبيك . وأصل ٱلحديث في ٱلصحيح من حديث ٱلليث عن ٱبن شهاب عن محمد بن عبد ٱلرحمن عن عائشة رضي ٱلله عنها قالت : أرسل أزواج ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم [فاطمة] بنت ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم إليه ، فدخلت وهو مضطجع معي في مِرْطي فقالت : يا رسول ٱلله إن

حديث

---

(١) سورة النسآء الآية ٥٤

(٢) في ن : وكان الحب لهاجر .

(٣) رواه البخاري ومسلم بنحوه .

أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألستِ تحبّين ما أُحبّ؟ قالت: بلى قال: فأحبّي هذه[١] وثبت في الصحيح من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْسِمُ بين نسائه فيعدِل ويقول: اللهُمَّ هذا فِعْلي فيما أملكُ فلا تَلُمْني فيما تملِكُ ولا أملكُ[٢] يريد صلى الله عليه وسلم أنه يطيق العدل بينهنّ في النفقة عليهن والقَسْم بينهن، وأما التسوية بينهنّ في المحبة فليست إليه ولا يملكها. وقال ابن سيرين: سألت عبيدة عن قوله تعالى (وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ)[٣] فقال: يعني الحبَّ والجماع. وقال ابن عباس: لا يستطيع أن يعدل بينهنّ في الشهوة ولو حرص. وقال أبو قيس مولى عمرو بن العاص: بعثني عمرُو إلى أم سلَمة فقال: سلها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبّل أهله وهو صائم؟ فإن قالت لا فقل لها: إن عائشة رضي الله عنها حدثتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبّلها وهو صائم، فسألها فقالت: لا فأخبرها بما قال عبد الله[٤] فقالت أم سلمة رضي الله عنها: إن رسول

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

(٢) رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه.

(٣) سورة النساء الآية ١٢٩

(٤) كذا في النسختين والصواب عمرو. وهذا الحديث لم أجده فيما اطلعت عليه، بل الثابت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل أم سلمة وهو صائم.

ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم كان إذا رأى عآئشة رضي ٱللهُ عنها لم يتمالك عنها ، أما أنا فلا . وقال بيان عن ٱلشعبي : أتاني رجلٌ فقال : كلُّ أُمهاتٱلموٴمنين أُحب إلا عائشة فقلت : أما أنت فقد خالفت رسول ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم : كانت عآئشة رضي ٱللهُ عنها أحبهنَّ إلى قلبه . وقال مُصْعَبُ بن سعد : فرض عمر بن ٱلخطّاب رضي ٱللهُ عنه لأُمهات ٱلموٴمنين رضي ٱللهُ عنهن عشرةَ آلاف عشرة آلاف ، وزاد عآئشة ألفين وقال : إنها حبيبةُ رسول ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم . وكان مسروق إذا حدث عن عآئشة رضي ٱللهُ عنها يقول : حدَّثتني ٱلصدّيقةُ بنت ٱلصدّيق حبيبةُ رسول ربّ ٱلعالمين ٱلمبرَّأَةُ من فوق سبع سمٰوات . قال أبو محمد بن حزم : وقد أحبّ من ٱلخلفآء ٱلراشدين وٱلأئمة ٱلمهديّين كثيرٌ . قال ٱلخرائطي : وٱشترى عبد ٱللهِ بن عمر جاريةً رومية فكان يحبها حبًّا شديداً ، فوقعت ذات يوم عن بغلةٍ له فجعل يمسح ٱلتراب عن وجهها ويفدّيها . وكانت تقول له : أنت قالون تعني جيد ، ثم إنها هربت منه فوجد عليها وَجداً شديداً وقال :

قد كنتُ أَحسِبُني قالونَ فٱنصرفت ... فٱليومَ أعلمُ أني غيرُ قالون

وقصة مُغيثٍ وعشقِهِ بَريرَةَ حتى إنه كان يطوف ورآءها ودموعهُ تسيل عَلَى خدّيه في ٱلصحيح . وكان عُرْوة بن أُذَيْنَة شيخُ مالك من ٱلعلمآء ٱلثقات ٱلصلَحآء وقفت عليه ٱمرأةٌ فقالت : أنت ٱلذي يقال [له] ٱلرجلُ ٱلصالح وأنت تقول ؟

إذا وجدتُ لهيبَ الحبّ في كَبِدي عَمَدتُ نحو سِقاءِ القوم أبْتَرِدُ
هذا بَرَدْتُ بِبَرْد الماء ظاهرَه فمن لنارٍ على الأحشاء تتّقِدُ (١)

وكان محمد بن سيرين ينشد:

إذا خَدِرَتْ رِجلي تذكّرتُ من لها فناديت لُبْنَى باسمها ودعوْتُ
دعوتُ التي لو أن نفسي تُطيعني لألقيتُ نفسي نحوها وقضَيْتُ

وقال صالح عن ابن شهاب: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريبٍ من ثمانين رجلاً ليس فيهم إلا قرشيّ، والله ما رأيت صفحةَ وجوهٍ قطُّ أحسنَ من وجوههم يومئذ، قال: فذكروا النساء فتحدّثوا فيهنّ وتحدّثت معهم حتى أحببتُ أن نسكت، قالوا: ولولا لطافةُ الحبّ ولذته ما تمناه المتمنون. وقال شاعر الحماسة:

تَشَكّى المحبّون الصبابةَ ليتني تحملتُ ما يلقوْن من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذّةُ الحبّ كلُّها فلم يلْقَها قبلي محبٌّ ولا بعدي (٢)

قالوا: والعشقُ المباحُ مما يؤجر عليه العاشقُ كما قال شريك بن عبد اللهِ — وقد سئل عن العشاق — فقال: أشدُّهم حباً أعظمهم أجراً. وصدق والله إذا كان المعشوق ممن يحبّ اللهُ للعاشق قربه ووصله وقالت امرأة:

لن يقبلَ اللهُ من معشوقةٍ عملاً يوماً وعاشقُها لهفانُ مهجور

---

(١) تقدم هذا البيتان على غير هذه الرواية في الصفحة ٥١ ولم ينسبا الى قائلهما.

(٢) تقدم هذان البيتان في الصفحة ١٨١

ليستْ بمأجورةٍ في قتل عاشقِها　　لكنّ عاشقَها في ذاك مأجور

ونحن نقول: متى باتت مهاجرةً لفراش عاشقها ٱلذي هو بعلُها لعنتها ٱلملائـكةُ حتى تصبح . قالوا: والعشقُ يصفي ٱلعقل ويذهب ٱلهم ويبعث عَلَى حسن ٱللباس وطيب ٱلمطعم ومكارم ٱلأخلاق ويعلي ٱلهمة ويحمل عَلَى طيب ٱلرائحة وكرم ٱلعشرة وحفظ ٱلأَدب والمُروءَة ، وهو بلاءُ ٱلصالحين ، ومحنة ٱلعابدين ، وهو ميزان ٱلعقول وجِلاء ٱلأَذهان وهو خُلُق ٱلـكرام كما قيل:

وما أَحببتهُـا فُحشاً ولـكن　　رأَيتُ ٱلحبَّ أَخلاقَ ٱلـكرام

قالوا: وأَرواحُ ٱلعُشّاق عطِرَةٌ لطيفة ، وأَبدانهم رقيقةٌ ضعيفة ، وأَزواجُهم بطيئةُ ٱلإِنقياد لمن قادها ، حاشا سكنها ٱلذي سكنت إِليه ، وعقدت حبها عليه . وكلامُهم ومنادمتهم تزيد في ٱلعقول ، وتحرّك ٱلنفوس ، وتطرب ٱلأَرواح ، وتلهو بأَخبارهم أُولوا ٱلأَلباب . فأَحاديثُ ٱلعُشّاق زينة مجالسهم ، ورُوح محادثتهم ، ويكفي أَن يكون ٱلأَعرابي ٱلذي لا يُذْكَر مع ٱلملوك ولا مع ٱلشجعان ٱلأَبطال يعشق ويشتهر بٱلعشق فيُذْكَر في مجالس ٱلملوك وٱلخُلَفاء ومَن دونَهم ، وتدوَّن أَخبارُه وتُروى أَشعارُه ، ويُبقي له ٱلعشقُ ذكراً مخلّداً . ولولا ٱلعشق لم يُذْكَر له ٱسمٌ ولم يُرْفَع له رأْس . وقال بعض ٱلعقلاء: العشقُ للأَرواح بمنزلة ٱلغذاء للأَبدان إِن تركْتَه ضرّكَ ، وإِن أَكثرت منه قتلك . وقال ٱبن عبد ٱلبَرّ في كتابه بهجة ٱلمجالس: وُجد في صحيفةٍ لبعض أَهل ٱلهند: العشقُ

ارتياحٌ جُعِل في الرُّوح ، وهو معنىً تُنْتِجه النجومُ في مطارح شعاعها ، ويتولد في الطِّباع بوصلة أشكالها ، وتقبَلُه الرُّوح بلطيف جوهرها ، وهو يعدُّ جلاءَ القلوب وصيقلَ الأذهان ما لم يُفْرِط ، فإذا أفرط صار سقماً قاتلاً ، ومرضاً مُنهكاً [1] لا تنفُذُ فيه الآراء ، ولا تَنْجَعُ فيه الحِيَل ، والعلاجُ منه زيادةٌ فيه . وقال أعرابيٌّ : هو أنيس النفس ، ومحادث العقل ، تجُنُّه الضمائر : وتخدُمه الجوارح . وقال عبد الله بن طاهرٍ أميرُ خُراسان لولده : إعشقوا تَظْرُفوا ، وعُفّوا تشرُفوا . وقال قُدامة : وصفه بعضُ البلغاء فقال : يشجِّع الجبان : ويسخِّي البخيل ، ويُصفِّي ذهنَ البليد ، ويفصح لسان العِيِّ ، ويبعث حزْم العاجز ، ويذِلُّ له عزُّ الملوك ، وتُصدَع له صَوْلةُ الشجاع ، وهو داعيةُ الأدب ، وأولُ بابٍ تُفْتَق به الأذهانُ والفِطَن ، وتستخرَج به دقائقُ المكائد والحِيَل ، وإليه تستروح الهمم ، وتسكن نوافرُ الأخلاق والشِّيَم ، يُمْتِع جليسه ، ويؤْنس أليفَه ، وله سرورٌ يجول في النفوس ، وفرحٌ يسكُن في القلوب . وقيل لبعض الرؤساء : ابنك قد عشق فقال : الحمد لله ، الآن رقّت حواشيه ، ولَطُفَتْ معانيه ، وملُحت إشاراته ، وظرُفَتْ حركاته ، وحسُنت عباراته ، وجادت رسائله ، وحلت شمائله ، فواظب على المليح ، واجتنب القبيح . وقيل لآخر ذلك فقال : إذا عشق لَطُفَ وظرُف ودقّ ورقّ . وقيل لبعضهم : متى يكون الفتى بليغاً ؟ قال : إذا صنّف كتاباً ، أو وصف هوىً

(١) كذا في النسختين والصواب ناهكاً لان فعله ثلاثي .

أو حبيباً . وقيل لسعيد بن أسلم : إن ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال: دعوه يظرُف وينظف ويلطُف . وقال العباس بن الأحنف :

وما الناسُ إلا العاشقون ذووا الهوى ... ولا خيرَ فيمن لا يُحبّ ويعشَقُ

وقال الحسين بن ~~الحسين بن~~ مطير :

إن الغواني جنةٌ ريحانُها ... نضرُ الحياة فأين عنها نعزف

لولا ملاحتهنّ ما كانت لنا ... دنيا نَلَذُّ بها ولا نتصرف

وقال غيره :

ولا خيرَ في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيدٌ مفردٌ غيرُ عاشق

وقال آخر :

هل العيشُ إلا أن تروحَ وتغتدي ... وأنت بكأس العشق في الناس نشوانُ

وقال العطَوي :

ما دِنتُ بالحب إلا ... والحبّ دينُ الكرام

وقال آخر :

نظرتُ إليها نظرةً فهويتُها ... ومن ذا له عقلٌ سليمٌ ولا يهوى

وقال آخر :

وما سرّني أني خليٌّ من الهوى ... ولو أن لي ما بين شرقٍ ومغرب

وقال آخر :

وما تلفتْ إلا من العشقِ مهجتي ... وهل طاب عيشٌ لامرىءٍ غيرِ عاشق

وقال آخر:

ولا خيرَ في ٱلدنيا بغير صَبابةٍ ولا في نعيمٍ ليس فيه حبيبُ

وقال ٱلكُمَيْت:

ما ذاق بُؤْسَ معيشةٍ ونعيمَها فيما مضى أَحدٌ إِذا لم يَعْشَقِ

أَلعشقُ فيه حلاوةٌ ومَرارةٌ فاسأَل بذلك من تطعمَّ أَوْ ذُقِ

وقال آخر:

وما طابت ٱلدنيا بغير محبةٍ وأَيُّ نعيمٍ لأمرئٍ غيرِ عاشق

وقال آخر:

أُسكُن إِلى سَكَنٍ تَلَذُّ بحبه ذهب ٱلزمانُ وأَنت خالٍ مفرد

وقال آخر:

إِذا أَنت لم تعشق ولم تَدْرِ ما ٱلهوى فأَنت وعَيْرٌ في ٱلفلاةِ سواءُ

وقال آخر:

إِذا أَنت لم تعشقْ ولم تدْرِ ما ٱلهوى فكن حجراً من يابس ٱلصخر جَلْمَدا

وقال آخر:

إِذا أَنت لم تَعْشَقْ ولم تدْرِ ما ٱلهوى فقم فٱعتلف تِبْنًا فأَنت حمارُ

وقال آخر:

إِذا لم تَذُقْ في هذه ٱلدار صَبْوَةً فموتك فيها وٱلحياةُ سواءُ

وقال ٱلأَقرعُ بنُ معاذ:

ولا خيرَ في ٱلدُّنيا إِذا أَنت لم تزُرْ حبيبًا ولا وافى إِليك حبيبُ

وقال آخر:

وما ذاق طعمَ العيش من لم يكن له حبيبٌ إليه يطمئنّ ويسكنُ

وقال علي بن أبي كثير لابن أبي الزرقاء: هل عشقت قطّ حتى تكاتب وتراسل وتواعد؟ قال: لا فقال: لا يجيء منك شيء. وكان لبعض الملوك ولدٌ واحدٌ ساقطُ الهمة دنيء النفس [فاتر]، فأراد أن يرشّحه للمملك فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة، فأُعلم بذلك الملكُ فسرَّ وأرسل إلى المعشوقة أن تجني عليه وقولي: إني لا أصلح إلاّ لملكٍ أو عالمٍ، فلما قالت له ذلك أخذ في التعلّم وما عليه الملوك من أدوات الملك حتى برع في ذلك. وقال المرزباني: سئل أبو نوفل هل يسلم أحد من العشق؟ فقال: نعم الجلفُ الجافي الذي ليس له فضلٌ ولا عنده فهم، فأما من في طبعه أدنى ظرفٍ أو معه دماثة أهل الحجاز وظرفُ أهل العراق فهيهات. وقال علي بن عبدة: لا يخلو أحدٌ من صبوةٍ إلا أن يكون جافيَ الخلقة ناقصاً أو منقوصَ الهمة أو على خلاف تركيب الاعتدال قالوا: ولا يكمل أحدٌ قطّ إلا من عشقه لأهل الكمال وتشبهَ بهم. فالعالم يبلغ في العلم بحسب عشقه له، وكذلك صاحبُ كلّ صناعةٍ وحرفة: ويكفي أن العاشق يرتاح لكريم الأخلاق والأفعال والشيم لتحمدَ شمائله عند معشوقه كما قال:

ويرتاح للمعروف في طلب العلى لتحمدَ يوماً عند ليلى شمائلُه[1]

---

(١) يعجبني في هذا المعنى قول السيد محمد توفيق البكري وهو مما اخترته له في –

وقال أبو المنجاب: رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم بيّن الضعف يلوذ ويتعوّذ ويقول:

وددتُ بأن الحبّ يجمعُ كلّه فيقذفُ في قلبي وينغلق الصدر

فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ومن فرحي بالحبّ أو ينقضي العمر

فقلت: يا فتى ما لهذه البنيّة حرمةٌ[1] تمنعك عن هذا الكلام؟ فقال: بلى والله ولكن الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكر ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشذّ عنه معرفة ما بي، فتمنيتُ المنى. والله ما يسرُّني ما بقلبي منه ما فيه أميرُ المؤمنين من الملك، وإني أدعو الله أن يثبته في قلبي عمري، ويجعله ضجيعي في قبري، دريتُ به أو لم أدرِ. هذا دعائي أو أنصرف من حجتي، ثم بكى فقلت: ما يبكيك؟ قال: خوفُ أن لا يستجاب دعائي وله قصدت وفيه رغبت مما يعطي الله سائر خلقه. ثم مضى. قالت هذه الفرقة، وغايةُ ما يقدر في أمر العشق أنه يقتل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من العشاق. وقد قال سويد ابن سعيد الحدثاني: حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من عشق فكتم وعفّ وصبر فمات فهو شهيدٌ. رواه عن سويد

ـ كتابي مشاهير شعراء العصر.

إذا كنتُ وحدي اكون وايا ك أو خاليًا فاشتغالي بكِ

وأطلب المجد والمكرمات لتحسن لي شيمةٌ عندكِ

(١) البنية: الكعبة المشرفة. وفي ن: ما لهذا البيت حرمة.

جماعةٌ . وقال ٱلخطيب: حدثنا أبو ٱلحسن علي بن أيوب إملآء [منه]، حدثنا أبو عبد ٱلله ٱلمَرْزُباني وٱبنُ حَيّويه وٱبن شاذان قالوا: حدّثنا أبو عبد ٱلله إبراهيمُ بن محمد بن عُرْفة نِفْطَوَيْه قال، دخلت عَلَى محمد ٱبن داود ٱلأَصبهاني في مرضه ٱلذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: حبٌّ من تعلم أورثني ما ترى فقلت: ما منعك من ٱلإستمتاع به مع ٱلقدرة عليه؟ فقال ٱلإستمتاع عَلَى وجهين: أَحدُهما ٱلنظر ٱلمباح، والثاني ٱللذّة ٱلمحظورة . فأَما ٱلنظرُ ٱلمباحُ فأَورثني ما ترى، وأما ٱللذّةُ ٱلمحظورةُ فإنه منعني منها ما حدثني أَبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مُسْهِر، عن أَبي يحيى ٱلقتّات، عن مجاهد، عن ٱبن عباس رضي ٱلله عنهما، عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم أنه قال: مَنْ عَشِقَ وَكَتَمَ وعفَّ وَصبرَ غفرَ ٱللهُ لهُ وَأَدْخَلَهُ ٱلجَنَّةَ . قال ٱلحاكم أبو عبد ٱلله: إنما أَتعجّب من هذا ٱلحديث، فإنه لم يحدث به غير سُوَيد، وهو وداود بن علي وٱبنه أبو بكر ثقات . ثم رواه ٱلخطيب: حدثنا ٱلأزهري، حدثنا ٱلمُعَافى بن زكريا، حدثنا قُطْبة بن ٱلفضل بن إبراهيم ٱلأَنصاري، حدثنا أَحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا سُوَيد، حدثنا ٱبن مُسْهِر، عن هشام بن عُرْوة، عن أَبيه، عن عائشة رضي ٱلله عنها مرفوعاً . ورواه ٱلزُّبَيْرُ بنُ بكّار عن عبد ٱلملك بن عبد ٱلعزيز بن ٱلماجشُون، عن عبد ٱلعزيز بن أَبي حازم، عن ٱبن أَبي نجيح، عن مجاهد، عن ٱبن عباس رضي ٱلله عنهما، عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم به . ولفظه: مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ

فمات فهو شهيد رواه أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب اعتلال القلوب . حدثنا أبو يوسف يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن ابن عوف عن الزبير فذكره ، فخرج سويد عن عهدة التفرد به على أنه لو تفرد به فهو ثقة احتج به مسلم في صحيحه . وقال عبد الله بن أحمد : قال لي أبي اكتب عنه حديث [ضمام] وقال البغوي : كان حافظاً وكان أحمد ينتقي لولديه عليه صالحٍ وعبدِ الله فكانا يختلفان إليه . وقال مسلم : ثقة ثقة . وقال أبو حاتم الرازي ويعقوب بن شيبة : هو صدوق . وأكثرُ ما عِيبَ به التدليسُ وقد صرح ها هنا بالتحديث وعِيبَ بأنه ذهب بصرُه في آخر عمره ، فربما أُدخل عليه هذا الحديث في كتبه ولكن رواية الأكابر عنه هذا الحديثَ كان قبل ذهاب بصره ، لأنه إنما عمي في آخره عمره ، وليس هذا بقادحٍ في حديثه . قلت : وهذا حديثٌ باطلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعاً لا يُشْبِهُ كلامَه ، وقد صح عنه أنه عدَّ الشهداء ستاً فلم يذكر فيهم قتيل العشق [شهيداً] ولا يمكن أن يكون كلُّ قتيلٍ بالعشق شهيداً فإنه قد يعشق عشقاً يستحق عليه العقوبة . وقد أنكر حُفّاظ الإسلام هذا الحديث على سويد وقد تكلم الناس فيه ، فقال ابن المديني : ليس بشيءٍ والضريرُ إذا كان عنده كتبٌ فهو عيبٌ شديد . وقال يعقوب بن شيبة : صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعدما عمي . وقال البخاريُّ : كان قد عمي فيُلَقَّن ما ليس من حديثه . وقال أبو أحمد الجرجاني : هذا الحديث أحد

ما أُنكِر عَلَى سُوَيد، وأَنكره ٱلبيهقي وأَبو ٱلفضل بن طاهر وأَبو ٱلفرج بن ٱلجوزي وأَدخله في كتابه ٱلموضوعات . ولما رواه أبو بكر ٱلأَزرق عن سويد عاتبه عليه أُبن ٱلمرزُبان فأَسقط ذكرَ ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم منه . وكان إِذا سئل عنه لا يرفعه، وهذا أَحسنُ أَحواله أَن يكون موقوفاً . ولذلك رواه أبو محمد ٱلحسين ٱلقاريء من حديث أَبي سعد ٱلبقال عن عكرمة عن ٱبن عباس رضي ٱلله عنهما قوله . وأَما سياق ٱلخطيب له من حديث هشام بن عروة عن أَبيه عن عائشة رضي ٱلله عنها فلا يَشُكُّ من شم رائحة ٱلحديث أَن هذا باطل عَلَى هشام عن أبيه عن عائشة، ولا يحتمل هذا ٱلمتنُ هذا ٱلإِسناد بوجهٍ وٱلتحاكُم في ذلك إِلى أَهل ٱلحديث لا إِلى ٱلعارين ٱلغرباء منه . وٱلظاهر أَن ٱبن مسروقٍ سرقه وغيّر إِسنادَه . وأَما حديثُ ٱلزُّبَير ٱبن بكار فمن رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف لا تقوم به حجة قد ضعفه أَهل ٱلحديث ونسبوه إِلى ٱلكذب .

الباب الخامس عشر

فيمن ذم العشق وتبرم به ، وما احتج به كل فريق على صحة مذهبه

قال ٱللهُ تعالى إخباراً عن ٱلمؤمنين : (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا)[1] وقد أثنى ٱللهُ عليهم سبحانه بهذا ٱلدعاء ٱلذي سألوه فيه أن لا يحمّلهم ما لا طاقة لهم به وقد فُسّر ذلك بالعشق ، وليس ٱلمرادُ ٱختصاصه به بل ٱلمراد أن ٱلعشق مما لا طاقة للعبد به . وقال مكحول : هو شدّة ٱلغُلْمَة . وقال ٱلنبي صلى ٱللهُ عليه وسلم : لاَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ[2] قال ٱلإمام أحمدُ : تفسيرُه أن يتعرّض من ٱلبلاء لما لا يطيق ، وهذا مطابقٌ لحال ٱلعاشق ، فإنه أذلُّ ٱلناس لمعشوقه ولما يحصل به رضاه ، وٱلحبُّ مبناه على ٱلذل وٱلخضوع للمحبوب كما قيل :

إخْضَعْ وذِلَّ لمن تحبّ فليس في ... شرع ٱلهوى أنفٌ يُشال ويُعْقَد

وقال آخر :

مساكينُ أهلُ ٱلعشق حتى قبورُهم ... عليها ترابُ ٱلذلّ بين ٱلمقابر

---

(١) آخر سورة البقرة .

(٢) لم أرَ من خرّجه

وقال آخر :

قالوا عهدناك ذا عزٍّ فقلت لهم ... لا يعجبِ الناسُ من ذلّ المحبينا
لا تنكروا ذِلّةَ العُشّاق إنهم ... مستعبَدون برِقّ الحبّ راضونا

قالوا : وإذا اقتحم العبدُ بحرَ العشق ولعبت به أمواجُه فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة ، كما ذكر الخرائطي أنه كان بالمدينة جاريةٌ ظريفةٌ فهوِيتْ رجلاً من قريشٍ ، وكان لا يفارقها ولا تفارقه فملّها ، وزاد حبُّها له فسقِمت ، وجعل مولاها لا يعبأُ بشكواها ولا يرِقّ لها ، حتى هامت علَى وجهها ومزّقت ثيابها وأفضت إلى أمرٍ عظيمٍ . فلما رأى ما صارت إليه عالجها فلم ينفعِ فيها العلاج ، وكانت تدور في السِّكَك بالليل [وتقول] :

أَلحبُّ أوّلُ ما يكون لجاجةٌ ... تأتي به وتسوقُه الأقدارُ
حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوى ... جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبار
من ذا يُطيق كما نُطيق من الهوى ... غلَبَ العزاءُ وباحت الأ[سرا]ر

قال الخرائطي : وأنشدني بعض أصحابنا :

أَلحبُّ أوّلُه شيءٌ يَهيم به ... قلبُ المحبّ فيَلْقى الموتَ كاللعبِ
يكون مبدؤه من نظرةٍ عرَضتْ ... ومَزحةٍ أُشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحةٍ فإذا ... تضرّمت أحرقت مستجمعَ الحطب

قالوا : وكيف يُمدَح أمرٌ يمنع القرار ، ويسلبُ المنام ، ويولّه العقل ، ويُحدِث الجنون ، بل هو نفسه جنون . كما قال بعض الحكماء : أَلجنون فنون ، والعشق فنٌّ من فنونه . كما قال بعض العشاق :

قالوا جُنِنْتَ بمن تهوى فقلتُ لهم أَلعشق أَعظمُ ممـا بالمجانين
أَلعشقُ لا يستفيق الدهرَ صاحبُهُ وإِنما يُصْرَعُ المجنونُ في الحين[1]

قالوا : وكم من عاشقٍ أَتلف في معشوقه ماله وعِرضه ونفسه ، وضيّع أَهلَه ومصالحَ دينه ودنياه . قال الزُّبيْرُ بن بكّار : جاءَت بدويّةٌ إِلى أُختٍ لها فقالت : كيف بك من حب فلان ؟ قالت : حرّكَ واللهِ حبّه الساكنَ ، وسكّن المتحرّك ، ثم أَنشأَت تقول :

فلو أَنّ ما بي بالحَصَى فلقَ الحصى وبالرّيحِ لم يُسْمَعْ لهنّ هبُوبُ
ولو أَنني أَستغفرُ اللهَ كلمـا ذكرتُكَ لم تُكْتَبْ عليَّ ذنوب

فقلت : واللهِ لأَسأَلنّه كيف هو من حبك فجاءَته فسأَلته فقال : إِنما الهوى هوانٌ ولكنه خُولِفَ باسمه ، وإِنمـا يَعْرِف ذلك من استبكتْهُ المعالم والطلول . وأَنشد أَبو الفضل الربعي :

قد أَمطرت عيني دماً فدماؤُها بعد الدُّموع من الجفون هوَامِلُ
كيف العزاءُ ولا يزال من الضنى في الجسم مني والجوانح نازلُ
لَهفي علَى زَمَنٍ مضى تجتازني فيه صروفُ الدهر وهي عوَاقِلُ

قالوا : والعشقُ هو الداءُ الذي تذوب معه الأَرواح ، ولا يقع معه الإِرتياح ، بل هو بحرٌ مَنْ رَكبه غرِق فإِنه لا ساحل له ولا نجاة منه ، وهو الذي قال فيه القائل :

ومـا أَحدٌ في الناس يُحْمَدُ أَمرُه فيوجد إِلا وهو في الحبّ أَحمق

(١) تقدما في الصفحتين ١٤٩ و١٥٣

وما أحدٌ ما ذاق بُؤْسَ معيشةٍ فيعشق إلا ذاقها حين يعشق

وقال ٱلعباس بن ٱلأحنف:

ويحَ ٱلمحبّين ما أشقى نفوسَهم إن كان مثلُ ٱلذي بي بٱلمحبينا

يَشقَوْنَ في هـذه ٱلدنيا بعشقهم لا يُرْزَقون به دُنيا ولا دينا

وقال آخر:

أَلعشقُ مَشْغَلَةٌ عن كلّ صالحةٍ وَسَكْرَةُ ٱلعشقِ تَنْفي لَذَّةَ ٱلوَسَنِ

وقال محمد بن أبي محمد ٱليزيدي:

كيف يطيقُ ٱلناسُ وصفَ ٱلهوى وهو جليلٌ ما له قَدْرُ

بل كيف يصفو لحَلِيفِ ٱلهوى عيشٌ وفيه ٱلبَيْنُ وٱلهَجْرُ

وقال محمد بن أُمَيَّة:

قرينُ ٱلحبّ يأنسُ بٱلهموم ويُكثر فكرةَ ٱلقلب ٱلسقيم

وأعظمُ ما يكون به ٱغتباطًا عَلَى خطرٍ ومُطَّلَعٍ عظيم

وقال أبو تمام:

أما ٱلهوى فهو ٱلعذابُ فإن جرت فيه ٱلنوى فأليم كلِّ عذاب

وقال ٱبن أبي حُصَيْنَة:

وٱلعشقُ يجتذب ٱلنفوسَ إلى ٱلردى بٱلطبع واحسَدي لمن لم يعشق

وقال ٱبن ٱلمعتز:

ٱلحب داءٌ عُضالٌ لا دواءَ له يحار فيه ٱلأطبـاءُ ٱلنحارير

قد كنت أحسب أن ٱلعاشقين غلَوْا في وصفه فإذا بٱلقوم تقصير

وقال أعرابي :

ألا ما ٱلهوى وٱلحبُّ بٱلشيء هكذا يدل به طوع ٱللسان فيوصف
ولكنه شيءٌ قضى ٱللّهُ أنه هو ٱلموتُ أَو شيءٌ من ٱلموت أَعنَفُ
فأَوّلُه سقمٌ وآخره ضنًى وأَوسطُه شوقٌ يَشُفّ ويُتلِف
ورَوْعٌ وتسهيدٌ وهمٌّ وحسرةٌ ووجدٌ عَلَى وجدٍ يزيد ويَضعُف

وقال عبد ٱلمحسن ٱلصُّوري :

ما ٱلحبُّ إلا مسلكٌ خَطِرٌ عَسِرُ ٱلنجاة وموطئٌ زَلَقُ

وقال آخر :

وكان ٱبتداءُ ٱلذي بي مجُونا فلما تمكّن أمسى جنونا
وكنتُ أظنّ ٱلهوى هيّناً فلاقيتُ منه عذاباً مُهينا

وقالت ٱمرأة :

رأيت ٱلهوى حُلواً إذا ٱجتمع ٱلشَّمْلُ ومرًّا عَلَى ٱلهجران لا بل هو ٱلقتلُ
فمن لم يَذُق للهجر طعماً فإنه إذا ذاق طعم ٱلحب لم يدرِ ما ٱلوَصْلُ
وقد ذقتُ طعميه عَلَى ٱلقرب وٱلنوى فأَبعدُه قتلٌ وأقربُه خَبْلُ

قالوا : وٱلعشق يترك ٱلملِكَ مملوكاً وٱلسلطانَ عبداً كما قال ٱلحكم ٱبن هشام بن عبد ٱلرحمن ٱلداخل وكان ملكَ ٱلأَندلس .

ظلّ من فرْط حبه مملوكا ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركَتْهُ جاذِرُ ٱلقصر صبًّا مستهاماً عَلَى ٱلصعيد تريكا
يجعل ٱلخدَّ واضعاً فوق تُرْبٍ للذي يجعل ٱلحريرَ أَرِيكا

هكذا يحسنُ ٱلتذلُّل بٱلحُرْ ... رِ اذا كان في ٱلهوى مملوكا

وقال ٱلرشيد وقد عشق ثلاثَ جوارٍ من جواريه ويقال: إنه ٱلمأمون:

ملَكَ ٱلثلاثُ ٱلآنساتُ عِناني ... وحَلَلْنَ من قلبي بكلّ مكان

ما لي تطاوعني ٱلبرية كلُّها ... وأُطيعهنّ وهنّ في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطانَ ٱلهوى ... وبه قَوِينَ أعزُّ من سلطاني

وقال بعض ٱلملوك في جارية له عشقها وكانت كثيرةَ ٱلتجَنّي عليه:

أَما يكفيك أنك تَملِكيني ... وأن ٱلناسَ كلَّهم عبيدي

وأنكِ لو جَهدتِ علَى تلافي ... لقلتُ من ٱلرضى أحسنتِ زيدي

وقال ٱبنُ طاهر ملكُ خُراسان:

فإني وإن حنَّت إليك ضمائري ... فما قَدْرُ حبّي أن يذِلّ له قدري

وقال ٱبن ٱلأَحمر ملكُ ٱلأندلس:

أَيا ربةَ ٱلخِدْر ٱلتي أذهبت نُسْكي ... علَى كل حالٍ أنت لا بُدّ لي منكِ

فإما بذلٍّ وهو أَليَقْ بٱلهوى ... وإمّا بعزٍّ وهو أَليقُ بٱلملكِ

قالوا: وكم ممن هرب من ٱلحبّ إلى مظانّ ٱلتلَف ليتخلّص من ٱلتلَف بٱلتلف. قال دِعْبِل ٱلشاعر: كنت بٱلثغر فنودي بٱلنفير، فخرجت مع ٱلناس فإذا بفتى يجرُّ رمحه بين يديَّ فٱلتفت فنظر إليَّ فقال: أَأنت دِعْبِل؟ قلت: نعم قال: اسمع مني، ثم أَنشدني فقال:

أنا في أمرَيْ رشادِ ... بين غزوٍ وجهاد (١)

(١) كذا في النسختين والذي في ديوان الصبابة وهو الصواب: بين حبٍّ وجهاد

بدَني يغزو عدوّي   والهوى يغزو فؤادي

ثم قال: كيف ترى؟ قلت: جيّد والله، قال: فوالله ما خرجت إلا هارباً من الحبّ، ثم قاتل حتى قتل. وقال أصرم بن حميد[1]:

نحن قومٌ تُليننا الحدَق النُجْـ   ـلُ عَلَى أننا نُلين الحديدا
طوع أيدي الظِّباء تقتادنا العيـ   ـنُ ونقتادُ بالطِّعان الأسودا
نتَّقي سخطنا الليوثُ ونخشى   صولَة الخِشف حين يبدي الصدودا
وترانا عند الكريهة أحرا   راً وفي السلم للغواني عَبيدا

قالوا: ورأينا الداخل فيه يتمنى [منه] الخلاص، ولات حين مَنَاص، قال الخرائطي: أنشدني أبو جعفر العبدي

إنّ الله نجّاني من الحبّ لم أعد   إليه ولم أقبل مقالة عاذلي
ومن لي بمَنْجاةٍ من الحبّ بعد ما   رمتني دواعي الحبّ بين الحبائل

وقال أبو عبيدة: الحبائل الموت قال: وأنشدني أبو عبيد [الله] بن الدولابي.

دعوتُ ربي دعاءً فاستجاب لنا   كما دعا ربَّه نوحٌ وأيوب
أن ينزِعَ الداءَ من صدري ويجعلَه   في صدر سَلْمى وحمل الداء تعطيب
أو يشفِ[2] قلبي سريعاً من صبابته   فلا أحِنّ إذا حنّ المطاريب

قالوا: وكم أكبّت فتنة العشق رؤوساً عَلَى مناخرها في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وجرّعتهم بين أطباق النار كؤوس

(١) نسب ابن خلكان هذه الابيات الى عبد الله بن طاهر قال: وقيل إنها لأصرم
(٢) كذا في النسختين ولا وجه لحذف الياء الا الضرورة.

الحميم ، وكم أخرجت من شآء الله من العلم والدين ، كخروج الشعرة من العجين ، وكم أزالت من نعمة ، وأحلّت من نِقمة ، وكم أنزلت من مَعْقِلِ عزّه عزيزاً فإذا هو من الأذلِّين ، ووضعت من شريفٍ رفيع القدر والمَنْصِبِ فإذا هو في أسفل السافلين ، وكم كشفت من عورة ، وأحدثت من رَوْعة ، وأعقبت من ألم ، وأحلّت من نَدَم ، وكم أضرمت من نار حسراتٍ أحرقت فيها الأكباد ، وأذهبت قدراً كان للعبد عند الله وفي قلوب العباد ، وكم جلبت من جَهْد البلآء ، ودَرْك الشقآء ، وسوء القضآء ، وشماتة الأعدآء ، فقلّ أن يفارقَها زوال نعمة ، أو فُجآءة نقمة ، أو تحويلُ عافية ، أو طروقُ بليّة ، أو حدوثُ رَزيّة ، فلو سألت النِّعَمَ ما الذي أزالك ؟ والنِّقَمَ ما الذي أدالك ؟ والهمومَ والأحزان ما الذي جلبك ؟ والعافيةَ ما الذي أبعدك وجنبك ؟ والسّترَ ما الذي كشفك ؟ والوجهَ ما الذي أذهب نورَك وكَسَفك ؟ والحياة ما الذي كدّرك ؟ وشمسَ الإيمان ما الذي كوّرك ؟ وعزة النفس ما الذي أذلّك ؟ وبالهوان بعد الإكرام بدّلك ؟ لأجابتك بلسان الحال اعتباراً ، إن لم تجبْ بالمقال حِوارا : هذه والله بعضُ جنايات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون ، (فَتِلْكَ بيوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] ويكفي اللبيبَ موعظةً واستبصاراً ، ما قصه الله سبحانه وتعالى عليه في سورة الأعراف في شأن أصحاب الهوى المذموم تحذيراً واعتباراً ، فبدأ سبحانه وتعالى

---

(١) سورة النمل الآية ٥٢

بهوى إبليس الحاملِ له على التكبُّر عن طاعة الله عز وجل في أمره بالسجود لآدم ، فحمله هوى النفس وإعجابُه بها على أن عصى أمره وتكبّر على طاعته فكان من أمره ما كان ، ثم ذكر سبحانه هوى آدم حين رغب في الخلود في الجنة وحمله هواه على أن أكل [من] الشجرة التي نُهِيَ عنها وكان الحامل له على ذلك هوى النفس ومحبّتها للخلود ، فكان عاقبةُ ذلك الهوى والشهوةِ إخراجَه منها إلى دار التعب والنَّصَب . وقيل إنه إنما أكل منها طاعةً لحوّآء ، فحمله حبُّه لها أن أطاعها ودخل في هواها ، وإنما توصّل إليه عدوُّه من طريقها ? ودخل عليه من بابها . فأول فتنةٍ كانت في هذا العالَم بسبب النسآء . ثم ذكر [سبحانه] فتنةَ الكفّار الذين أشركوا به ما لم ينزّلِ به سلطانًا ، وابتدعوا في دينه ما لم يَشْرَعْه ، وحرّموا زينته التي أخرج لعباده والطيباتِ من الرزق ، وتعبّدوا له بالفواحش وزعموا أنه أمرهم بها ، واتّخذوا الشياطين [أوليآء] من دونه . والحاملُ لهم على ذلك كلِّه الهوى والحبُّ الفاسد ، وعليه حاربوا رسلَه ، وكذّبوا كتبه ، وبذلوا أنفسَهم وأموالَهم وأهليهم دونه حتى خسروا الدُّنيا والآخرة ، ثم ذكر سبحانه وتعالى قصةَ [قوم] نوحٍ وما أصارهم إليه الهوى من الغرَق في الدنيا ودخولِ النار في الآخرة . ثم ذكر قصةَ عادٍ وما أفضى إليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمِرّة . ثم قصةَ قوم صالحٍ كذلك ، ثم قصة العشّاق ، أئمةِ الفُسّاق ، وناكحي الذُّكران ، وتاركي النِّسوان ، وكيف أخذهم [وهم] في خوَضهم يلعبون ،

وقطعَ دابرَهم وهم في سُكرِ عشقهم يعمهون ، وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمةٍ من الأمم أجمعين ، وجعلهم سلفاً لإخوانهم اللوطيةِ من المتقدمين والمتأخرين ، ولما تجرّأوا على هذه المعصية ومردوا ، ونهجوا لإخوانهم طريقاً وقاموا بأمرها وقعدوا ، ضجّت الملائكةُ إلى الله من ذلك ضجيجاً ، وعجّت الأرض إلى ربها من هذا الأمر عجيجا ، وهربت الملائكة إلى أقطار السموات ، وشكتهم إلى الله جميعُ المخلوقات ، وهو سبحانه وتعالى قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين إلا بعد إقامة الحجة عليهم ، والتقدم بالوعد والوعيد إليهم ، فأرسل إليهم رسوله الكريم يحذّرهم من سوء صنيعهم ، وينذرهم عذابه الأليم ، فأذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة على رؤوس الملإ منهم والأشهاد ، وصاح بها بين أظهرهم في كل حاضرٍ وباد . وقال فكان في قوله لهم من أعظم الناصحين : (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)[1] ثم أعاد لهم القول نصحاً وتحذيراً ، وهم في سكرة عشقهم لا يعقلون ، (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)[2] فأجاب العُشّاق جوابَ من أُرْكِسَ في هواه وغيّه فقلبُه بعشقه مفتون . و (قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)[3] فلما أن حانَ الوقت المعلوم وجاء ميقاتُ نفوذ القدر المحتوم ، أرسل الرحمن تبارك

(١و٢) سورة الاعراف الآية ٨٠و٨١

(٣) سورة النمل الآية ٥٦

وتعالى لتمام الإنعام والامتحان إلى بيت لوط ملائكة في صورة البشر، وأجمل ما يكون من الصور، وجاؤه في صورة الأضياف النزول بذي الصدر الرحيب، فـ(سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب)(١) وجاء الصريخ إلى اللوطية أن لوطاً قد نزل به شباب لم ينظر إلى مثل حسنهم وجمالهم الناظرون، ولا رأى مثلهم الراؤون، فنادى اللوطية بعضهم بعضاً أن هلموا إلى منزل لوط ففيه قضاء الشهوات، ونيل أكبر اللذات (وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات)(٢) فلما دخلوا إليه وهجموا عليه قال لهم وهو كظيم من الهم والغم وقلبه بالحزن عميد: (يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد)(٢) فلما سمع اللوطية مقاله أجابوه جواب الفاجر المجاهر العنيد: (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد)(٣) فقال لهم لوط مقالة المضطهد الوحيد: (لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد)(٤) فلما رأت رسل الله ما يقاسي نبيه من اللوطية كشفوا له عن حقيقة الحال وقالوا: هون عليك، (يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك)(٥) فسر نبي الله سرور المحب وافاه الفرج بغتة على يد الحبيب، وقيل له: (فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)(٥) ولما أبوا إلا مراودته عن

(١و٢و٣و٤و٥) سورة هود الآية ٧٧و٧٨و٧٩و٨٠و٨١و٨٢

أضيافه ولم يرعَوْا حقَّ ٱلجار ضربَ جبريل بجناحه عَلَى وجوههم فطَمَسَ منهم ٱلأَعين وأَعمى ٱلأَبصار، فخرجوا من عنده عُمْياناً يتحسّسون ويقولون: ستعلم غداً ما يحَلّ بك أيها ٱلمجنون. فلما ٱنشقّ عَمودُ ٱلصبح جاء ٱلنداء من عند ربّ ٱلأَرباب، أنِ ٱخسف بالأُمة ٱللوطية وأذقهم أليم ٱلعذاب، فاقتلع ٱلقويُّ ٱلأَمين جبريل مدائنهم عَلَى ريشةٍ من جناحه ورفعها في ٱلجوّ حتى سمعت ٱلملائكة نبيح كلابهم، وصياح ديكهم، ثم قلبها فجعل عاليَها سافلَها وأُتبعوا ٱلحجارة من سجّيلٍ وهو ٱلطين ٱلمستحجر ٱلشديد، وخوّف سبحانه إخوانهم عَلَى لسان رسوله من هذا ٱلوعيد، فقال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[1] فهذه عاقبة ٱللوطية عشّاقِ ٱلصُّوَر وهم ٱلسلف وإخوانهم بعدهم عَلَى ٱلأثر

وإن لم تكونوا قوم لوطٍ بعينهم ... فما قومُ لوطٍ منكم ببعيد

وإنهم في ٱلخسفِ ينتظرونكم[2] ... عَلَى موردٍ من مهلةٍ وصديد

يقولون لا أهلاً ولا مرحباً بكم ... ألم يتقدم ربُّكم بوعيد

فقالوا بلى لكنكم قد سَنَنْتُم ... صراطاً لنا في ٱلعشق غيرَ حميد

أتينا به ٱلذُّكران من عشقنا لهم ... فأوردنا ذا ٱلعشقُ شرَّ ورود

---

(١) سورة هود الآيتان ٨٢ و٨٣

(٢) في النسختين: ينتظرنهم.

فأنتم بتضعيف العذاب أحقُّ من   متابعكم في ذاك غيرُ رشيد

فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم   بما قد لقيناه بصدقٍ وعيد

فما لكم فضلٌ علينا فكلُّنا   نذوق عذاب الهونِ جدَّ شديد

كما كلُّنا قد ذاق لذّةَ وصلهم   ومجمعنا في النار غيرُ بعيد

وكذلك قومُ شعيبٍ إنما حملهم على بخسِ المكيال والميزان فرطُ محبتهم للمال، وغلبهمُ الهوى على طاعة نبيهم حتى أصابهم العذاب. وكذلك قومُ فرعون حملهم الهوى والشهوة وعشقُ الرئاسة على تكذيب موسى حتى آل بهم الأمرُ إلى ما آل. وكذلك أهلُ السبت الذين مُسخوا قردةً إنما أُتوا من جهة محبة الحيتان وشهوةِ أكلها والحرصِ عليها. وكذلك الذي آتاه الربُّ تبارك وتعالى آياته (فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)[1] وقال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)[2] وتأمّلْ قوله تعالى: آتيناهُ آياتِنا فأخبر أن ذلك إنما حصل له بإيتاء الربّ له لا بتحصيله هو. ثم قال: فانسلخ منها ولم يقل فسلخناه بل أضاف الإنسلاخ إليه وعبر عن براءته منها بلفظة الإنسلاخ الدالّة على تخلّيه عنها بالكلية، وهذا شأنُ الكافر. وأما المؤمن ولو عصى اللهَ [تبارك وتعالى] ما عصاه فإنه لا ينسلخ من الإيمان بالكليّة، ثم قال: فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ولم يقل فتبعه فإن في

(١و٢) سورة الاعراف الآيتان ١٧٥ و١٧٦

أتبعه إعلاماً بأنه أدركه ولحقه كما قال الله تعالى: (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ)[1] أي لحقوهم ووصلوا إليهم ثم قال: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ففي ذلك دليل [عَلَى] أن مجرّد العلم لا يرفع صاحبه، فهذا قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها، فالرفعة بالعلم قدرٌ زائدٌ عَلَى مجرّد تعلّمه، ثم أخبر الله عز وجل عن السبب الذي منعه أن يُرْفَع بها: فقال: وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ. وقوله أخلد إلى الأرض أي سكن إليها ونزل بطبعه إليها، فكانت نفسه أرضيّة سفليّة لا سماوية علْوية، وبحسب ما يُخْلِد العبد إلى الأرض يهبط من السماء، قال سهل: قسم الله الأعضاء من الهوى، لكل عضوٍ منه حظّاً فإذا مال عضوٌ منها إلى الهوى رجع ضرره إلى القلب. وللنفس سبعُ حُجُب سماوية وسبع حجب أرضية، فكلما دفن العبدُ نفسه أرضاً أرضاً سما قلبه سماء سماء، فإذا دفن النفس تحت الثرى، وصل القلبُ إلى العرش. ثم ذكر سبحانه مثل المتّبِع لهواه كمثل الكلب الذي لا يفارقه اللّهث في حالتَيْ تركه والحملِ عليه، فهكذا هذا لا يفارقه [اللّهث] عَلَى الدُّنيا راغباً وراهباً.

والمقصودُ أن هذه السورة من أوّلها إلى آخرها في ذكر حال أهل الهوى والشهوات وما آل إليه أمرهم، فالعشقُ والهوى أصلُ كلّ بليّة. قال عديٌّ بن ثابت: كان في [زمن] بني إسرائيل راهبٌ يعبد الله حتى كان يؤتى بالمجانين يعوّذهم فيبرأون عَلَى يديه، وإنه أُتِيَ بامرأة

---

(١) سورة الشعراء الآية ٦٠ (٢) كذا في النسختين بتذكير العدد والاشهر تأنيثه

ذاتِ شرفٍ من قومها قد جُنَّت ، وكان لها إخوةٌ فأتوه بها فلم يزل الشيطانُ يزيّن له حتى وقع عليها فحملت ، فلما استبان حملُها لم يزل يخوّفه ويزيّن له قتلَها حتى قتلها ودفنها ، فذهب الشيطانُ في صورة رجلٍ حتى أتى بعضَ إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب ، ثم أتى بقيةَ إخوتها رجلاً رجلاً فجعل الرجلُ يلقى أخاه فيقول : والله أتاني آتٍ فذكر لي شيئاً كبُر عليّ ذكرُه فذكر ذلك بعضُهم لبعض حتى رفعوا ذلك إلى ملكهم ، فسار الناس إليه حتى استنزلوه من صومعته فأقرّ لهم بالذي فعل ، فأُمر به فصلب ، فلما رُفع على الخشبة تمثّل له الشيطان فقال : أنا الذي زيّنتُ لك هذا وألقيتك فيه ، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلّصك ؟ قال : نعم قال : تسجد لي سجدةً واحدةً ، فسجد له وقتل الرجل . فهو قول الله تعالى : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)[1]

وقال واصل مولى أبي عُيَيْنَة : دخلت على محمد بن سيرين فقال لي : هل تزوجت ؟ فقلت ؟ لا قال : وما يمنعك ؟ قلت : قلّة الشيء قال : تزوجَ عبد الله بن محمد بن سيرين ولا شيء له فرزقه الله . ثم حدّث أن امرأةً من بني إسرائيل يقال لها مَيْسُونَة خاصمت إلى حَبْرَيْن من بني إسرائيل فعلقاها قال : وكان كلّ [واحدٍ] منهما يكتمُ صاحبَه ما يجد منها فأُخبرا أنها

(١) سورة الحشر الآية ١٦

في حائط[1] تغتسل قال: فجاءا فتسوّرا عليها الحائط، فلما رأتهما دخلت غمراً من الماء فوارت نفسها، فقالا لها: إنك إن لم تفعلي غدونا فشهدنا عليك بالزّور، فأبت فشهدا عليها، فلما قرّبت ليقام عليها الحدُّ نزل الوحي على دانيال بتكذيبهما، فهذا بعض فتنة العشق.

وقد روى شعبة عن عبد الملك بن عُمَير قال: سمعت مُصعَبَ بنَ سعدٍ يقول: كان سعدٌ يعلمنا هذا الدُّعاء ويذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم: اللهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ النِّسَاءِ وأعوذُ بِكَ مِنْ عذابِ القَبْرِ[2].

وقال الحسن بن عرَفة: حدثنا أبو معاوية الضّرير عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه لم يكن كفرٌ مَن مضى إلا من قِبَل النساء وهو كفر من بقي أيضاً. وقد روى سفيان بن عُيَيْنَة، عن سليمان التَّيْمي، عن أبي عثمان النَّهْدي، عن أُسامةَ بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تركْتُ على أُمَّتي بعدِي أضرَّ على الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ[3] وروى أبو إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أُمَّتي الخَمْرُ والنِّساءُ[4] وقال

---

(١) الحائط: البستان.

(٢) قال السيوطي: رواه الخرائطي في اعتلال القلوب.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة ١٠٦

(٤) رواه محمد بن اسحاق السرّاج في مسنده كما ذكره المؤلف في الصفحة ١٠٦

علي بن حرب: حدّثنا سفيان بنُ عُيينةَ ، عن علي بن زيد ، عن سعيد ابن المسيِّب قال: ما أَيس الشيطان من أحدٍ قطُّ إلاّ أَتاه من قِبَل النساء .
وروى سفيان بن حسين ، عن يَعْلى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبيْر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لآدم ما حملك عَلَى أَكل الشجرة؟ قال: يا ربّ زيّنت لي حواء [قال] فإني قد عاقبتها لا تحمل إلاّ كرها ، ولا تضع إلاّ كرها ، وأَدميتها في الشهر مرتين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما أَو غيره : أَوّل فتنة بني إسرائيل كانت من قِبَل النساء .

قالوا : ويكفي من مضرّة العشق ما اشتهر من مصارع العشاق ، وذلك موجودٌ في كل زمان ، فهذا بعض ما احتجّت به هذه الفرقة لقولها ونحن نعقد للحكم بين الطائفتين باباً مستقلاً بعون الله تعالى .



الباب السادس عشر

في الحكم بين الفريقين ، وفصل النزاع بين الطائفتين

فنقول: العشق لا يُحمَد مطلقاً ولا يُذَمّ مطلقاً وإنما يُحمَد ويُذَمّ باعتبار متعلَّقه، فإن الإرادة تابعةٌ لمرادها، والحبُّ تابعٌ للمحبوب، فمتى كان المحبوب مما يُحَبُّ لذاته أو وسيلةً توصله إلى ما يُحَبُّ لذاته لم تُذَمّ المبالغةُ في محبته بل تحمد. وصلاحُ حال المحبّ كذلك بحسب قوّة محبته ولهذا كان أَعظمُ صلاحِ العبد أن يصرِف قوى حبه كلّها لله تعالى وحده، بحيث يحبّ الله بكلّ قلبه ورُوحه وجوارحه، فيُوَحّد محبوبه ويوحد حبه، وسيأْتي إن شاء الله تعالى في باب توحيد المحبوب أن [المحبّة لا تصحّ إلاّ بذلك، فتوحيد المحبوب أن] لا يتعدّد محبوبُه[1]، وتوحيد الحبّ أن لا يبقى في قلبه بقيةُ حبٍّ حتى يبذلَها له. فهذا الحبّ وإن سمي عشقاً فهو غايةُ صلاح العبد ونعيمِه وقرةِ عينه، وليس لقلبه صلاحٌ ولا نعيمٌ إلاّ بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن تكون محبتُه لغير الله تابعـةً لمحبة الله، فلا يحب إلاّ لله، كما في الحديث الصحيح: ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحبَّ إِليهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ

---

(١) الضمير هنا عائد على محذوف وهو المحب.

لِلّهِ ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ ٱللّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي ٱلنَّارِ [1] فأخبر أن ٱلعبد لا يجد حلاوة ٱلإيمان إلاّ بأن يكون ٱللّهُ أحبَّ إليه مما سواه ، ومحبةُ رسوله هي من محبته ، ومحبةُ ٱلمرء إن كانت لله فهي من محبة ٱلله ، وإن كانت لغير ٱلله فهي منُقصة لمحبة ٱلله مُضْعفة لها ، وتَصْدُق هذه ٱلمحبة بأن يكون كراهتُه لأبغض ٱلأشياء إلى محبوبه وهو ٱلكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في ٱلنار أو أشدّ . ولا ريب أن هذا من أعظم ٱلمحبة فإن ٱلإنسان لا يقدّم على محبة نفسه وحياته شيئاً ، فإذا قدّم محبةَ ٱلإيمان بٱلله على نفسه بحيث لو خُيِّر بين ٱلكفر وإلقائه في ٱلنار لاُختار أن يُلقى في ٱلنار ولا يكفرَ كان ٱلله أحبَّ إليه من نفسه ، وهذه ٱلمحبةُ هي فوقٌ ما يجده سائر ٱلعُشّاق وٱلمحبين من محبة محبوبهم ، بل لا نظير لهذه ٱلمحبة كما لا مِثْل لمن تعلّقت به ، وهي محبةٌ تقتضي تقديمَ ٱلمحبوب فيها على ٱلنفس وٱلمال وٱلولد ، وتقتضي كمالَ ٱلذلّ وٱلخضوعِ وٱلتعظيم وٱلإجلال وٱلطاعة وٱلإنقياد ظاهراً وباطناً ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوقٍ ولو كان ٱلمخلوقُ من كان . ولهذا من أشرك بين ٱلله وبين غيره في هـذه ٱلمحبة ٱلخاصّـة كان [مشركاً] شركاً لا يغفره ٱلله كما قال ٱلله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ) [2] [والصحيح

---

(١) قال في تيسير الوصول : رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٥

أن معنى الآية والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله] من أهل الأنداد لأندادهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبةُ مخلوقٍ أصلاً، كما لا يماثل محبوبَهم غيرُه. وكل أذًى في محبة غيره فهو نعيمٌ في محبته، وكلّ مكروهٍ في محبة غيره فهو قُرَّةُ عين في محبته. ومن ضرب لمحبته الأَمثالَ التي هي في محبة المخلوق للمخلوق كالوصل والهجر والتَّجَنّي بلا سببٍ من المحبّ وأَمثالِ ذلك مما يتعالى الله عنه علوًّا كبيراً فهو مخطيءٌ أقبحَ الخطأ وأفحشَه، وهو حقيقٌ بالإبعاد والمقت. والآفةُ إنما هي من نفسه وقلة أدبه مع محبوبه. واللهُ تعالى نهى أن يَضْرب عبادُه له الأمثالَ فهو لا يقاس بخلقه. وما ابتدع من ابتدع إلا من ضَرْبِ الأمثال له سبحانه. فأصحابُ الكلام المحْدَثِ المبتدع ضربوا له الأمثالَ الباطلَة [في الخبر عنه وما يوصف به، وأصحابُ الإرادة المنحرفة ضربوا له الأمثال] في الإرادة والطلب. وكلاهما على بِدْعةٍ وخطإ.

والعشقُ إذا تعلّق بما يحبه اللهُ ورسولُه كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه، وذلك أنواع: أحدُها محبةُ القرآن بحيث يَغْنَى بسماعه عن غيره. ويَهيم قلبه في معانيه ومراد المتكلّم سبحانه منه، وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه، فمن أحب محبوباً أحبّ حديثَه والحديث عنه كما قيل:

إن كنتَ تزعُم حبّي فلِمْ هجرتَ كتابي
أَما تأَمَّلت ما فيه من لذيذ خطابي

وكذلك محبة ذِكره سبحانه وتعالى من علامة [محبته]، فإن

المحبّ لا يشبع من ذكر محبوبه ، بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكّره به . وكذلك يحب [سماعَ] أوصافه وأفعاله وأحكامه ، فعشق هذا كلّه من أنفع العشق ، وهو غاية سعادة العاشق ، وكذلك عشقُ العلم النافع ، وعشقُ أوصاف الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الأخلاق ، فإن هذه الصفات لو صُوِّرت صوَراً لكانت من أجمل الصوَر وأبهاها ، ولو صوِّر العلمُ صورةً لكانت أجملَ من صورَة [الشمس و] القمر ، ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكيّة ، كما أنَ محبةَ الله ورسوله وكلامِه ودينِه إنما تناسب الأرواح العلويّة ، السمائية الزكيّة ، لا الأرواحَ الأرضيةَ الدنيّة ، فإذا أردتَ أن تعرِفَ قيمةَ العبد وقدرَه فانظر إلى محبوبه ومُراده . واعلم أن العشقَ المحمود لا يَعْرِض فيه شيءٌ من الآفات المذكورة .

بقي ها هنا قسمٌ آخرُ ، وهو عشقٌ محمودٌ يترتّب عليه مفارقة [المحبوب] المعشوق ، كمن يعشق امرأته أو أمتَه فيفارقها بموتٍ أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كما هو ، فهذا نوعٌ من الابتلاء إن صبر صاحبُه واحتسب نال ثواب الصابرين ، وإن سخِط وجزع فاته معشوقُه وثوابُه ، وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجتُه فوق درجة الصبر . وأعْلى من ذلك أن يقابلَها بالشكر نظراً إلى حسن اختيار الله له ، فإنه ما يقضي الله للمؤمن قضاءً إلاّ كان خيراً له . فإذا علم أن هذا القضاءَ خيرٌ له اقتضى ذلك شكرَه لله عَلَى ذلك الخير الذي قضاه له ، وإن لم يعلم كونَه

خيراً له فليسلّم للصادق المصدوق في خبره المؤكّد باليمين حيث يقول: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ قَضَاءٍ إلاّ كَانَ خَيْراً لَهُ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ[1]. وإيمانُ العبد يأمره بأن يعتقد بأنّ ذلك القضاءَ خيرٌ له، وذلك يقتضي شكر من قضاه وقدّره وبالله التوفيق.

الباب السابع عشر

في استحباب تخير الصور الجميلة للوصال الذي يحبه الله ورسوله

قال الله تعالى عقيب ذكره ما أحلّ لعباده من الزوجات والإماء وما حرّم عليهم: (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً. يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً)[2] [أي لا يصبر عن النساء، كما ذكر الثوري عن ابن طاوس عن أبيه وخلق الإنسان ضعيفاً] قال: إذا نظر إلى النساء لم يصبر، وكذلك قال غيرُ واحدٍ من السلف. ولما

---

(١) رواه مسلم والامام احمد من غير تأكيد بقسم.

(٢) سورة النساء الآيات ٢٦ و٢٧ و٢٨

كانت ٱلشهوةُ في هذا ٱلباب غالبةً لا بدّ أَن توجب ما يوجب ٱلتوبة كرَّر سبحانه وتعالى ذكرَ ٱلتوبة مرّتين ، فأَخبر أَنّ متَّبِعي ٱلشهوات يريدون من عباده أَن يميلوا ميلاً عظيماً ، وأَخبر سبحانه وتعالى [أَنه] يريد ٱلتخفيف عنا لضعفنا ، فأَباح لنا أَن ننكح [ما طاب لنا] من أَطايب ٱلنساء أَربعًا وأَن نتسرّى من الإِماء بما شئنا . ولما كان ٱلعبد له في هذا ٱلباب ثلاثةُ أَحوال: حالةُ جهلٍ بما يحَلّ له ويحرُم [عليه] ، وحالةُ تقصيرٍ وتفريط ، وحالة ضعفٍ وقلةِ صبر ، قابل سبحانه جهلَ عبده بٱلبيان وٱلهدى ، وتقصيرَه وتفريطَه بٱلتوبة ، وضعفَه وقلة صبره بٱلتخفيف .

وقال عبد الله بن أَحمد في كتاب ٱلزهد لأَبيه : حدَّثنا أَبو معمَر ، حدّثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أَنس بن مالك رضي ٱلله عنه قال : قال رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلَاةِ وَحُبِّبَ إِلَيَّ ٱلنِّسَاءُ وَٱلطِّيبُ . ٱلجَائِعُ يَشْبَعُ وَٱلظَّمْآنُ يرْوَى وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنْ حُبِّ ٱلصَّلَاةِ وَٱلنِّسَاءِ . وأَصلُه في صحيح مسلم بدُون هذه ٱلزيادة [1] . وفي صحيح مسلمٍ من حديث عُرْوَةَ عن عائشة رضي

(١) عزا السيوطي في الجامع الصغير الفقرة الاولى من هذا الحديث الى الطبراني في الكبير وعزا الفقرة الثانية و بعدها الاولى الى احمد في مسنده والنسائي والحاكم والبيهقي في السنن اما كون اصله في صحيح مسلم فلم اقف على من اشار اليه وربما كان وهماً من المؤلف رحمه الله و كذلك الحديث الذي بعده في قصة ام المؤمنين جويرية لم اعثر عليه في صحيح مسلم بهذا السياق ولم اجد من اسنده اليه بل المذكور في كتاب مناقب امهات المؤمنين للمحب الطبري والمواهب اللدنية ان الذي خرجه ابوداود وزاد شارح المواهب احمد وكلاهما من حديث ابن اسحاق .

ٱلله عنها قالت : لَمَّا أَصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني ٱلمُصْطَلِق وقعت جُوَيرِيَة بنت ٱلحارث بن أَبي ضِرار في ٱلسهم لثابت بن قيس ٱبن ٱلشَّمَّاس أَو لٱبن عمٍّ له ، فكاتبت عَلَى نفسها ، وكانت ٱمرأَةً جميلةً حلوةً لا يراها أَحد إِلا أَخذت بنفسه ، فأَتت رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم تستعينه عَلَى كتابتها . قالت : فوالله ما هو إِلاّ أَن رأَيتُها عَلَى باب ٱلحجرة فكرهتها ، وعلمت أَن رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم يرى منها ما رأَيت ، فقالت : يا رسول ٱلله أَنا جُوَيرِيَة بنتُ ٱلحارث بن أَبي ضِرار سيدِ قومه ، وقد أَصابني من ٱلبلاء ما لم يَخْفَ عليك ، فوقعت في ٱلسهم لثابت ٱبن قيس بن ٱلشَّمَّاس أَو لٱبن عمٍّ له ، فجئت رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم أَستعينه قال : فَهَلْ لَكِ فِي غَيرِ ذٰلِكَ ؟ قالت : وما هو؟ قال : أَقْضِي كِتابَتَكِ وأَتَزَوَّجُكِ قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت . وخرج الخبرُ إِلى ٱلناس أَن رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم تزوَّج جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارث ، فقال ٱلناس : أَصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَرسلوا ما بأَيديهم . قالت : فلقد أُعْتِقَ بتزويجه إِياها مائةُ أَهل بيتٍ من بني ٱلمُصْطَلِق ، فما أَعلم ٱمرأَةً كانت أَعظم بركةً عَلَى قومها منها

وقال عبد ٱلله بن عمر رضي الله عنهما : خرج سهمي يوم جَلُولَاءَ جاريةً كأَنّ عنقها إِبريقُ فضة ، فما ملكت نفسي أَن قمت إِليها فقبّلتها .

وفي ٱلصحيحين من حديث أَنس رضي الله عنه قال : قدم رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم خَيْبَرَ فلما فتح ٱلله عليه ٱلحِصْنَ ذُكر له جمالُ

صفيةَ بنتِ حُيَيّ وقد قُتل زوجُها وكانت عروساً ، فاُصطفاها رسول اُلله صلى اُلله عليه وسلم لنفسه فخرج بها حتى بلغا سدّ اُلرَّوْحاء[1] فبنى بها ثم صنع حَيْساً في نطع صغير ، ثم قال رسول اُلله صلى اُلله عليه وسلم : آذِنْ مَنْ حوْلَك فكانت تلك وليمةَ رسول اُلله صلى اُلله عليه وسلم عَلَى صفية ، ثم خرجنا إلى اُلمدينة فرأَيت رسول اُلله صلى اُلله عليه وسلم يُحَوّي[2] لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفيةُ رِجلَها عَلَى ركبته حتى تركب . وعند أَبي داود في هذه اُلقصة[3] قال : وقع في سهم دِحْيَة جارية جميلةٌ . فاُشتراها رسول اُلله صلى اُلله عليه وسلم بسبعة أَرْؤُس ، ثم دفعها إلى أُم سُلَيم تُصنِّعها وتهيِّئُها وتعتدّ في بيتها ، وهي صفية بنتُ حُيَيّ .

وقال أَبو عبيدة : حجّ عبدُ اُلملك بنُ مروان ومعه خالد بن يزيد اُبن معاوية ، وكان خالد هذا من رجالات قريش اُلمعدودين ، وكان عظيمَ اُلقدر عند عبد اُلملك فبينما هو يطوف باُلبيت إذ بَصُرَ برَمْلَةَ بنتِ اُلزُّبَيْر بن اُلعوّام فعشقها عشقاً شديداً ، ووقعت بقلبه وقوعاً متمكناً ،

---

(١) في صحيح البخاري وغيره : سد الصهباء قال ابن حجر في الفتح : ووقع في رواية عبد الغفار هنا سد الروحاء والأول اصوب قال : والروحاء بالمهملة مكان قريب من المدينة وليست قرب خيبر فالصواب ما اتفق عليه الجماعة انها الصهباء وهي على بريد من خيبر قاله ابن سعد وغيره . اه ملخصاً

(٢) يحوّي لها : اي يجعل لها حوّية وهي كساء محشوّة تدار حول الراكب

(٣) هذا اللفظ قرأته في صحيح مسلم .

فلما أراد عبد الملك القفول همّ خالد بالتخلّف [عنه] فوقع بقلب عبد الملك تهمة ، فبعث إليه فسأله عن أمره فقال : يا أمير المؤمنين رملة بنت الزبير ، رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي ، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عيل صبري . ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله ، والسلوّ على قلبي فامتنع منه . فأطال عبد الملك التعجّب من ذلك وقال : ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك قال : فإني لأشدّ تعجباً من تعجّبك مني . ولقد كنت أقول : إن الهوى لا يتمكّن إلّا من صنفين من الناس : الشعراء والأعراب . أما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء ووصفهنّ والتغزل ، فمال طبعهم إلى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا [إليه] منقادين ، وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبّه لها ، ولا يشغله عنه شيء ، فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم . فما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحزم ، وحسنت عندي ركوب الإثم ، مثل نظرتي هذه فتبسم عبد الملك فقال : أفكل هذا قد بلغ [بك] ، فقال : والله ما عرتني هذه البلية قبل وقتي هذا . فوجّه عبدُ الملك إلى الزبير يخطب رملة على خالد ، فذكروا لها [ذلك] فقالت : لا والله أو يطلّق نساءه ، فطلّق امرأتين كانتا عنده ، وظعن بها إلى الشام وكان يقول :

أليس يزيد الشوقُ في كلّ ليلةٍ ... وفي كلّ يومٍ من حبيبتنا قُربا

خليليّ ما من ساعةٍ تذكُرانِها ... من الدهر إلّا فرّجت عنيَ الكَربا

أُحبّ بني ٱلعوّام طرًّا لحبها ومن أجلها أحببت أُخوالها كَلْبا

تجول خلاخيل ٱلنساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قُلْبا [١]

وذكر ٱلخرائطي أن بشر بن مروان كان إذا ضرب ٱلبعث على أحدٍ من جنده ثم وجده قد أخلّ بمركزه أقامه على كرسيٍّ ثم سمر يديه في ٱلحائط، ثم ٱنتزع ٱلكرسي من تحت رجليه، فلا يزال يتشحّط حتى يموت. وأنه ضرب ٱلبعث على رجلٍ عاشقٍ حديثٍ عهدٍ بعرس ٱبنة عمه، فلما صار في مركزه كتب إلى ٱبنة عمه كتاباً ثم كتب في أسفله:

لولا مخافةُ بشرٍ أو عقوبتُه وأن يُرى بعد ذا في ٱلكفّ مسمارُ

إذاً لعطلّت ثغري ثم زرتكمُ إن ٱلمحبّ إذا ما ٱشتاق زوّارُ

فلما ورد عليها ٱلكتاب أجابته عنه ثم كتبت في أسفله:

ليس ٱلمحبُّ ٱلذي يخشى ٱلعقاب ولو كانت عقوبتُه في فجوةِ ٱلنار

بل ٱلمحبُّ ٱلذي لاشيءَ يُفزِعه أو يستقرّ ومن يهواه في ٱلدار

فلما قرأ ٱلكتابَ قال: لا خير في ٱلحياة بعد هذا. وأقبل حتى دخل ٱلمدينة فأتى بشر بن مروان في وقت غدائه فلما فرغ من غدائه أُدخل عليه فقال: ما ٱلذي دعاك إلى تعطيل ثغرك؟ أما سمعت ٱلنداء؟ فقال: اسمع عذري فإما عفوت وإما عاقبت. فقال: ويلك وهل لك من عذرٍ؟ فقصّ عليه قصته وقصة ٱبنة عمه فقال: أَوْلى لكما. يا غلام خط على ٱسمه من ٱلبعث وأعطه عشرة آلاف درهم وٱلحق بٱبنة عمك.

---

(١) القُلب بالضم: سوار المرأة.

سهرتُ ومن أهدى ليَ ٱلشوقَ نائمُ ‏ ‏ وعذَّب قلبي بٱلهوى وهو سالم
فوا حسرتا حتى متى أنا قائلٌ ‏ ‏ لمن لا مني في حبكم أنت ظالم
وحتى متى أُخفي ٱلهوى وأُسرُّه ‏ ‏ وأدفُن شوقي في ٱلحشا وأُكاتم
أريد ٱلذي قد سرَّكم بمساءتي ‏ ‏ ليَغفُلَ واشٍ أو ليَعْذُرَ لائم

وقال آخر:

بي لا بها ما أُقاسي من تجنّيها ‏ ‏ ومن جوى ٱلحبّ في ٱلأحشاء أفديها
وٱللهُ يعلم أني لا أُسِرُّ بأن ‏ ‏ تلقى من ٱلوجد ما لاقيتُه فيها
خوفَ ٱلبكاء كما أبكي فتتركني ‏ ‏ أبكي على كبدي طوراً وأبكيها

وقال ٱلعباس بن هشام ٱلكلبي: ضرب عبد ٱلملك بنُ مروان بعثاً إلى ٱليمن فأقاموا سنين[1]، حتى إذا كان ذاتَ ليلة وهو بدمشق قال: وٱلله لأُعسَّنَّ ٱلليلةَ مدينةَ دمشق ولأَسمعنّ ٱلناسَ ماذا يقولون في ٱلبعث ٱلذي أغزيت [فيه] رجالهم، وأغرمتهم أموالهم، فبينما هو في بعض أزِقّتها إذ هو بصوت أمرأةٍ قائمةٍ تصلي فتسمَّع إليها، فلما ٱنصرفت إلى مضجعها قالت: اللهم مسيّرَ ٱلنُّجب، ومُنزلَ ٱلكتُب، ومعطيَ ٱلرَّغَب، أسأَلك أن ترُدّ لي غائبي فتكشف به همي، وتُقِرَّ به عيني، وأسأَلك أن تحكم بيني وبين عبد ٱلملك بنِ مروان ٱلذي فعل بنا هذا، ثم أنشأَت تقول:

تطاولَ هذا ٱلليلُ فٱلعين تدمعُ ‏ ‏ وأَرقني حزنٌ لقلبيَ موجِعُ

(١) في ن: صنفتين.

فبتُّ أقاسي الليلَ أرعى نجومَهُ وباتَ فؤادي بالجوى يتقطّعُ

إذا غابَ منها كوكبٌ في مغيبهِ لمحتُ بعيني كوكباً حين يطلُعُ

إذا ما تذكّرتُ الذي كانَ بيننا وجدتُ فؤادي حسرةً يتصدّعُ

وكلٌّ حبيبٍ ذاكرٌ لحبيبهِ يُرَجّي لقاه كلَّ يومٍ ويطمعُ

فذا العرشِ فرّجْ ما ترى من صبابتي فأنتَ الذي يدعو العبادُ فيسمعُ

دعوتكَ في السرّاءِ والضُرّ دعوةً على حاجةٍ بين الشراسيفِ[1] تلذعُ

فقال عبد الملك لحاجبه تعرف هذا المنزل؟ قال: نعم هذا منزل يزيد ابن سنان قال: فما المرأة منه؟ قال: زوجته، فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا: ستة أشهر.

وقال جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أمسى أخذ دِرّتَه ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئاً ينكره أنكره، فبينما هو ذات ليلةٍ يعُسّ إذ مرّ بامرأةٍ على سطحٍ وهي تقول:

تطاولَ هذا الليلُ واخضلَّ جانبُهْ وأرّقني أن لا خليلَ أُلاعبُهْ

فواللهِ لولا اللهُ لا ربَّ غيرُهُ لحُرّكَ من هذا السريرِ جوانبُهْ

مخافةُ ربي والحياءُ يصدُّني[2] وأُكرمُ بعلي أن تُنالَ مراكبُهْ

ثم تنفست الصعداءَ وقالت: لهانَ على عمر بن الخطاب ما لقيتُ الليلة،

---

(١) الشراسيف: جمع شرسوف وهو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن

(٢) في ن: يكففني.

فضرب باب الدار فقالت: من هذا الذي يأتي إلى امرأة مُغيبة هذه الساعة؟ فقال: افتحي فأبت، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: افتحي فأنا أمير المؤمنين قالت: كذبت ما أنت أمير المؤمنين، فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو: ففتحت له فقال: هيه كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت فقال: أين زوجك؟ قالت في بعث كذا وكذا، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرِّح فلان [بن فلان]، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك ثم دخل على حفصة ابنته فقال: أي بنيَّة كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالت: شهراً واثنين وثلاثة، وفي الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلاً للبعث. وهذا مطابق لجعل الله سبحانه وتعالى مدة الإيلاء أربعة أشهر، فإنه سبحانه [وتعالى] علم أن صبر المرأة يضعف بعد الأربعة ولا تحتمل قوة صبرها أكثر من هذه المدة، فجعلها أجلاً للمولي، وخيّرها بعد الأربعة إن شاءت أقامت معه، وإن شاءت فسخت نكاحه. فإذا مضت الأربعة أشهر عيل صبرها [قال الشاعر:

ولما دعوت الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر]

❦

الباب الثامن عشر

في ان دوآء المحبين ، في كمال الوصال الذي أباحه رب العالمين

قد جعل الله سبحانه وتعالى لكل داء دوآء ، ويسر الوصول إلى ذلك الدوآء شرعاً وقدراً ، فمن أراد التداوي بما شرعه الله [له] واستعان عليه بالقدر وأتى الأمر من بابه صادف الشفاء ، ومن طلب الدوآء بما منعه منه شرعاً وإن امتحنه به قدراً فقد أخطأ طريق المداواة ، وكان كالمتداوي من داء بداء أعظم منه . وقد تقدم حديث طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لم ير للمتحابين مثل النكاح [1] . وقد اتفق رأي العقلاء من الأطباء وغيرهم في مواضع الأدوية أن شفاء هذا الداء في التقاء الروحين والتصاق البدنين . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فأتى زينب فقضى حاجته منها [2] وقال : إن المرأة تقبل في صورة

---

(١) ذكره المصنف في الصفحة ٩٣ من طرق متعددة وذكره السيوطي في جامعه وقال : رواه ابن ماجه والحاكم ، وذكر في مشكاة المصابيح بلفظ لم تر للمتحابين بصيغة التثنية والخطاب اي لم تر أيها السامع . قاله ملا علي في المرقاة .

(٢) نقل صاحب تحفة العروس عن عياض في الاكمال قال : ولا تظن بمواقعة النبي صلى الله عليه وسلم لزينب حين رأى المرأة أنه وقع في نفسه شيء منها بل هو -

شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ . وذكر إسماعيل بنُ عيَّاش عن شُرَحْبيل بن مسلم [عن أبي مسلم الخَوْلاني رحمه الله أنه كان يقول : يا معشرَ خَوْلان زوّجوا شبابكم وإماءَكم فإن الغُلْمَةَ أمرٌ عازم فأعِدّوا عُدَّتها ، واعلموا أنه ليس لِمُنْعَظٍ إذن . يريد أنه إذا استأذن عليه فلا إذن له . وذكر القيسي (١) أن رجلاً من ولد عثمان ورجلاً من ولد الحسين خرجا يريدان موضعاً لهما ، فنزلا تحت سَرْحَةٍ فأخذ أحدُهما فكتب عليها :

خبِّرينا خُصِصْتِ بالغيث يا سَرْ ... حُ بصدقٍ والصدقُ فيه شفاءُ

وكتب الآخر :

هل يموت المحبّ من ألم الحُبْ ... بِ ويشفي من الحبيب اللقاءُ

ثم مضيا فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :

إن جهلاً سؤالك السَّرْحَ عمّا ... ليس يوماً عليك فيه خفاءُ

ليس للعاشق المحبّ من الحُبْ ... بِ سوى لذةِ اللقاءِ شفاءُ

وقال أبو جعفر العذري :

لَسُكْرُ الهوى أَرْوَى لعظمي وَمَفْصِلي ... إذا سكر النّدمانُ من لذة الخمر

وأحسنُ من قَرْعِ المثاني ونَقْرِها ... تراجيعُ صوتِ الثغر يُقْرَعُ بالثغر

— صلى الله عليه وسلم منزّهٌ عن الميل ولكنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لتقتدي به أمته في الفعل ويمتثلوا أمره بالقول .

(١) في ن : العتبي .

* ولما دعوتُ ٱلصبرَ بعدكَ وٱلبُكا   أَجابَ ٱلبكا طوعاً ولم يجبِ ٱلصبر *[1]

وقال ٱلمَرُّوذِيُّ: قال أبو عبد الله يعني أَحمدَ بن حنبل ليس ٱلعُزُوبة من أَمرِ الإِسلام في شيءٍ. النبيُّ صلى الله عليه وسلم تزوج أَربعَ عشرة ومات عن تسع، ولو تزوّج بشرُ بن الحارث لَتَمَّ أَمره. ولو تركَ ٱلناس ٱلنكاح لم يكن غزوٌ ولا حجٌّ ولا كذا و[لا] كذا، وقد كان ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم يصبح وما عندهم شيءٌ، ومات عن تسع وكان يختار ٱلنكاح ويَحُثّ عليه، ونهى عن ٱلتبتُّل، فمن رغب عن سنة ٱلنبي صلى الله عليه وسلم فهو عَلَى غير ٱلحق. ويعقوب في حزنه قد تزوّج ووُلد له. وٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال: حُبِّبَ إِليَّ ٱلنِّسآءُ قلت له: فإِن إِبراهيم بن أَدهم يحكى عنه أَنه قال: لروعة صاحب ٱلعيال فما قدرت أَن أُتمّ ٱلحديثَ حتى صاح بي وقال: وقعت في بُنَيَّات ٱلطريق، انظر ما كان عليه محمدٌ صلى ٱلله عليه وسلم وأَصحابُه ثم قال: بكآءُ ٱلصبي بين يدي أَبيه يطلب منه ٱلخبز أَفضلُ من كذا وكذا. أَين يلحق ٱلمتعبدُ ٱلعزَبُ؟ انتهى كلامه.

وقد ٱختلف ٱلفقهآءُ هل يجب عَلَى ٱلزوج مجامعةُ ٱمرأَته؟ فقالت طائفة: لا يجب عليه ذلك فإِنه حقٌّ له، فإِن شآء ٱستوفاه، وإِن شآءَ تركه، بمنزلة من ٱستأجر داراً إِن شآءَ سكنها، وإِن شاءَ تركها. وهذا من أَضعف ٱلأَقوال، وٱلقرآنُ وٱلسنةُ وٱلعُرفُ وٱلقياس يردُّه، أَما ٱلقرآن فإِن ٱلله سبحانه وتعالى قال: (وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذي عليهِنَّ بٱلمعْرُوفِ)[2]

---

(١) كذا في النسختين بالاقوآء وتقدم في الصفحة ٢٢٧ (٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨

فأخبر أن للمرأة من الحق مثل الذي عليها ، [فإذا كان الجماع حقاً للزوج عليها] فهو حقٌّ لها على الزوج بنص القرآن ، وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى أمر الأزواج أن يعاشروا الزوجات بالمعروف ، ومن ضدّ المعروف أن يكون عنده شابّةٌ شهوتها تعدل شهوة الرجل أو تزيد عليها بأضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذّة الوطء مرّةً واحدةً . ومن زعم أن هذا من المعروف كفاه طبعه ردّاً عليه ، والله سبحانه وتعالى إنما أباح للأزواج إمساك نسائهم على هذا الوجه لا على غيره فقال تعالى : (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)(١)

وقالت طائفةٌ : يجب عليه وطؤها في العمر مرّةً واحدةً ليستقرّ لها بذلك الصداق . وهذا من جنس القول الأوّل وهذا باطلٌ من وجهٍ آخر ، فإن المقصود إنما هو المعاشرة بالمعروف ، والصداق دخل في العقد تعظيماً لحرمته وفرقاً بينه وبين السفاح ، فوجوب المقصود بالنكاح أقوى من وجوب الصداق .

وقالت طائفةٌ ثالثة : يجب عليه أن يطأها في كلّ أربعة أشهرٍ مرّةً واحتجوا على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى أباح للمولي تربّص أربعة [أشهر] وخيّر المرأة بعد ذلك ، إن شاءت أن تقيم عنده ، وإن شاءت أن تفارقه . فلو كان لها حقٌّ في الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزّوج تركه في تلك المدّة ، وهذا القول وإن كان أقرب من القولين

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

ٱللَّذَيْن قبلَه فليس أيضاً بصحيح ، فإنه غير ٱلمعروف ٱلذي لها وعليها .

وأَما جعْلُ مدة ٱلإيلاء أربعة أَشهرٍ فنظراً منه سبحانه للأَزواج فإن ٱلرجل قد يحتاج إلى ترك وَطْء ٱمرأته مدّةً لعارضٍ من سفرٍ أَو تأْديب أَو راحة نفس أَو ٱشتغالٍ بمهمّ ، فجعل ٱللّٰه سبحانه وتعالى له أَجلاً أَربعة أَشهر . ولا يلزم [من] ذلك أَن يكون ٱلوَطْءُ موقّتاً في كل أَربعة أَشهر مرّة .

وقالت طائفة أُخرى : بل يجب عليه أَن يطَأَها بٱلمعروف ، كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بٱلمعروف . بل هذا عمدة ٱلمعاشرة ومقصودُها ، وقد أَمر ٱللّٰهُ سبحانه وتعالى أَن يعاشرها بٱلمعروف فٱلوَطْءُ داخلٌ في هذه ٱلمعاشرة ولا بد ، قالوا : وعليه أَن يُشبعها وَطْئاً إذا أَمكنه ذلك كما عليه أَن يشبعها قوتاً . وكان شيخنا رحمه ٱللّٰه [تعالى] يرجّح هذا ٱلقول ويختاره .

وقد حَضَّ ٱلنبي صلى ٱللّٰه عليه وسلم عَلَى ٱستعمال هذا ٱلدواء ورغّب فيه وعلّق عليه ٱلأَجر وجعله صدقةً لفاعله فقال : « وَفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ »[1] . ومن تراجم ٱلنَّسائي عَلَى هذا : ٱلترغيب في ٱلمباضعة ثم ذكر [هذا] ٱلحديث ، ففي هذا كمال ٱللذّة ، وكمال ٱلإحسان إلى ٱلحبيبة ، وحصول ٱلأَجر ، وثواب ٱلصدقة ، وفرح ٱلنفس ، وذهابُ أَفكارها ٱلرديئة عنها ، وخفةُ ٱلرُّوح ، وذهابُ كثافتها وغِلَظها ، وخفّة ٱلجسم ، وٱعتدالُ ٱلمزاج ، وجلبُ ٱلصحة ، ودفع ٱلموادّ ٱلرديئة ، فإن صادف ذلك وجهاً

---

(١) تقدم مطولاً في الصفحتين ١٧٢ و ١٧٣

حسناً وخُلقاً دمثاً وعشقاً وافراً ورغبةً تامةً واحتساباً للثواب، فذلك اللذّة التي لا يعادلها شيءٌ، ولا سيما إذا وافقت كمالها فإنها لا تكمل حتى يأخذ كلُّ جزءٍ من البدن بقسطه من اللذّة، فتلتذّ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذُن بسماع كلامه، والأنفُ بشمّ رائحته، والفمُ بتقبيله، واليد بلمسه. وتعتكف كلُّ جارحةٍ على ما تطلبه من لذتها، وتقابله من المحبوب، فإن فقد من ذلك شيءٌ لم تزل النفسُ متطلّعةً إليه متقاضيةً له فلا تسكنُ كلّ السكون، ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس إلينا قال الله تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) [1] ولذلك فضّل جماعُ النهار على جماع الليل، ولسببٍ آخرَ طبيعي وهو أن الليلَ وقتٌ تبرُد فيه الحواسّ وتطلب حظها من السكون، والنهار محلّ انتشار الحركات كما قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً) [2] وقال الله تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) [3] وتمامُ النعمة في ذلك فرحةُ المحبّ برضاء ربه تعالى بذلك، واحتسابُ هذه اللذّة عنده، ورجاءُ تثقيل ميزانه، ولذلك كان أحبّ شيءٍ إلى الشيطان أن يفرّق بين الرجل وبين حبيبه ليتوصّل إلى تعويض كلٍّ منهما عن

(١) سورة الروم الآية ٢١

(٢) سورة الفرقان الآية ٤٧

(٣) سورة يونس الآية ٦٧

صاحبه بالحرام كما في السنن عنه صلى الله عليه وسلم: أَبْغَضُ الْحَلَالِ إلى اللهِ [تعالى] الطَّلَاقُ[1] . وفي صحيح مسلم[2] من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن إبليسَ ينصِبُ عَرْشَهُ على الماءِ ثُمَّ يبثُّ سَرَايَاهُ في النَّاسِ فأَقْرَبُهم مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً فيقولُ أَحَدُهُمْ مازلْتُ بِهِ حتَّى زنى فيقولُ يتوبُ فيقولُ الآخرُ ما زلتُ بِهِ حتَّى فرَّقْتُ بينَهُ وبينَ أَهْلِهِ فيُدْنيهِ ويلتزمُهُ ويقولُ: نِعْمَ أَنْتَ. نِعْمَ أَنتَ. فهذا الوصال لما كان أحبَّ شيءٍ إلى الله ورسوله كان أبغضَ شيءٍ إلى عدوّ الله، فهو يسعى في التفريق بين المتحابّين في الله المحبة التي يحبها الله، ويؤلف بين الإثنين في المحبة التي يبغضها الله ويسخطها . وأكثرُ العُشّاق من جنده وعسكره، ويرتقي بهم الحال حتى يصير هو من جندهم وعسكرهم يقود لهم ويزيّن لهم الفواحشَ ويؤلّف بينهم عليها كما قيل:

عجبتُ من إبليس في نخوتهْ ... وقبحِ ما أظهر من سيرتهْ

تاه على آدم في سجدةٍ ... وصار قوّاداً لذريتهْ

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الشبابَ الذين هم مَظِنَّةُ العشق إلى أنفع أدويتهم . ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ .

---

(١) قال السيوطي : رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم .

(٢) قال السيوطي : ورواه ايضاً أحمد في مسنده .

وفي لفظٍ آخر ذكره أبو عبيد: حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: عَلَيكُمْ بالبآءَةِ. وذكر الحديث وبين اللفظين فرقٌ فإن الأول يقتضي أمرَ العَزَب بالتزويج، والثاني يقتضي أمرَ المتزوّج بالباءة، والباءَةُ اسمٌ من أسماء الوَطْء وقوله: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فسرت البآءة بالوطْء وفسرت بمُؤَن النكاح، ولا ينافي التفسيرَ الأوَّل إذِ المعنى على هذا مُؤَن الباءة ثم قال: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فعَلَيْهِ بالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجاءٌ. فأرشدهم إلى الدوآء الشافي الذي وُضع لهذا الأمر، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل وهو الصوم فإنه يكسِر شهوة النفس ويضيّق عليها مجاريَ الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذآء وكيفيته، فكميةُ الغذآء وكيفيتُه يزيدان في توليدها، والصومُ يضيّق عليها ذلك فيصير بمنزلة وِجآءِ الفَحْل، وقلّ من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضَعُفت جدًّا، والصوم المشروع يعدّلها. واعتدالُها حسنةٌ بين سيئتين، ووسطٌ بين طرفين مذمومين، وهما العُنّة والغُلْمة الشديدة المُفرِطة، وكلاهما خارجٌ عن الإعتدال وكلا طرَفَيْ قصد الأمور ذميم وخير الأُمور أوساطها، والأخلاقُ الفاضلة كلُّها وسط بين طرفَيْ إفراطٍ وتفريط، وكذلك الدين المستقيم وسطٌ بين انحرافين، وكذلك السنة وسطٌ بين بدعتين، وكذلك الصواب في مسائل النزاع إذا شئت أن تحظى به فهو القولُ الوسط بين الطرفين المتباعدين، وليس هذا موضعَ تفصيل [هذه] الجملة، فإنا لم نقصد له وبالله التوفيق

الباب التاسع عشر

في [ذكر] فضيلة الجمال ، وميل النفوس اليه على كل حال

إعلم أن ٱلجمال ينقسم قسمين : ظاهر وباطن ، فالجمالُ ٱلباطن هو ٱلمحبوب لذاته ، وهو جمال ٱلعلم وٱلعقل والجود وٱلعفة وٱلشجاعة ، وهذا ٱلجمالُ ٱلباطنُ هو محلّ نظر ٱلله من عبده وموضع محبته ، كما في ٱلحديث ٱلصحيح : إنَّ ٱللهَ لا يَنْظُرُ إلىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إلىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ[1] وهذا ٱلجمال ٱلباطن يزين ٱلصورة ٱلظاهرة وإن لم تكن ذاتَ جمالٍ فتكسو صاحبها من ٱلجمال وٱلمهابة وٱلحلاوة بحسب ما ٱكتست[2] رُوحه من تلك ٱلصفات ، فإن ٱلمؤْمنَ يُعطى مهابةً وحلاوةً بحسب إيمانه ، فمن رآه هابه ، ومن خالطه أَحبه . وهذا أَمر مشهود بٱلعِيان فإنك ترى ٱلرجلَ ٱلصالحَ ٱلمحسن ذا ٱلأَخلاق الجميلة من أَحلى ٱلناس صورةً وإن كان أَسودَ أَو غيرَ جميل ، ولا سيما إذا رُزق حظًّا من صلاة الليل فإنها تنوّر ٱلوجه وتحسّنُه . وقد كان بعضُ ٱلنساء تكثر صلاةَ ٱلليل فقيل لها في ذلك فقالت : إنها تحسّن ٱلوجه وأَنا أحبّ أَن

---

(١) هو في صحيح مسلم قال السيوطي : ورواه ابن ماجه

(٢) في ن : ما اكتسبت

يحسنَ وجهي . ومما يدلُّ عَلَى أنَ الجمال الباطنَ أحسنُ من الظاهر أن القلوب لا تنفكّ عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه .

فصل وأما الجمال الظاهر فزينةٌ خصّ الله بها بعضَ الصوَر عن بعض ، وهي من زيادة الخَلق التي قال الله تعالى فيها (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ)[1] قالوا : هو الصوت الحسن والصورة الحسنة . والقلوب كالمطبوعة عَلَى محبته كما هي مفطورةٌ عَلَى استحسانه . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قالوا : يا رسول الله الرّجل يحبُّ أن تكون نعله حسنةً وثوبه[2] حسناً أفذلكَ مِنَ الكِبْر ؟ فقال : لا . إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ . الكِبْرُ بطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ[3] فبطر الحقّ جحدُه ودَفْعه بعد معرفته ، وغَمط الناس النظرُ إليهم بعين الإزدراء والإحتقار والإستصغار لهم . ولا بأس بهذا إذا كان لله . وعلامتهُ أن يكون لنفسه أشدّ ازدراءً واستصغاراً منه لهم . فأما إن احتقرَهم لعظمة نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبُه الجنة .

فصل وكما أن الجمال الباطن من أعظم نِعَم الله تعالى عَلَى عبده

---

(١) أول سورة فاطر .

(٢) في النسختين : ولونه .

(٣) قال في تيسير الوصول : اخرجه مسلم وابو داود والترمذي .

فالجمال الظاهر نعمة منه أيضاً على عبده يوجب شكراً ، فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالاً على جماله ، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئاً ظاهراً في الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحاً وشيناً ، وينفر عنه من رآه ، فكل من لم يتق الله عز وجل في حسنه وجماله انقلب قبحاً وشيناً يشينه به بين الناس ، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره ، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره .

[يا حسن الوجه توق الخنا لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسناً لا تجمعن بين قبيحين]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله — وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسميه يوسف هذه الأمة — قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك[1] . وقال بعض الحكماء : ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة ، فإن رأى صورته حسنة لم يشنها بقبيح فعله ، وإن رآها قبيحة لم يجمع بين قبح الصورة و[قبح] الفعل . ولما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس معظماً في القلوب لم يبعث الله نبياً إلا جميل الصورة حسن الوجه كريم الحسب حسن الصوت ، كذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجمل خلق الله وأحسنهم وجهاً

---

(١) قال في منتخب كنز العمال : رواه الديلمي .

كما قال ٱلبرَآء بن عازبٍ رضي ٱللهُ عنه وقد سئل أ كان وجهُ رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم مثل ٱلسيف ؟ قال : لا [بل] مثلَ ٱلقمر[1] . وفي صفته صلى ٱلله عليه وسلم : كأَن ٱلشمس تجري في وجهه يقول واصفُه لم أَرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه[2] . وقال ربيعة ٱلجُرَشي : قسم ٱلحسن نصفين : فبين سارّة ويوسف نصفُ ٱلحسن ، ونصفُ [ٱلحسن] بين سائر ٱلناس . وفي ٱلصحيح عنه صلى ٱلله عليه وسلم أَنه رأَى يوسف ليلة ٱلإِسرآء وقد أُعطي شطْرَ ٱلحسن[3] . وكان رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم يستحب أَن يكون ٱلرسولُ ٱلذي يرسل إِليه حسنَ ٱلوجه حسنَ ٱلإِسم ، وكان يقول : إِذا أَبْرَدْتمْ إِليَّ بريداً فلْيَكُنْ حسنَ ٱلْوَجْهِ حسنَ ٱلإِسمِ[4] وقد روى ٱلخرآئطي من حديث ٱبن جرُيج عن ٱبن أَبي مُلَيْكَة عن ٱبن عباس رضي ٱلله عنهما يرفعه : منْ آتاهُ ٱللهُ وَجْهاً حَسَناً وَٱسْماً حسناً وَخُلُقاً حسَناً وَجَعَلَهُ فِي موْضِعٍ غَيْرِ شانئٍ لَهُ فهُوَ مِنْ صَفْوَةِ ٱللهِ مِنْ خلْقهِ . وقال وهب : قال داود : يا ربِّ أَيّ عبادك أَحبّ إِليك ؟ قال : مؤْمنٌ حسن ٱلصورة . قال : فأَي عبادك أَبغض إِليك ؟

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه ، ورواه مسلم عن جابر بن سمرة

(٢) قال في منتخب كنز العمال وذكر الجملة الاخيرة في صفته صلى الله عليه وسلم : رواه الترمذي .

(٣) قال في منتخب كنز العمال : رواه مسلم واحمد في مسنده .

(٤) قال السيوطي في الجامع الصغير : رواه البزار .

قال: كافرٌ قبيح الصورة . ويُذكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفرٌ من أصحابه على الباب فجعل ينظر في الماء ويُسوّي شعره ولحيته ثم خرج إليهم فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال: نعمْ إذا خرج الرّجلُ إلى إخوانه فليهيّئْ من نفسه فإنّ الله جميلٌ يُحبُّ الجمال[1] وقال يحيى بن أبي كثير: دخل رجلٌ على معاوية غمصاً يعني رمص العينين فحطّ من عطائه . فقال: ما يمنع أحدكم إذا خرج من منزله أن يتعاهد أديمَ وجهه ؟ وكانت عائشةُ بنتُ طلحة من أجمل أهل زمانها أو أجملهم فقال أنس بن مالك: والله ما رأيت أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: والله لأنا أحسنُ من النار في عين المقرور في الليلة القارّة . ودخل عليها أنسٌ يوماً في حاجة فقال: إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك فينظروا [إلى] جمالك قالت: أفلا قلت لي فألبسَ ثيابي .

وكان مُصْعَبُ بن الزُّبير من أجمل الناس وكان يحسدُ الناسَ على الجمال فبينما هو يخطبُ يوماً إذ دخل ابن جودان من ناحية الأزد وكان جميلاً ، فأعرض بوجهه عن تلك الناحية إلى ناحيةٍ أُخرى، فدخل ابن حُمْران من تلك الناحية وكان جميلاً ، فرمى ببصره إلى مُؤَخَّر المسجد،

---

(١) تقدمت الفقرة الأخيرة من هذا الحديث في الصفحة ٢٣٧ أما القصة فلم اجدها في ما بين يدي من كتب الحديث وقول المؤلف في أولها «ويذكر» يدل على الضعف .

فدخل ٱلحسن ٱلبصري وكان من أجمل ٱلناس ، فنزل مُصعبٌ عن ٱلمنبر . وخرج نِسوةٌ يوم ٱلعيد ينظرون إلى ٱلناس فقيل لهن : من أحسن من مرّ بكنّ ؟ قلن : شيخ عليه عِمامةٌ سوداء يعنينَ ٱلحسن ٱلبصري ، وأخذ مصعبُ بن ٱلزُّبير رجلاً من أصحاب ٱلمختار فأمر بضرب عنقه ، فقال ٱلرجل : أيها ٱلأمير ما أقبح من أن أقوم يوم ٱلقيامة إلى صورتك هذه ٱلحسنة ، ووجهك هذا ٱلذي يُستضاء به فأتعلقَ بأطرافك وأقول : يا ربّ سل مُصعباً فيمَ قتلني ؟ فقال مُصعب : أطلقوه . فقال ٱلرّجل : أيها ٱلأمير ٱجعل ما وهبت لي من حياتي في خفضٍ فقال مُصعب : أعطوه مائة ألف درهم فقال : إني أُشهد ٱللهَ أن لعبد ٱلرحمن بن قيس ٱلرُّقيّات[1] نصفها قال مُصعب : ولمَ ذلك ؟ قال لقوله :

إنما مصعبٌ شهابٌ من ٱللّـ ... ـه تجلّت عن وجهه ٱلظَّلْمآء

فضحك مُصعب وقال : إن فيك لموضعاً للصنيعة ، وأمره بلزومه .

وقال ٱلزُّبير بنُ بكّار : حدّثنا مُصعب ٱلزُّبيري ، حدّثنا عبد ٱلرحمن ٱبن أبي ٱلحسن قال : خرج أبو حازم يرمي ٱلجِمار ومعه قومٌ متعبّدون وهو يكلمهم ويحدّثهم ويقصّ عليهم ، فبينما هو يمشي وهم معه إذ نظر إلى فتاة مستترةٍ بخمارها ترمي ٱلناس بطرفها يَمْنَةً ويَسْرَةً ، وقد شغلَت ٱلناسَ وهم ينظرون إليها مبهوتين ، وقد خبط بعضهم بعضاً في ٱلطريق ، فرآها أبو حازم فقال : يا هذه ٱتّقي ٱلله فإنّك في مشعرٍ من مشاعر ٱلله

---

(١) كذا في النسختين والذي في الاغاني وغيره ان اسمه عبيد الله .

«ر : م ٣٠»

عظيم ، وقد فتنت الناس ، فاضربي بخمارك على جيبك فإن الله عز وجل يقول : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)[١] فأقبلت تضحك من كلامه وقالت: إني والله

من اللاّءِ لم يحججن يبغين حسبةً ولكن ليقتلن البريءَ المغفّلا[٢]

فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال : تعالوا ندعو الله أن لا يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار ، فجعل يدعو وأصحابه يؤمّنون[٣]

وقال ضَمْرَة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شَوْذَب : دخلت امرأة جميلةٌ على الحسن البصري فقالت: يا أبا سعيد ينبغي[٤] للرجال أن يتزوّجوا على النساء ؟ قال : نعم قالت : وعلى مثلي ؟ ثم أسفرت عن وجهٍ لم يُرَ مثلُه حسناً وقالت: يا أبا سعيد لا تفتنوا الرجال بهذا . ثم ولّت فقال الحسن: ما على رجلٍ كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا ؟

وقال عبد الملك بنُ قُرَيْب[٥] : كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون: قد جاءت قد جاءت . فتحوّل الناس فقمت معهم فإذا جاريةٌ قد وردت الماء ما رأيت مثلها قطُّ في حسن وجهها وتمام خَلْقها ، فلما رأت تشوُّفَ الناس إليها أرسلت بُرْقُعَهَا فكأنه غمامةٌ غطّت شمساً فقلت: لِمَ تمنعيننا النظر إلى وجهك هذا الحسن ؟ فأنشأت تقول :

---

(١) سورة النور الآية ٣١ (٢) البيت للعرجي

(٣) في الاغاني وتحفة العروس : قال و بلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : اما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها : اغربي قبحك الله ولكنه ظرف عباد الحجاز . (٤) في تحفة العروس : أيحل وهو الانسب هنا (٥) هو الاصمعي

وكنتَ متى أرسلتَ طرْفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

ونظر إليها أعرابيٌّ فقال: أنا والله ممن قلّ صبره ثم قال:

أوَحْشيّةَ العينين أين لك الأهلُ أبا لحزْن حلّوا أم محلّهم السهْلُ
وأيّة أرضٍ أخرجتكِ فإنني أراك من الفردوس إن فتّشَ الأصلُ
قفي خبّرينا ما طعمْتِ وما الذي شربتِ ومن أين استقلّ بك الرحْلُ
لأن علاماتِ الجِنان مبينةٌ عليك وإن الشكّل يشبهه الشكلُ
تناهيتِ حسناً في النساء فإن يكن لبدر الدُّجى نسْلٌ فأنتِ له نسلُ

وقال آخر[1]:

يا منْسي المحزون أحزانَه لما أتته في المعزّينا
إستقبلتهنّ بتمثالها فقُمْن يضحكن ويبكينا
حقٌّ لهذا الوجه أن يزْدَهي عن حزنه من كان محزونا

وقال آخر:

أنيري مكانَ البدر إن أفَلَ البدرُ وقومي مقامَ الشمس ما استأخر الفجر
ففيكِ من الشمس المنيرةِ ضوْؤُها وليس لها منك التبسّم والثغر

وقال آخر:

رقاديَ يا طرفي عليك حرامُ فخلِّ دموعاً فيضُهنّ سِجَامُ

---

(١) هو ابو نواس ورواية الاغاني:

يا منسي المأتم احزانه لما اتاهم في المعزينا

لها بين أحناء الضلوع ضرام ففي الدمع إطفاء لنار صبابةٍ

ويا كبدي الحرى التي قد تصدعت من الوجد ذوبي ما عليكِ ملام

ويا وجه من ذلت وجوه أعزة له وزهى عزاً فليس يرام

أجر مستجيراً في الهوى بك باسطاً إليك يديه والعيون نيام

وذكر الخرائطي عن بعض العلويين قال : بينا أنا عند الحسن بن هانئ[1] وهو ينشد :

ويلي على سود العيون النهد الضمر البطون

الناطقات عن الضمير لنا بألسنة الجفون

فوقف عليه أعرابي ومعه ابن بنية فقال : أعد علي فأعاد عليه فقال : يا ابن أخي ويلك أنت وحدك من هذا ؟ ويلي أنا وأنت ، وويل ابني هذا ، وويل هذه الجماعة ، وويل جيراننا كلهم . وقال الخرائطي : حدثنا يموت بن المزرع ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا محمد بن سلمة قال : حدثني أبي قال : أتيت عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجن للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد الأحزاب ما كان بدؤها فوجدته مستلقياً يتغنى

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

من الخفرات البيض لم تلق شقوة وبالحسب المكنون صاف نجارها

فإن برزت كانت لعينيك قرة وإن غبت عنها لم يغمك عارها

---

(١) هو ابو نواس .

فقلت له: [أتُغنّي] أصلحك الله وأنت في جلالك وشرفك؟ فقال:
أما والله لأحملنها ركبانَ نجدٍ قال: فوالله ما اكترث بي وعاد يتغنّى:

فما ظبيةٌ أدْماء خَفَّاقَةُ الحَشا تجوب بِظِلْفيها متونَ الخمائل
بأحسنَ منها إذ تقول تدلُّلاً وأدمعها تُذْرِين حشوَ المكاحل
تمتَّعْ بذا اليومِ القصيرِ فإنه رهينٌ بأيام الصدود الأطاول

قال: فندمت عَلَى قولي وقلت له: أصلحك الله أتحدثني في هذا
بشيءٍ؟ قال: نعم حدّثني أبي قال: دخلت عَلَى سالم بنِ عبد الله بن
عمر رضي الله عنهم وأشعب يغنّيه:

مغيرِيةٌ كالبدر سنة وجهها مُطَهَّرَةُ الأثواب والعِرضُ وافرُ
لها حسبٌ زاكٍ وعِرْضٌ مهذَّبٌ وعن كل مكروه من الأمر زاجرُ
من الخفِرات البِيض لم تلقَ ريبةً ولم يَسْتَمِلْها عن تُقى الله شاعرُ

فقال له سالم: زدني فغنّاه:

ألمَّت بنا والليلُ داجٍ كأنه جناحُ غُرابٍ عنه قد نفضَ القطْرا
فقلت أعطارٌ ثوى في رحالنا وما احتملت ليلى سوى طيبها عِطْرا

فقال له سالم: والله لولا أن تتداوله الرُّواة لأجزلت جائزتك فإنك
من هذا الأمر بمكان.

قال الخرائطي: حدّثنا العباس بن الفضل، عن بعض أصحابه قال:
حججت سنة من السنين فإني لبالرَّبَذَة[1] إذ وقفت علينا جاريةٌ عَلَى

(١) قال ياقوت: الربذة: قرية من قرى المدينة.

وجهها بُرْقُعٌ فقالت : يا معشرَ الحجيج نَفَرٌ من هُذَيل ، ذهب بنعمهم ٱلسيل ، وقعدت بهم ٱلأَيام ، ما بهم نُجْعة ، فمن يراقب فيهم ٱلدار ٱلآخرة ويعرف لهم حق ٱلأخوة ؟ جزاه ٱللهُ خيراً قال : فرضخنا لها فقلت لها : هل قلتِ في ذلك شيئًا ؟ . فأَنشأَت تقول :

كَفَّ ٱلزمان توسدتنا عَنْوَةً ... شَلَّت أَناملُها عن ٱلأَعراب

قومٌ إِذا حل ٱلعفاة ببابهم ... أَلقَوْا[1] نوافلَهم بغير حساب

فقلنا لها : لو أَمتعتينا بالنظر إلى وجهك ، فكشفت ٱلبُرْقُع عن وجهٍ [لا واللهِ] لا تهتدي ٱلعقول لوصفه ، فلما رأتنا قد بُهِتْنا لحسنها أَنشأَت تقول :

الدهرُ أَبدى صفحةً قد صانها ... أَبواي قبل تمرُّس ٱلأَيام

فتمتعوا بعيونكم في حسنها ... وٱنْهَوْا جوارحَكم عن ٱلآثام

ثم ٱنصرفت . وكان محمد بن حميد ٱلطوسي يهوى جارية فأَرسل إِليها مرة أُتْرُجَّةً فبكت بكآء شديداً ، فقيل [لها] : يوجّه إِليك من تحبينه بهديةٍ فتبكين هذا ٱلبكآء ؟ فغنت :

أَهدى له أَحبابُه أُتْرُجَّةً ... فبكى وأَشفق من عِيَافة زاجر[2]

خاف ٱلتلوُّنَ وٱلفراقَ لأَنها ... لونان باطنُها خلافُ ٱلظاهر

فلما جآءه ٱلرسول أَخبره عنها بما أَغاظه فكتب إِليها[3] :

ضيّعتِ عهدَ فتى لغيبكِ حافظٍ ... في حفظه عجبٌ وفي تضييعكِ

---

(١) في ن : الفوا .

(٢) عيافة الطير : زجرها وهو ان تعتبر باسمائها ومساقطها فتتسعد أو تتشاءم .

(٣) الشعر لابن أَبي عيينة .

وصددتِ عنه وما له من حيلةٍ   إلا ٱلوقوفُ إلى أوانِ رجوعك
إن تقتليه وتذهبي بحياته   فبحسن وجهكِ لا بحسن صنيعك

فلما وافتها ٱلرّقعةُ بكت حتى رَحِمها من حولها ثم ٱندفعت تقول:

هل لعيني إلى ٱلرُّقاد شفيعُ   إن قلبي من ٱلسَّقام مَرُوعُ
لا تراني بخلتُ عنكَ بدمعٍ   لا وحقّ ٱلحبيب ما لي دموعُ
إن قلبي إليكَ صبٌّ حزينٌ   فٱستراحت إلى ٱلأنين ٱلضلوعُ
ليس في ٱلعطف يا حبيبي بَدعٌ   إنما هجر من يُحِبّ بديع

ثم كتبت إليه: أنا مملوكة لا أملك من أمري شيئاً، فإن كان لك فيَّ حاجة فٱشترني لأكون طوعَ يديك، فٱشتراها فمكثت عنده وكانت من أحظى إمائه حتى قتل في وقعة بابك ٱلخرمي، فكانت تتمثل في رثائه بقول أبي تمام:

محمدُ بنُ حُمَيْدٍ أخلقتْ رِمَمُهْ   أُرِيقَ ماءُ ٱلمعالي مذ أُريق دمُهْ
رأيتُه بنِجاد ٱلسيف مُحْتَبِياً   في ٱلنوم بدراً جلت عن وجهه ظُلَمُهْ
فقلت وٱلدمعُ من حزنٍ ومن كمدٍ   يجري ٱنسكاباً على ٱلخدين مُنْسَجِمُهْ
ألم تمت يا شقيقَ [ٱلنفس] مذ زمنٍ   فقال لي لم يَمُتْ من لم يمت كَرَمُهْ

وهذا فصل في ذكر حقيقة ٱلحسن وٱلجمال ما هي. وهذا أمر لا يُدْرَك إلا بٱلوصف وقد قيل: إنه تناسبُ ٱلخلقة وٱعتدالُها وٱستواؤُها. ورب صورةٍ متناسبةِ ٱلخلقة، وليست في ٱلحسن هناك. وقد قيل: ٱلحسنُ في ٱلوجه وٱلملاحةُ في ٱلعينين. وقيل ٱلحسنُ أمرٌ مركَّبٌ من أشياءَ:

وَضَاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في ٱلبشرة . وقيل : ٱلحسنُ معنى لا تناله ٱلعبارة ولا يحيط به ٱلوصف ، وإنما للناس منه أوصافٌ أمكن ٱلتعبير عنها . وقد كان رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم في ٱلذروة ٱلعُليا منه ، ونظرت إليه عائشة رضي ٱلله عنها يوماً ثم تبسمت ، فسألها مِمَ ذاك ؟ فقالت : كأَن أبا كَبِيرٍ ٱلهُذَليّ إنما عنَاكَ بقوله :

ومُبَرَّإٍ من كلِّ غُبَّرِ حيضَةٍ وفسادِ مرُضِعةٍ وداءٍ مُغْيِلِ [1]

وإذا نظرت إلى أَسِرَّةِ وجهه برَقَت كبرق ٱلعارض ٱلمتهلل

ولقي بعضُ ٱلصحابة راهباً فقال : صف لي محمداً كأَني أنظر إليه فإني رأَيت صفته في ٱلتوراة وٱلإنجيل فقال : لم يكن بٱلطويل ٱلبائن ولا بٱلقصير ، فوق ٱلربعة أبيض ٱللون مُشْرَباً بالحمرة جَعْداً ليس بالقطَطِ ، جُمَّتُه إلى شحمة أُذنه ، صَلْتَ ٱلجبين ، واضحَ ٱلخد أدعَج ٱلعينين ، أَقنى ٱلأَنف ، مُفَلَّجَ ٱلثنايا ، كأَن عنقه إبريق فضة ، ووجهه كدارة ٱلقمر . فأَسلم ٱلراهب [2] . وفي صفة هند بن أبي هالة له صلى ٱلله عليه وسلم : لم يكن

---

(١) غبر الحيض : بقاياه واضاف الفساد الى المرضعة لأنه اراد الفساد الذي يكون من قبلها والمغيل من الغيل وهو ان تغشى المرأة وهي ترضع فذلك اللبن الغيل ويروى وداء معضل . قاله التبريزي في شرح الحماسة . والحديث في الحلية لابي نعيم

(٢) البائن المفرط في الطول والقطط : الشديد الجعودة كالزنوج بل شعره عليه الصلاة والسلام بين الجعودة والسبوطة كما سيأتي بعد هذا والجمة : الشعر المجموع على الرأس وقيل الشعر مطلقاً . والصلت الواسع : والادعج : الشديد سواد العين في شدة بياضها . والقنا طول الانف ودقة ارنبته وحدب في وسطه : والحديث ذكره بنحوه في منتخب كنز العمال وقال : رواه ابن عساكر .

بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد . كان ربعة من الرجال ، ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه تدوير ، أبيض مشرب أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، شثن الكفين والقدمين ، دقيق المسربة إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً . كأن الشمس تجري في وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد ألقيت عليه المحبة والمهابة ، فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه[1] وكمل الله سبحانه له مراتب الجمال ظاهراً وباطناً . وكان أحسن خلق الله خلقاً وخلقاً ، وأجملهم صورة ومعنى . وهكذا كان يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم . ولهذا قالت امرأة العزيز للنسوة لما أرتهن إياه ليعذرنها في محبته (فذلكن الذي لمتنني فيه)[2] أي هذا هو الذي فتنت به وشغفت بحبه ، فمن يلومني على محبته وهذا حسن منظره ؟ ثم قالت : (ولقد راودته عن

(١) قال الاصمعي في تفسير غريب هذه الاوصاف ما ملخصه : الممغط : الذاهب طولاً ، والمتردد : الداخل بعضه في بعض ، واما المطهم فالبادن (اي الضخم) الكثير اللحم ، والمكلثم : المدور الوجه ، والمشرب : الذي في بياضه حمرة ، والاهدب : الطويل الاشفار ، المشاش : يريد رؤوس المناكب ، والكتد : مجتمع الكتفين وهو الكاهل ، والشثن : الغليظ الاصابع ، والمسربة : هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر الى السرة ، والتقلع : ان يمشي بقوة ، والصبب : الحدور . وحديث ابن ابي هالة رواه الترمذي في الشمائل على غير هذا الوجه .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٢

نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ)[١] أي فمنع هذا الجمال ، فباطنه أحسنُ من ظاهره ، فإنه في غاية العفة والنزاهة والبعد عن الخنا ، والمحبُّ وإن عيّب محبوبه فلا يجري [على] لسانه إلا محاسنه ومدحه . ويتعلق بهذا قوله [تعالى] في صفة أهل الجنة (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً)[٢] فجمّل ظواهرهم بالنضرة وبواطنهم بالسرور ومثله قوله : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[٣] فإنه لاشيء أشهى إليهم وأقرّ لعيونهم ، وأنعم لبواطنهم من النظر إليه فنضّر وجوههم بالحسن ، ونعّم قلوبهم بالنظر إليه . وقريب منه قوله تعالى : (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ)[٤] فهذا زينة الظاهر ثم قال : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً)[٤] أي مطهراً لبواطنهم من كل أذى . فهذا زينة الباطن . ويشبهه قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً)[٥] فهذا زينةُ الظاهر ثم قال : (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ)[٥] فهذا زينة الباطن . وينظر [إليه] من طرف خفي قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظاً)[٦] فزيّن ظاهرها بالمصابيح ، وباطنها بحفظها من الشياطين . وقريبٌ منه

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٢

(٢) سورة الدهر الآية ١١

(٣) سورة القيامة الآيتان ٢٢ و٢٣

(٤) سورة الدهر الآية ٢١ (٥) سورة الاعراف الآية ٢٦

(٦) سورة الصافات الآيتان ٦ و٧ وكانت في النسختين ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وهو جمع من آيتين اخر بين كل منهما من سورة .

قوله تعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى)[1] فذكر ٱلزاد ٱلظاهر والزاد ٱلباطن . وهذا من زينة ٱلقرآن ٱلباطنة ٱلمضافة إلى زينة ألفاظه وفصاحته وبلاغته ٱلظاهرة . ومنه قوله تعالى لآدم (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ)[2] فقابل بين ٱلجوع وٱلعُرْي دون ٱلجوع وٱلظما ، وبين ٱلظما وٱلضَّحَىٰ دون ٱلظما وٱلجوع ، فإن ٱلجوع عُرْيُ ٱلباطن وذُلُّه ، وٱلعُرْي جوعُ ٱلظاهر وذُلُّه . فقابل بين نفي ذلّ باطنه وظاهره ، وجوع باطنه وظاهره ، وٱلظمأُ حَرُّ ٱلباطن ، وٱلضَّحَىٰ حرُّ ٱلظاهر ، فقابل بينهما . وسئل ٱلمتنبي عن قول أمرئ ٱلقيس:

كأَني لم أَركب جواداً للذَّةٍ ولم أَتبطَّنْ كاعِباً ذات خلْخال

ولم أَسبأِ ٱلزِّقَّ ٱلرَّويَّ ولم أَقل لخيلي كُرّي [كرّة] بعد إجفال

فقيل له: إِنه عيب عليه مقابلةُ سَبْي ٱلزّق ٱلرّوِيّ بٱلكرّ وكان ٱلأَحسن مقابلته بتبطُّن ٱلكاعب جمعًا بين ٱللذّتين . وكذلك مقابلةُ ركوب ٱلجواد للكر أَحسن من مقابلته لتبطّن ٱلكاعب فقال: بل ٱلذي أَتى به أَحسن [فإنه] قابل مركوبَ ٱلشجاعة بمركوب ٱللذَّة وٱللهو ، فهذا مركب ٱلطرب وهذا مركب ٱلحرب وٱلطلب ، وكذلك قابل بين ٱلسِّباء ين سِباء ٱلزق وسِباء ٱلرق . قلت: وأيضاً فإن ٱلشارب يفتخر بٱلشجاعة كما قال حسان:

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأُسداً ما يُنَهْنِهُنا ٱللقاءُ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧

(٢) سورة طه الآيتان ١١٨ و ١١٩

وهذه جملةُ ٱعتراضية من أَلطف ٱلاعتراض[1] .

وقيل ٱلحسنُ ما ٱستنطق أفواه ٱلناظرين بٱلتسبيح وٱلتهليل كما قيل :

ذي طلعةٍ سبحان فالقِ صبحه ومعاطفٍ جلّت يمينُ ٱلغارس

وقال علي بن ٱلجهْم :

طلعتْ فقال ٱلناظرون إلى تصويرها مـا أَعظمَ ٱللّٰهَ

ودنت فلما سلّمتْ خجلت وٱلتفَّ بٱلتفاح خداها

وكأن دِعصَ ٱلرمل أسفلها وكأن غصنَ ٱلبان أعلاها

حتى إذا ثَمِلَت بنشوَتها قرأَت كتاب ٱلباه عيناها

[وقال آخر :

ذو صورةٍ بَشَرِيَّة قمَرية تستنطق ٱلأفواه بٱلتسبيح]

وقال آخر :

وإذا بدت في بعض حاجتها تستنطق ٱلأفواه بٱلتسبيح (كذا)

وقال بشار :

تُلقى بتسبيحةٍ من حسن ما خُلقت وتستفزّ حشا ٱلرآئي بإرعاد

ولي من أبيات :

يا صورةَ ٱلبدر ولا ٱلذي صوّر ليس ٱلبدرُ يحكيكِ

منّي عَلَى ٱلعين ولا تبخلي بنظرةٍ فالعين تَفْديكِ

---

(١) قال في هامش ن : اي جملة ما ذكرناه من امثلة التقابل ليست من مقصود الكتاب لكنها لا تخلو من فائدة يحلو بها الخطاب و يستحسن عند اولي الالباب .

وإن تحرَّجتِ لهذا فكم   قد سبّح الرحمنَ رآئيكِ
هذا بهذا فارجي أَجرَ من   إن غبتِ عنه ظلّ يبكيكِ

قال ابن شُبْرُمَة: كفاك من الحسن أَنه مشتقٌّ من الحسنة. وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: إذا تمّ بياض المرأَة في حسن شعرها فقد تمَّ حسنها. وقالت عائشة رضي الله عنها: البياضُ شَطْرُ الحسن. وقال بعض السلَف: جعل الله البهآءَ والهوَجَ مع الطول، والدَّهاءَ والدَّمامة مع القِصَر، والخيرَ فيما بين ذلك،

ومما يُذَمّ في النسآء المرأَةُ القصيرة الغليظة وهي التي عناها الشاعر بقوله:

وأنتِ التي حببتِ كلّ قصيرةٍ   إليّ ولم تَشْعُرْ بذاك القصائر
عَنَيْتُ قصيراتِ الحجال ولم أُرِدْ   قِصارَ النّساشرُّ النساء البحاتر

والبحاتر هنّ النسآء القصار الغلاظ. وبعضهم يبالغ في هذا حتى يفضل المهازيل علَى السِّمان.

أنشد الزمخشري:

لا أعشق الأَبيض المنفوخَ من سِمَنٍ   لكنني أَعشق السُّمْرَ المهَازيلا
إني امرُؤٌ أركب المهْرَ المضمَّر في   يوم الرّهان فدعني واركب الفيلا

وطائفة تفضّل السِّمان وتقول: السِّمَنُ نصفُ الحسن وهو يستر كلَّ عيب في المرأَة ويبدي محاسنها. وخِيار الأُمور أوساطُها.

ومما يُستحسَن في المرأَة طولُ أَربعةٍ وهنّ: أَطرافها، وقامتها،

وشعرها ، وعنقها . وقِصَرُ أربعة : يدها ، ورجلها ، ولسانها ، وعينها[1] فلا تبذل ما في بيت زوجها ، ولا تخرج من بيتها ، ولا تستطيل بلسانها ، ولا تَطْمع بعينها . وبياضُ أربعة : لونها ، وفرقها ، وثغرها ، وبياض عينها . وسواد أربعة : أهدابها ، وحاجبها ، وعينها ، وشعرها . وحمرةُ أربعة : لسانها ، وخدها ، وشفتها مع لَعَس ، وإشرابُ بياضها بحمرة . ودِقَّة أربعة : أنفها ، وبنانها ، وخصرها ، وحاجبها . وغِلَظُ أربعة : ساقها ، ومِعْصَمُها ، وعجيزتها ، وذاك منها . وسَعَة أربعةٍ : جبينها ، ووجهها ، وعينها ، وصدرها . وضيقُ أربعة : فمها ، ومنخرها ، وخَرْقُ أذنها ، وذاك منها . فهذه أحقُّ ٱلنساء بقول كُثَيِّر :

لو أن عَزَّة خاصمت شمس ٱلضحى ... في ٱلحسن عند موَفَّقٍ لقضى لها

وقال آخر :

لو أبصر ٱلوجه منها وهو منهزمٌ ... ليلاً وأعداؤه من خلفه وقفا

وقال آخر :

يا طيبَ مَرْعى مقلةٍ لم تخفْ ... بوجنتيها زَجْرَ حُرّاس

حلّت بوجهٍ لم يَغِضْ ماؤه ... ولم تَخُضْه أعينُ ٱلناس

وقال آخر :

فلم يزل خدُّها رُكناً ألوذ به ... وٱلخالُ في خدّها يغني عن ٱلحجر

---

(١) في هامش ن : أراد بها المعاني لا الاعيان فلهذا اعقبها بتفسير و بيان .

وقول الآخر وأنشده المبرّد :

وأحسنُ من ربعٍ ومن وصف دِمْنَةٍ ومن جَبَلَيْ طيٍ ومن وصفكم سَلْعا

تَلاحُظُ عينيْ عاشقين كلاهما له مقلةٌ في خدّ معشوقه تَرْعى

وأَنشد ثعلب :

خزاعيّة الأَطراف مُرّيّة الحشا فزاريّة العينين طائيّة الفم

ومكيةٌ في الطيب والعِطْر دائماً تبدّت لنا بين الحَطِيم وزمزم

ثم قال : وصفها بما يستحسَن من كل قبيلة ·

وقال صالح بن حسان يوماً لأصحابه : هل تعرفون بيتاً من الغزَل في امرأة خَفِرة ؟ قلنا : نعم بيتُ لحاتم في زوجته ماويّة

يضيءُ لها البيتُ الظليل خصاصه إذا هي يوماً حاولت أن تَبَسَّما

قال : ما صنعتم شيئاً قلنا : فبيتُ الأعشى :

كأن مِشيتَها من بيت جارتها مَرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَل

قال : جعلها تدخل و تخرج قلنا : يا أبا محمد فأي بيت هو ؟ قال : قول أبي قيس بن الأسلَت

ويكرمها جاراتُها فيزُرْنَها وتَعتلّ [عن] إتيانهن فتُعْذَر

قلت : وأحسن من هذا كله ما قاله إبراهيم بن محمد الملقب بنِفطَوَيْه [رحمه الله] :

وخبّرهــا الواشون أن خيالَها إذا نمت يَغْشَى مضجعي ووسادي[1]

---

(١) في النسختين : ورقادي ·

فخفرها فرطُ ٱلحياءِ فأرسلت   تعيّرني غضبى بطول رقادي

ومما يستحسن في المرأة رقةُ أديمها ونعومةُ ملمسه كما قال قيس بن ذريح:

تعلّق رُوحي رُوحها قبل خلقنا   ومن بعد ما كنا نِطافًا وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح ناميًا   فليس وإن متنا بمنفصِمِ العهد

ولكنه باقٍ على كل حادثٍ   وموْنسنا في ظلمة القبر واللحد

يكاد مسيلُ الماء يخدِشُ جلدها   إذا اغتسلت بالماء من رقه الجلد

ولي من أبيات:

يُدمي الحريرُ أديمها مِن مسّه   فأديمُها منه أرقُّ وأنعم

فصل فيا أيها العاشق سمعه قبل طرفه فإن الأذن تعشق قبل العين أحيانًا، وجيش المحبة قد يدخل المدينة من باب السمع كما يدخلها من باب البصر. والمؤمنون يشتاقون [إلى] الجنة وما رأوها، ولو رأوها لكانوا أشدَّ لها شوقًا، والصَّرُورة [1] يكاد قلبُه يذوب شوقًا إلى رؤية البيت الحرام. فإن شاقتك هذه الصفات وأخذت بقلبك هذه المحاسن

فاسْمُ بعينيك إلى نِسوةٍ   مُهورُهنّ العملُ الصالح

وحدّث النفسَ بعشق الأُلى   في عشقهنّ المتجَرُ الرابح

واعملْ على الوصل فقد أمكنت   أسبابُه ووقتُها رائح

---

(٢) الصرورة : الذي لم يحج.

فصل وقد وصف الله سبحانه [حورَ] الجنة بأحسن الصفات ، وحلاهن بأحسن الحلى ، وشوق الخطاب إليهن حتى كأنهم يرونهن رؤية العين . قال الطبراني : حدثنا بكر بن سهل الدمياطي [حدثنا] عمرو بن هشام البيروني ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزَّ وجل : (حُورٌ عِينٌ)[1] قال : حُورٌ بيضٌ ، عِينٌ ضِخامُ العيون شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت : أخبرني عن قوله عزَّ وجل : (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)[2] قال : صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله : (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ)[3] قال : خيرات الأخلاق حسانُ الوجوه قلت : أخبرني عن قوله : (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ)[4] قال : رِقَّتُهُنَّ كرقة الجلد الذي رأيتِ في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغِرْقِئُ قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : (عُرُبًا أَتْرَابًا)[5] قال : هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائزَ رُمْصًا شُمْطًا خلقهن الله بعد الكِبَر فجعلهن عذارى عُرُبًا متعشقات متحببات أترابًا على ميلادٍ واحد قلت : يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم

(١ و٢) سورة الواقعة الآيتان ٢٢و٢٣

(٣) سورة الرحمن الآية ٧٠ (٤) سورة الصافات الآية ٤٩

(٥) سورة الواقعة الآية ٣٧

ٱلحور ٱلعِين؟ قال: بل نساءُ ٱلدّنيا أفضلُ من ٱلحُور ٱلعِين كفضل ٱلظِّهارة على ٱلبِطانة قلت: يا رسول ٱللهِ وبمَ ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعباداتهن ٱللهَ ألبسَ ٱللهُ وجوههن ٱلنور، وأجسادهنَّ ٱلحرير، بيضُ ٱلألوان، خُضْر ٱلثياب، صفْر ٱلحلي مجامِرُهن ٱلدرّ، وأمشاطُهن ٱلذهب. يقُلْن: نحن ٱلخالدات فلا نموت، نحن ٱلناعمات فلا نبأَسُ أبداً. نحن ٱلمقيمات فلا نَظْعن أبداً، ألا ونحن ٱلراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا، قلت: يا رسول ٱللهِ ٱلمرأةُ منا تتزوج ٱلزوجين وٱلثلاثة وٱلأربعة ثم تموت فتدخل ٱلجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: يا أُم سلَمة إنها تُخيَّرُ فتختار أحسنَهم خُلقاً فتقول: أَي ربّ إن هذا كان أَحسنَهم معي خُلُقاً في دار ٱلدُّنيا فزوِّجنيهِ، يا أُمّ سلَمة ذهب حسنُ ٱلخُلُق بخيرَيِ ٱلدنيا وٱلآخرة[1].

فصل وقد وصفهن ٱللهُ عز وجل بأنهن كواعب، وهو جمع كاعِبٍ وهي ٱلمرأَة ٱلتي قد تكعّب ثديها وٱستدار ولم يتدَلَّ إلى أسفل. وهذا من أَحسن خَلْق ٱلنساء، وهو ملازمٌ لِسِنّ ٱلشباب. ووصفَهن بٱلحور وهو حسن ألوانهن وبياضُه قالت عائشة رضي ٱللهُ عنها: البياضُ

(١) ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه حادي الارواح وعقب عليه بقوله: تفرد به سليمان ابن ابي كريمة ضعفه ابوحاتم وقال ابن عدي: عامة احاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال: لا يعرف الا بهذا السند.

نصف ٱلحسن وقال عمر بن ٱلخطاب رضي ٱلله عنه : إذا تمّ بياضُ ٱلمرأة في حسن شعرها فقد تمّ حسنها . وٱلعرب تمدح ٱلمرأة بٱلبياض قال ٱلشاعر :

بِيضٌ أوانسُ ما هممنَ بريبةٍ ... كظباءِ مكةَ صيدُهنّ حرامُ

يُحْسَبْنَ من لين ٱلحديث زوانياً ... ويصدُّهُنّ عن ٱلخنا ٱلإسلام

وٱلعِينُ جمعُ عيناء وهي ٱلمرأةُ ٱلواسعة ٱلعَيْن مع شدّة سوادها وصفاء بياضها وطولِ أهدابها وسوادها . ووصفهنّ بأنهنّ خَيْراتٌ حسان وهو جمع خَيْرة وأَصلها خيّرة بٱلتشديد كطيّبة ثم خُفّف ٱلحرف، وهي ٱلتي قد جمعتِ ٱلمحاسن ظاهراً وباطناً فكَمُل خَلقها وخُلُقها فهنّ خيرات ٱلأخلاق حسان ٱلوجوه ، ووصفهنّ بٱلطّهارة فقال : (ولَهُمْ فيها أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ)(١) طَهُرْنَ من ٱلحيض وٱلبول وٱلنَّجْو وكلّ أذى يكون في نساء [ٱلدُّنيا] ، وطَهُرت بواطنُهنّ من ٱلغيرة وأذى ٱلأزواج وتجنيهنّ عليهم وإرادة غيرهم . ووصفهنّ بأنهنّ مَقْصُوراتٌ في ٱلخيام أي ممنوعاتٌ من ٱلتبرّج وٱلتبذُّل لغير أزواجهنّ ، بل قد قصِرْنَ على أزواجهنّ لايخرجن من منازلهم ، وقُصِرن عليهم فلا يردن سواهم . ووصفهن سبحانه بأنهنّ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْف ، وهذه ٱلصفة أَكمل من ٱلأُولى ، ولهذا كنّ لأهل ٱلجنتين ٱلأُولَيَيْن (٢) ، فٱلمرأة منهنّ قد

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥ وسورة النساء الآية ٥٧ بغير واو

(٢) قال الله تعالى في سورة الرحمن : ولمن خاف مقام ربه جنتان فوصفهما وقال ـ

قَصَرت طَرْفَها عَلَى زوجها من محبتها له ورضاها به ، فلا يتجاوز طرفُها عنه إلى غيره كما قيل :

أَذود سَوَامَ ٱلطَّرْف عنك وماله   عَلَى أَحدٍ إلاّ عليك طريق

وكذلك حال ٱلمقصورات أَيضاً لكن أُولئك مقصورات ، وهؤُلآء قاصرات . ووصفهن سبحانه بقوله : (أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً)[1] وذلك لفضل وَطْء ٱلبِكْر وحلاوته ولذاذته عَلَى وَطْء ٱلثّيِّب . قالت عائشة رضي ٱللّٰه عنها : يا رسول ٱللّٰه لو مرَرَتَ بشجرةٍ قد رُعيَ منها وشجرةٍ لم يُرْعَ منها ففي أَيها كنت تُرْتع بعيرَك ؟ فقال : في ٱلّتي لَمْ يُرْعَ منها تعني أَنه لم يتزوّج بكراً غيرَها[2] . وصح أَنه قال لجابر لما تزوج أمرأَة ثيّباً : هلاّ بِكراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُك ؟ فإِن قيل : فهذه ٱلصفة تزول بأول وَطْء فتعود ثيّباً قيل : ٱلجواب من وجهين : أَحدُهما أَن ٱلمقصود من وَطْء ٱلبِكْر أَنها لم تذُق أَحداً قبل وطئها فتَزْرَعُ محبته في قلبها ، وذلك أَكمل لدوام ٱلعشْرة فهذه بٱلنسبة إِليها ، وأَما بٱلنسبة إِلى ٱلواطئ فإِنه يَرْعى روضةً أُنُفاً لم يرْعها أَحدٌ قبله ، وقد أَشار تعالى إِلى هذا

ـ فيهن قاصرات الطرف ثم قال : ومن دونهما جنتان فوصفهما وقال : حورٌ مقصورات في الخيام فهذا دليل المؤلف على أن صفة قاصرات الطرف اكمل من صفة المقصورات في الخيام لان الله سبحانه جعل القاصرات لأهل الجنتين الاولين والمقصورات لأهل الجنتين اللتين من دونهما .

(١) سورة الواقعة الآيتان ٣٦ و ٣٧

(٢) قال المحب الطبري في مناقب امهات المؤمنين : خرجه مسلم وابو حاتم .

ٱلمعنى بقوله: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)[1] ثم بعد هذا تستمرّ له لذّةُ ٱلوطءِ حالَ زوال ٱلبكارة، الثاني أنه قد رُوي أن أهل ٱلجنة كلما وَطِئَ أحدُهم ٱمرأةً عادت بكراً كما كانت فكلما أتاها وجدها بكراً[2] .

وأما ٱلعُرُبُ فجمع عَروب وهي ٱلتي جمعت إلى حلاوةِ ٱلصورة حسنَ ٱلتأني والتبعّل والتحبّب [إلى] ٱلزوج بدلّها وحديثها وحلاوةِ منطقها وحسن حركاتها، قال ٱلبخاري في صحيحه: وأما ٱلأَتراب فجمع تِرْبٍ يقال: فلانٌ تِرْبي إذا كنتما في سنّ واحدٍ فهنّ مستويات في سنّ ٱلشباب لم يقصر بهنّ ٱلصغر، ولم يزرِ بهنّ ٱلكبر، بل سنّهنّ سنّ ٱلشباب . وشبّههنّ تعالى بٱللؤلؤ ٱلمكنون، وبٱلبيض ٱلمكنون، وبٱلياقوت وٱلمرجان . فخذ من ٱللؤلؤ صفاء لونه وحسنَ بياضه ونعومة ملمسه، وخذ من ٱلبيض ٱلمكنون وهو ٱلمصونُ ٱلذي لم تنله ٱلأيدي أعتدالَ بياضه وشَوْبَه بما يحسّنه من قليل صُفرةٍ بخلاف ٱلأبيض ٱلأمهق ٱلمتجاوز في ٱلبياض، وخذ من ٱلياقوت وٱلمرجان حسنَ لونه في صفائه وإشرابه بيسيرٍ من ٱلحمرة .

فصل فٱسمع ٱلآن وصفهنّ عن ٱلصادق ٱلمصدوق، فإن مالت ٱلنفسُ وحدّثتك بٱلخِطبة وإلاّ فالإيمان مدخول . فروى مسلم في

---

(١) سورة الرحمن الآيتان ٥٦ و ٧٤

(٢) رواه الطبراني في معجمه وسيأتي بعدُ

صحيحه من حديث أيوب ، عن محمد بن سيرين إما تفاخروا وإمّا تذاكروا الرجالُ في ٱلجنة أكثر أم ٱلنسآء ؟ فقال أبو هريرة رضي ٱلله عنه : أو لم يقل أبو ٱلقاسم صلى ٱلله عليه وسلم : إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ وَٱلَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي ٱلسَّمَآءِ إِضَاءَةً ، لِكُلِّ ٱمْرِيءٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ٱثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَآءِ ٱللَّحْمِ وَمَا فِي ٱلْجَنَّةِ أَعْزَبُ .

وقال ٱلطبراني في معجمه : حدّثنا أحمد بن يحيى بن ٱلحلواني وٱلحسن بن علي ٱلقسوي قالا : حدّثنا سعيد بن سليمان (حدّثنا فضلُ ٱبن مرزوق ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد ٱلله رضي ٱلله عنه ، عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال : أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ صُورَةُ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ وَٱلزُّمْرَةُ ٱلثَّانِيَةُ عَلَى عَلَى أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي ٱلسَّمَآءِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَآءِ لُحُومِهِمَا وَحُلَلِهِمَا كَمَا يُرَى ٱلشَّرَابُ ٱلْأَحْمَرُ فِي ٱلزُّجَاجَةِ ٱلْبَيْضَاءِ .

قال ٱلحافظُ أبو عبد ٱلله ٱلمقدسي : هذا عندي على شرط الصحيح .

وفي الصحيحين من حديث هَمَّام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه قال : قال رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ ٱلْجَنَّةَ صُوَرُهُمْ عَلَى صُورَةِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ

فيها آنيتهم، وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة[1] ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية.

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها قال قلت: يا أبا هريرة وما النصيف؟ قال: الخمار فإذا كان هذا قدر الخمار فما قدر لابسه؟

وقال ابن وهب: أنبأنا عمرو أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل في الجنة لتأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة [عليها] لتضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد [عليها] السلام ويسألها من أنت فتقول أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان [من طوى] فينفذها بصره حتى يرى مخ

---

(١) الألوة: قال الاصمعي أراها فارسية عربت العود الهندي الذي يتبخر به

سَاقِهَا مِنْ وَرَآءِ ذَٰلِكَ وَإِنَّ عَلَيْهِمُ ٱلتِّيجَانَ وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ . وبعض هذا ٱلحديث في جامع ٱلترمذي وهو على شرطه .

وفي صحيح البخارى من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قِيدِهِ يعني سَوْطَهُ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَوْ طَلَعَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنْ نِسَآءِ ٱلْجَنَّةِ إِلَى ٱلْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وفي ٱلمسند من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم : لِلرَّجُلِ مِنْ [أَهْلِ] ٱلْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَآءِ ٱلثِّيَابِ .

وقال ٱبن وهب : حدّثنا عمرٌو أن دراجًا أبا ٱلسمح حدّثه عن أبي ٱلهيثم ، عن أبي سعيد ٱلخُدري رضي ٱلله عنه عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال : إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ٱلَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ وَٱثْنَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ ٱلْجَابِيَةِ وَصَنْعَاءَ (رواه ٱلترمذي) .

وفي معجم الطبراني من حديث أبي أُمامة عن النبي صلى ٱلله عليه وسلم قال: خُلِقَ ٱلْحُورُ ٱلْعِينُ مِنَ ٱلزَّعْفَرَانِ[(١)]

فصل فإن أردت سماع غنائهن فاسمع خبره الآن. ففي معجم الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ ٱلْخَيْرَاتُ ٱلْحِسَانُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ، وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ ٱلْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتْنَهْ، نَحْنُ ٱلْآمِنَاتُ فَلَا نَخَفْنَهْ، نَحْنُ ٱلْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنَّهْ. وقد قيل في قوله تعالى (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ)[(٢)] إنه السماع الطيب ولا ريب أنه من الحَبْرَة.

وقال عبد الله بن محمد البغوي: حدثنا علي، أنبانا زهير، عن أبي إسحاق، عن عاصم، عن علي رضي الله عنه قال: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً)[(٣)] حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما

---

(١) ذكره المصنف في حادي الارواح بسند الطبراني وقال: قال الطبراني: لا يروى الا بهذا الاسناد تفرد به علي بن الحسن بن هارون ثم ذكره من طرق اخرى موقوفة وقال: ولا يصح رفع الحديث وحسبه ان يصل الى ابن عباس.

(٢) سورة الروم الآية ١٥

(٣) سورة الزمر الآية ٧٣

فكأنما أُمروا به فشربوا منها فأذهب الله ما في بطونهم من قذًى أو أذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهّروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم ولم تتغيّر أشعارهم بعدها أبداً ولم تَشعَث رؤوسهم كأنما أُدّهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى الجنة فقالوا: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[1] ثم تلقاهم الولدان يُطيفون بهم كما يُطيف أهل الدُّنيا بالحميم يَقْدَم عليهم من غيبته فيقولون له: أُبشر بما أعدّ الله تعالى لك من الكرامة، ثم ينطلق غلامٌ من أُولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: جاء فلان باسمه الذي كان يُدْعى به في الدُّنيا قالت: أنت رأيته؟ قال: أنا رأيته وهو بأثري فيستخفّ إحداهن الفرح حتى تقوم على أُسكُفّة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى [أَساس] بنيانه فإذا جندلُ اللؤلؤ فوقه صرحٌ أخضر وأحمرُ وأَصفر من [كل] لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله عز وجل قدّره لألمَّ أن يُذهب بصره، ثم طأطأ رأسه فإذا أزواجةٌ وأكوابٌ موضوعة ونمارقُ مصفوفة وزرابيّ مبثوثة ثم اتّكأُوا فقالوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)[2]

ثم ينادي منادٍ يحيَوْنَ فلا يموتون أبداً، ويقيمون فلا يظعنون أبداً، ويَصِحّون فلا يمرضون أبداً.

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٣

(٢) سورة الاعراف الآية ٤٣

وفي سنن ابن ماجه عن أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ لِلجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ وَفَاكِهَةٍ وَخُضْرَةٍ وَحَبْرَةٍ وَنِعْمَةٍ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ قالوا: نعم يا رسول اللهِ نحنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا قال: قولوا إِنْ شَاءَ اللهُ فقال القوم: إن شاء الله [تعالى].

فصل فهذا وصفهن وحسنهن فاسمع الآن لَذَّةَ وِصالهنَّ وشأنه ففي مسند أبي يعلى الموصلي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً طويلاً وفيه: فَأَقُولُ يَا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فيقول الله [تعالى قد] شَفَّعْتُكَ وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ فَيَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِمَّا يُنْشِئُ اللهُ وَثِنْتَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُمَا فَضْلٌ [عَلَى] مَنْ أَنْشَأَ اللهُ بِعِبَادَتِهِمَا اللهَ فِي الدُّنْيَا يَدْخُلُ عَلَى الْأُولَى مِنْهُمَا فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِاللُّؤْلُؤِ عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجاً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ

بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَىٰ يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا وَمِنْ وَرَآءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا وَإِنَّهُ لَيَنظُرُ إِلَىٰ مُخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱلسِّلْكِ فِي قَصَبَةِ ٱلْيَاقُوتِ كَبِدُهُ لَهَا مِرْآةٌ يَعْنِي وَكَبِدُهَا لَهُ مِرْآةٌ فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ وَلَا يَأْتِيهَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ * فَبَيْنَا هُوَ كَذَٰلِكَ إِذْ نُودِيَ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تُمَلُّ إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ أَزْوَاجٌ غَيْرُهَا فَيَخْرُجُ فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ : وَٱللَّهِ مَا فِي ٱلْجَنَّةِ شَيْءٌ أَحسن منك وما في ٱلجنة شيءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ٠ وهذا قطعةٌ من حديث ٱلصور ٱلطويل ٱلذي رواه إسماعيل بن رافع [1]

وفي صحيح مسلم من حديث أَبي موسى ٱلأَشعري رضي ٱللهُ عنه عن ٱلنبي صلى ٱللهُ عليه وسلم قال : إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي ٱلْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ

---

(١) قال المؤلف في كتابه حادي الارواح وذكر هذا الحديث: تفرد به اسماعيل ابن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه احمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث وقال ابن عدي : عامة احاديثه فيها نظر وقال الترمذي: ضعفه بعض اهل العلم وسمعت محمداً يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب الحديث وقال لي شيخنا ابو الحجاج الحافظ : هذا الحديث مجموع من عدة احاديث ساقه اسماعيل او غيره هذه السياقة وما تضمنه معروف في الاحاديث والله اعلم ٠ وذكر قطعة منه في موضع آخر من الكتاب وعقب عليها بهذا وزاد قوله قلت : ولكن اذا روى مثل هذا ما يخالف الاحاديث الصحيحة لم يلتفت الى روايته وايضا فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدرى من هو ٠

عَلَيهِمُ ٱلْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بعضاً . ورواه البخاري وقال: ثلاثون ميلاً .

وفي جامع الترمذي من حديث أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يُعْطَى ٱلْمُؤْمِنُ فِي ٱلْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذا وكذا مِنَ النساء قلت: يا رسولَ الله ويُطيق ذلك؟ قال: يُعْطَى قوة مائة قال: هذا حديث صحيح غريب .

وفي معجم الطبراني من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله هل نَصِلُ إلى نسآئنا في الجنة؟ فقال: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي ٱلْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَآءَ وفي لفظ: قلنا يا رسول الله نفضي إلى نسآئنا في الجنة؟ فقال: إي وَٱلَّذِي نفسي بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ [لَيُفْضِي] فِي ٱلْغَدَاةِ ٱلْوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَآءَ . قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: ورجالُ هذا الحديث عندي عَلَى شرط الصحيح .

وفي حديث لَقِيط العقيلي الطويل [الذي] رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد في السنة وغيرُهما أنه قال: [قلت] يا رسول الله أَوَلَنَا فِيها أزواجٌ مصلحات قال: الصالحاتُ لِلصالحِينَ تَلَذُّونَهُنَّ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ في الدُّنيا وَيَلَذَذْنَكُمْ غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالُدَ .

وذكر ابن وهبٍ عن عمرو بن الحارث، عن دَرَّاج، عن عبد الرحمن بن حُجَيْرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أَنَطَأُ في الجنة؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ وَٱلَّذِي نفسي

بِيَدِهِ دَحماً دَحماً ، فإذا قامَ عَنها رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْراً . قال الحافظ أبو عبد الله : درّاجٌ اسمه عبد الرحمن بن سمعان المصري ، وثقّهُ يحيى ابن معين : وأخرج عنه أبو حاتم بن حِبّان في صحيحه وكان بعضُ ينكر بعض حديثه والله أعلم .

وفي معجم الطبراني من حديث أبي المتوكل ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ أَهلَ الجنَّةِ إذا جامعوا نِساءَهُم عُدْنَ أَبْكاراً * وفيه أيضاً عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أيجامع أهل الجنة ؟ قال : دَحماً دَحماً وَلكِنْ لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة .

قصيدة [1]

يا خاطبَ الحورِ الحسان وطالباً ‏ لوصالهنّ بجنة الحَيَوان

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـ ‏ ـت بذلت ما تحوي من الأَثمان

أو كنت تعرف أين مسكنُها جعلـ ‏ ـت السعي منك [لها] على الأجفان

أسرع وحثّ السيرَ جهدك إنما ‏ مسراك هذا ساعةٌ لزمان

فاعشق وحدّث بالوصال النفسَ وابـ ‏ ـذُلْ مهرها ما دمت ذا إمكان

واجعل صيامك دون لقياها ويو ‏ مَ الوصل يومَ الفطر من رمضان

واجعل نعوتَ جمالها الحادي وسر ‏ نحو الحبيب ولستَ بالمتواني

واسمع إذن أوصافها ووصالها ‏ واجعل حديثك ربةَ الإحسان

---

(١) هي قطعة من قصيدة للمؤلف في السنة سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية وقد عارضنا ما هنا وأصلحناه على النسخة المطبوعة منها.

يا من يطوف بكعبة الحسن ٱلتي | حُفَّت بذاك الحجر والأركان
ويَظَلُّ يسعى دائماً حول ٱلصفا | ومُحَسّر مسعاه كلَّ أوان
ويرومُ قُربان ٱلوصال عَلَى منًى | وٱلخَيْفُ يحجبه عن ٱلقُربان
فلذا تراه مُحْرِماً أبداً ومو | ضعُ حلّه منه فليس بدان
يبغي ٱلتمتُّع مفرداً عن حبه | متجرّداً يبغي شفيعَ قِران
ويظلّ بٱلجَمَرات يرمي قلبَه | هذي مناسكه بكل زمان
وٱلناس قد قَضَّوْا مناسكهم وقد | حثّوا ركائبهم إلى ٱلأَوطان
وخدَت بهم هممٌ لهم وعزائمٌ | نحو ٱلمنازل ربة ٱلإحسان
رفعت لهم في ٱلسير أعلامُ ٱلوصا | ل فشمّروا يا خيبةَ ٱلكسلان
ورأَوا عَلَى بُعدٍ خياماً مُشرفا | تٍ مشرقاتِ ٱلنور وٱلبرهان
فتيمّموا تلك ٱلخيامَ فآنسوا | فيهنّ أَقماراً بلا نقصان
من قاصراتِ ٱلطَّرْفِ لا تبغي سوى | محبوبها من سائر ٱلشبان
قَصَرَت عليه طَرْفَها من حسنه | وٱلطَّرفُ منه مُطْلَقٌ بأمان
ويحار منه ٱلطرف في ٱلحسن ٱلذي | قد أُعطيت فٱلطرفُ كٱلحيران
ويقول لما أَن يشاهدَ حسنَها | سبحان معطيٍ ٱلحسن وٱلإحسان
وٱلطرف يشرب من كؤوس جمالها | فتراه مثل ٱلشارب ٱلنَّشْوان
كَمُلت خلائقها وأُكمل حسنُها | كٱلبدر ليلَ ٱلست بعد ثمان

* * *

وٱلشمسُ تجري في محاسن وجهها | وٱلليلُ تحت ذوائب ٱلأغصان

فيظلّ يعجب وهو موضعُ ذاك من ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان

ويقول سبحان الذي ذا صنعهُ سبحان متقنِ صنعة الإنسان

لا الليل يُدرك شمسها فتغيب عنـ ـد مجيئه حتى الصباح الثاني

والشمسُ لا تأْتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآةُ صاحبه إذا ما شاء يُبصر وجهه يريان

فيرى محاسنَ وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان

حُمْر الخدود ثغورُهن لآلئٌ سود العيون فواتر الأجفان

والبرقُ يبدو حين يَبْسِم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ب فغصنها بالماء ذو جريان

لما جرى ماء النعيم بغصنها حمل الثمار كثيرةَ الألوان

فالورد والتُفّاح والرُمّان في غصنٍ تعالى غارسُ البستان

والقدّ منها كالقضيب اللَّدْن في حسن القوام كأوسط القضبان

في مَغْرِس كالعاج تحسب أنه عالي النقا أو واحدُ الكُثْبان

لا الظهر يلحقه وليس ثُديُّها بلواحقٍ للبطن أو بدوان

لكنهنّ كواعبٌ ونواهدٌ فثُديُّهنّ كأحسن الرُّمان

والجيد ذو طولٍ وحسنٍ في بيا ضٍ واعتدالٍ ليس ذا نكران

يشكو الحُليُّ بعادَه فله مدى الـ أيام وَسواسٌ من الهجران

والمِعْصمان فإن تشأْ شبّههْما بسبيكتين عليهما كفان

كالزبد لينًا في نعومة مَلْمَسٍ أصداف درٍّ دُوِّرت بوزان

والصدر متسعٌ على بطنٍ لها ... والخصرُ منها مغرمٌ بثمان
وعليه أحسن سُرَّةٍ هي زينةٌ ... للبطن قد غارت من الأعكان
حُقٌّ من العاج استدار وحشوهُ ... حبات مسكٍ جلَّ ذو الإتقان
وإذا نزلت رأيت أمراً هائلاً ... ما للصفات عليه من سلطان
لا الحيضُ يغشاه ولا بولٌ ولا ... شيءٌ من الآفات في النسوان
فَخذانِ قد حفَّا به حرسَاً له ... فجنابُه في عزَّةٍ وصيان
قاما بخدمته هو السلطان بيـ ... ـنهما وحقٌّ طاعةُ السلطان
وهو المطاعُ إذا هو استدعى الحبيـ ... ـبَ أتاه طوعاً وهو غيرُ جبان
وجماعُها فهو الشفاء لصبها ... فالصبُّ منه ليس بالضجران
وإذا أتاها عادت الحسناء بكـ ... ـراً مثلَ ما كانت مدى الأزمان
وهو الشهي الَذُّ شيء هكذا ... قال الرسولُ لمن له أُذنان
يا ربّ غفراً قد طغت أقلامنا ... يا ربّ معذرةً من الطغيان
أقدامُها من فضةٍ قد رُكّبت ... من فوقها ساقان ملتفّان
والساقُ مثلُ العاج ملمومٌ به ... مُخُّ العظام تناله العينان
والريحُ مسكٌ والجسومُ نواعمٌ ... واللونُ كالياقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنغمةٍ ... زادت على الأوتار والعيدان
وهي العَرُوب بشكلها وبدلّها ... وتحبّبٍ للزوج كلّ أوان
أترابُ سِنٍّ واحدٍ متماثلٍ ... سنُّ الشباب لأجمل الشبّان
بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ ... ـمحبوب من إنسٍ ولا من جان

يُعطى ٱلمُجَامِعُ قوَّةَ ٱلمائة ٱلتي اْجـ تمعت لأقوى واحد ٱلإنسان

ولقد أَتانا أنه يَغْشى بيو مٍ واحدٍ مـائةً من ٱلنِّسوان

ورجاله شرط ٱلصحيح رَوَوْا لهم فيه وذا في معجم ٱلطبراني

وبذاك فُسّر شغلهم في سورةٍ من بعد فاطر[١] يا أَخا ٱلعرفان

✲ ✲ ✲

هذا دليلٌ أَنْ قدر نسآئهم متفاوتٌ بتفاوُتِ ٱلإِيمان

وبه يزول توهُّم ٱلإِشكال عن تلك ٱلنصوص بمنة ٱلرحمن

في بعضها مائةٌ أَتى وأَتى بها سبعون أيضاً ثم جا ثِنْتان

فتفاوُتُ ٱلزوجات مثلُ تفاوت ٱلـ درجات فالأَمران مختلفان

وبقوةِ ٱلمائة ٱلتي حصلت له أَفضى إِلى مائةٍ بلا خَوَران

وأَعفُّهم في هذه ٱلدنيا هو ٱلـ أقوى هنـاك لزهده في ٱلفاني

فاُجمع قواك لما هناك وغُضَّ من لك الطرف واُصبر ساعةً لزمان

ما ها هنا واُلله ما يسوى قُلا مةَ ظفر واحدةٍ من النِّسوان

ونَصيفُها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها إِذا كانت من ٱلأَثمان

لا تُؤْثر ٱلأَدنى على ٱلأَعلى فإِن تفعل رجعت بذلةٍ وهوان

وإذا بدت في حلّةٍ من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان

تهتزُّ كالغصن الرطيب وحملُه وردٌ وتفاحٌ على رمان

---

(١) اشارة الى قوله تعالى في سورة يس: « ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون » فقد فسر كثير من السلف الشغل في هذه الآية بافتضاض الابكار .

وتبخترت في مشيها ويحق ذا ... ك لمثلها في جنة الرضوان
ووصائفٌ من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان
كالبدر ليلة تمه قد حفّ في ... غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانُه وفؤادُه والطرفُ في ... دهش وإعجاب وفي سبحان
تستنطق الأفواهَ بالتسبيح إذ ... تبدو فسبحان العظيم الشان
والقلب قبل زفافها في عرسه ... والعرس إثرَ العرس متصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلا ... أرأيت إذ يتقابلُ القمران
فسل المتيَّم هل يَحِلُّ الصبرُ عن ... ضمٍّ وتقبيلٍ وعن فلتان
وسل المتيَّمَ أين خلف صبره ... في أيّ وادٍ أم بأيّ مكان
وسل المتيّم كيف حالته وقد ... ملئت له الأذنان والعينان
من منطقٍ رقّت حواشيه ووجْ ... هٍ كم به للشمس من جريان
وسل المتيم كيف عيشتُه إذاً ... وهما على فرشيهما خلوان
يتساقطان لآلئاً منثورة ... من بين منظومٍ كنظم جمان
وسَل المتيم كيف مجلسُه مع الْ ... محبوب في روْح وفي ريحان
وتدور كاساتُ الرحيق عليهما ... بأكف أقمارٍ من الولدان
يتنازعان الكأسَ هذا مرةً ... والخوْد أخرى ثم يتكئان
فيضمها وتضمه أرأيت معْ ... شوقين بعد البعد يلتقيان
غاب الرقيبُ وغاب كلُّ منكّدٍ ... وهما بثوب الوصل مشتملان

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا   وحياة ربك ما هما ضجران

* * *

ياعاشقاً هانت عليه نفسه   إذ باعها غبناً بكل هوان

أترى يليق بعاقل بيع الذي   يبقى ـ وهذا وصفه ـ بالفاني (*)

(*) لقد انكر بعض الناس ان يكون نعيم الجنة مادياً يباشره الخلق بأجسامهم ويرونه بابصارهم وهم يدعون ان النعيم في الآخرة روحي محض ليس للاجسام علاقة به . ولا يخفى مافي هذا الرأي من الزيغ والضلالة، وأي زيغ اشدّ من رد ما جاءت به الآيات البينات والاحاديث الصحيحة الثابتة ؟

ان احوال البرزخ والقيامة وما بعدهما من الامور المغيبة التي لا يمكن ان يكون المرجع فيها الى الرأي والاجتهاد ، بل لابد من المصير فيها الى ماجاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وإذن ليس لنا من محيد عن ان نعتقد اعتقاداً جازماً لاتردد فيه ان الحال في الآخرة على ما وصف في الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وهو ماعليه عامة السلف والخلف .

على ان الجنة ليست كما يفهمها آخرون مقصورة على التمتع بالشهوات من النساء والطعام والشراب ونحوها وانما هنالك امور هي اسمى من ذلك واعلى، منها اجتماع اهل الجنة بعضهم ببعض وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا ومنها وهو أفضلها واعظمها على الاطلاق رؤية الله سبحانه وتعالى عياناً بغير حجاب وسماع كلامه بلا واسطة ومحاضرته العباد وتذكيره عزّ وجل إياهم بما أتوا في الدنيا من غدرات وغير ذلك مما هو ثابت لايمتري فيه الا من هم في ريبهم يترددون .

وبعد فلا أدري ماهو السبب الحامل على انكار كون نعيم الجنة مما يشترك في الاحساس به الاجسام والارواح ،مع ان الناس جميعاً انما يسعون في الدنيا لتحصيل اللذة والنعيم ، وهما لديهم الغاية القصوى من الحياة المشوبة بالآلام والاسقام والفقر وخوف الانقطاع ، وما منا من احد الا وهو يتوخى بعمله أيّ عمل كان ما يتوخاه

العامل من الاجر ، حتي اولئك الذين يدّعون أنهم إنما يعملون ما يعملون قياماً بالواجب واجابةً لداعي الضمير فان قصاراهم منه اللذة وموضعها النفوس والاجسام .

وإن تعجب فعجب شأن اولئك الذين يستنكرون عيش الآخرة لما فيه من الاقبال على النعيم الخالص ، و يعدّون التقلب في افيائه وامتاعَ النفس بلذاته من الامور التي يحسن بالعاقل ان يربأ بنفسه عن الرضا بها والركون اليها ، وانما هي شيمة العاطلين اولي النفوس الشهوانية والهمم الدنية ، يقولون ذلك وهم يركبون رؤوسهم في اتباع الشهوات الموبقة بين سمع الخلق و بصرهم ، و ينعون على اهل الصلاح انهم عن صراطهم ناكبون ، وانهم عن صفو هذا العيش ونعمته غافلون .

ولقد قال قائلهم وكان في تيه غيه وهواه سادرا :

ومن اجل كرهي للمخانيث انكرت   يدي ان تحلي في الجنان اساورا

الا فليعلم هؤلاء ان للمتقين مفازاً وان لهم في الجنة ما تشتهي انفسهم ولهم فيها ما يدعون نزلاً من غفور رحيم وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون . تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار .



الباب العشرون

في علامات المحبة وشواهدها

وقبل ٱلخوض في ذلك لا بدّ من ذكر أقسام ٱلنفوس ومحابها فنقول: النفوس ثلاثةٌ: نفسٌ سماويةٌ علوية، فمحبتها منصرفةٌ إلى ٱلمعارف واكتساب ٱلفضائل والكمالات ٱلممكنة للإنسان واجتناب الرذائل، وهي مشغوفة بما يقربها من ٱلرّفيق ٱلأعلى، وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها، فاشتغالها بغيره هو داؤها. ونفسٌ سبعيّة غضبية، فمحبتها منصرفةٌ إلى ٱلقهر وٱلبغي وٱلعلوّ في ٱلأرض وٱلتكبّر والرئاسة على ٱلناس بالباطل، فلذتها في ذلك وشغفها به. ونفسٌ حيوانية شهوانية، فمحبتها منصرفةٌ إلى ٱلمأكل وٱلمشرب وٱلمنكح، وربما جمعت إلى ٱلأمرين فانصرفت محبتها إلى ٱلعلوّ في ٱلأرض وٱلفساد كما قال الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ)[1] وقال في آخر السورة: (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[2] وٱلحبُّ في هذا العالم دائرٌ بين هذه ٱلنفوس ٱلثلاثة، فأيّ نفسٍ منها صادفت ما يلائم

(١ و ٢) سورة القصص الآيتان ٤ و ٨٢

طبعها أستحسنته ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومة لائم ، وكلّ قسمٍ من هذه الأقسام يرون أن ما هم فيه أولى بالإيثار وأن الإشتغال بغيره والإقبال على سواه غبنٌ وفوات حظ ، فالنفس السماوية بينها وبين الملائكة والرفيق [الأعلى] مناسبة طبعية بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم ، فالملائكة أولياء هذا النوع في الدّنيا والآخرة ، قال الله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)(1) فالملك يتولى من يناسبه بالنصح له والإرشاد والتثبيت والتعليم وإلقاء الصواب على لسانه ، ودفعِ عدوه عنه ، والإستغفار له إذا زلّ ، وتذكيره إذا نسي ، وتسليته إذا حزن : وإلقاء السكينة في قلبه إذا خاف ، وإيقاظه للصلاة إذا نام [عنها] وإيعاد صاحبه بالخير ، وحضّه على التصديق بالوعد ، وتحذيره من الركون إلى الدّنيا ، وتقصير أمله وترغيبه فيما عند الله ، فهو أنيسه في الوحدة ووليّه ومعلّمه ومثبّته ومسكّن جأشه ، ومرغّبه في الخير ، ومحذّره من الشرّ ، يستغفر له إن أساء ، ويدعو له بالثبات إن أحسن ، وإن بات طاهراً يذكر الله بات معه في شعاره ، فإن قصده عدوٌّ له بسوء وهو نائمٌ دفعه عنه ،

(1) سورة فصلت الآيات ٣٠ و ٣١ و ٣٢

فصل والشياطين أوليآء النوع الثاني يخرجونهم من النور إلى الظلمات قال الله تعالى : (تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ)[١] وقال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)[٢] وقال تعالى : (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً . أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً)[٣] وقال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)[٤] فهذا النوع بين نفوسهم وبين الشياطين مناسبة طبعية بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم فالشياطين تتولاهم بضد ما تتولى الملائكة لمن ناسبهم ، فتؤزهم إلى المعاصي أزًّا وتزعجهم إليها إزعاجًا لا يستقرون معه ، ويزينون لهم القبائح ويخففونها على قلوبهم ويحلّونها في نفوسهم ويثقلون عليها الطاعات ويثبّطونهم عنها ويقبحونها في أعينهم ، ويلقون على ألسنتهم أنواع القبيح من الكلام وما لا يفيد ويزينونه في أسماع من يسمعه منهم ، يبيتون

---

(١) سورة النحل الآية ٦٣ (٢) سورة الحج الآية ٤

(٣) سورة النساء الآيات ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١

(٤) سورة الكهف الآية ٥٠

معهم حيث باتوا ، ويقيلون معهم حيث قالوا ، ويشاركونهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم ، يأكلون معهم ، ويشربون معهم ، ويجامعون معهم ، وينامون معهم ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً)(1) [وقال تعالى] : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)(2)

فصل وأما النوع الثالث فهم أشباه الحيوان ، ونفوسهم أرضية سفلية لا تبالي بغير شهواتها ولا تريد سواها . إذا عرفت هذه المقدمة فعلامات المحبة قائمة في كل نوع بحسب محبوبه ومراده ، فمن تلك العلامات تعرف من أي هذه الأقسام هو ، فنذكر فصولاً من علامات المحبة التي يُستدلّ بها عليها .

فمنها إدمانُ النظر إلى الشيء وإقبال العين عليه ، فإن العين بابُ القلب وهي المعبّرةُ عن ضمائره والكاشفةُ لأسراره . وهي أبلغ في ذلك من اللسان ، لأن دلالتها حالية بغير اختيار صاحبها ، ودلالة اللسان لفظيةٌ تابعة لقصده ، فترى ناظر المحب يدور مع محبوبه كيفما دار ، ويجول معه في النواحي والأقطار ، كما قال :

(١) سورة النساء الآية ٣٨

(٢) سورة الزخرف الآيات ٣٦ و ٣٧ و ٣٨

أذودُ سَوامَ الطَّرْفِ عنك وماله عَلَى أحدٍ إلاَّ عليك طَريق

بل ٱلمحبُّ في عين ٱلمحبوبِ تمثالُه، كما في قلبه شخصُه ومثالُه [كما قيل]:

ومن عجبٍ أني أحنُّ إليهمُ وأسأَل عنهم من لَقِيتُ وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

فٱلمحب نظره وقفٌ عَلَى محبوبه كما قال:

إن يحجبوها عن ٱلعيون فقد حجبت عيني لها عن ٱلبشر

فصل ومنها إغضاؤُه عند نظر محبوبه إليه، ورميُه بطرفه نحو ٱلأَرض، وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره، ولهذا يَستهجن ٱلملوكُ مَن يخاطبهم وهو يحدُّ ٱلنظر إليهم، بل يكون خافضَ ٱلطرف إلى ٱلأَرض. قال ٱلله تعالى مخبراً عن كمال أدب رسوله [في] ليلة ٱلإسراء: (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى)[1] وهذا غاية ٱلأَدب، فإن ٱلبصر لم يَزِغ يميناً و[لا] شمالاً، ولا طَمَحَ متجاوِزاً إلى ما هو رائيه ومقبلٌ عليه كٱلمتشارف[2] إلى ما وراء ذلك، ولهذا ٱشتدّ نهي ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم للمصلّي أن يزيغ بصره إلى ٱلسماء، وتواعدهم عَلَى ذلك بخطف أبصارهم، إذ هذا من كمال ٱلأَدب مع مَن ٱلمصلّي واقفٌ بين يديه، بل ينبغي له أن يقف ناكسَ ٱلرأْس مطرقاً إلى ٱلأَرض، ولولا أن

---

(١) سورة النجم الآية ١٧

(٢) في ن: المتشاوف.

[عظمة] رب العالمين سبحانه فوق سمٰواته على عرشه لم يكن فرقٌ بين النظر إلى فوق أو إلى أسفل ·

فصل ومنها كثرة ذكر المحبوب واللّهج بذكره وحديثه ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره بقلبه ولسانه · ولهذا أمر الله سبحانه عبادَه بذكره على جميع الأحوال ، وأمرهم بذكره أخوفَ ما يكونون فقال تعالى : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1] والمحبون يفتخرون بذكرهم أحبابَهم وقتَ المخاوف ومُلاقاةِ الأعداء كما قال :

ذكرتكِ والخطّيُّ يخطِرُ بيننا وقد نَهِلت منا المثقّفَةُ السُّمْرُ

وقال آخر :

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئرٍ في لَبان الأدهم[2]

فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها برَقت كبارق ثغرك المتبسّم

· في بعض الآثار الإلهية : إن عبدي كلَّ عبدي الذي يذكرني وهو مُلاقٍ قِرْنَه ، فعلامة المحبة الصادقة ذكرُ المحبوب عند الرغَب والرهَب وقال بعض المحبين في محبوبه :

يذكّرنيكِ الخيرُ والشرُّ والذي أخاف وأرجو والذي أتوقع

ومن الذكر الدّال على صدق المحبة سبقُ ذكر المحبوب إلى قلب

---

(١) سورة الانفال الآية ٤٥

(٢) في هامش ن : ·· والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

ٱلمحبّ ولسانه عند أول يقظة من منامه ، وأن يكون ذكره آخر ماينام
عليه كما قال قائلهم :

أآخر شيء أنت في كلّ هجْعَةٍ وأول شيء أنت وقتَ هبُوبي

وذِكر ٱلمحبوب لايكون عن نسيانٍ مستحكم فإن ذكره بٱلقوّة
في نفس ٱلمحبّ ، ولكن لضيق [ٱلمحل به] يرِد عليه ما يُغيب
ذكره ، فإذا زال ٱلوارد عاد الذكر كما كان ، وأعلى أنواع ذكر ٱلحبيب
أن يحبِس ٱلمحبّ لسانه عَلَى ذكره ، [ثم يحبس قلبه عَلَى لسانه] ثم يحبس
قلبه ولسانه عَلَى شهود مذكوره . وكما أن ٱلذكر من نتائج ٱلحبّ
فٱلحب أيضاً من نتائج ٱلذكر ، فكلٌّ منهما يثمر ٱلآخر ، وزرعُ
ٱلمحبة إنما يُسقى بماء ٱلذكر ، وأفضل ٱلذكر ما صدر عن ٱلمحبة .

فصل ومن علاماتها ٱلإنقيادُ لأمر ٱلمحبوب وإيثارُه عَلَى مراد
ٱلمحب ، بل يتحد مرادُ ٱلمحبّ وٱلمحبوب . وهذا هو ٱلإتحاد
ٱلصحيح لا ٱلإتحاد ٱلذي يقوله إخوان ٱلنصارى من ٱلمَلاحِدة ، فلا
ٱتحاد إلاَّ في ٱلمراد ، وهذا ٱلإتحاد علامة ٱلمحبة ٱلصادقة بحيث
يكون مراد ٱلحبيب وٱلمحب واحداً ، فليس بمحبٍّ صادقٍ من له إرادةٌ
تخالف مراد محبوبه منه ، بل هذا مريدٌ من محبوبه لامريدٌ له ، وإن
كان مريداً له فليس مريداً لمراده . فٱلمحبون ثلاثة أقسام : منهم من
يريد من ٱلمحبوب ، [ومنهم من يريد ٱلمحبوب] ، ومنهم من يريد

مراد المحبوب مع إرادته للمحبوب . وهذا أعلى أقسام المحبين .
وزهدُ هذا أعلى أنواع الزهد ، فإنه قد زهد في كل إرادة تخالف
مراد محبوبه ، وبين هذا وبين الزهد في الدنيا أعظمُ مما بين السماء
والأرض ، فالزهد خمسة أقسام : زهدٌ في الدنيا ، وزهدٌ في النفس ،
وزهدٌ في الجاه والرِّئاسة ، وزهدٌ فيما سوى المحبوب ، وزهدٌ في كل
إرادةٍ تخالف مراد المحبوب . وهذا إنما يحصُل بكمال المتابعة لرسول
الحبيب . قال الله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1] فجعل سبحانه متابعة
رسوله سبباً لمحبتهم له ، وكونُ العبد محبوباً لله أعلى من كونه محباً لله ،
فليس الشأنُ أن تحبَّ الله ولكن الشأن أن يحبك الله ، فالطاعةُ للمحبوب
عنوانُ محبته كما قيل :

تَعْصي الإله وأنت تزعم حبَّه ... هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحبّ مطيع

فصل ومن علاماتها قلةُ صبر المحب عن المحبوب ، بل ينصرف
صبره إلى الصبر عَلَى طاعته والصبر عن معصيته والصبرِ عَلَى أحكامه ،
فهذا صبر المحب ، وأما الصبرُ عنه فصبر الفارغ عن محبته المشغولِ
بغيره قال :

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣١

والصبرُ يحمَدُ في المواطن كلِّها   وعن الحبيب فإنه لا يُحمَدُ

فمن صبر عن محبوبه أدَّى به صبره إلى فوات مطلوبه . وقال بعض المحبين :

ما أحسنَ الصبرَ وأما على   أن لا أرى وجهَك يوماً فلا

لو أن يوماً منك أو ساعةً   تباع بالدُّنيا إذاً ما غلا

فصل ومنها الإقبال عَلَى حديثه وإلقاءُ سمعه كلّه إليه ، بحيث يفرغ لحديثه سمعه وقلبه ، وإنْ ظهر منه إقبالٌ عَلَى غيره فهو إقبالٌ مستعارٌ يستبين فيه التكلُّف لمن يرمُقهُ كما قال :

وأُديم لَحظَ محدِّثي ليرى   أن قد فهمت وعند كم عقلي

فإن أعوزه حديثُه بنفسه فأحبُّ شيءٍ إليه الحديثُ عنه ، ولا سيما إذا حدّث عنه بكلامه فإنه يقيمه مقامَ خطابه كما قال القائل : المحبون لا شيءَ ألذّ [لهم و] لقلوبهم من سماع كلام محبوبهم وفيه غاية مطلوبهم ، ولهذا لم يكن شيءٌ ألذّ لأهل المحبة من سماع القرآن وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال [لي] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرَأْ عليَّ قلت : أقرأُ عليك وعليك أُنزِل ؟ قال : إنّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمعهُ مِنْ غيري فقرأْت عليه من أوّل سورة النسآء حتى إذا بلغت قوله تعالى [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً] [1] قال : حَسْبُكَ الآنَ فرفعت رأسي فإذا عيناه تذرِفان [2] .

---

(١) سورة النساء الآية ٤١   (٢) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين .

وكان أصحابُ رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم إذا ٱجتمعوا أمروا قارئاً يقرأُ وهم يستمعون، وكان عمر بن ٱلخطاب رضي ٱللّٰه عنه إذا دخل عليه أبو موسى يقول: يا أبا موسى ذكّرْنا ربنّا، فيقرأُ أبو موسى وربما بكى عمر. ومرّ رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم بأبي موسى رضي ٱللّٰه عنه وهو يصلّي من ٱلليل فأَعجبته قرآءته فوقف وٱستمع لها، فلما غدا علَى رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم قال: لَقَدْ مَرَرْتُ بِكَ ٱلْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ فَوَقَفْتُ وَٱسْتَمَعْتُ لِقِرَآءَتِكَ فقال: لو أعلم أنك كنتَ تسمع لحبّرته لك تحبيراً[1]. وٱللّٰه سبحانه وهو ٱلذي تكلم بٱلقرآن يأذَن ويستمع للقارئ ٱلحسَن ٱلصوت من محبته لسماع كلامه [منه] كما قال صلى ٱللّٰه عليه وسلم: لَلّٰهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى ٱلْقَارِئِ ٱلْحَسَنِ ٱلصَّوْتِ مِنْ صَاحِبِ ٱلْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ[2]. وَٱلأَذْنُ بفتح ٱلهمزة وٱلذال مصدر أَذِنَ يَأْذَنُ إذا ٱستمع قال ٱلشاعر:

أيها ٱلقلبُ تعلّلْ بددَنْ   إن قلبي في سماعٍ وأَذَنْ

وقال صلى ٱللّٰه عليه وسلم: زَيِّنُوا ٱلْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ[3]. وغلط

---

(١) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: اخرجه مسلم واخرجه ابو يعلى بزيادة.

(٢) قال السيوطي: رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: اخرجه البخاري تعليقاً في الصحيح واخرجه في خلق افعال العباد واخرجه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والدارقطني والبزار.

من قال : إنَّ هذا من ٱلمقلوب و[ان] ٱلمرادَ زيّنوا أَصواتكم بٱلقرآن. فهذا و إن كان حقًّا فالمرادُ تحسينُ ٱلصوت بالقرآن . وصح عنه أَنه قال : لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِٱلْقُرْآنِ (١) ووهم من فسره بٱلغنى ٱلذي هو ضد ٱلفقر من وجوه : أَحدُها أَن ذلك ٱلمعنى إنما يقال فيه استغنى لا تغنّى، الثاني أَن تفسيره قد جاء في نفس ٱلحديث يجهر به هذا لفظه (٢) قال أَحمد: نحن أَعلم بهذا من سفيان وإنما هو تحسين ٱلصوت به يحسنه ما ٱستطاع، الثالث أَن هذا ٱلمعنى لا يتبادر إلى ٱلفهم من إطلاق هذا ٱللفظ ولو أُحتمله فكيف وبنية ٱللفظ لا تحتمله كما تقدم . وبعد [هذا] فإذا كان من ٱلتغنّي بٱلصوت ففيه معنيان : أَحدها يجعله له مكانَ ٱلغناء لأَصحابه من محبته له ولَهَجِهِ به كما يُحَبّ صاحب ٱلغناء لغنائه، والثاني أَنه يزينه بصوته ويحسّنه ما أَستطاع كما يزين ٱلمتغنّي غناءه بصوته ، وكثيرٌ من ٱلمحبين ماتوا عند سماع ٱلقرآن بٱلصوت ٱلشجي، فهؤلاء قتلى ٱلقرآن ، لا قتلى عُشاق ٱلمُرْدان وٱلنّسوان .

فصل ومنها محبةُ دار ٱلمحبوب وبيته حتى محبةُ ٱلموضع ٱلذي حلّ به ، وهذا هو ٱلسرّ ٱلذي لأَجله علقت القلوب عَلَى محبة الكعبة البيت ٱلحرام ، حتى أَستطاب ٱلمحبون في الوصول إليها هجرَ ٱلأَوطان وٱلأَحباب .

---

(١) قال السيوطي : رواه البخاري واحمد وابو داود وابن حبان والحاكم .

(٢) كذا رواه مسلم من لفظ الحديث ورواية البخاري وقال صاحب له : يريد يجهر به

ولذّ [لهم] فيها ٱلسفر ٱلذي هو قطعةٌ من ٱلعذاب، فركبوا ٱلأخطار، وجابوا ٱلمفاوزَ وٱلقِفار، وٱحتملوا في ٱلوصول غايةَ ٱلمشاقّ، ولو أمكنهم لسعَوْا إليها علَى ٱلجفون وٱلأحداق.

نعم أَسعى إِليك علَى جفوني وإِن بعُدت لمسراك ٱلطريق

وسرُّ هذه ٱلمحبة هي إِضافةُ ٱلرب سبحانه له إِلى نفسه بقوله (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ)[1]

قال ٱلشاعر:

لما ٱنتسبتُ إِليك صِرْتُ معظَّماً وعلوتُ قدراً دون من لم ينْسب

وكلُّ ما نُسب إِلى ٱلمحبوب فهو محبوب (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ)[2] (سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)[3] (تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ)[4] (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا)[5] ومن فهم هذا فهم معنى قوله تعالى: (بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ)[6] وقولِ عبدِه ورسوله صلى ٱلله عليه وسلم: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَٱلْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ[7]

وإِذا كان من يحبّ مخلوقاً مثلَه يحبّ داره كما قال:

---

(١) سورة الحج الآية ٢٦ (٢) سورة الجن الآية ١٧

(٣) اول سورة الاسراء.

(٤) اول سورة الفرقان.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣

(٦) سورة آل عمران الآية ٢٦

(٧) رواه مسلم وغيره وليس فيه والشر ليس إِليك.

أمرُّ عَلَى ٱلدِّيار ديارِ ليلى   أُقبّل ذا ٱلجدارَ وذا ٱلجدارا

وما حبُّ ٱلدّيار شغفنَ قلبي   ولكن حبُّ من سكن ٱلديارا

فكيف بمن ليس كمثله شيءٌ ومن ليس كمثل محبته محبة ؟

فصل ومنها ٱلإسراع إليه في ٱلسير ، وحثُّ ٱلركاب نحوه ، وطيّ ٱلمنازل في ٱلوصول إليه ، وٱلإجتهاد في ٱلقرب وٱلدُّنوّ منه ، وقطع كلّ قاطعٍ يقطع عنه ، وٱطِّراحُ ٱلأشغال ٱلشاغلة عنه ، والزهدُ فيها ، والرغبة عنها ، وٱلإستهانة بكل ما يكون سبباً لغضبه ومقته وإن جلّ ، وٱلرغبةُ في كل ما يدني إليه وإن شقّ قال الشاعر :

ولو قلتِ طَأْ في النار أعلم أنه   رضاً لك أو مُدْنٍ لنا من وصالكِ

[لقدّمت رِجلي نحوها فوطِئتها   هدًى منك لي أو ضلّةً من ضلالكِ]

فصل ومنها محبة أحباب المحبوب وجيرانِه وخدَمه وما يتعلّق به ، حتى حرفته وصناعته وآنيته وطعامه ولباسه قال :

أُحبّ بني ٱلعوّام طُرًّا لحبها   ومن أجلها أحببت أخوالَها كَلْبا

وقال آخر :

يشتاق واديها ولولا حبُّكم   ما شاقه وادٍ زهت أزهارُه

وقال ٱلآخر :

فيا ساكني أكنافِ طَيْبَةَ كلُّكم   إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

وفي أخبار ٱلعشاق أن عاشقاً عشق السراويلات من أجل سراويل

معشوقه ، فوُجد في تركته أثنا عشر حملاً وفردةٌ من السراويلات (ذكره البصري) ، وعشق آخرُ الهاوُونات من أجل صوت هاوُن محبوبته ، فوُجد في تركته عدةُ آلافٍ منها ، وعند الناس من هذا عجائبُ كثيرةٌ . وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يحب الدُّبآء كثيراً لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبعها من جوانب القصعة .

فصل ومنها قِصَرُ الطريق حين يزوره ويوافي إليه حتى كأنها تُطْوى له ، وطولُها إذا انصرف عنه وإن كانت قصيرة قال :

وكنتُ إذا ما جئت ليلى أزورها   أرى الأَرض تُطْوى لي ويدنو بعيدُها

من الخَفِرات البيضِ ودّ جليسُها   إذا ما انقضت أُحدوثةٌ لو تعيدها

وقال الآخر :

واللهِ ما جئتكم زائراً   إلّا وجدت الأَرضَ تُطْوى لي

ولا انثنى عزميَ عن بابكم   إلّا تعثَّرتُ بأَذيالي

وقال الآخر :

وإذا قمت عنك لم أمشِ إلّا   مشيَ عانٍ يقاد نحو الفناء

وإذا جئتُ كنتُ أَسرعَ في السير   من الطير نازلاً في الهواء

وقال الآخر :

وتدنو الطريقُ إذا زرتكُم   وتبعدُ إذ أنثني راجعا

فصل ومنها انجلاء همومه وغمومه إذا زار محبوبه أو زاره ، وعودها إذا فارقه كما قال :

يزور فتنجلي عني همومي لأن جلاء حزني في يديه
ويمضي بالمسرة حين يمضي لأن حوالتي فيها عليه

ومن المعلوم أنه ليس للمحب فرحة ولا سرور ولا نعيم إلا بمحبوبه ، وبمفارقة محبوبه عذابه الآجل والعاجل .

فصل ومنها البهت والروعة التي تحصل عند مواجهة الحبيب أو عند سماع ذكره ، لا سيما إذا رآه فجأة أو طلع عليه بغتة كما قال الشاعر :

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب
فأرجع عن رأيي الذي كان أولا وأذكر ما أعددت حين تغيب

[وقال آخر :

فما هو إلا أن يراها فجاءة فتصطك رجلاه ويسقط للجنب]

وربما اضطرب عند سماع اسمه فجأة كما قال :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أشجان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والإضطراب فقيل سببه أن للمحبوب سلطاناً على قلب محبه أعظم من سلطان الرعية ، فإذا

رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة ، فإن القلب معظّم لمحبوبه خاضع له ، والشخص إذا فجئه المعظّم عنده راعه ذلك ، وقيل : سببه انفراج القلب له ومبادرته إلى تلقّيه فيهرب الدّم منه فيبرد [ويُرْعَد] ويحدث الإصفرار والرّعدة ، وربما مات . وبالجملة فهذا أمرٌ ذوقيٌّ وجدانيٌّ وإن لم يُعْرَف سببه .

فصل ومنها غيرته لمحبوبه [وعَلَى محبوبه] ، فالغيرة له أن يكره ما يكره ويغار إذا عصِيَ محبوبه وانْتُهِكَ حقّه وضُيّع أمرُه . فهذه غيرة المحب حقًّا ، والدين كلُّه تحت هذه الغيرة . فأقوى الناس دينا أعظمهم غيرةً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « أَتَعجبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سعْدٍ لَأَنَا أَغيرُ مِنهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي »[1] فمحبُّ الله ورسوله يغار لله ورسوله عَلَى قدر محبته وإجلاله ، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنه من المحبين ، فكذب من ادّعى محبة محبوبٍ من الناس وهو يرى غيرَه ينتهك حُرْمَةَ محبوبه ويسعى في أذاه ومَساخطه ويستهين بحقه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك ، بل قلبه بارد ، فكيف يصحّ لعبدٍ أن يدّعيَ محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انْتُهِكت ولا لحقوقه إذا ضُيِّعت . وأقل الأقسام أن يغار له من نفسه وهواه وشيطانه ، فيغار لمحبوبه من تفريطه في حقه وارتكابه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

لمعصيته . وإذا ترحّلت هذه الغيرة من القلب ترحّلت منه المحبة ، بل ترحل منه الدين وإن بقيت فيه آثاره ، وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي الحاملة على ذلك ، فإن خلت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينهَ عن المنكر ، فانه إنما يأتي بذلك غيرةً منه لربه ، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى علامة محبته ومحبوبيته الجهادَ فقال الله تعالى ، (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا مَن يرتَدَّ منكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسوْفَ يأتي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللهِ وَلاَ يَخافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[1] .

فصل وأما الغيرة على المحبوب فإنما تُحمَدُ حيث يُحمَدُ الإختصاص بالمحبوب ويُذَمّ الإشتراك فيه شرعاً وعقلاً كغيرة الإنسان على زوجته وأَمَتِه والشيء الذي يختصّ هو به ، فيغار من تعرُّض غيره لذكره ومشاركته له فيه ، وهذه الغيرة تختص بالمخلوق ولا تُتصَوَّر في حق الخالق ، بل المحبّ لربه يحب أن الناس كلَّهم يحبُّونه ويذكرونه ويعبدونه ويَحْمَدونه ، ولا شيء أقرّ لعينه من ذلك ، بل هو يدعو إلى ذلك بقوله وعمله . ولما لم يميّز كثيرٌ من الصوفية بين هاتين الغيرتين وقع في

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤

كلامهم تخبيطٌ قبيح . وأحسن [أمره] أن يكون من السعي المغفور لا المشكور . وكان بعض جهلتهم إذا رأى من يذكر الله أو يحبه يغار منه وربما سكّته إن أمكنه ويقول : غيرة الحب تحملني على هذا ، وإنما ذلك حسدٌ وبغيٌ وعدوانٌ ونوعُ معاداةٍ لله ومراغمة لطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة ، وشبهوا محبة الله بمحبة الصُّوَر من المخلوقين . ولا ريب أن هذه الغيرة محمودة في محبة من لا تحسُن مشاركة المحب فيه ، وسيأتي ذلك في باب الغيرة على المحبوب .

فصل ومنها بذلُ المحب في رضا محبوبه ما يقدر عليه مما كان يتمتع به بدون المحبة ، وللمحب في هذا ثلاثةُ أحوال : أحدُها بذلُه ذلك تكلُّفاً ومشقةً وهذا في أول الأمر ، فإذا قويت المحبةُ بذلَه رضاً وطوعاً ، فإذا تمكّنت من القلب غاية التمكّن بذلَه سؤالاً وتضرُّعاً كأنه يأخذه من المحبوب ، حتى إنه ليبذُل نفسَه دون محبوبه كما كان الصحابة رضي الله عنهم يقُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى يصرّعوا حوله

ولي فؤادٌ إذا لجّ الغرامُ به ... هام اشتياقاً إلى لُقيا معذّبه
يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له ... أعزّ من نفسه شيءٌ فداك به

ومن آثر محبوبه بنفسه فهو لهُ بماله أشدُّ إيثاراً قال الله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) [1] ولا يتمُّ لهم مقام الإيمان حتى يكون

(١) سورة الاحزاب الآية ٦

الرسولُ أحبَّ إليهم من أنفسهم فضلاً عن أبنائهم وآبائهم كما صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ[1]، وقال له عمر رضي الله عنه: والله يا رسول الله لأنت أحبُّ إليّ من كلّ شيءٍ إلاَّ من نفسي فقال: لَا يَا عُمَرُ حتّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ قال: فوالله لأنت الآن أحبُّ إليّ من نفسي فقال: الآنَ يا عمر.

فإذا كان هذا شأنَ محبة عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه؟ وهذا النوعُ من الحب لا يمكن أن يكون إلا لله ورسوله شرعاً ولا قدراً، وإن وُجد في الناس من يؤثر محبوبه بنفسه وماله فذاك في الحقيقة إنما هو لمحبة غرَضه منه، فحمله محبةُ غرضه على أن بذل فيه نفسهَ ومالَه، وليست محبّتُه لذلك المحبوب لذاته بل لغرضه منه، وهذا المحبوب له مِثلٌ ولمحبته مثل: وأما محبة الله فليس لها مِثْلٌ ولا للمحبوب مثل، ولهذا حكّم الصحابةُ رضي عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم فقالوا: هـذه أموالُنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت، وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحرَ لخضناه، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك. قال قيس ابن صرمة الأنصاري:

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرة حجةً ··· يذكّر لو يلقى حبيباً موآتيا

(١) قال السيوطي: رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه واحمد في مسنده.

ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم يرَ من يؤوي ولم يرَ داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله أصبح هاديا

فالمحب وصفه الإيثار والمدعى طبعه الإستئثار .

فصل ومنها سروره بما يُسَرّ به محبوبه كائناً ما كان ، وإن كرهته نفسه فيكون عنده بمنزلة الدواء الكريه ، يكرهه طبعاً ويحبه لما فيه من الشفاء . وهكذا المحب مع محبوبه ، يَسُرُّه ما يرضى به محبوبه وإن كان كريهاً لنفسه . وأما من كان واقفاً مع ما تشتهيه نفسه [من] مراضي محبوبه فليست محبته صادقة ، بل هي محبة معلولة ، حتى يُسَرّ بما ساءه وسره من مراضي محبوبه ، وإذا كان هذا موجوداً في محبة الخلق بعضهم لبعض فالحبيب لذاته أولى بذلك . قال أبو الشيص :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
وأهنتني فأهنت نفسي جاهداً ... ما من يهون عليك ممن يُكرَم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... حباً لذكرك فليلمني اللُّوَّم

وقريبٌ من هذا ٱلبيت ٱلأخير قولُ ٱلآخر:

لئن ساءني أن نِلتِني بمساءةٍ ... لقد سرَّني أني خطرتُ ببالك

وقال ٱلآخر:

صدودكِ عني إن صددتِ يَسُرُّني ... ولم أرَ قبلي عاشقاً سُرَّ بالصدّ

سُرِرْتُ به أني تيقنت أنما ... دعاكِ إليه رغبةٌ منكِ في ودي

ولو كنتِ فيه تزهدين لساءه ... ولكنما عتبُ ٱلمحبّ من ٱلوجد

فيا فرحةً لي إذ رأيتكِ تعتِبي ... عليَّ لذنبٍ كان مني على عمد

وقال ٱلآخر:

أهوى هواها وطولُ ٱلبعد يعجبها ... فالبعدُ قد صار لي في حبها أربا

فمن رأى والهاً قبلي أخا كلفٍ ... ينأى إذا حبه من أرضه قربا

وقريبٌ من هذا قول أحمد بن ٱلحسين (1):

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم ... وِجدانُنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدم

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا ... فما لجُرْحٍ إذا أرضاكمُ ألم

وٱهتدم (2) بعضهم [هذا] فقال:

يا من يَعزُّ علينا أن نُلِمّ بهم ... إذ بعُدنا عنهم قد صار قصدهم

إن كان يرضيكم هذا ٱلبعاد فما ... فيه لصبّكم جرحٌ ولا ألم

---

(١) هو ابو الطيب المتنبي .

(٢) الاهتدام : نوع من السرقات الشعرية .

ولَعَمْرُ ٱللهِ أَكْثر هذه دعاوي لا حقيقة لها ، وٱلصادقُ منهم يخبر عن علمه وإرادته ، لا عن حاله وصفته . ولقد أحسن ٱلقائل :

رَضُوا بِٱلأَماني وٱبْتُلوا بحظوظهم وخاضوا بحارَ ٱلحبّ دعوى وما ٱبتلّوا

فهم في ٱلسرى لم يَبْرَحوا من مكانهم وما ضَعُفوا في ٱلسير عنه وما كلّوا

وإن كان هذا هو وصف قائلها بعينه وحاله فإنه خاض بحارَ ٱلحبّ وما ٱبتلّ فيه له قدم ، وأخبر عن نفسه عند ٱنكشاف غِطائه وطلبِ ٱلرسل له لقدومه علَى ربه فقال وصدق :

إن كان منزلتي في ٱلحبّ عندكم ما قد لَقِيتُ فقد ضيّعت أيامي

أمنيةٌ ظَفِرت نفسي بها زمناً فٱليوم أَحسبها أَضغاثَ أحلام

وهذه حال كل من أَحبَّ مع ٱللهِ شيئاً سواه فإنه إلى هذه ٱلغاية يصير ولا بدّ ، وسيبدو له إذا ٱنكشف ٱلغطاء أنه إنما كان مغروراً مخدوعاً بأُمنيةٍ ظَفِرت نفسُه بها مدّةَ حياته ثم ٱنقطعت وأَعقبت ٱلحسرة وٱلندامة . قال ٱلله تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ) [1] فٱلأَسباب ٱلتي تقطّعت بهم هي ٱلوُصَل وٱلعلائق وٱلمودّات ٱلتي كانت لغير ٱلله وفي غير ذات ٱلله ، وهي ٱلتي يَقْدَم إليها سبحانه فيجعلها هباءً منثوراً ،

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١٦٦ و١٦٧

فكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها وحسرة عليه إلا محبته ومحبة ما يدعو إلى محبته، ويعين على طاعته ومرضاته، فهذه هي التي تبقى في القلب يوم تبلى السرائر كما قال:

سيبقى لكم في مضمر القلب والحشا … سريرة حب يوم تبلى السرائر

وقال آخر:

إذا تصدع شمل الوصل بينهم … فللمحبين شمل غير منصدع

وإن تقطع حبل الوصل يومئذٍ … فللمحبين حبل غير منقطع

فصل ومنها حب الوحدة والأنس بالخلوة والتفرد عن الناس، وكأن المحبة قد ثبتت على ذلك، فلا شيء أحلى للمحب الصادق من خلوته وتفرده، فإنه إن ظفر بمحبوبه أحب خلوته [به]، وكره من يدخل بينهما غاية الكراهة، ولهذا السر والله أعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم برد المار بين يدي المصلي حتى أمر بقتاله وأخبر أنه لو يدري ما عليه من الإثم لكان وقوفه أربعين خيراً له من مروره بين يديه [1] ولا يجد ألم المرور وشدته إلا قلب حاضر بين يدي محبوبه مقبل، قد ارتفعت الأغيار بينه وبينه، فمرور المار بينه وبين ربه بمنزلة دخول البغيض بين المحب ومحبوبه. وهذا أمر الحاكم فيه الذوق فلا ينكره [إلا من لم يذق]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مرور

---

(١) قال السيوطي: رواه الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

المارّ بين يدي المصلي يُذهب نصفَ أجره . (ذكره الإمام [أحمد])

وأيضاً فإن المحبّ يستأنس بذكر محبوبه وكونه في قلبه لا يفارقه ، فهو أنيسه وجليسه لا يستأنس بسواه ، فهو مستوحشٌ ممن يَشغَلُه عنه ، وحدّثني تقي الدّين بن شقير قال : خرج شيخ الإسلام ابن تيمية يوماً فخرجت خلفه ، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد سمعته يتمثل بقول الشاعر :

وأخرُجُ من بين البيوت لعلّني ... أُحدّث عنك القلب بالسرّ خاليا

فخلوة المحبّ لمحبوبه هي غايةُ أُمنيّته ، فإن ظَفِر بها وإلاّ خلا به في سرّه وأوحشه ذلك من الأغيار . وكان قيس بن الملوّح إذا رأى إنساناً هرب منه ، فإذا أراد أن يدنوَ منه ويحادثه ذكر له ليلى وحديثها فيأنس به ويسكن إليه ، وينبغي للمحبّ أن يكون مع الناس كما قال يوسف لإخوته وقد طلب منهم أخاهم : (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلاَ تَقْرَبُونِ)[1] .

إذا لم تكن فيكنَّ سعدى فلا أرى ... لكنّ وجوهاً أو أُغيَّبَ في لحدي

فصل ومنها استكانة المحب لمحبوبه وخضوعه وذلّه له ، والحب مبنيٌّ على الذلّ ، ولا يأنف العزيزُ الذي لا يذِلّ لشيءٍ من ذله لمحبوبه ، ولا يَعُدُّه نقصاً ولا عيباً ، بل كثيرٌ منهم يَعُدُّ ذلَّه عزّاً كما قال :

---

(١) سورة يوسف الآية ٦٠

إذا كنتَ تهوى من تحبّ ولم تكن ذليلاً له فاْقرأ السلام عَلَى الوصل
تذلل لمن تهوى لتكسِبَ عزةً فكم عزةٍ قد نالها المرءُ بالذُّلّ

وقال الآخر :

إخضع وذِلَّ لمن تحبّ فليس في شرع الهوى أَنْفٌ يُشال ويُعقَد

وقال الآخر :

ويعجبني ذلي لديك ولم يكن لِيُعْجِبَني لولا محبتك الذُّلّ

وقال آخر :

يَلَذّ له ذلُّ الهوى وخضوعُه ولولا الهوى ما لذّ للعاقل الذل

وقال الآخر :

مساكينُ أَهلُ الحبّ حتى قبورُهم عليها ترابُ الذُّلّ دون المقابر

ومتى استحكم الذل والحبُّ صار عبوديةً ، فيصير قلب المحب معبداً لمحبوبه ، وهذه الرتبة لا يليق أَن تتعلق بمخلوقٍ ولا تصلُح إلا لله وحده ·

فصل ومنها امتدادُ النفَس وتردُّد الأَنفاس وتصاعدُها · وهذا نوعان : أَحدُهما ما يقَارنه حزنٌ ولَهَف كما قال القائل :

رُبّ ليلٍ أَمدّ من نفَس العا شق طولاً قطعتُه بانتحاب

وقال آخر :

تردُّد أَنفاس المحبّ تدلُنا عَلَى كُنْهِ ما أَخفاه من أَلم الحب

إذا خطرات الحب خامرن قلبه تنفس حتى ظل منصدع القلب

والثاني ما يكون سببه طرباً ولذة . وسبب وجود النوعين انحصار القلب وانفراجه بسبب الوارد الذي ورد عليه فأحدث للنفس الذي تروحه عليه الرئة كيفية مؤذية وطلب إخراجها فهو تنفس الصعداء ، وأما تنفس الراحة فإن القلب ينبسط بعد انقباضه فيدفع الهواء المحيط به فيطلب الخروج .

فصل ومنها هجره كل سبب يقصيه من محبوبه ويبغضه المحبوب ، وارتياحه لكل سبب يدنيه منه ويستحمده عنده إذا بلغه عنه . وفي هذا الباب عجائب للمحبين ، فكثير منهم هجر طعاماً أو لباساً أو أرضاً أو صناعة أو حالة من الحالات كان محبوبه يمقتها فلم يعد إليها أبداً ، ولم تطاوعه نفسه بفعله البتة ، وكثير منهم حمله الحب على اكتساب المعالي والفضائل وغيرها مما يعلم أن المحبوب يعظمه ويحبه . وهذا نوعان أيضاً : أحدهما أن يكون المحبوب مؤثراً لذلك محباً له ، فالمحب يبذل جهده فيه لينال منه أعلاه إن أمكنه ، فإن كان المحبوب مشغوفاً بجمع المال أثر ذلك في محبه شغفاً أشد من شغفه ، وإن كان مشغوفاً بالعلم اجتهد المحب في طلبه [أشد] من اجتهاده ، وإن كان مشغوفاً بحرفة أو صناعة حرص المحب على تعلمها إن وجد إلى ذلك سبيلا ، وإن كان مشغوفاً بالنوادر والحكايات

الحِسان والأَخبار المستحسنة بالغ المحب في تحفُّظها ، فالمحبةُ النافعة أَن تقع عَلَى عشقٍ كاملٍ يحملك عشقُه عَلَى طلب الكمال ، والبلية كلُّ البلية أَن تُبْتَلَى بمحبة فارغٍ بطَّالٍ صِفْرٍ من كلّ خير فيحملك حبُّه عَلَى التشبُّه به والثاني أَن يكون المحبوب فارغاً من محبة ذلك وإِيثاره ، ولكن المحبة تستخرج من قلب المحب عزماً وإِرادةً وحرصاً عَلَى ما يَعْظُم به في عين المحبوب وقلبه ، فتجده من أَحرص الناس على ذلك بحسب استعداده كما قيل :

ويرتاح للمعروف في طَلب العُلى لتُحْمَدَ يوماً عند ليلى شمائلُهْ

وهذا قد يكون له سببٌ آخرُ وهو معاداةُ الناس له وتنقُّصهم إِياه وازدراؤُهم به ، فيحمله الانتخاءُ لنفسه والغيرةُ لها ومحبتُها عَلَى المنافسة في المعالي واكتساب الحمد . وهذا من شرف النفس وعِزَّتها كما قيل :

من كان يشكر للصديق فإِنني أَحبو بصالح شكريَ الأَعداءَ
هم صيَّروا طلب المعالي دَيدَني حتى وطِئْتُ بنعليَ الجوزاءَ
ولربما انتفع الفتى بعدوّه والسمُّ أَحيانًا يكون شفاءَ

وقال الآخر :

[عداي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ فلا أَعدم الرحمن عني الأَعاديا]
همُ بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

فصل [ومنها ٱلإتفاق ٱلواقع بين ٱلمحبّ وٱلمحبوب]، ولاسيما إذا كانت ٱلمحبةُ محبة مشاكلةٍ ومناسبَة، فكثيراً مايمرض ٱلمحب بمرض محبوبه ويتحرّك بحركته ولا يشعر أَحدُهما بالآخر، ويتكلم ٱلمحبوب بكلامٍ فيتكلم ٱلمحب به بعينه ٱتفاقاً، فٱنظر إلى قول ٱلنبي صلى ٱللهعليه وسلم لعمرَ بن ٱلخطاب رضي ٱلله عنه يوم ٱلحُدَيْبِيَة لما قال له: أَلسنا علَى ٱلحق وعدونا علَى ٱلباطل؟ قال: بلى قال: فَعلامَ نُعْطي ٱلدنيَّةَ في ديننا؟ فقال: إنّي رَسُولُاللهوَهوَ نَاصِرِي وَلَسْتُ أُعْصيهِ فقال: أَلم تكن تحدثنا أَنانأْتي ٱلبيت فنطُوّف به؟ فقال: قُلْتُ لَكَ إِنَّكَ تَأْتيهِ ٱلْعَامَ؟ قال: لا قال: فإنَكَ آتِيهِ وَمُطوَّفٌ به. ثم جاءَ أَبا بكرٍ ٱلصِّدّيقَ رضيَ الله عنه فقال له: يا أَبا بكر أَلسنا علَى ٱلحقّ وعدوّنا علَى ٱلباطل؟ قال بلى قال: فعلامَ نعطي ٱلدنيّة في ديننا ونرجع ولما يحكم ٱلله بيننا؟ فقال له: إنه رسول ٱللهوهو ناصره وليس يعصيه قال: أَلم يكن يحدّثنا أَنانأْتي ٱلبيت فنطوِّف به؟ قال: أَقال [لك] إنك تأْتيه ٱلعامَ؟ قال: لاقال: فإنك آتيه ومطوِّفٌ به. فأَجاب علَى جواب رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم حرفاً بحرفٍ من غير تواطُوءٍ ولا تشاعر، بل موافقة محبٍّ لمحبوب. هكذا وقع في صحيح ٱلبخاري، ووقع في بعض ٱلمغازي أَنه أتى أَبا بكر أَوّلاً فقال له ذلك، ثم أَتي رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم بعدَه فقال له مثلَ ما قال أَبو بكر.

قال السهيلي : وهذا هو الأولى ويشبه أن يكون المحفوظ ، فإنه لا يُظن بعمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له قولاً فلا يرضى به حتى يأتي أبا بكر رضي الله عنه بعد ذلك والشبهة عنده لم تزل فيعيدها عليه ، ولا يُظن بعمر رضي الله عنه . ولعمري لقد نزع أبو القاسم بذنوب صحيح ولكن المحفوظ هو الذي وقع في البخاري وعليه عامة أهل السير والمسانيد والسنن . وأما ما نسب إليه عمر رضي الله عنه فقد أجيب عنه بأنه كان يرجو النسخ وموافقة ربه له في ذلك كما تقدم له أمثالها ، فإنه كان يقول القول فينزل به الوحي، والثاني أن المقام كان مقام محنة وابتلاء عجز عنه صبر أكثر الصحابة ولم يتسع له بطانهم ، وداخلهم من الهم والقلق والتحرق على أعدائهم أمرٌ عظيم . ولهذا لما أمرهم أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا بدنهم لم يقم منهم رجلٌ واحدٌ حتى دخل على أم سلمة مغضباً فقالت له من : أغضبك أغضبه الله فقال : وَمَا لِيَ لَا أَغْضَبُ وَأَنَا آمُرُ بِالأَمْرِ فلا أُتَّبَعُ ؟[1] وهذا يردّ تأويل من تأوّله على أن القوم كانوا محسنين في ذلك التثبّت وأنهم كانوا ينتظرون النسخ فلا لوم عليهم . وهذا خطأ قبيحٌ من هذا المعتذر ، بل كانت المبادرة إلى امتثال أوامره صلى الله عليه وسلم أولى بهم ، ولو كانوا محسنين في التأخير لما اشتدّ غضبه عليهم ولكان أولى منهم بانتظار النسخ ، بل هذا من سعيهم المغفور الذي غفره الله

---

(١) رواه بنحوه البخاري ومسلم واحمد في مسنده .

لهم بكمال إيمانهم ونصحهم لله ورسوله ، وعذرهم الله سبحانه لقوة الوارد وضعفهم عن حمله حتى لم يحمله عمر رضي الله عنه في قوته وشدته ، واحتمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وكان جوابهما من مشكاةٍ واحدة . ولما احتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحكم الكوني الأمري الذي حكم الله له به ورضي به وأقرّ به ودخل تحته طوعاً وانقياداً - وهو الفتح الذي فتح الله له - أثابه الله عليه بأربعة أشياء : مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإتمام نعمته عليه ، وهدايته صراطاً مستقيماً ، ونصر الله له نصراً عزيزاً . وبهذا يقع جواب السؤال الذي أورده بعضهم ها هنا فقال : كيف يكون حكم الله له بذلك علةً لهذه الأمور الأربعة إذ يقول الله تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)[1] الآية ، وجوابه ما ذكرنا أن تسليمه لهذا الحكم والرضا به والانقياد له والدخول تحته أوجب له أن آتاه الله ذلك ، والمقصود إنما هو ذكر الاتفاق بين المحب والمحبوب ، وهذا الذي جرى للصدّيق رضي الله عنه من أحسن الموافقة ، ومن هذا موافقة عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه لربه تعالى في عدة أمور قالها فنزل بها الوحي كما قال . وتقوى هذه الموافقة حتى يعلم المحب بكثيرٍ من أحوال محبوبه وهو غائب عنه ، وهذا بحسب تعلّق الهمة به وتوجه القلب إليه واتحادِ مراده

---

(١) اول سورة الفتح .

بمراده ، وربما اقتضى ذلك اتفاقَهما في المرض والصحة والفرح والحزن والخُلُق ، فإن كان مع ذلك بينهما تشابهٌ في الخَلْقِ الظاهر فهو الغاية في الاتفاق . ولنقتصر من العلامات عَلَى هذا القدر وبالله التوفيق .

الباب الحادي والعشرون

في اقتضاء المحبة افراد الحبيب بالحب وعدم التشريك بينه وبين غيره فيه

هذا من موجبات المحبة الصادقة وأَحكامها ، فإِن قوى الحب متى انصرفت إلى جهة لم يبقَ فيها مُتَّسَعٌ لغيرها ومن أَمثال الناس : ليس في القلب حُبّان ، ولا في السماء رَبّان . ومتى تقسّمت قوى الحبّ بين عدَّة محالَّ ضَعُفت لا محالة وتأَمل قوله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً . وَاتَّبِعْ مَا يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً)[١] كيف أمره بتقواه المتضمنة لإِفراده بامتثال أَمره ونهيه محبةً له وخشيةً ورجاءً ، فإِن التقوى لا تتمّ إلاَّ بذلك، واتباعِ ما أُوحي إليه المتضمن لتركه ما سوى ذلك واتباعِ المنزَل خاصّة ، وبالتوكل عليه وهو يتضمن اعتمادَ القلب [عليه]

---

(١) اوائل سورة الاحزاب .

وحدَه وثقتَه [به] وسكونَه إليه دون غيره . ثم أتبع ذلك بقوله : (مَا جَعَلَ ٱللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)(١) فأنت تجد تحت هذا ٱللفظ أن ٱلقلب ليس له إلاَّ وجهةٌ واحدة إذا مال بها إلى جهةٍ لم يَمِلْ إلى غيرها ، وليس للعبد قلبان يطيع ٱلله ويتّبع أمرَه ويتوكل عليه بأحدهما وٱلآخرُ لغيره ، بل ليس إلاَّ قلبٌ واحدٌ ، فإن لم يُفْرِد بٱلتوكل وٱلمحبة وٱلتقوى ربَّه وإلاَّ ٱنصرف ذلك إلى غيره ، ثم ٱستطرد من ذلك إلى أنه سبحانه لم يجعل زوجةَ ٱلرجل أُمَّه ، وٱستطرد منه إلى أنه لم يجعل دَعِيَّه ٱبنَه ، فٱنظر ما أحسنَ هذا ٱلتأصيل وهذا ٱلاستطراد ٱلذي تسجد له ٱلعقول وٱلألباب ، وله نظائر في ٱلقرآن عديدةٌ فمنها قوله : (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا ٱللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(٢) فٱلنفسُ ٱلواحدةُ وزوجُها آدمُ وحوّآء ، وٱللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما ٱلمشركون من أولادهما ، ولا يُلْتَفَتُ إلى غير ذلك مما قيل إن آدم وحوّآء كانا لا يعيش لهما ولدٌ فأتاهما إبليس فقال : إن أحببتما أن يعيش لكما ولدٌ فسمياه عبد ٱلحارث ففعلا ، فإن ٱلله سبحانه ٱجتباه

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٤

(٢) سورة الاعراف الآيتان ١٨٩ و١٩٠

وهداه فلم يكن ليُشرِكَ به بعد ذلك . ونظيرُ هذا الاستطراد قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)[1] ثم قال : (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا)[1] فإنهم كانوا يفعلون ذلك في الإحرام ، فلما ذكر لهم وقت الإحرام الذي هو من فوائد الأهلّة استطرد منه إلى ذكر ما يفعلونه فيه ، وهو كثيرٌ جداً .

والمقصودُ أن المحبة تستلزم توحيدَ المحبوب فيها ، وقد بالغ أبو محمد بن حزم في إنكاره على من يزعم أنه يعشق أكثرَ من واحدٍ وقال في ذلك شعراً ، ونحن نذكر كلامه وشعره ، قال بعد كلامٍ طويل : ومن هذا دخل الغلطُ على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين ، وإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفاً ، وهي على المجاز تسمى محبةً لا على التحقيق ، وأما نفس المحب فما في الميل به فضلٌ يَصرفه من أسباب دينه ودنياه فكيف بالإشتغال بحبٍّ ثانٍ وفي ذلك أقول :

كَذَبَ المدّعي هوى اثنين حتماً ... مثلَ ما في الأُصول أُكذِبَ ماني[2]

ليس في القلب موضعٌ لحبيبيـ ... ـن ولا أحدث الأُمورَ اثنان

فكما العقلُ واحدٌ ليس يدري ... خالقاً غير واحدٍ رحمان

فكذا القلبُ واحدٌ ليس يقوى ... غيرَ فردٍ مُباعِدٍ أو مُدان

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٩

(٢) ماني : احد المتنبئين في زمن سابور ، يقول بقدم الظلمة والنور وازليتهما، ويزعم ان الليل يخلق الشر ، والنهار يخلق الخير .

هو في شِرعةِ ٱلمودّةِ ذو شـ ـكٍ بعيدٌ من صحة الإيمان
وكذا ٱلدّينُ واحدٌ مستقيمٌ وكَفورٌ من عنده[1] دينان

وقد اختلف ٱلناسُ في هذه ٱلمسألة فقالت طائفة: ليس للقلب إلاّ وجهةٌ واحدةٌ إذا توجه إليها لم يمكنه ٱلتوجُّه إلى غيرها، قالوا: وكما أنه لا يجتمع فيه إرادتان معاً فلا يكون [فيه] حبّان، وكان ٱلشيخ إبراهيم ٱلرقي رحمه الله يميل إلى هذا. وقالت طائفةٌ: بل يمكن أن يكون له وجهتان فأكثر باعتبارين، فيتوجَّه إلى أحدهما ولا يَشغَلُه عن توجُّهه إلى الآخر، قالوا [والقلبُ] حمّالٌ فما حمّلته [تحمّل، فإذا حمّلته] الأثقال حملها، وإن ٱستعجزته عجز عن حمل غير ما هو فيه، فالقلبُ ٱلواسع يجتمع فيه ٱلتوجُّه إلى ٱلله سبحانه وإلى أمره وإلى مصالح عباده، ولا يَشغَلُه واحدٌ من ذلك عن ٱلآخر، فقد كان رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قلبُه متوجّهٌ في ٱلصلاة إلى ربه وإلى مراعاة أحوال من يصلي خلفه، وكان يسمع بكاء ٱلصبي فيخفف ٱلصلاة خشيةَ أن يَشُقَّ على أمه[2] أفلا ترى قلبَه ٱلواسع ٱلكريمَ كيف ٱتَّسع للأمرين؟ ولا يُظَنّ أن هذا من خصائص ٱلنبوّة، فهذا عمر بن ٱلخطاب رضي ٱلله عنه كان يجهز جيشه وهو في ٱلصلاة، فيتسع قلبُه للصلاة والجهاد في آن واحد، وهذا بحسب سعةِ ٱلقلب وضيقه وقوّته وضعفِه. قالوا: وكمالُ

---

(١) في طوق الحمامة: من عقده.

(٢) قال في تيسير الوصول: هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

ٱلعبودية أن يتّسع قلب ٱلعبد لشهود معبوده ومراعاة آداب عبوديته، فلا يَشْغَلُه أحد ٱلأمرين عن ٱلآخر : وهذا موجودٌ في ٱلشاهد، فإن ٱلرجل إذا عمل عملاً للسلطان مثلاً بين يديه وهو ناظرٌ إليه يشاهده فإن قلبه يتّسع لمراعاة عمله وإتقانه، وشهود إقبال ٱلسلطان عليه ورؤيته له، بل هذا شأن كلّ محبٍّ يعمل لمحبوبه عملاً بين يديه أو في غيبته قالوا : وهذا رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم بكى يوم موت ٱبنه إبراهيم فكان بكاؤه رحمةً له، فٱتسع قلبُه لرحمة ٱلولد وللرضا بقضاء ٱلله، ولم يَشْغَلْه أحدُها عن ٱلآخر، لكن ٱلفُضَيْل لم يتسع قلبه يوم موت ٱبنه لذلك فجعل يضحك، فقيل له : أتضحك وقد مات ٱبنك ؟ فقال: ٱلله سبحانه قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه. ومعلومٌ أن بين هذه ٱلحال وحالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذٍ تفاوتٌ لا يعلمه إلاّ ٱلله، ولكن لم يتسع قلبُه لما ٱتسع له قلب رسول الله صلى ٱلله عليه وسلم. ونظيرُ هذا ٱتساع قلب رسول الله صلى ٱلله عليه وسلم لغناء ٱلجويريتين ٱللّتَيْن كانتا تغنيان عند عائشة رضي الله عنها فلم يَشْغَلْه ذلك عن ربه، ورأى فيه من مصلحة إرضاء ٱلنفوس ٱلضعيفة بما يستخرج منها من محبة ٱلله ورسوله ودينه، فإن ٱلنفوس متى نالت شيئاً من حظها طوّعت ببذل ما عليها من ٱلحق، ولم يتّسع قلب عمر لذلك لمّا دخل فأنكره، وكم بين من يَرِدُ عليه ٱلواردات فكلٌّ منها يثير همته ويحرّك قلبه إلى الله كما قال ٱلقائل :

يذكرنيك الخيرُ والشرُّ والذي أخافُ وأرجو والذي أتوقَّع

ومن يرِدُ عليه من الواردات فيَشغَله عن الله ويقطعه عن سير قلبه [إليه] فالقلبُ الواسعُ يسير بالخلق إلى الله ما أمكنه، فلا يهرُب منهم ولا يلحق بالقِفار والجبال والخلوات، بل لو نزل به من نزل سار به إلى الله، فإن لم يسِرْ معه سار هو وتركه، ولا يُنكَر هذا فالمحبة الصحيحة تقتضيه. وخذ هذا [في] المغني إذا طرب، فلو نزل به من نزل أطربهم كلَّهم فإن لم يطربوا معه [لم يدَعْ طربه] لغِلَظ أكبادهم وكثافة طبعهم.
وكان شيخنا يميل إلى هذا القول وهو كما ترى قوته وحجته.

والتحقيق أن المحبوب لذاته لا يمكن أن يكون إلاَّ واحداً، ومستحيلٌ أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما، كما يستحيل أن يكون في الخارج ذاتان قائمتان بأنفسهما كلُّ ذاتٍ منهما مستغنيةٌ عن الأُخرى من جميع الوجوه، وكما يستحيل أن يكون للعالَم ربّان متكافئان مستقلاّن، فليس الذي يحَبُّ لذاته إلاَّ الإلهُ الحقُّ الغني بذاته عن كل ما سواه وكلُّ ما سواه فقيرٌ بذاته إليه. وأما ما يحَبُّ لأجله سبحانه فيتعدَّد، ولا يكون محبةُ العبدله شاغلةً له عن محبة ربه ولا يشركه معه في الحبّ، فقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحبُّ زوجاته وأحبُّهنَّ إليه عائشةُ رضي الله عنها، وكان يحبّ أباها ويحب عمر رضي الله عنهم، وكان يحب أصحابه وهم مراتبُ في حبّه لهم، ومع هذا فحبه كلُّه لله وقوى حبِه جميعُها منصرفةٌ إليه سبحانه. فإن المحبة ثلاثة أقسام:

محبة ٱلله، وٱلمحبة له وفيه، وٱلمحبة معه. فٱلمحبة له وفيه من تمام محبته وموجباتها لا من قواطعها، فإن محبة ٱلحبيب تقتضي محبة ما يحبّ ومحبة ما يعين عَلَى حبه ويوصل إلى رضاه وقربه، وكيف لا يحب ٱلمؤمن ما يستعين به عَلَى مرضاة ربه ويتوصل به إلى حبه وقربه؟ وأما ٱلمحبة مع ٱلله فهي ٱلمحبة ٱلشركية، وهي كمحبة أهل ٱلأنداد لأندادهم كما قال تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلهِ)[1] وأصلُ ٱلشرك ٱلذي لا يغفره ٱلله هو ٱلشركُ في هذه ٱلمحبة، فإن ٱلمشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت ٱلربَّ سبحانه في خلق ٱلسموات وٱلأرض، وإنما كان شركُهم بها من جهة محبتها مع ٱلله فوالَوْا عليها وعادَوْا عليها وتألَّهوها وقالوا: هذه آلهةٌ صغارٌ تقرّبنا إلى ٱلإله ٱلأعظم. ففرقٌ بين محبة ٱلله أصلاً وٱلمحبة له تبعاً وٱلمحبة [معه] شركاً. وعليك بتحقيق هذا ٱلموضع فإنه مفرَق ٱلطُّرُق بين أهل ٱلتوحيد وأهل ٱلشّرك.

ويُحكى أن ٱلفُضَيل دخل عَلَى ٱبنته في مرضها فقالت له: يا أبت هل تحبني؟ قال: نعم قالت: لا إله إلاَّ ٱلله وٱلله ما كنتُ أظنُّ فيك هذا ولم أكن أظنك تحب مع ٱلله أحداً، ولكن أفرد ٱللهَ بٱلمحبة وٱجعل لي منك ٱلرحمة [أي] يكون حبك لي حبَّ رحمةٍ جعلها ٱلله في قلب ٱلوالد لولده لا محبةً مع ٱلله. فلله حقٌّ من ٱلمحبة لا يَشرَكه

(١) سورة البقرة الآية ١٦٥

فيه غيره ، وأظلم الظلم وضعُ تلك المحبة في غير موضعها ، والتشريكُ بين الله وغيره فيها . فليتدبر اللبيب هذا الباب فإنه من أنفع أبواب الكتاب إن شاء الله تعالى .

الباب الثاني والعشرون

في غيرة المحبين على أحبابهم

لما كان هذا الباب متصلاً بإفراد المحبوب بالمحبة ومن موجباته فإن الغيرة بحسب قوة المحبة وقوتها بحسب إفراد المحبوب حسن ذكره بعده . وأصل الغيرة الحَمِيَّة والأَنَفَة ، والغيرة نوعان : غيرةٌ للمحبوب ، وغيرةٌ عليه . فأما الغيرة له فهي الحمية له والغضب له إذا استُهين بحقه وانتُقِصت حُرْمَتُه وناله مكروه من عدوه ، فيغضب له المحب ويحمى وتأخذه الغيرة له بالمبادرة إلى التغيير ومحاربة من آذاه ، فهذه غيرة المحبين حقاً ، وهي من غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به واستحلَّ محارمه وعصى أمره . وهذه الغيرة . هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزولَ ما يكرهه ، فهو يغار لمحبوبه أن يكون فيه صفةٌ يكرهها محبوبه ويَمْقُتُه عليها أو يفعل ما يبغضه عليه ، ثم يغار له بعد ذلك أن يكون في غيره صفةٌ يكرهها ويبغضها ، والدِّينُ كلُّه في هذه

ٱلغَيرة بل هي ٱلدين   وما جاهد موءمنٌ نفسَه وعدوَّه ولا أمر بمعروفٍ ولا نهى عن منكرٍ إلاَّ بهذه ٱلغيرة، ومتى خلت من ٱلقلب خلا من ٱلدين، فالموءمن يغار لربه من نفسه ومن غيره إذا لم يكن [له] كما يحبّ، وٱلغيرة تصفي ٱلقلب وتخرج خبثَه كما يخرج ٱلكيرُ خبَثَ ٱلحديد.

فصل وأما ٱلغيرة علَى ٱلمحبوب فهي أنفَةُ ٱلمحب وحَمِيَّتهُ أن يشاركه في محبوبه غيرُه، وهذه أيضاً نوعان: غيرة ٱلمحب أن يشاركه غيره في محبوبه، وغيرة ٱلمحبوب علَى محبه أن يحب معه غيرَه. وٱلغيرة من صفات ٱلربّ جلّ جلاله، وٱلأصل فيها قوله [تعالى]: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[1] ومن غيرته تعالى لعبده وعليه يحميه مما يَضُرُّه [في آخرته] كما في ٱلترمذي وغيره مرفوعاً: إِن ٱللهَ يَحمِي عَبْدَهُ ٱلْمُوْءْمِنَ مِنَ ٱلدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ. وفي ٱلصحيحين أن رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة ٱلكسوف: وَٱللهِ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ ٱللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ. وفي ذكر هذا ٱلذنب بخصوصه في خطبة ٱلكسوف سرٌّ بديع قد نبهنا عليه في باب غضّ ٱلبصر وأنه يورث نوراً في ٱلقلب. ولهذا جمع الله سبحانه [وتعالى] بين الأمر به وبين ذكر اية ٱلنور، فجمع ٱلله سبحانه بين نور ٱلقلب بغضّ ٱلبصر

---

(١) سورة الاعراف الآية ٣٣

وبين نوره الذي [مثله] بالمشكاة لتعلق أحدهما بالآخر . فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين ظلمة القلب بالزنى وبين ظلمة الوجود بكسوف الشمس ، وذكر أحدهما مع الآخر وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ شَيْءٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ . وروى الثوري عن حماد بن إبراهيم [1] عن عبد الله قال : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَغَارُ لِلْمُسْلِمِ فَلْيَغَرْ [2] . وروى أيضاً عن عبد الأعلى ، عن ابن عيينة ، عن أمه ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغَارُ فَلْيَغَرْ أَحَدُكُمْ ، وفي الصحيح عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ يَغَارُ وَالْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ [3] وروى القعنبي عن الدراوردي ، عن العلاء عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرَةً [4]

---

(١) في ن : عن حماد عن ابراهيم .

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن ابن مسعود مرفوعاً وقال : رواه الطبراني في الاوسط .

(٣) قال السيوطي : رواه الشيخان واحمد والترمذي .

(٤) رواية مسلم والله أشدُّ غيراً .

فصل وغَيرةُ العبدِ علَى محبوبه نوعان: غيرةٌ ممدوحةٌ يحبها الله، وغيرةٌ مذمومةٌ يكرهها الله فالتي يحبها [الله] أن يغار عند قيام الريبة، والتي يكرهها أن يغار من غير ريبةٍ بل من مجرّد سوء الظن. وهذه الغيرة تُفسدُ المحبة وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه. وفي المسند وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال: الغَيْرَةُ غيرَتَانِ: فغيرةٌ يحبُّها اللهُ وأُخْرَى يَكرَهُهَا اللهُ قُلْنَا: يا رسُول الله ما الغيرةُ التي يحبّ الله؟ قال: أَنْ تُؤْتَى مَعَاصِيهِ أَوْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُهُ قلنا: فما الغيرة التي يكره الله؟ قال: غَيْرَةُ أَحَدِكُمْ فِي غيرِ كُنْهِهِ. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللهُ فالغَيْرَةُ الَّتي يُحِبُّها اللهُ الغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، والغَيْرَةُ الَّتي يكرَهُهَا اللهُ [الغَيْرَةُ] فِي غَيْرِ رِيبَةٍ [1]. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أَتعجبُونَ مِنْ غيرَةِ سَعْدٍ لأَنَا أَغيرُ منهُ وَاللهُ أَغيرُ منِّي [2]. وقال عبد الله بن شدّاد: الغيرة غيرتان: غيرةٌ يُصلح بها الرَّجلُ أَهلَه وغيرةٌ تدخله النار.
وروى عبد الله بن لَهِيعة، عن يزيد بن أَبي حبيب، عن عبد الرحمن ابن شَمَاسة المهري: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علَى مارِيَةَ القبطية وهي حاملٌ بإِبراهيم

---

(١) رواه ابن ماجه بنحوه.

(٢) رواه الشيخان وغيرهما.

وعندها نسيب لها قدم معها من مصر فأسلم ، وكان كثيراً ما يدخل عَلَى أُمّ إبراهيم وأَنه جَبَّ نفسَه فقطع ما بين رِجليه حتى لم يَبْقَ قليل ولا كثير ، فدخل رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم يوماً عليها فوجد عندها قريبَها فوجد في نفسه من ذلك شيئاً كما يقع في أنفس ٱلناس ، فخرج متغيِّرَ ٱللون فلقيه عمر بن ٱلخطاب رضى ٱلله عنه فعرف ذلك في وجهه ، فقال : يا رسول الله أراك متغيّر ٱللون ، فأَخبره ما وقع في نفسه من قريب مارِيَة ، فمضى بسيفه فأقبل يسعى حتى دخل عَلَى مارِيَة فوجد عندها قريبَها ذلك ، فأهوى بالسيف ليقتله ، فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه فلما رآه عمر رضي الله عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخبره ، فقال : إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله عزّ وجلّ قد برّأها وقريبَها مما وقع في نفسي ، وبشّرني أن في بطنها غلاماً وأنه أَشبهُ ٱلخلق بي وأمرني أن أُسميه إبراهيم[1] . وقال ٱلواقدي عن محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر ٱبن سعد عن أبيه قال : كانت سارَةُ عند إبراهيم صلى الله عليه وسلم فمكثت معه دهراً لا ترْزَق منه ولداً ، فلما رأت ذلك وهبت له هاجرَ أَمَتَها ، فولدت لإبراهيم ، فغارت من ذلك سارّة ووجدت في نفسها وعتبت عَلَى هاجر ، فحلفت أن تقطع منها ثلاثة أعضاء ، فقال لها إبراهيم : هل لك أن تبَرَّ يمينُك ؟ قالت ، كيف أَصنع ؟ قال : اثقبي أُذنيها

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني هذا الحديث في الاصابة وقال : اخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر والطبراني في المعجم الكبير وغيرهما .

[وٱخفضيها والخفضُ هو الخِتان ففعلت ذلك بها] فوضعت هاجر في أُذُنيها قُرْطين فازدادت بها حسناً ، فقالت سارّة : إنما زدتها جمالاً فلم تُقارّه عَلَى كونها معه ، وَوَجد بها إبراهيم وجداً شديداً فنقلها إلى مكة ، فكان يزورها كلّ يومٍ من ٱلشام عَلَى ٱلبُراق من شغفه بها وقلة صبره عنها .
وفي ٱلصحيح من حديث حُمَيْد ، عن أَنس رضي الله عنه قال : أهدى بعضُ نساءِ ٱلنبيّ صلى ٱلله عليه وسلم له قَصْعَةً فيها ثَرِيدٌ وهو في بيت بعض نسائه ، فضربت يد الخادم فانكسرت ٱلقصعةُ ، فجعل ٱلنبيُّ صلى الله عليه وسلم يأْخذ ٱلثَّرِيدَ ويَرُدُّه في ٱلقَصْعة ويقول : كُلُوا غارَتْ أُمُّكُمْ ، ثم انتظر حتى جاءَت قصعةٌ صحيحةٌ فأَعطاها ٱلتي كُسِرَت قصعتُها [(1)] وقالت عائشة رضي ٱلله عنها : ما غِرتُ عَلَى ٱمرأَةٍ قطُّ ما غِرت عَلَى خديجة من كثرة ذكر ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم إياها ، ولقد ذكرها يوماً فقلت : ما تصنع بعجوزٍ حمراء ٱلشّدقين قد أَبدلك الله خيراً منها ؟ فقال : وَٱللهِ مَا أَبْدَلَنِي ٱللهُ خيراً مِنْهَا [(2)] . فانظر هذه ٱلغيرة ٱلشديدة عَلَى ٱمرأَةٍ بعد ما ماتت . وذلك لفرط محبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تغار عليه أَن يذكر غيرَها ، وكذلك غيرتُها من صفية رضي الله عنهما ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم بها المدينةَ وقد ٱتخّذها لنفسه

---

(1) قال في فتح الباري : رواه البخاري والترمذي واحمد ، ولأبي داود والنسائي نحوه .

(2) رواه البخاري مختصراً واحمد والطبراني كما اشار اليه ابن حجر في الفتح .

زوجة وعرس بها في الطريق قالت عائشة رضي الله عنها : تنكرت وخرجت أنظر فعرفني فأقبل إليّ [فانقلبت] فأسرع المشي فأدركني فاحتضنني وقال : كيف رأيتها قلت : يهودية بين يهوديات تعني السبي [١] . وفي المسند من حديث الأشعث بن قيس قال : تضيفت بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إلى امرأته فضربها قال : فحجزت بينهما فرجع إلى فراشه فقال : يا أشعث احفظ عني شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاَ تَسْأَلَنَّ رَجلاً فِيمَا يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ . وذكر حماد بن زيد عن أيوب ، عن [ابن] أبي مُلَيْكة أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع امرأته تكلم رجلاً من وراء جدار بينها وبينه قرابة لا يعلمها ابن عمر فجمع لها جرائد ثم ضربها حتى أضبت [٢] حسيساً . وذكر الخرائطي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام له فناولته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها معاذ ضرباً . ودخل يوماً على امرأته وهي تطلع في خباء ادم فضربها . وذكر الثوري عن أشعث عن الحسن أن امرأة جاءت تشكو زوجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم لطمها ، فدعا الرجل ليأخذ حقها فأنزل الله عز وجل (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ

---

(١) ذكره بنحوه المحب الطبري في مناقب أمهات المؤمنين وقال : خرجه ابن ماجه والحافظ الدمشقي في الموافقات .

(٢) أضب الشيء : أخفاه .

عَلَى بَعْضٍ)[١] فقال رسولُ ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم : أَرَدْنَا أَمْراً وأَرَادَ ٱللهُ أَمْراً[٢] وكان عمر بن ٱلخطاب رضي ٱللهُ عنه شديدَ ٱلغَيْرَةِ و كانت ٱمرأَته تخرُج فتشهد ٱلصلاة فيكره ذلك فتقول : إن نهيتني ٱنتهيت ، فيسكت ٱمتثالاً لقول رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : لا تَمْنَعُوا إِمَآءَ ٱللهِ مَسَاجِدَ ٱللهِ[٣] وهو ٱلذي أَشارَ عَلَى ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم أَن يَحْجُبَ نسآءَه ، وكان عادة ٱلعرب أَن ٱلمرأة لا تحتجب لنزاهتهم ونزاهة نسآئهم ، ثم قام ٱلإسلام عَلَى ذلك فقال عمر : يا رسول ٱلله لو حجبتَ نسآءَك فإنه يدخل عليهن ٱلبَرُّ وٱلفاجر ، فأَنزل ٱلله عز وجل آية ٱلحجاب[٤] ورُفع إلى عمر بن ٱلخطاب رضي ٱلله عنه رجلٌ قد قتل ٱمرأَته ومعها رجلٌ آخر ، فقال أَوليآءُ ٱلمرأَة : هذا قتل صاحبتنا وقال : أَولياء ٱلرجلُ إنه [قد] قتل صاحبنا فقال عمر رضي الله عنه : ما يقول هؤُلآء ؟ قال : ضرب ٱلآخر فَخِذَي ٱمرأَته بالسيف فإن كان بينهما أَحد فقد قتلته ، فقال لهم عمر : ما يقول ؟ فقالوا : ضرب بسيفه فقطع فخذي ٱلمرأَة فأَصاب وسط ٱلرجل فقطعه بٱثنتين ، فقال عمر رضي ٱلله عنه : إن عادوا

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤

(٢) قال في الاصابة : ذكر القصة مقاتل وعبد بن حميد والطبري وغيرهما . وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي : رواها ابو داود

(٣) قال السيوطي : الحديث رواه احمد وأبو داود والبيهقي وابن حبان والطبراني وغيرهم .

(٤) قال في تيسير الوصول : رواه الشيخان وزاد في الرياض النضرة اباحاتم

فَعَدْ (ذكره سعيد بن منصور في سننه) . وأخذ بهذا جماعة من الفقهاء منهم الإمام أحمد وأصحابه رحمهم الله تعالى ، قالوا : لو وجد رجلاً يزني بامرأته فقتلها فلا قصاص عليه ولا ضمان ، إلاَّ أن تكون المرأة مُكْرَهةً فعليه القصاص بقتلها ، ولكن لا يُقْبَل قولُ الزوج إلاَّ بتصديق الوليّ أو بيّنةٍ واختلفت الرواية عن الإمام [أحمد] في عدم البيّنة . فرُوِيَ عنه أنها رجلان ، ويروى عنه لابدّ من أربعة ، ووجه هذه الرواية ظاهر حديث سعد بن عُبادة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أرأيت إن وجدت رجلاً مع امرأتي أمهله حتى آتيَ بأربعة شهداء ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعَمْ فقال : والذي بعثك بالحق إن كنتُ لأضربه بالسيف غيرَ مُصفحٍ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبونَ مِنْ غيْرَةِ سعدٍ لأنا أغيرُ منهُ واللهُ أغيَرُ مِنِّي (١) وذكر سعيد بن منصور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن رجلٍ دخل بيتَه فإذا مع امرأته رجلٌ فقتلها وقتله فقال علي رضي الله عنه : إن جاء بأربعة شهداء وإلاّ دُفع برُمتِه (٢) . ووجهُ رواية الاكتفاء باثنين أن البيّنةَ ليست عَلَى إقامة الحدّ ، ولكن [عَلَى] وجوب السبب المانع من القصاص ، فإن الزوج كان له أن يقتل المتعدّيَ عَلَى أهله ، ولكن لما أنكر أولياء

---

(١) رواه مسلم . وللبخاري واحمد وابي داود والحاكم روايات اخرى بمعناه .

(٢) قال في لسان العرب : الرمة قطعة حبل يشدّ بها الاسير او القاتل اذا قِيد الى القتل وقول علي يدلّ على هذا .

ٱلقتيل طُولِبَ ٱلقاتلُ بالبينة فاُكتفى برجلين . ورُفع إلى عمر رضي ٱللّٰه عنه رجلٌ قد قتل يهوديًا فسأله عن قصته فقال: إن فلانًا خرج غازيًا وأوصاني بامرأته ، فبلغني أن يهوديًّا يختلف إليها فكمنت له حتى جاء فجعل ينشد ويقول:

وأَبيض غرّه الإسلام مني خَلَوْتُ بعِرْسه ليل ٱلتِّمام

أَبيتُ عَلَى ترآئبها ويمسي عَلَى جرْداء لاحقة الخِدام

كأن مواضعَ الرّبَلات منها فِئامٌ ينهضون إلى فِئام

فقمت إليه فقتلته ، فأهدر عمر دمه . وليس في هٰذين الأمرين مطالبة عمر رضي الله عنه [ٱلقاتل] بالبينة إذ لعله تيقّن ذلك أو أقرّ به ٱلولي . والصواب أنه متى قام عَلَى ذلك دلالةٌ ظاهرةٌ لا تحتمل ٱلكذب أغنت عن ٱلبيّنة ، وذكر سفيان بن عُيَيْنَة عن ٱلزهري ، عن ٱلقاسم بن محمد ، عن عبيد بن عُمَير أن رجلاً أضاف إنسانًا من هُذَيل فذهبت جاريةٌ لهم تحتطب فأرادها عن نفسها ، فرمته بِفِهرٍ[1] فقتلته ، فرفع ذلك إلى عمر بن ٱلخطاب رضي الله عنه فقال: ذاك قتيلُ ٱللّٰه لا يُودى أبدًا . وذكر حمّاد بن سلَمة عن ٱلقاسم [بن محمدَ] أن أبا ٱلسيارة أُولع بامرأة أبي جُنْدُب يراودها عن نفسها . فقالت: لا تفعل فإن أبا جندب إن يعلمْ بهذا يَقْتُلْكَ: فأبى أن ينْزِع فكلمت أخا أبي جُندب فكلمه فأبى أن ينزِع ، فأخبرت بذلك أبا جُندب فقال أبو جندب : إني

(١) الفهر : الحجر ملء الكف وقبل الحجر عامة .

مخبر القوم أني أذهب إلى الإبل ، فإذا أظلمت جئت فدخلت البيت ، فإن جاءك فأدخليه عليّ ، فودّع أبو جُندب القوم وأخبرهم اني ذاهبٌ إلى الإبل ، فلما أظلم الليل [جاء] فكمن في البيت . وجاء أبو السيارة وهي تطحن في ظلها ، فراودها عن نفسها فقالت : ويحك أرأيت هذا الأمر الذي تدعوني إليه هل دعوتك إلى شيء منه قطّ ؟ قال : لا ولكن لا أصبر عنكِ قالت : ادخل البيت حتى أتهيأَ لك ، فلما دخل البيتَ أغلق أبو جُندب [الباب] ثم أخذه فدقّه من عنقه إلى عَجْبِ ذنَبه ، فذهبت المرأة إلى أخي أبي جُندب فقالت : أدرِكِ الرجل فإن أبا جُندب قاتلُه ، فجعل أخوه يناشده فتركه ، وحمله أبو جُندب إلى مدْرَجةِ الإبل فألقاه . فكان إذا مرَّ به إنسان قال له : ما شأنك ؟ فيقول : وقعت من بَكرٍ فحطمني . وبلغ الخبرُ عمرَ رضي الله عنه فأرسل إلى أبي جُندبٍ فأخبره بالأمر علَى وجهه ، فأرسل إلى أهل المرأة فصدّقوه ، فجلد عمر أبا السيارة مائة جلدة وأبطل ديَتَه . وذكر العباس بن هشام الكلبيّ عن أبيه أن عمرو بن [حُمَمَةَ] الدَّوْسيّ أتى مكة حاجًّا ، وكان من أجمل العرب ، فنظرت إليه امرأةٌ فقالت : لا أدري وجهه أحسن أم فرسه وكانت له جُمَّةٌ تسمى الزينة ، فكان إذا جلس مع أصحابه نشرها ، وإذا قام عقَصَها فقالت له المرأة : أين منزلك ؟ قال : نجد قالت : ما أنت بنجدي ولا تِهامي فاصدُقني فقال : رجلٌ من أهل السَّراة فيما بين مكة واليمن ، ثم أشار إليها ارْتدِفي خلفي ففعلت ، فمضى بها إلى

ٱلسراة وتبعها زوجها فلم يلحقها فرجع ، فلما ٱستقرّت عنده قطع عروقها وقال : وٱللّٰه لا تتبعين بعدي رجلاً أبداً ثم ردها إلى زوجها على تلك ٱلحال

فصل وٱللّٰه سبحانه وتعالى يغار عَلَى قلب عبده أن يكون معطّلاً من حبه وخوفه ورجائه وأن يكون فيه غيره . فٱللّٰه سبحانه وتعالى خلقه لنفسه وٱختاره من بين خلقه ، كما في ٱلأثر ٱلإلهي : ابنَ آدم خلقتك لنفسي وخلقت كلَّ شيءٍ لك ، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عن ما خلقتُك له . وفي أثر آخر : خلقتك لنفسي فلا تلعب ، وتكفّلت لك برزقك فلا تتعب . يا ٱبن آدم ٱطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كلَّ شيءٍ ، وإن فتُّك فاتك كلّ شيءٍ ، وأنا خيرٌ لك من كل شيءٍ . ويغار عَلَى لسانه أن يتعطّل من ذكره ويشتغل بذكر غيره ، ويغار عَلَى جوارحه أن تتعطل من طاعته وتشتغل بمعصيته ، فيقبح بٱلعبد أن يغار مولاه ٱلحقُّ عَلَى قلبه ولسانه وجوارحه وهو لا يغار عليها . وإذا أراد ٱللّٰه بعبده خيراً سلّط عَلَى قلبه إذا أعرض عنه وٱشتغل بحبّ غيره أنواعَ ٱلعذاب حتى يرجع قلبه إليه ، وإذا ٱشتغلت جوارحه بغير طاعته ٱبتلاها بأنواع ٱلبلاء . وهذا من غيرته سبحانه وتعالى عَلَى عبده ، وكما أنه سبحانه وتعالى يغار عَلَى عبده ٱلمؤمن فهو يغار له ولحُرمته ، فلا يمكّن ٱلمفسدَ أن يتوصّل إلى حُرمته غيرةً منه لعبده ، فإنه سبحانه وتعالى يدفع عن ٱلذين آمنوا ، فيدفع عن قلوبهم وجوارحهم وأهلهم وحريمهم

وأموالهم ، يتولى سبحانه الدفع عن ذلك كله غيرةً منه لهم كما غاروا لمحارمه من نفوسهم ومن غيرهم . والله تعالى يغار على إمائه وعبيده من المفسدين شرعاً وقدراً ، ومن أجل ذلك حرَّم الفواحش وشرع عليها أعظمَ العقوبات وأشنعَ القتلات لشدة غيرته على إمائه وعبيده . فإن عُطِّلت هذه العقوباتُ شرعاً أجراها سبحانه قدراً .

فصل ومن غيرته سبحانه وتعالى غيْرتُه على توحيده ودينه وكلامه أن يحظى به من ليس من أهله ، بل حال بينهم وبينه غيرةً عليه ، قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً)[1] ولذلك ثبَّط سبحانه أعداءه عن متابعة رسوله واللحاق به غيرةً كما قال الله تعالى : (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ . لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[2] فغار سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يخرج بينهم المنافقون فيسعوا بينهم بالفتنة فثبَّطهم وأقعدهم عنهم . وسمع الشبلي رحمه الله تعالى قارئاً يقرأ (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً)[3] فقال : أتدرون ما هذا الحجاب؟

---

(١) سورة الانعام الآية ٢٥ والاسراء ٤٦

(٢) سورة التوبة الآيتان ٤٦ و ٤٧

(٣) سورة الاسراء الآية ٤٥

هذا حجاب الغَيرة ولا أحدٌ أغير من الله ، يعني أنه سبحانه وتعالى لم يجعل الكفار أهلاً لمعرفته . وها هنا نوع من غيرة الرب سبحانه وتعالى لطيفٌ لا تهتدي إليه العقول ، وهو أن العبد يُفْتَح له بابٌ من الصفاء والأنس والوجود ، فيساكنه ويطمئن إليه وتلتذّ به نفسهُ فيشتغل به عن المقصود ، فيغار عليه مولاه الحقُّ فيخليه منه ويَرُدّه حينئذ إليه بالفقر والذّلة والمسكنة ، ويُشهده غايةَ فقره وإعدامه وانه ليس معه من نفسه شيءٌ البَتَّة ، فتعود عزّةُ ذلك الأنس والصفاء والوجود ذِلةً ومسكنة وفقراً وفاقة ، وذرّةٌ من هذا أحبُّ إليه سبحانه وتعالى وأنفعُ للعبد من الجبال الرواسي من ذلك الصفاء والأنس المجرّد عن شهود الفقر والذّلة والمسكنة . وهذا بابٌ لا يتسع [له] قلب كلّ أحد .

فصل ومن الغَيرة الغيرةُ عَلَى دقيق العلم وما لا يدركه فَهْمُ السامع أن يُذْكَر له . ولهذه الغيرة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حدّثوا الناسَ بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذَّب اللهُ ورسوله ؟ وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولُهم إلاّ كان لبعضهم فتنةً . فالعالم يغار عَلَى علمه أن يبذُلَه لغير أهله ، أو يضعه في غير محله كما قال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : يا بني إسرائيل لا تمنعوا الحكمة أهلَها فتظلموهم ، ولا تبذلوها لغير أَهلها فتظلموها . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفسير قوله تعالى : (اللهُ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)[١] فقال للسائل : وما يُؤَمِّنك إن أخبرتك بتفسيرها كفرت؟ فإنك تكذّب به وتكذيبُك بها كفرُك بها . فالمسألة الدقيقة اللطيفة التي تُبْذَل لغير أهلها كالمرأة الحسناء التي تُهْدَى إلى ضريرٍ مُقْعَد كما قيل :

خَوْدٌ تُزَفُّ إلى ضريرٍ مُقْعَد

وكان أبو علي إذا وقع شيءٌ في خِلال مجلسه من تشويش الوقت يقول : هذا من غيرة الحقّ ، يريد أن لا يجري ما يجري من صفاء الوقت قال الشاعر :

همّت بإتياننا حتى إذا نظرت ... إلى المِرآةِ نهاها وجهُها الحسنُ

ما كان هذا جزائي من محاسنها ... عُذّبت بالهجر حتى شفّني الحَزَنُ

قال القُشَيري : وقيل لبعضهم : أتحب أن تراهم ؟ قال : لا قيل : ولِمَ ؟ قال : أُنزِّهُ ذلك الجمالَ عن نظر مثلي وفي معناه أنشدوا :

إني لأَحسدُ ناظريّ عليكا ... حتى أَغُضَّ إذا نظرتُ إليكا

وأراك تخطر في شمائلك التي ... هي فتنتي فأَغار منك عليكا

قلت : وهذه غيرةٌ فاسدة وغاية صاحبها أن يُعْفَى عنه وأن يعدّ ذلك في شَطَحاته المذمومة ، وأما أن تُعَدَّ في مناقبه وفضائله أن يقال أتحب أَن ترى الله فيقول : لا ورؤيتُه أعلى نعيم أهل الجنة وهو سبحانه وتعالى يحبّ من عبده أن يسأله النظر إليه ، وقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه : اللهُمَّ إني أسأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وَجْهِكَ

---

(١) آخر سورة الطلاق

وَٱلشَّوْقَ إلى لِقَائِكَ [1] وقول هذا ٱلقائل : أُنزّه ذلك ٱلجمالَ عن نظر مثلي من خدع ٱلشيطان وٱلنفس ، وهو يشبه ما يُحْكَى عن بعضهم أنه قيل له : ألا تذكره ؟ فقال : أُنزهه أن يجري ذكرُه عَلَى لساني ، وطَرْدُ هذا ٱلتنزيه ٱلفاسد أن ينزهه أن يجري كلامُه عَلَى لسانه أو يخطُرَ هو أيضاً عَلَى قلبه ، وقد وقع لبعضهم في شيءٍ من هذا فلاموه فأنشد :

يقولون زُرْنا واْقض واجب حقّنا — وقد أُسقطت حالي حقوقَهم عني

إذا هم رأَوْا حالي ولم يأْنفوا لها — ولم يأْنفوا مني أَنِفْتُ لهم مني

وطَرْدُ هذه ٱلغيرة أن لا يزور بيته غيرةً عَلَى بيته أن يزوره مثلُه . ولقد لُمْتُ شخصاً مرةً على ترك ٱلصلاة فقال لي : إني لا أرى نفسي أهلاً أن أدخل بيته ، فٱنظر إلى تلاعب ٱلشيطان بهؤلاء . ومن هذا ما ذكره ٱلقُشَيري قال : سئل ٱلشبليُّ متى تستريح ؟ فقال : إذا لم أرَ له ذاكراً . ومات ٱبنٌ له فقطعت أُمُّه شعرَها فدخل هو ٱلحمام ونَوَّر لحيته حتى ذهب شعرها ، فقيل له : لِمَ فعلت هذا ؟ فقال : إنهم يعزونني على ٱلغفلة [2] ويقولون : آجرك الله ففديت ذكرَهم لله [تعالى] على ٱلغفلة بلحيتي وموافقة لأهلي . ونظير هذا ما يُحكى عن ٱلنوريِّ رحمه ٱلله تعالى أنه سمع رجلاً يؤذّن فقال : طعنة وسمّ ٱلموت ، وسمع

---

(١) تقدم مطولاً في الصفحة ٣٤ معزواً الى مسند الامام احمد وقال السيوطي : رواه النسائي والحاكم .

(٢) قال الشارح : اي غافلين عن تعظيم الله .

كلباً ينبح فقال : لَبيك وسعدَيك ، فسئل عن ذلك فقال : أَما ذاك فكان يذكره على رأس ٱلغفلة ، وأَما ٱلكلب فقال الله تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[1] وسمع ٱلشبلي مرَّةً رجلاً يقول : جلّ ٱلله فقال : أُحبّ أَن تجلَّه عن هذا ، ويا عجباً ممن يَعُدّ هذا في مناقب رجلٍ ويجعله قدوةً ويزيّن به كتابه ، وهل شيءٌ أَشدُّ عَلَى قلب ٱلمؤمن وأَمرٌّ عليه من أَن لا يرى لربه ذاكراً ، وهل شيءٌ أَقرّ لعينه من أَن يرى [ذاكرين ٱلله بكل مكان ، وعذرُ هذا ٱلقائل أَنه لا يرى ذاكراً لله بحقّ ٱلذكر ، بل لا يرى] ذاكراً إلاّ وٱلغفلةُ وٱلشهوةُ مستوليةٌ عَلَى قلبه ، فيذكر ربه بلسان فارغٍ من ٱلقلب وحضوره في ٱلذكر ، وذلك ذكرٌ لا يليق به ، فيغار محبّه أَن يُذكر بهذا ٱلذكر فيحب أَن لا يسمع أَحداً يذكره هذا ٱلذكر . ولما أشترك ٱلناس في هذا ٱلذكر أَخبر أَن راحته أَن لا يرى له ذاكراً . هذا أَحسنُ ما يُحْمَل عليه كلامه ، وإِلاّ فظاهره إِلى ٱلعداوة أَقربُ منه إِلى ٱلمحبة . وليس هذا حالَ ٱلشبلي رحمه ٱلله تعالى فإِن ٱلمحبة كانت تغلب عليه ، ومع ذلك فهو من شطحاته ٱلتي يُرجى له أَن تُغفَر له بصدقه ومحبته وتوحيده ، لا أَنها مما يُحْمَد عليه ويقتدى به فيه . وقد أَمر ٱلله سبحانه وتعالى عباده أَن يذكروه على جميع أَحوالهم وإِن كان ذكرهم إِياه مراتب ، فأَعلاها ذكرُ ٱلقلب واللسان مع شهود ٱلقلب للمذكور وجمعيته بكليته عليه بأَحب ٱلأَذكار إِليه ،

---

[1] سورة الاسراء الآية ٤٤

ثم دونه [ذكر ٱلقلب وٱللسان أَيضاً وإِن لم يشاهد ٱلمذكور ، ثم ذكر ٱلقلب وحده ، ثم] ذكر ٱللسان وحده ، فهذه مراتب ٱلذكر وبعضها أَحبُّ إِلى الله من بعض . وكان طَرْدُ قول ٱلشبلي ان راحته أَن لا يرى لله مصلياً ، ولا لكلامه تالياً ، ولا يرى أَحداً ينطِق بٱلشهادتين ، فإِن هذا كلَّه من ذكره بل هو أَعلى أَنواع ذكره ، فكيف يستريح قلب ٱلمحب إِذا لم يرَ من يفعل ذلك ؟ وٱلله سبحانه وتعالى يحبّ أَن يُذْكَر ولو كان من كافر . وقال بعض ٱلسلف : إِن ٱلله يحب ان يُذْكَر على جميع ٱلأَحوال إِلاَّ في حال ٱلجماع وقضاء ٱلحاجة . وأَوحى ٱلله عزَّ وجل إِلى موسى صلى ٱلله عليه وسلم أَن اذكرني على جميع أَحوالك ، وٱلله تعالى لا يُضِيع أَجرَ ذكر ٱللسان ٱلمجرَّد ، بل يُثيب ٱلذاكر وإِن كان [قلبه] غافلاً ، ولكن ثوابٌ دون ثواب . قال ٱلقُشَيري : وسمعت ٱلأُستاذ أَبا علي يقول في قول ٱلنبي صلى الله عليه وسلم في مبايعته فرساً من أَعرابي وأَنه ٱستقاله فأَقاله فقال له ٱلأَعرابي : عَمرَكَ ٱلله فمن أَنْتَ ؟[1] فقال له ٱلنبي صلى الله عليه وسلم : امْرُؤٌ من قُرَيْش فقال له بعض الحاضرين : كفاك جفاءً أَن لا تعرف نبيك قال أَبو علي : فإِنما قال أَمرُؤٌ من قريش غيرةً ، وإِلا كان واجباً عليه ٱلتعرُّف إِلى كل أَحد أَنه من

(١) في القشيرية : ممن انت ؟ قال القاضي زكريا الانصاري في شرحها : الأَوجه انه لا إِنكار على الاعرابي حتى يحتاج الى الاعتذار عنه بما ذكر لأَن قوله ممن انت سؤال عن القبيلة فأَجابه بأَنه امرؤ من قريش وهو صحيح حسن ولو قال من انت ؟ لأَجابه بقوله نبي الله او نحوه .

هو ، ثم إن ٱلله أجرى عَلَى لسان ذلك ٱلصحابي ٱلتعريف للأعرابي ، فيقال :
من ٱلعجب أن يقال : إن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم غار أن يذكر أنه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي ٱلذي لا يعرفه ، وهو كان دائماً
يذكر ذلك لأعدائه من ٱلكفّار سرًّا وجهراً ليلاً ونهاراً ولا يغار
من ذلك ، فكيف يُظَنُّ به أنه غار أن يعرِف ذلك ٱلمسكينُ أنه رسولُ
ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم ؟ هذا من خيالات ٱلقوم وتُرَّهاتِهِمْ ، وإنما ستر
عنه ذلك ٱلوقتَ معرفته [له] لحكمة لطيفةٍ فهمها ٱلصحابيُّ فصرَّح بها
للأعرابي ، وهي أن هذا الأعرابي كان جافياً جِلفًا فأحبّ ٱلنبي صلى ٱلله
عليه وسلم أن يعرّفه جفاءَه وجلافتَه بطريقٍ لا يبكّته بها ويعرف
من نفسه أنه أهلٌ لذلك ، فكأنه يقول بلسان الحال : كفاك جفاءً أن
تجهلني فتسألني من أنا ، فلما فهم ٱلصحابي ذلك بلطف إدراكه ودقة
فهمه فباداه به وقال : كفاك جفاءً أن لا تعرف نبيَّك . ثم ذكر ٱلقُشَيري
كلامَ ٱلشبلي أنه قال : غيرة الإلهية عَلَى ٱلأنفاس أن تضيع فيما سوى
الله . وهذا كلامٌ حسن . قال ٱلقُشَيري : وٱلواجب أن يقال : الغيرة
غيرتان : غيرة ٱلحق على ٱلعبد ، [وهو أن لا يجعله للخلق فيضنُّ به عليهم][1] ،
وغيرة ٱلعبد للحق ، وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير ٱلحق
سبحانه ، فلا يقال : أنا أغار عَلَى الله ولكن يقال : أنا أغار لله قال : فإذاً
ٱلغيرة على الله جهل . وربما تؤدي إلى ترك ٱلدين . وٱلغيرة لله توجب

(١) زيادة من الرسالة القشيرية .

تعظيمَ حقوقه وتصفيةَ ٱلأعمال له ، فمن سنة ٱلحق مع أوليآئه أنهم إذا ساكنوا [غيراً] أو لاحظوا شيئاً [أو صالحوا بقلوبهم شيئاً] يشوّش عليهم ذلك ، فيغار عَلَى قلوبهم بأن يعيدها خالصةً لنفسه فارغةً ، كآدم عليه ٱلسلام لما وطّن نفسه عَلَى ٱلخلود في ٱلجنة أخرجه من ٱلجنة ، وإبراهيم ٱلخليل عليه ٱلسلام [لما] ، أعجبه إسماعيل أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ، فلما أسلما وتَلَّه للجبين وصفّى سرَّه منه أمره بٱلفِدآء عنه . وقال بعضهم : أحذره فإنه غيور لا يحبّ أن يرى في قلب عبده سواه . وقيل : ٱلحقُّ تعالى غيورٌ ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه . وقال ٱلسَرِيُّ لرجل عارفٍ : بي علةٌ باطنةٌ فما دواؤُها ؟ قال : يا سَرِيّ ٱللّٰه غيورٌ لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه . فهذه غيرة صحيحة .

فصل وها هنا أقسامٌ أُخَرُ من ٱلغيرة مذمومةٌ منها : غَيَرةٌ يحمل عليها سوءُ ٱلظن فيؤذي بها ٱلمحبُّ محبوبه ويُغْري عليه قلبَه بٱلغضب ، وهذه ٱلغيرةُ يكرهها ٱللّٰه إذا كانت في غير ريبةٍ ، ومنها غيرةٌ تحمله عَلَى عقوبة ٱلمحبوب بأكثر مما يستحقه ، كما ذُكر عن جماعة أنهم قتلوا محبوبهم . وكان ديك ٱلجنّ ٱلشاعرُ له غلامٌ وجاريةٌ في غاية ٱلجمال وكان يهواها جميعاً ، فدخل ٱلمنزل يوماً فوجد ٱلجارية معانقةً للغلام تقبّله فشدّ عليهما فقتلها ، ثم جلس عند رأْس ٱلجارية فبكاها طويلاً ثم قال :

يا طلعةً طلع ٱلحِمامُ عليها · وجنى لها ثمرَ ٱلردى بيديها

روّيتُ من دمها ٱلثرى ولطالما · روّى ٱلهوى شفتيّ من شفتيها

وأجلت سيفي في مَجالِ خِناقها · ومدامعي تجري عَلَى خديّها

فوَحقِّ نعليها فما وطئ ٱلثرى · شيءٌ أعزُّ عليَّ من نعليها

ما كان قتليها لأني لم أكن · أبكي إذا سقط ٱلغبارُ عليها

لكن بخلت عَلَى سواي بحسنها · وأنفْت من نظر ٱلغلام إليها

ثم جلس عند رأس ٱلغلام فبكى وأنشأ يقول:

أشفقتُ أن يرِدَ ٱلزمانُ بغدره · أو أُبتلى بعد ٱلوفاء بهجره

قمرٌ أنا ٱستخرجته من دَجنِهِ · بمودتي وجنيتهُ من خِدْره

فقتلته وله عليَّ كرامةٌ · مِلْءَ ٱلحشا وله ٱلفؤاد بأسره

عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ · وٱلدّمعُ ينحر مقلتي في نحره

لو كان يدري ٱلميْتُ ماذا بعده · بٱلحيّ منه بكى له في قبره

غُصَصٌ تكاد تفيض منها نفسهُ · ويكاد يخرج قلبُه من صدره

فصل وقد يغار ٱلمحب عَلَى محبوبه من نفسه، وهذا من أعجب ٱلغيرة وله أسباب: منها خشيةُ أن يكون مفتاحاً لغيره كما ذُكر أن ٱلحسن ٱبن هانئ[1] وعلي بن عبد ٱلله ٱلجعفري ٱجتمعا فتناشدا فأنشد ٱلحسن

ولما بدا لي أنها لا تودُّني · وأن هواها ليس عني بمنجلي

---

(١) هو ابو نواس والذي في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ان هذين البيتين واللذين بعدهما كلها لعلي بن عبد الله الجعفري.

تمنّيت أن تُبْلى بغيري لعلها | تذوق حراراتِ ٱلهوى فترقّ لي

فأنشده علي :

ربما سرني صدودُكَ عني | في طِلابِيك وٱمتناعك مني

حذراً أن أكون مفتاحَ غيري | فإذا ما خلوتُ كنتَ ٱلتمني

وكان بعضهم يمتنع من وصف محبوبه وذكر محاسنه خشيةَ تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى ٱلرافقي :

ولستُ بواصفٍ أبداً خليلاً | أُعرّضه لأهواء ٱلرجال

وما بالي أُشوّق قلبَ غيري | ودون وصاله سترُ ٱلحِجال

وكثيرٌ من ٱلجُهّال وَصف ٱمرأته ومحاسنَها لغيره ، فكان ذلك سببَ فراقها له وٱتّصالها به .

فصل ومنها أن يحمله فرطُ ٱلغيرة علَى أن ينزل نفسه منزلةَ ٱلأجنبي فيغار علَى ٱلمحبوب من نفسه ، ولا يُنكَر هذا فإن في ٱلمحبة عجائبَ وقد قال أبو تمام ٱلطائي :[1]

بنفسي من أغار عليه مني | وأحسد أهلَه نظري إليهِ

ولو أني قدَرتُ طَمَستُ عنه | عيونَ ٱلناس من حذري عليه

حبيبٌ بثّ في جسمي هواه | وأَمسك مهجتي رهناً لديه

فرُوحي عنده وٱلجسمُ خالٍ | بلا رُوحٍ وقلبي في يديه

---

(١) ليست هذه الابيات في ديوان ابي تمام .

وقال آخر :

يا من إذا ذُكر ٱسمه في مجلسٍ　　لذّ ٱلحديث به وطاب ٱلمجلس
إني لَمِن نظري أغار وإنني　　بك عن سواي من ٱلأنام لأنْفَس
نفسي فدآؤك لو رأيت تلدُّدي(١)　　خَضِلَ ٱلمدامع مطرقاً أتنفّس
لعلمتَ أني في هواك معذَّبٌ　　ومن ٱلحياة ورَوْحها مستيْئِس

وقال علي بن نصر :

أفاتك أنتِ فاتكةٌ بقلبي　　وحسنُ ٱلوجه يفتْك بٱلقلوب
أصونك عن جميع ٱلناس يامن　　بُليت بها فأضحت من نصيبي
وعن نفسي أصونك ليت نفسي　　تقيك من ٱلحوادث وٱلخطوب
وما حقُّ ٱلحِسان عليَّ إلاَّ　　صيانتهن من دَنَس ٱلذنوب

فصل ومنها شدةُ ٱلموافقة للحبيب، وٱلحبيبُ يكره أن ينسب محبته إليه وأن يذكر ذلك ، فهو لموافقته لمحبوبه يغار عليه من نفسه كما يَسُرُّه هجرُ محبوبه إذا علم أن فيه مرادَه قال ٱلشاعر :

سُرِرتُ بهجرك لما علمـ　　ـت أن لقلبك فيه سرورا
ولولا سرورُك ما سَرّني　　ولا كنتُ يوماً عليه صبورا

فصل وملاك ٱلغيرة وأعلاها ثلاثة أنواع : غيرةُ ٱلعبد لربه أن تُنْتَهَك محارمهُ وتُضيَّعَ حدودُه ، وغيرته على قلبه أن يسكن إلى

(١) في ن : تبلدي ومعناهما متقارب وهو التحير والتردد .

غيره وأن يأنس بسواه ، وغيرته على حرمته أن يتطلع إليها غيره .
فالغيرة التي يحبها الله ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة ، وما
عداها فإما من خدع الشيطان ، وإما بلوى من الله كغيرة المرأة
على زوجها أن يتزوج عليها ، فإن قيل فمن أي الأنواع تعدون غيرة فاطمة
رضي الله عنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي بن أبي طالب
رضي الله عنه لما عزم على نكاح ابنة أبي جهل ، وغيرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لها ؟ قيل : من الغيرة التي يحبها الله ورسوله ، وقد أشار
إليها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها بضعة منه وأنه يؤذيه ما آذاها ،
ويريبه ما رابها ، ولم يحسن ذلك الاجتماع البتة ، فإن بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحسن أن تجتمع مع بنت عدوه عند رجل ، فإن
هذا في غاية المنافرة مع أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صهره الذي
حدثه فصدقه ووعده فوفى له دليل على أن علياً [رضي الله عنه] كان
مشروطاً عليه في العقد إما لفظاً وإما عرفاً وحالاً أن لا يريب فاطمة ولا
يؤذيها بل يمسكها بالمعروف ، وليس من المعروف أن يضم إليها بنت
عدو الله ورسوله ويغيظها بها ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : إلاَّ
أَنْ يُرِيدَ ٱبْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ٱبْنَتِي وَيَتَزَوَّجَ ٱبْنَةَ أَبِي جَهْلٍ [1] ،
والشرط العرفي الحالي كالشرط اللفظي عند كثير من الفقهاء كفقهاء
المدينة وأحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله تعالى ، على أن رسول

---

(١) روى هذه القصة البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم خاف عليها ٱلفتنة [في دينها] بٱجتماعها وبنت عدوّ ٱلله عنده، فلم تكن غَيرتُه صلى ٱلله عليه وسلم لمجرّد كراهيةَ ٱلطبع للمشاركة، بل ٱلحاملُ عليها حرْمةُ ٱلدين . وقد أَشار إلى هذا بقوله: إنّي أَخافُ أنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا[1] وٱلله أَعلم بٱلصواب .

الباب الثالث والعشرون

في عفاف المحبين مع أحبابهم

قال ٱلله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ)[2] ولما أُنزلت هذه ٱلآيات على ٱلنبيّ صلى ٱلله عليه وسلم قال: قَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ[3] ثم قرأ هذه ٱلآيات . وقال ٱلله تعالى: (إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إلى قوله: وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

---

(١) هذا من تمام الحديث السابق في بعض الروايات . (٢) اوائل سورة المؤمنين .

(٣) قال الخازن في تفسيره: رواه الترمذي وقال الخفاجي في حاشيته على البيضاوي: الحديث وارد في السنن لكنهم اختلفوا في صحته وضعفه .

حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)[1] وقال تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)[2] الآية وقال تعالى : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)[3] وقال تعالى : (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[4] وقال تعالى : (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)[5] فإن قيل فقد قال الله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)[6] وقال في الآية الأخرى : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أمرهم بالاستعفاف إلى وقت الغنى ، وأمر بتزويج أولئك مع الفقر ، وأخبر أنه تعالى يغنيهم فما محمل كلٍّ من الآيتين ؟ فالجواب أن قوله : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) في حقّ الأحرار ، أمرهم الله تعالى أن يستعفُّوا حتى يغنيهم الله [من فضله] فإنهم إن تزوّجوا مع الفقر التزموا حقوقاً لم يقدروا عليها وليس لهم من يقوم بها عنهم ، وأما قوله :

---

(١) سورة المعارج الآيات ١٩ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١

(٢و٣و٤و٦) سورة النور الآيات ٣٠ و ٣١ ـ ٣٣ ـ ٦٠ ـ ٣٢

(٥) آخر سورة التحريم .

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ فإنه سبحانه أمرهم فيها [أن ينكحوا] الأيامى وهن النساء اللواتي لا أزواج لهن ، هذا هو المشهور من لفظ الأيم عند الإطلاق وإن استعمل في حق الرجل بالتقييد ، كما أن العزب عند الإطلاق للرجل وإن استعمل في حق المرأة . ثم أمرهم سبحانه أن يزوّجوا عبيدهم وإماءهم إذا صلحوا للنكاح ، فالآية الأولى في حكم تزوّجهم لأنفسهم ، والثانية في حكم تزويجهم لغيرهم . وقوله في هذا القسم ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ ﴾ يعمّ الأنواع الثلاثة التي ذكرت فيه ، فإن الأيّم تستغني بنفقة زوجها وكذلك الأمة ، وأما العبد فإنه لما كان لا مال له وكان ماله لسيده فهو فقيرٌ ما دام رقيقاً فلا يمكن أن يجعل لنكاحه غايةٌ وهي غناه ما دام عبداً ، بل غناه إنما يكون إذا عتق واستغنى بهذا العتق ، والحاجة تدعوه الى النكاح في الرّق ، فأمر سبحانه بإنكاحه وأخبر أنه يغنيه من فضله إما بكسبه وإما بإنفاق سيده عليه وعلى امرأته ، فلم يمكن أن ينتظر بنكاحه الغنى الذي ينتظر بنكاح الحرّ والله أعلم . وفي المسند وغيره مرفوعاً : ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ : الْمُتَزَوِّجُ يُرِيدُ الْعَفَافَ وَالْمُكَاتَبُ يُرِيدُ الْأَدَاءَ وذكر الثالث .

فصل وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصدّيق صلى الله عليه وسلم من العفاف أعظمَ ما يكون ، فإن الداعي الذي اجتمع في

حقه لم يجتمع في حقّ غيره ، فإنه صلى ٱلله عليه وسلم كان شاباً والشبابُ مركب ٱلشهوة ، وكان عزَباً ليس عنده ما يعوّضه ، وكان غريباً عن أَهله ووطنه والمقيمُ بين أَهله وأَصحابه يستحيي منهم أَن يعلموا به فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرّب زال هذا ٱلمانع ، وكان في صورة ٱلمملوك والعبدُ لا يأْنَفُ مما يأنف منه ٱلحر ، وكانت ٱلمرأَة ذاتَ مَنْصِبٍ وجمالٍ والدّاعي مع ذلك أَقوى مِن داعي من ليس كذلك ، وكانت هي ٱلمطالبة فيزول بذلك كُلْفَةُ تعرّض ٱلرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة ، وزادت مع ٱلطلب ٱلرغبةُ ٱلتامّةُ والمراودةُ ٱلتي يزول معها ظنُّ ٱلامتحان والاختبار لتعلمَ عفافه من فجوره ، وكانت في محلّ سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت ٱلإمكان ومكانه ٱلذي لا تناله ٱلعيون ، وزادت مع ذلك تغليقَ ٱلأَبواب لتأْمنَ هجومَ ٱلداخل عَلَى بغتة ، وأتته بالرغبة والرهبة ومع هذا كلِّه فعفّ لله ولم يُطِعْها ، وقدّم حقَّ ٱلله وحقَّ سيدها عَلَى ذلك كلِّه وهذا أمرٌ لو ٱبْتُلِي به سواه لم يُعْلَمَ كيف كانت تكون حاله ، فإن قيل : فقد همّ بها قيل عنه جوابان : أَحدهما أنه لم يهُمّ بها بل لولا أَن رأى برهانَ ربّه لهمّ ، هذا قول بعضهم في تقدير ٱلآية . والثاني وهو ٱلصواب أَن همّه كان همّ خطَرات فتركه لله فأثابه ٱلله [عليه] ، وهمُّها كان همَّ إصرارٍ بذلت معه جُهْدَها فلم تصل إِليه فلم يستوِ ٱلهمّان قال ٱلإمام أَحمد بن حنبل رضي ٱلله عنه : ٱلهمّ همّان : همُّ خطَرات ، وهمُّ إصرار ، فهمُّ ٱلخَطرات لا يؤآخذ به . فإن قيل : فكيف

قال وقت ظهور براءته : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ قيل : هذا قد قاله جماعة من المفسرين وخالفهم في ذلك آخرون أجلُّ منهم وقالوا : إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسُف عليه السلام والصوابُ معهم لوجوهٍ : أحدُها أنه متصلٌ بكلام المرأةِ وهو قولها : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ . وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾[١]
ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قولٍ لا دليل عليه في اللفظ بوجه، والقولُ في مثل هذا لا يحذف لئلا يوقع في اللَّبْس فإن غايته أن يحتمل الأمرين، فالكلام الأول أولى به قطعاً . الثاني أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلّمت بقولها ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾، والسياق صريحٌ في ذلك فإنه لما أرسل الملك إليه يدعوه قال للرسول : ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[٢] فأرسل إليهن الملك وأحضرهن وسألهن وفيهن امرأتُه فشهدن ببراءته ونزاهته في غيبته ولم يُمكِنهن إلاَّ قولُ الحقِّ فقال النسوة: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾[١]
وقالت امرأةُ العزيز : ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فإن قيل [لكن] قوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ الأحسنُ أن يكون من

(١و٢) سورة يوسف الآيات ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ـ ٥٠

كلام يوسف عليه السلام ، أي إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أني لم أخنه في امرأته في حال غيبته وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) وهذا من تمام معرفته صلى الله عليه وسلم بربه وبنفسه فإنه لما أظهر براءته ونزاهته مما قُذف به أخبر عن حال نفسه وأنه لا يزكيها ولا يبرّئها فإنها أمّارة بالسوء لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه ، فردّ الأمر إلى الله بعد أن أظهر براءته ، قيل : هذا وإن كان قد قاله طائفةٌ فالصوابُ أنه من تمام كلامها ، فإن الضمائر كلها في نَسَقٍ واحدٍ يَدُلّ عليه وهو قول النسوة : (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) وقول امرأة العزيز : (أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فهذه خمسة ضمائر بين بارزٍ ومستتر ثم اتّصل بها قولُه : (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) فهذا هو المذكور أولاً بعينه فلا شيء يفصِل الكلام عن نظمه ويُضمرُ فيه قولٌ لا دليل عليه ، فإن قيل فما معنى قولها : (لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قيل هذا من تمام الاعتذار قرنت الاعتذار بالاعتراف فقالت : ذلك أي قولي هذا وإقراري ببراءته ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته وإن خنته في وجهه في أوّل الأمر ، فالآن يعلم أني لم أخُنْه في غيبته ، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها وَمَا أُبرّئُ نفسي ثم ذكرت السببَ الذي لأجله لم تبرّئُ نفسها وهي أن النفس أمّارةٌ بالسوء فتأمل ما أعجب

أمرَ هذه ٱلمرأة ! أقرّت بٱلحق وٱعتذرت عن محبوبها ، ثم ٱعتذرت عن نفسها ، ثم ذكرت ٱلسببَ ٱلحاملَ لها علَى ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بٱلطمع في مغفرة ٱلله ورحمته وأنه إن لم يرحم عبده وإلّا فهو عُرْضة للشرّ ، فوازِنْ بين هذا وبين تقدير كون هذا ٱلكلام كلامَ يوسف عليه ٱلسلام لفظًا ومعنى ، وتأمل ما بين ٱلتقديرين من ٱلتفاوُت ، ولا يُستَبْعد أن تقول ٱلمرأة هذا وهي علَى دين ٱلشرك فإن ٱلقوم كانوا يُقِرُّون بٱلرَّبّ سبحانه وتعالى وبحقه وإن أشركوا معه غيره ، ولا تنسَ قول سيدها لها في أول ٱلحال (وَٱستغفِري لِذنبكِ إنكِ كُنْتِ مِنَ ٱلخاطِئينَ) [1]

فصل وفي ٱلصحيح من حديث أبي هريرة رضي ٱلله عنه قال : قال رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : سبعةٌ يُظِلُّهمُ ٱللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلّا ظِلُّه : إمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأ في عِبادةِ ٱللهِ ، ورَجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ بٱلمساجِدِ ، ورَجُلانِ تحابّا في ٱللهِ ٱجتمعا علَى ذلكَ وتفرَّقا عليهِ ، ورَجُلٌ دعَتْهُ ٱمرأةٌ ذاتُ منصِبٍ وجمالٍ فقال : إنّي أخافُ ٱللهَ ربَّ ٱلعالَمينَ ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتّى لا تعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه ، ورجلٌ ذكرَ ٱللهَ خالياً ففاضتْ عيناه [2] . وفي ٱلصحيح من حديث أبي هريرة وٱبن عمر رضي ٱلله عنهم عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال : بينما ثلاثةٌ يمشونَ إذْ أخذتْهمُ ٱلسماءُ فأوَوْا إلى غارٍ في

---

(١) سورة يوسف الآية ٢٩

(٢) قال السيوطي : رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي واحمد .

الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا أَعْمَالاً صَالِحَةً عَمِلْتُمُوهَا فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اللَّهُمَّ : إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ وَكُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلِبُ فَجِئْتُ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ فَأَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيراً بِفَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ : أَعْطِنِي حَقِّي فَأَعْطَيْتُهُ فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَزَرَعْتُهُ وَنَمَّيْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ لَهُ بَقَراً وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ : اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَهُوَ لَكَ

فقال : اتق الله ولا تهزأ بي فقلت : لا أستهزئ بك فخذ ذلك فأخذها وذهب فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي من الصخرة ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون [1].

وقال عبيد الله بن موسى : حدثنا شيبان بن عبد الرحيم ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سعد مولى طلحة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ما حدثت به ، ولكن سمعته أكثر من ذلك قال : كان ذو الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أرعدت وبكت فقال : ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط قال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ؟ قالت : حملتني عليه الحاجة فتركها ثم قال [اذهبي والدنانير لك ثم قال] : والله لا يعصي الله ذو الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه غفر الله لذي الكفل [2].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجب ربك من الشاب ليست له صبوة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) لم أر من رواه غير الثعلبي في قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس .

وذكر المبرّد عن أبي كامل عن إسحاق بن إبراهيم عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهن جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل به فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك، فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين، (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)[1] أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها، فلما أبلغها الرسول قوله قالت: وأراه مع هذا يخاف الله؟ والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك، فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ويدعو لها، فغلبته عينه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في أحسن منظر فقال: كيف أنت وما لقيت بعدي؟ قالت:

نعم المحبة يا سؤلي محبتكم ... حب يقود إلى خير وإحسان

---

(١) سورة الانعام الآية ١٥ ويونس الآية ١٥ والزمر ١٣

فقال : علَى ذلك إلى مَ صرتِ ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوالَ له في جنة ألخلد ملك ليس بالفاني

فقال لها : اذكريني هناكِ فإني لست أنساكِ فقالت : ولا أنا واللهِ أنساكَ ، ولقد سألت مولاي ومولاكَ أن يجمع بيننا فأعِنّي علَى ذلك بالاجتهاد فقال لها : متى أراكِ ؟ فقالت : ستأتينا عن قريبٍ فترانا ، فلم يعِشِ الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليالٍ حتى مات رحمه الله [تعالى] .

وذكر الزُّبَيرُ بن بكّار أن عبد الرحمن بنَ أبي عمّار نزل مكة وكان من عُبّاد أهلها ، فسمي القس من عبادته ، فمرّ يوماً بجاريةٍ تغني فوقف فسمع غناءها فرآه مولاها فأمره أن يدخل عليها فأبى ، فقال : فاقعد في مكانٍ تسمع غناءها ولا تراها ، ففعل فأعجبته فقال له مولاها : [هل] لك أن أحوِّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ثم أجابه إلى ذلك ، فنظر إليها فأعجبته فشغف بها وشغفت به ، وعلم بذلك أهل مكة ، فقالت له ذات يومٍ : أنا والله أحبك فقال : وأنا والله أحبك قالت : فإني والله أحب أن أضع فمي علَى فمك قال : والله أحبّ ذلك قالت : فما يمنعك ؟ فإن الموضع خالٍ قال لها : ويحك إني سمعت الله يقول : (الأخِلاَّءُ يَوْمَئذٍ بعضُهُمْ لِبَعضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ)[1] فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك [في الدُّنيا] عداوةً في القيامة ، ثم نهض وعيناه تَذرِفان بالدُّموع من حبها .

---

(١) سوره الزخرف الآية ٦٧

وقال عبدُ الملك بن قُرَيْب : قلت لأعرابي : حدّثني عن ليلتك مع فلانة قال : نعم خلوت بها والقمر يُرِينيها فلما غاب أَرَتْنِيهِ قلت : فما كان بينكما ؟ قال : أَقربُ ما أَحلّ الله مما حرّم [الله] : الإشارة بغير ما باس ، والدُّنوُّ بغير إمساس ، ولعمري لئن كانت الأيام طالت بعدها لقد كانت قصيرةً معها وحسبُك بالحب

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ — إلاّ نهاني الحياءُ والكرم

فلا إلى فاحشٍ مددتُ يدي — ولا مشت بي لريبةٍ قدم

وقال آخر :

وَصَفُوها فلم أزل علم اللّـ — ـهُ كئيباً مُسْتَوْلَهاً مستهاما

هل عليها في نظرةٍ من جُناح — من فتًى لا يزور إلا لِماما

حال فيها الإسلامُ دون هواه — فهو يهوى ويحفظ الإسلاما

ويميل الهوى به ثم يخشى — أن يطيعَ الهوى فيلقى أثاما

وقال الحسين بن مُطَيْر :

أُحبكِ يا سلمى على غير ريبةٍ — ولا بأس في حبّ تعفُّ سرائرُهْ

أُحبك حباً لا أعنف بعده — محباً ولكني إذا لِيمَ عاذرُهْ

وقد مات قلبي أوّل الحبّ مرّةً — ولومتُّ أضحى الحبُّ قدماتَ آخرُهْ

وقال محمد بن أبي زُرْعة الدّمشقي :

إن حظي ممن أُحبّ كفافُ — لا صدودٌ مُقْصٍ ولا إنصافُ

كلما قلت قد أنابت إلى الوصـ — ـل ثناها عما أُريد العفافُ

فكأني بين الصدود وبين الـ وصل ممن مقامه الأعراف

في محلٍ بين الجنان وبين النا رِ أرجو طوراً وطوراً أخاف

وقال عثمان بن الضحاك الحزامي: خرجت أريد الحج فنزلت بالأبواء، فإذا امرأة جالسة على باب خيمةٍ فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نُصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ وقل إن تملينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت: يا هذا أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: نعم نُصيب قالت: فتعرف زينبه؟ قلت: لا قالت: فأنا زينبه قلت: حياكِ الله قالت: أما إن اليوم موعده من عند أمير المؤمنين، خرج إليه عام أول فوعدني هذا اليوم، لعلك لا تبرح حتى تراه قال: فبينا أنا كذلك إذا أنا براكبٍ قالت: ترى ذلك الراكب؟ إني لأحسبه إياه قال: فأقبل فإذا هو نُصيب، فنزل قريباً من الخيمةِ ثم أقبل فسلم حتى جلس [قريباً] منها يسائلها وتسائله أن ينشدها ما أحدث فأنشدها، فقلت في نفسي: محبّان طال التنائي بينهما لا بدّ أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة، فقمت إلى بعيري لأشدَّ عليه فقال: على رِسلك إني معك، فجلست حتى نهض معي فتسايرنا ثم التفت إليَّ فقال: أقلت في نفسك محبّان التقيا بعد طول التنائي فلا بدّ أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة؟ قلت: نعم قد كان ذلك قال: وربِّ هذه البَنِيَّةِ ما جلست منها مجلساً هو أقرب من هذا.

وقال عمر بن شبَّة: حدّثنا أبو غسّان قال: سمعت بعض المدنيين يقول: كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً يفرح أن يرى

من يراها ، فإن ظفر منها بمجلسٍ تشاكيا وتناشدا الأشعار . واليوم يشير إليها وتشير إليه فيعِدُها وتَعِدُه فإذا التقيا لم يَشْكُ حباً ولم ينشد شعراً ، وقام إليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة رضي الله عنه . وقال محمد بن سيرين: كانوا يعشقون في غير ريبةٍ ، وكان الرجل يأْتي [إلى] القوم فيتحدّث عندهم لا يستنكر له ذلك . وقال هشام بن حسان: لكن اليوم لا يرضون إلاّ بالمواقعة . وقيل لأعرابي: ما تَعُدُّون العشق فيكم ؟ قال: القبلة والضمة والغمزة ، وإذا نكح الحب فسد . وقال المبرّد: كان العتبي يحبّ جاريةً تسمى ملك فكتب إليها:

يا ملك قد صرت إلى خُطَّةٍ … رضيتُ منها فيكِ بالضَّيم

ما اشتملت عيني عَلَى رقدةٍ … مذ غبتِ عن عيني إلى اليوم

فبت مفتوقَ مجاري البكا … معطَّل العين عن النوم

ووجدي الدهرَ بكم غُلْمَةٌ … فالموتُ من نفسي عَلَى سَوْم

يلومني الناس عَلَى حبّكم … والناس أولى فيكِ باللوم

قال: فكتبت إليه:

إن تكن الغُلْمَةُ هاجت بكم … فعالج الغُلْمَةَ بالصوم

ليس بكَ الحبُّ ولكنما … تدور من هذا عَلَى كَوْم

يقال: كام الفحلَ يكوم كَوْماً إذا نزا عَلَى الحجر[1] وأرادت هذه المعشوقة قول النبي صلى الله عليه وسلم: يَا مَعشَرَ الشَّبَّابِ مَنِ اسْتَطَاعَ

---

(١) الحجر بالكسر: الانثى من الخيل .

مِنْكُمُ ٱلْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ (١)

وقال أبو ٱلحسن ٱلمدائني : هَوِيَ بعضُ ٱلمسلمين جارية بمكة فأَرادها فامتنعت عليه ، فقال عَلَى لسان عطآء بن أَبي رَباح :

سأَلت ٱلفتى ٱلمكيَّ هل في تعانُقٍ وقُبلةِ مشتاقِ ٱلفؤادِ جُناحُ

فقال معاذَ ٱللهِ أن يُذهبَ ٱلتقى تلاصُقُ أَكبادٍ بهنَّ جراحُ

فقالت : آللهِ سأَلت عطآءً عن ذلك فقال لك هذا ؟ فقال : اللهم نعم ، فزارته وجعلت تقول : إِياكَ أَن تتعدى ما أَفتاك به عطآء .

وقال ٱلزبير بن بكّار عن عبد ٱلملك بن عبد ٱلعزيز ٱلماجِشُون قال : أَنشدتُ محمد بن ٱلمُنْكَدِر قولَ وضّاح ٱليمن :

فما نوّلت حتى تضرّعت حولها وأَقرأْتها ما رخّص ٱللهُ في ٱللَّمَم

فضحك محمد وقال : إِن كان وضاحٌ لَمُفْتِياً في نفسه .

وقال ٱلأصمعي : قيل لأَعرابي : ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى ؟ قال : كنت أُمتع عيني من وجهها ، وقلبي من حديثها ، وأَستر منها ما لا يحبه ٱلله ولا يرضى كشفه إِلاّ عند حِلّه ، قيل : فإِن خِفْتَ أَن لا تجتمعا بعد ذلك ؟ قال أَكِلُ قلبي إِلى حبّها ، ولا أَصير بقبيح ذلك ٱلفعل إِلى نقض عهدها . قال : وقيل لآخر وقد زُوِّجت عشيقتُه من ٱبن عمها وأَهلُها عَلَى إِهدآئِها إِليه : أَيَسُرُّك أَن تظفر بها ٱلليلة ؟ قال : نعم وٱلذي

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

أمتعني بها وأشقاني بطلبها قيل: فما كنت صانعاً؟ قال: كنت أطيع الحبّ في لثمها، وأعصي الشيطان في إثمها، ولا أفسد عشق عشر سنين بما يبقى عاره، وتنشر بالقبيح أخباره، في ساعة تنفد لذتها، وتبقى تبعتها إني إذاً للئيم، لم يغذني أصل كريم.

وقال عباس الدوري: كان بعض أصحابنا يقول: كان سفيان الثوري كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الوزر والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

وقال الحسين بن مطير:

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها
ولا تقرب المرعى الحرام فإنما ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى

وقال الخرائطي: حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدمي، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: بينا [أنا] أطوف إذ أنا بجارية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، أيا رب أما لك أدب إلا النار؟ فما زال مقامها حتى طلع الفجر، فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي [خارجاً] أقول: ثكلت مالكاً أمه، جويرية منذ الليلة قد بطلته.

وطائفةٍ بالبيت والليلُ مظلمُ تقول ومنها دمعها يتسجّمُ
أيا ربّ كم من شهوةٍ قد رُزئتها ولذّة عيشٍ حبلُها متصرّمُ
أما كان يكفي للعباد عقوبةً ولا أدباً الّا الجحيمُ المضرّمُ
فما زال ذاك القولُ منها تضرُّعاً إلى أن بدا فجرُ الصباح المقدَّمُ
فشبّكتُ مني الكفّ أهتف خارجاً على الرأس أبدي بعضَ ما كنت اكتم
وقلت لنفسي إذا تطاول مابها وأعيى عليها وِرْدُها المتغنّمُ
ألا ثكلتك اليوم أُمُّك مالكاً جوَيريَةٌ ألهاك منها التكلُّمُ
فما زلتَ بطَّالاً بها طول ليلةٍ تنال بها حظّاً جسيماً وتَغْنَمُ

وقال مَخْرَمَةُ بن عثمان: نُبّئت أن فتى من العُبّادهويَ جاريةً من أهل البصرة فبعث إليها يخطبها فامتنعت وقالت: إن أردتَ غيرَ ذلك فعلت ، فأرسل إليها سبحان الله أدعوكِ إلى ما لا إثم فيه وتدعينني إلى ما لا يصلُح ؟ فقالت : قد أخبرتك بالذي عندي فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخّر فأنشأ يقول :

وأسأ لها الحلال وتدعُ[1] قلبي إلى ما لا أريد من الحرام
كداعي آلِ فرعونٍ إليه وهم يدعونه نحو الأثام
فظلَّ منعماً في الخلد يسعى وظلّوا في الجحيم وفي السَّقام

فلما علمت أنه قد امتنع من الفاحشة أرسلت إليه : أنا بين يديك على

(١) كذا في النسختين بحذف حرف العلة ولا مسوغ له الا الضرورة ٠

ٱلذي تحبّ فأرسل إليها لاحاجة لنا فيمن دعوناه إلى ٱلطاعة ودعانا إلى ٱلمعصية ثم أنشد:

لا خيرَ فيمن لا يراقب ربَّه عند ٱلهوى ويخافه إيمانا
حَجَبَ ٱلتقُى سبلُ ٱلهوى فأخو ٱلتقى يخشى إذا وافى ٱلمَعاد هوانا

وقال عبد ٱلملك بن مروان لليلى ٱلأخيلية: بٱلله هل كان بينك وبين توبة سوءٌ قطّ؟ قالت وٱلذي ذهب بنفسه وهو قادرٌ عَلَى ذهاب نفسي ما كان بيني وبينه سوءٌ قطّ، إلا أنه قدم من سفرٍ فصافحته فغمزَ يدي فظننت أنه يَخْنَع لبعض ٱلأمر فذلك معنى قولي:

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها فليس إليها ما حَيِيت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه وأنت لأُخرى صاحبٌ وخليل

قالت: لا وٱلذي ذهب بنفسه ما كلّمني بسوء قطّ حتى فرّق بيني وبينه ٱلموت.

وقال ٱبن أحمر: بينا أنا أطوف بٱلبيت إذ بَصُرْتُ بٱمرأةٍ متبرقعةٍ تطوف بٱلبيت وهي تقول:

لا يقبل ٱلله من معشوقةٍ عملاً يوماً وعاشقُها غضبانُ مهجور
ليست بمأجورةٍ في قتل عاشقها لـكنّ عاشقَها في ذاك مأجورُ

فقلت لها: في هذا ٱلموضع؟ فقالت: إليك عني لا يَعْلَقك ٱلحبّ قلت: وما ٱلحبّ؟ قالت: جلّ والله عن أن يخفى، وخفي عن أن يُرى، فهو كالنار في أحجارها، إن حركته أورى، وإن تركته توارى ثم أنشدت تقول:

غِيدٌ أوانسُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ　　كظباءِ مكةَ صيدُهنّ حرامُ
يُحسَبْنَ من لين الحديث أوانساً[1]　　ويَصُدُّهنّ عن الخنا الإسلامُ

وقد روى محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا عبد الوارث ، عن محمد بن جُحَادة ، عن الوليد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إِذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زوجَهَا دَخَلَتِ الجنَّةَ[2] وقال هشام بن عمّار : حدّثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبي [حدّثنا ابن] لَهِيعَة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيُّمَا امْرَأَةٍ اتَّقَتْ رَبَّهَا وَأَحْصَنَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلِي مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ[3]

وقال الزبير بن بكّار: أخبرني سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي ، حدّثني أبي أن امرأةً لقيت كُثيّر عزّة فقالت : تسمع بالمُعَيدِيّ خيرٌ من أن تراه قال: مَهْ رحمك الله فأنا الذي أقول :

فإِن أكُ معروقَ العظام فإِنني　　إِذا ما وزنت القومَ بالقوم أُوزن

قالت : وكيف توزن بالقوم وأنت لا تُعْرَف إلا بعزّة؟ قال : والله لئن قلتِ ذاك لقد رفع اللهُ بها قدري ، وزيّن بها شعري وإِنها لَكَمَا قلت :

---

(١) تقدم البيتان في الصفحة ٢٥٩ وفيهما : يحسبن من لين الحديث زوانياً

(٢) قال السيوطي : رواه احمد والبزار والطبراني .

(٣) لم أر من خرجه .

وما روضةٌ بالحَزْنِ طاهرةُ الثرى ... يَمُجّ الندى جَثْجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ من أردانِ عزَّةَ موهِناً ... وقد أوقدت بالمَنْدَلِ الرَّطب نارُها
من الخفِراتِ البيضِ لم تلقَ شقوةً ... وبالحسبِ المكنونِ صافٍ نجارُها
فإن برزت كانت لعينيك قُرَّةً ... وإن غِبْتَ عنها لم يَغُمَّكَ عارُها

قالت: أرأيت حين تذكر طيبها فلو أن زِنجيةً تخمرت بالمندل الرطب لطاب ريحها، ألا قلت كما قال امرؤ القيس؟

خليليَّ مُرّا بي عَلَى أمِّ جُندُبِ ... نقضّي لبانات الفؤادِ المعذَّبِ
ألم ترياني كلما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطَيَّبِ

فقال: واللهِ الحقُّ خيرُ ما قيل، هو والله أنعتُ لصاحبته [مني].

ودخلت عزّةُ عَلَى عبد الملك بن مروان وهو لا يعرفها ترفع مَظْلِمَةً لها، فلما سمع كلامَها تعجّب منه فقال له بعض جلسائه: هذه عزّة كُثيِّر فقال لها عبد الملك: [إن أردت] أن أرُدَّ عليكِ مَظْلِمَتَكِ فأنشديني ما قال فيكِ كُثيّر، فاستحيت وقالت: والله ما أعرف كُثيّراً ولكني سمعتهم يحكون عنه أنه قال فيّ:

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غريمَه ... وعزَّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

فقال عبد الملك: ليس عن هذا أسألك ولكن أنشديني من قوله:

وقد زعمت أني تغيّرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر
تغيَّر جسمي والخليقةُ كالذي ... عهِدْتِ ولم يخبر بسرِّك مخبر

قالت : ما سمعت هذا ولكن سمعت الناس يحكون أنه عنه قال فيّ :

كأني أنادي صخرةً حين أعرضت　　من الصُّمّ لو تمشي بها العُصْم زلّتِ

صفوحٌ فما تلقاك إلاّ بخيلةً　　فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّتِ

فقضى حاجتها وردّ مظلمتها وقال : أدخلوها على الجواري يأخذن من أدبها . [وذكرت عنه] أنه قال [فيها أيضاً] :

وما نلت منها محرماً غير أنني　　أقبّل بساماً من الثغر أفلجا

وألثمُ فاها تارةً ثم تارةً　　وأترك حاجات النفوس تحرّجا

وقال الزبير بن بكّار عن عباس بن سهل الساعدي قال : بينا أنا بالشام إذ لقيني رجلٌ من أصحابي فقال : هل لكم في جميلٍ نعوده ؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه وما يُخيّل إليّ [إلا] أن الموت يكرثه ، فنظر إليّ ثم قال : يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قطّ ولم يزْنِ ولم يقتل نفساً ؟ يشهد أن لا إله إلاّ الله قلت : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل ؟ قال : أنا قلت : والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبّب منذ عشرين سنة [في] بُثينة فقال : لا نالتني شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة — فإني في أوّل يومٍ من أيام الآخرة وآخر يومٍ من أيام الدُّنيا — إن كنت وضعت يدي عليها لريبةٍ . فما برحنا حتى مات .

وقال أبو عوانة بن الحكم : كان عبد المطلب لا يسافر إلا ومعه ابنه الحارث ، وكان أكبر ولده وكان شبيهاً به جمالاً وحسناً ، فأتى

ٱليمن وكان يجالس عظيماً من عظمائهم فقال له: لو أَمرت ٱبنك هذا يجالسني وينادمني، ففعل فعشقت ٱمرأَتهُ ٱلحارثَ فراسلته فأَبى عليها، فأَلحّت عليه فأَخبر بذلك أَباه، فلما يئست منه سقته سمَّ شهرٍ، فٱرتحل به عبد ٱلمطلب حتى إذا قدم مكة مات ٱلحارث. وذكرها هشام بن محمد بن ٱلسائب ٱلكلبي عن أَبيه وذكر رثآء أَبيه له بقصيدته ٱلتي فيها:

وٱلحارثَ ٱلفيّاض أَكرم ماجدٍ   أَيامَ نازعه ٱلهمامُ ٱلكاسا

ولما ٱحتُضِرَ أَبو سفيان بن ٱلحارث هذا وهو ٱبن عم ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال لأَهله: لا تبكوا عليَّ فإني لم أَتنطف بخطيئة منذ أَسلمت.

ولما قدم عُرْوَةُ بن ٱلزبير عَلَى ٱلوليد بن عبد ٱلملك خرجت برجله ٱلآكلة، فأُجتمع رأْي ٱلأَطباء عَلَى نشرها وأَنه إن لم يفعل سرت إلى جسمه فهلك، فلما عزم عَلَى ذلك قالوا له: نسقيك مُرْقِداً قال: ولِمَ؟ قالوا: لئلا تُحِسّ بما يُصْنَع قال: لا بل شأْنكم، فنشروا ساقه بٱلمنشار فما أَزال عضواً عن عضوٍ حتى فرغوا منها ثم حسموها، فلما نظر إليها في أَيديهم تناولها وقال: الحمد لله أَما وٱلذي حملني عليك إنه ليعلم أَني ما مشيْتُ بك إلى حرامٍ قطّ.

ولما حضرت عمرَ بن أَبي ربيعة ٱلوفاةُ بكى عليه أَخوه ٱلحارث فقال له عمر: يا أَخي إن كان أَسفك لما سمعت من قولي: قلت لها وقالت لي

فكل مملوك لي حرٌّ إن كنت كشفت حراماً قطّ . فقال الحارث: الحمد لله تعالى طيّبت نفسي .

وقال سفيان بن محمد : دخلت يوماً عزّة على أم البنين أختِ عمر بن عبد العزيز فقالت : يا عزّة ما قول كُثيّر ؟

قضى كلُّ ذي دَين فوفّى غريمه   وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

ما كان هذا الدَّين ؟ فقالت : كنت وعدته بقُبلةٍ فتحرّجت منها فقالت أم البنين: أنجزيها وعليّ إثمها قالت : فأعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبةً ، وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت : ليتني خرِست ولم أتكلم بها .

ولما احتُضر ذو الرمّة قال : لقد هممت بميٍّ عشرين سنة في غير ريبةٍ ولا فساد . وكان الحارث بن خالد بن هشام المخزومي عاشقاً لعائشة بنت طلحة وله فيها أشعارٌ أفرد لها ابن المرزُبان كتاباً ، فلما قُتل عنها مُصعَبُ بن الزبير قيل للحارث : ما يمنعك الآن منها ؟ قال: والله لا يتحدث رجالات قريشٍ أن تشبيبي بها كان لريبة ولشيءٍ من الباطل

وقال ابن علاثة : دخلت علَى رجلٍ من الأعراب خيمته وهو يئن فقلت : ما شأنك قال: عاشق فقلت له : ممن الرجل ؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا عفةً فجعلت أعذله وأُزهّده فيما هو فيه فتنفس الصُّعَداء ثم قال :

ليس لي مسعدٌ فأشكو إليه   إنما يسعدُ الحزينَ الحزينُ

وقال سعيد بن عُقْبَة لأعرابي : ممن ٱلرجل ؟ قال : من قومٍ إذا عشقوا ماتوا قال : عذريٌّ وربِّ ٱلكعبة فقلت له : ومِمَّ ذاك ؟ قال : في نسائنا صَباحة ، وفي رجالنا عفة . وقال سفيان بن زياد : قلت لأمرأَة من عُذْرَة ورأَيت بها هوًى غالباً خفت عليها ٱلموت منه : ما بال ٱلعشق يقتلكم معاشرَ عُذْرَة من بين أَحياء ٱلعرب ؟ فقالت : فينا جمالٌ وتعففٌ وٱلجمال يحملنا عَلَى ٱلعفاف ، وٱلعفاف يورثنا رقة ٱلقلوب ، وٱلعشق يفني آجالنا ، وإِنا نرى عيوناً لا ترونها . وقال أَبو عبيدة مَعْمَرُ ابن ٱلمُثَنَّى : قال رجلٌ من بني فَزَارة لرجلٍ من بني عُذْرَة : ما يعدّ موتكم من ٱلحبّ مزية ، وإِنما ذاك من ضعف ٱلبنية ووهن ٱلعقل وضيق ٱلرِّئة ، فقال له ٱلعذري : أَما لو رأَيتم ٱلمحاجر ٱلبُلْج ، ترشُق بالأَعين ٱلدُّعج ، من فوقها ٱلحواجب ٱلزُّجّ ، وٱلشفاه ٱلسُّمْر ، تفترُّ عن ٱلثنايا ٱلغُرّ ، كأَنها نظم ٱلدُّر ، لجعلتموها ٱللاّت وٱلعُزَّى ونبذتم ٱلإِسلام وراءَ ظهوركم .

وقال بشر ٱلوليد : سمعت أَبا يوسف يقول في مرضه ٱلذي مات فيه : اللهم إِنك تعلم أَني لم أَطَأْ فرْجاً حراماً قطُّ وأَنا أَعلم ، ولم آكل درهماً حراماً قطُّ وأَنا أَعلم .

وقال إِسماعيل بن إِسحاق ٱلقاضي : دخلت عَلَى ٱلمعتضد وعَلَى رأْسه غلمانٌ صِباحُ ٱلوجوه أَحداث ، فنظرت إِليهم فرآني ٱلمعتضد وأَنا أَتأَمَّلهم ،

فلما أَردت ٱلقيام أَشار إِليَّ ، فمكثت ساعةً فلما خلا قال لي : أَيها ٱلقاضي وٱللّٰه ما حللت سراويلي عَلَى حرامٍ قط .

وقال ٱلزَّبيدي : جلس محمد بن منصور بن بسّام وعَلَى رأْسه عدَّة خدَمٍ لم يرَ قطُّ أَحسنُ منهم ، ما منهم من ثمنه أَلف دينار بل أَكثر ، فجعل ٱلناس ينظرون إِليهم فقال محمد : هم أَحرارٌ لوجه ٱللّٰه إِن كان ٱللّٰه كتب عليّ ذنباً مع واحدٍ منهم ، فمن عرَفَ خلافَ ذلك منهم فليمضِ فإِنه قد عتَق وهو في حلٍ ممّا يأْخذ من مالي . وقال إِبراهيم بن أَبي بكر بن عيَّاش : شهدت أَبي عند ٱلموت فبكيت فقال : ما يبكيك؟ فما أَتى أَبوك فاحشةً قط . وقال عمر بن حفص بن غياث : لما حضرت أَبي ٱلوفاةُ أُغمي عليه فبكيت عند رأْسه فقال لي حين أَفاق : ما يبكيك ؟ قلت : أَبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا ٱلأُمر يعني ٱلقضاء قال : لا تبكِ فإِني ما حللت سراويلي عَلَى حرامٍ قطُّ ، ولا جلس بين يديَّ خصمان فباليت عَلَى من توجَّه ٱلحكم عليه منهما . وقال سفيان بن أَحمد ٱلمصّيصِي : شهدت ٱلهيثم بن جميل وهو يموت وقد سُجّي نحو ٱلقبلة ، فقامت جاريته تَغمِز رجليه فقال : اُغمِزْيهما فإِن ٱللّٰه يعلم أَنهما ما مشتا إِلى حرامٍ قطُّ . وقال محمد بن إِسحاق : نزل ٱلسريُّ بن دينار في دَربٍ بمصر وكانت فيه اُمرأَةٌ جميلةٌ فتنت ٱلناس بجمالها ، فعلمت به ٱلمرأَة فقالت : لأَفتننَّه ، فلما دخلت من باب ٱلدار

تكشّفت وأظهرت نفسها فقال: ما لك؟ فقالت: هل لك في فراشٍ وطيّ وعيشٍ رخيّ؟ فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهنّ لذّةً ومات فخلّاها وذاق الدواهيا
تصرّم لذاتُ المعاصي وتنقضي وتبقى تباعاتُ المعاصي كما هيا
فيا سوءتا والله راءٍ وسامعٌ لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا

وقال عمر بن بكير: قال أعرابي: علقتُ امرأةً كنت آتيها فأحدّثها سنين وما جرت بيننا ريبةٌ قطّ، إلّا أني رأيت بياضَ كفها في ليلةٍ ظلماء فوضعت يدي على يدها، فقالت: مَهْ لا تفسد ما بيني وبينك، فإنه ما نُكح حبٌّ قطّ إلّا فسد قال: فقمت وقد تصبّبتُ عرقاً حياءً منها ولم أعُدْ إلى شيءٍ من ذلك.

وذكر أبو الفرج وغيرُه أن امرأةً جميلةً كانت بمكة، وكان لها زوجٌ، فنظرت يوماً إلى وجهها في المِرآة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتتن به؟ قال: نعم قالت: مَنْ: قال: عبيد بن عمير قالت: فائذن لي فيه فلأفتننّه قال: قد أذِنت لك قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحيةٍ من المسجد الحرام فأسفرت عن وجهٍ مثلِ فلقة القمر فقال لها: يا أمَةَ الله استتري فقالت: إني قد فُتنت بك قال: إني سائلكِ عن شيءٍ فإن أنت صدقتِني نظرت في أمرك قالت لا تسألني عن شيءٍ إلّا صدقتك قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبِض روحك أكان يسركِ أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا

قال : صدقت قال : فلو دخلتِ قبرك وأُجلست للمسآءلة أكان يسرّك أَني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا قال : صدقت قال : فلو أن الناس أُعْطُوا كتبَهم ولا تدرين أتأْخذين كتابك بيمينك أَم بشمالك أكان يسرك أَني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا قال : صدقت قال : فلو أَردت الممرَّ عَلَى الصراط ولا تدرين هل تَنجين أو لا تَنجين أكان يسرّك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا قال : صدقت قال : فلو جيَ بالميزان وجيَ بك فلا تدرين أيخفّ ميزانُك أَم يثقل أكان يسرك أَني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا قال : صدقت قال : فلو وقفتِ بين يدي الله للمسآءلة أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا قال : صدقت قال : اتّقي الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك قال : فرجعت إلى زوجها فقال : ما صنعت ؟ قالت : أَنت بطّال ونحن بطّالون ، فأَقبلت عَلَى الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول : مالي ولعبيد بن عمير أفسد عليّ امرأَتي ، كانت في ليلةٍ عروساً فصيّرها راهبة .

وقال سعيد بن عبد الله بن راشد : علقت فتاةٌ من العرب فتىً من قومها وكان عاقلاً فجعلت [تكثر] التردّد إليه ، فلما طال عليها ذلك مرضت وتغيّرت واحتالت في أن خلا لها وجهُه ، فتعرضت إليه ببعض الأَمر فصرفها ودفعها عنه ، فتزايد المرض حتى سقطت عَلَى الفراش فقالت له أُمّه : إن فلانةً قد مرضت ولها علينا حق قال : فعوديها وقولي لها : يقول لك ما خبرك ؟ فسارت إليها أُمه وسأَلتها ما بك ؟ فقالت :

وجعٌ في فؤادي هو أصل علّتي قالت: فإن أبني يسألك عن علّتك فتنفست الصُّعَداءَ ثم قالت:

يسائلني عن علتي وهو علتي عجيبٌ من الأنباء جاء به الخبر

فانصرفت إليه أمه وأخبرته وقالت له [تريد] أن تصير إليك؟ فقال: نعم فذكرت أمه لها ذلك فبكت وقالت:

ويبعدني عن قربه ولقائه فلما أذاب الجسمَ مني تعطّفا

فلست بآتٍ موضعاً فيه قاتلي كفاني سقاماً أن أموت تلهّفا

وتزايدت بها العلة حتى ماتت.

وأحبّ رجلٌ من أهل الكوفة يسمى أبا الشعثاء امرأةً جميلة، فلما علمت به كتبت إليه وقالت:

لأبي الشعثاء حبٌّ دائمٌ ليس فيه تهمةٌ لمتّهِمْ

يافؤادي فازدجر عنه ويا عَبَثَ الحب به فاقعد وقُمْ

جاءني منه كلامٌ صائدٌ ورسالاتُ المحبين الكلِمْ

صائدٌ يأمنه غزلانه مثل ما يأمن غزلانُ الحَرَمْ

صلّ إن أحببت أن تُعطى المنى يا أبا الشعثاء لله وصُمْ

ثم ميعادُك بعد الموت في جنة الخلد إنِ اللهُ رَحِمْ

حيث ألقاك غلاماً ناشئاً ناعماً قد كَمُلت فيه النعمْ

وقال الأصمعي عن أبي سفيان بن العلاء قال: بَصُرت الثريّا بعمر بن أبي ربيعة وهو يطوف حول البيت، فتنكرت وفي كفها خَلُوقٌ فزَحمته

فأثّر ٱلخَلُوق في ثوبه ، فجعل ٱلناس يقولون : يا أَبا ٱلخطّاب ما هذا زِيُّ ٱلمحرم فأَنشأَ يقول :

أَدخل ٱللهُ ربُّ موسى وعيسى جنةَ ٱلخلد مَن ملاني خَلُوقا

مسحت كفَّها بجيب قميصي حين طُفْنا بالبيت مسحاً رفيقا

فقال له عبد ٱلله بن عمر : مثل هذا ٱلقول في هذا ٱلموضع ؟ فقال [له] : يا أَبا عبد ٱلرحمن قد سمعت مني ما سمعت فوَربّ هذه ٱلبَنِيَّةِ ما حللت إزاري عَلَى حرامٍ قطّ .

وقيل لليلى ٱلأَخيلية : هل كان بينك وبين توبة ما يكرهه ٱلله ؟ قالت : إذاً أَكون منسلخةً من ديني إن كنت ٱرتكبت عظيماً ثم أُتبعه بالكذب .

وقال ٱلعُتْبي : خرجت إلى ٱلمِرْبَد فإذا بأَعرابي غَزِلٍ فمِلت إليه فذكرت ٱلنساء فتنفّس ثم قال : يا ٱبن أخي إن من كلامهن لَما يقوم مقام ٱلماء فيشفي من ٱلظمأ فقلت : صف لي نساءَكم فقال : نساءَ ٱلحي تريد ؟ قلت : نعم فأَنشأَ يقول :

رُجْحٌ ولَسْنَ من ٱللواتي بالضحى لذيولهن عَلَى ٱلطريق غبارُ

يأْنسنَ عند بعولهن إذا خَلَوْا وإذا هُمُ خرجوا فهنّ خِفارُ

قال ٱلعتبي : فأَخبرت أَبي قال : تدري من أَين أخذقوله وإن من كلامهن ما يقوم مقام ٱلماء فيشفي من ٱلظمأ ؟ قلت : لا قال : من قول ٱلقطَامي .

يَقتلْننا بحديثٍ ليس يعلمه   من يتّقينَ ولا مكنونه بادي

فهنّ يبدين[1] من قولٍ يُصبْنَ به   مواقع ٱلماء من ذي ٱلغُلَّة ٱلصادي

وهذه ٱلطائفةُ لعفتهم أسباب أقواها إجلال [ٱلجبّار] ، ثم ٱلرغبةُ في ٱلحور ٱلحسان في دار ٱلقرار ، فإن من صرف ٱستمتاعه في هذه ٱلدار إلى ما حرّم ٱلله عليه منعه من ٱلاستمتاع بٱلحور ٱلحسان هناك ، قال صلى ٱلله عليه وسلم : مَنْ لَبِسَ ٱلْحَرِيرَ فِي ٱلدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي ٱلْآخِرَةِ[2] ، وَمَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ فِي ٱلدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي ٱلْآخِرَةِ[3] . فلا يجمع ٱلله للعبد لذة شرب ٱلخمر ولبس ٱلحرير والتمتع بما حرّم ٱلله عليه من ٱلنساء والصبيان ولذَّة ٱلتمتع بذلك في ٱلآخرة ، فليتخيَّر ٱلعبد لنفسه إحدى ٱللذَّتين ، وليَطِب نفساً عن إحداهما بٱلأُخرى ، فلن يجعل ٱلله من أذهب طيّباته في [حياته] ٱلدُّنيا وٱستمتع بها كمن صام عنها ليوم فطره من ٱلدُّنيا إذا لقي ٱلله . ودون ذلك مرتبةٌ أن يتركها خوف ٱلنار [فقط] ، فإنّ تركها رغبةً ومحبةً أفضلُ من تركها لمجرَّد خوف ٱلعقوبة . ثم أدنى من ذلك أن يحمله عليها خوفُ ٱلعار وٱلشَّنار . ومنهم من يحمله على ٱلعفة ٱلإبقاء على محبته خشية ذهابها بٱلوصال ، ومنهم من يحمله عليها عفةُ

---

(١) هكذا في النسخ الثلاث والذي في الاغاني وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة : فهن ينبذن الخ .

(٢) قال السيوطي : رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه واحمد والطبراني .

(٣) رواه ابن ماجه ورواه بنحوه البخاري ومسلم .

محبوبه ونزاهتُه ، ومنهم من يحمله عليها ٱلحياَءُ منه والاحتشامُ له وعظمتُه في صدره ، ومنهم من يحمله عليها ٱلرَّغبةُ في جميل ٱلذكر وحسن ٱلأُحدوثة ، ومنهم من يحمله عليها ٱلإبقاَءُ عَلَى جاهه ومروءته وقدره عند محبوبه وعند ٱلناس ، ومنهم من يحمله عليها كرمُ طبعه وشرفُ نفسه وعلوُّ همته ، ومنهم من يحمله عليها لذةُ ٱلظفر بالعفة فإن للعفة لذةً أعظمَ من لذة قضاَءِ ٱلوطر ، لكنها لذة يتقدمها أَلَمُ حبس ٱلنفس ثم يعقبها ٱللذة ، وأما قضاَءُ ٱلوطر فبالضد من ذلك . ومنهم من يحمله عليها علمُه بما تعقبه ٱللذةُ ٱلمحرمةُ من ٱلمضارّ والمفاسد . وجمع ٱلفجور خلال ٱلشرّ كلَّها كما ستقف عليه في ٱلباب ٱلذي يلي هذا إن شاء ٱلله تعالى .

فصل ولم يزل ٱلناسُ يفتخرون بالعفة قديماً وحديثاً ، قال إبراهيم ٱبن هرْمة :

ولربّ لذةِ ليلةٍ قد نلتُها ... وحرامُها بحلالها مدفوعُ

وقال غيره :

إذا ما هممنا صدّنا وازعُ ٱلتقى ... فولى عَلَى أعقابه ٱلهمُّ خاسئا

وقال آخر :

أتأْذنون لصبٍّ في زيارتكم ... فعندكم شهواتُ ٱلسمع والبصر

لا يُضمرُ ٱلسوءَ إن طالت إقامته ... عفُّ ٱلضميرِ ولكن فاسقُ ٱلنظر

وقال مسلم بن الوليد:

ألا رب يوم صادق العيش نلته ... بها وندماي العفافة والنهى

وقال آخر:

إن ترَيْني زاني العيـ ... ـنين فالفرجُ عفيف

ليس إلا النظرُ الفا ... تر والشعرُ الظريف

وقال الموسوي[1]:

بتنا ضجيعين في ثوبي هوًى وتقًى ... يلفّنا الشوقُ من فرقٍ إلى قدم

يشي بنا الطيبُ أحياناً وآونةً ... يضيئنا البرقُ مجتازاً على إضم

ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا ... وفي بواطننا بعدٌ عن التهم

وقال نِفطَوَيْه:

كم قد خلوتُ بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياءُ وخوفُ الله والحذرُ

وكم ظفرت بمن أهوى فيقنعني ... منه الفكاهة والتجميش والنظر

أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في حرامٍ منهمُ وطر

كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ ... لا خيرَ في لذّةٍ من بعدها سقَرُ

وقال [الشهاب] محمود بن سليمان صاحب ديوان الإنشاء (الحلبي):

لله وقفة عاشقين تلاقيا ... من بعد طول نوًى وبُعدِ مزار

يتعاطيان من الغرام مُدامةً ... زادتهما بعداً من الأوزار

صدقا الغرام فلم يمِل طرْفٌ إلى ... فُحْشٍ ولا كفٌّ لحلِّ إزار

---

(١) هو الشريف الرضي .

فتلاقيا وتفرّقا وكلاهما لم يخشَ مطعنَ عائبٍ أوزار

وقيل لِبُثَيْنة : هذا جميل لما به فهل عندك من حيلةٍ تُنفّسين بها وجدَه ؟ فقالت : ما عندي أكثر من النظر إلى أن ألقاه في الدار الأُخرى ، أو زيارته وهو ميت تحت الثرى . وقيل لعُتبة بعد موت عاشقها : ما كان يضرّك لو أمتعتيه بوجهك ؟ قالت : منعني من ذلك خوفُ العار ، وشماتةُ الجار ، ومخافةُ الجبار . وإن بقلبي أضعافَ ما بقلبه غير أني أجد ستْرَه أبقى للمودة ، وأحمدَ للعاقبة ، وأطوعَ [للرب] ، وأخفَّ للذنب .

وهَوِيَ فتىً امرأةً وهَوِيته وشاع خبرهما فاجتمعا يوماً خاليَيْن فقال لها : هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت : لا والله لا كان هذا أبداً وأنا أقرأُ : (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ)[1] . وقيل لبعضهم وقد هَوِيَ جاريةً فطال عشقُه بها : ما أنت صانعٌ لو ظفرت بها ولا يراكما إلاّ الله ؟ قال : والله لا جعلته أهونَ الناظرين إليّ ، لا أفعل بها خالياً إلاّ ما أفعله بحضرة أهلها ، حنينٌ طويل ، ولحظٌ من بعيد ، وأترك ما يُسخط الربّ ، ويفسد الحب .

إذا كان حظُّ المرء ممن يحبه حراماً فحظي ما يحِلّ ويجمُل
حديثٌ كماء المزْن بين فصوله عتابٌ به حسنُ الحديث يفصَّل
ولثمُ فَمٍ عذبِ اللِّثات كأنما جناهن شهدٌ فُتَّ فيه القرنفل
وما العشقُ إلاّ عفةٌ ونزاهة وأنسُ قلوب أُنسُهُنّ التغزُّل

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧

وإني لأستحيي ٱلحبيبَ من ٱلتي … تريب وأُدْعى للجميل فأُجمل

وقال آخر :

وإني لمشتاقٌ إلى كل غايةٍ … من ٱلمجد يكبو دونها ٱلمتطاول

بذولٌ لما لي حين يبخل ذو ٱلنُّهى … عفيفٌ عن ٱلفحشاء قَرمٌ حُلاحل

وما أَلطفَ قولَه حين يبخل ذو ٱلنُّهى فإن ذا ٱلنُّهى لا يبخل إلاَّ في موضع ٱلبخل ، فأَخبر هذا أنه يبذل مالَه حين يبخل به ربُّه في موضع ٱلبخل .

وقال [عامر] بن حذافة : رأَيت بصُحَار[1] جاريةً قد أَلصقت خدَّها بقبرٍ وهي تبكي وتقول :

خدي يَقيك خشونةَ ٱللحد … وأَقلُّ مالك سيدي خدي

يا ساكنَ ٱلتُّرب ٱلذي بوفاته … عَمِيَتْ عليَّ مسالكُ ٱلرشدُ

إِسمع فديتك قصتي فلعلني … أَشفى بذلك غُلَّةَ ٱلوجد

قال : فسأَلتها عن صاحب ٱلقبر فقالت : فتيّ رافقته في ٱلصبّا ثم أَنشأَت تقول :

كنا كزوج حمائمٍ في أَيكةٍ … متنعّمين بصحةٍ وشباب

فغدا ٱلزمان مشتّتًا بفراقه … إِن ٱلزمان مفرّقُ ٱلأَحباب

قال : فبكيت لرقة شعرها فأَنشأَت تقول :

تبكي عليه ولستَ تَعرِف أَمرَه … فلأَعلمنك حالَه ببيان

ما كان للمعافين غيرُ نواله … فإذا أُستجير ففارس ٱلفرسان

---

(١) قال الجوهري في الصحاح : صُحار بالضم : قصبة عُمان مما يلي الجبل .

لا يُتْبِعَ ٱلجيرانَ رفقةَ طرفه ويتابع ٱلإحسان للجيران

عفّ ٱلسريرة وٱلجهيرة مثلها فإذا ٱستضيم أراك فتق طعان

فقلت: أعلميني من هو قالت: سنان بن وَبْرَة ٱلذي يقول فيه [ٱلشاعر] :

يا رائداً غيثاً لنجعة قومه يكفيك من غيثٍ نوالُ سنان

ثم قالت: يا هذا وٱلله لولا أنك غريب ما متعتك من حديثي قلت: فكيف كان حبه لك؟ قالت: ما كان يوسّدني إذا نمت إلاّ يده، فمكثت معه أربعة أحوال ما توسّدت غيرها إلا في حالٍ يمنعه مانع .

وقال سعيد بن يحيى ٱلأموي : حدَّثني عمي محمد بن سعيد، حدثنا عبد ٱلملك بن عُمَير قال : كان أَخَوانِ من ثقيف من بني كُنَّةَ بينهما من ٱلتحابّ شيءٌ لا يعلمه إلا ٱلله، وكلّ واحدٍ منهما أخوه عنده عَدْلُ نفسه ، فخرج ٱلأكبر منهما إلى سفرٍ له وله ٱمرأةٌ فأوصى أخاه بحاجة أهله ، فبينا ٱلمقيم في دار ٱلظاعن إذ مرّت ٱمرأة أخيه في دِرْعٍ تجوز من بيتٍ إلى بيت ، وكانت من أجمل ٱلبشر ، فرأى شيئاً حيّره ، فلما رأته ولولت ووضعت يدها عَلَى رأسها ودخلت بيتاً ، ووقع حبّها في قلبه ، فجعل يذوب وينْحَلُ جسمه ويتغيّر لونه . وقدم أخوه فقال: ما لك يا أخي متغيّراً ما وجعك؟ قال: ما بي من وجعٍ فدعا له الأطباء فلم يقف أحدٌ عَلَى دائه غير ٱلحارث بن كَلَدة وكان طبيباً فقال : أرى عينين صحيحتين وما أدري هذا ٱلوجع وما أظنه إلاّ عاشقاً فقال [له] أخوه: سبحان ٱلله أسألك عن وجع أخي وأنت تستهزئ بي ، فقال:

ما فعلت ، وسأسقيه شراباً عندي فإن كان عاشقاً فسيتبين لكم ،
فأتاه بشراب [فجعل] يسقيه قليلاً قليلاً ، فلما أخذه الشراب هاج وقال :

أَلِمَّا بي عَلَى الأَبيا ت من خَيفِ نَزُرْهُنَّهْ
غزالٌ ما رأيت اليو م في دُور بني كُنَّهْ
أسيلُ الخدّ مربوبٌ وفي منطقه غُنَّهْ

فقال : أنت طبيب العرب فبمن ؟ قال : سأعيد له الشراب ولعله يسمي ،
فأعاد له الشراب فسمى المرأة فطلقها أخوه ليتزوجها فقال المريض :
عليّ كذا وكذا إن تزوّجتها ، فقضى ولم يتزوّجها .

وقال علي بن المبارك السراج : حدثنا أبو مسهر ، عن بكر بن عبد
الله قال : عرض الحجاج بن يوسف سجنه يوماً فأُتي برجل فقال : ما [كان]
جُرمك ؟ فقال : أصلح الله الأمير أخذني العَسَسُ وأنا مخبرك بخبري ،
فإن كان الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة قال : وما قصتك ؟
قال : كنت أخاً لفلان فضرب الأمير عليه البَعْثَ إلى خراسان ، فكانت
امرأته تهواني وأنا لا أشعر ، فبعثت إليّ ذات يومٍ رسولاً أن قد جاء
كتابُ صاحبك فهلمّ لتقرأه ، فمضيت إليها فجعلت تَشغَلُني بالحديث
حتى صلينا المغرب ، ثم أظهرت لي ما في نفسها مني ودعتني إلى السوء ،
فأبيت ذلك فقالت : والله لئن لم تفعل لأصيحنّ ولأقولنّ [إنك] لص ،
فخفتها والله أيها الأمير علَى نفسي فقلت : أمهليني حتى الليل ، فلما صليت
العَتَمَةَ وثقت بشدّة حرَس الأمير فخرجت من عندها هارباً ، وكان

ٱلقتلُ أيسرَ عليّ من خيانة أخي ، فلقيني عسسُ ٱلأمير فأخذوني ، وقد قلت في ذلك شعراً قال : وما قلت ؟ فقال :

رب بيضاءَ آنسٍ ذاتِ دَلٍّ قد دعتني لوصلها فأبيتُ

لم يكن شأنيَ ٱلعفاف ولكن كنت خِلاًّ لزوجها فاستحيتُ

فأمر بإطلاقه .

وقال ٱلربيع بن زياد : رأيت جاريةً عند قبرٍ وهي تقول :

بنفسي فتى أوفى ٱلبرية كلها وأقواهمُ في ٱلموت صبراً على ٱلحب

فقلت [لها] : بمَ صار أوفاهم وأقواهم ؟ قالت : هوِيَني فكان أهلي إن جاهر بحبي لاموه وإن كتمه عنّفوه ، فلما أخذه ٱلأمر قال :

يقولون إن جاهرتُ قد عضك ٱلهوى وإن لم أُبحْ بالحبّ قالوا تصبرا

وليس لمن يهوى ويكتم حبه من ٱلأمر إلاّ أن يموتَ فيعذرا

ولم يزل يردّد هذين ٱلبيتين حتى مات ، فوٱلله يا هذا لا أبرح أو يتصلَ قبرانا ، ثم شهقت [شهقة] فصاح ٱلنساء وقلن : قضت ، وٱلذي ٱختار لها ٱلوفاةَ فما رأيت أسرعَ ولا أوحى من أمرها . قال ٱبن ٱلدُّمَيْنَة :

وبتنا فُوَيْقَ ٱلحيّ لا نحن منهمُ ولا نحن بالأعداء مختلطان

وبات يقينا ساقطَ ٱلطّل وٱلندى من ٱلليل بُرْدا يُمْنَةٍ عَطِران

يذود بذكر ٱلله عنا غوى ٱلصبا إذا كان قلبانا له يَرِدان

ويصدر عن رِيّ ٱلعفاف وربما نقعنا غليل ٱلحب بالرَّشفان

قال أبو ٱلفرج : وشت جارية بُثَيْنَةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما :

إن جميلاً عندها ، فأتيا مشتملين على سيفيهما ، فرأياه خالياً حجرةً منها يحدثها ويشكو إليها بثه ثم قال لها: يا بثينة أرأيتِ ما بي من الشغف والعشق ألا تجزينيه ؟ قالت له: بماذا ؟ قال: بما يكون من المتحابين فقالت له: يا جميل أهذا تبغي ؟ والله لقد كنتَ عندي بعيداً منه، فإذا عاودت تعريضاً [بريبةٍ] لا رأيت وجهي أبداً ، فضحك وقال: والله ما قلت لكِ هذا إلا لأعلم ما عندك، ولو علمت أنك تجيبيني إليه لعلمت أنك تحبين غيري، ولو رأيت منك مساعدةً لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي إن طاوعتني نفسي، أو هجرتك أبداً أما سمعت قولي ؟

وإني لأرضى من بثينة بالذي	لو ابصره الواشي لقرّت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى	وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي	أواخره لا نلتقي وأوائله

فقال أبوها لأخيها: قم بنا فما ينبغي لنا بعد هذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من إتيانها .



الباب الرابع والعشرون

في ارتكاب سبيلي[1] الحرام وما يفضي اليه من المفاسد والآلام

حقيقٌ بكل عاقلٍ أن لا يسلك سبيلاً حتى يعلم سلامتها وأمانها وما توصل إليه تلك الطريق من سلامةٍ أو عطب، وهذان السبيلان هلاك الأولين والآخرين بهما، وفيهما من المعاطب والمهالك ما فيهما، ويُفضيان بصاحبهما إلى أقبح الغايات وشرّ موارد الهلكات، ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى سبيل الزنى شرَّ سبيل فقال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)[2] فإذا كانت هذه سبيلَ الزنى فكيف سبيل اللواط التي تعدِل الفعلة منه في الإثم والعقوبة أضعافها وأضعافَ أضعافها من الزنى ؟ كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، فأما سبيل الزنى فأسوأ سبيل، ومقيلُ أهلِها في الجحيم شرُّ مَقيل، ومستقَرُّ أرواحهم في البرزخ في تنُّورٍ من نارٍ يأتيهم لهبُها من تحتهم: فإذا أتاهم اللهَب ضجّوا وارتفعوا، ثم يعودون إلى موضعهم، فهم هكذا إلى يوم القيامة كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ورؤيا الأنبياء [وحيٌ] لا شك فيها .

---

(١) كذا في نسخة الامير وهامش ن وهو الموافق لقوله بعدُ وهذان السبيلان الخ . وفي الاصل : سبل .
(٢) سورة الاسراء الآية ٣٢

فروى ٱلبخاري في صحيحه من حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُب رضي ٱلله عنه قال: كان رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم مما يُكثر أن يقول لأصحابه: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟ فيَقُصُّ عليه ما شآءَ ٱللهُ أن يقصّ، وإنه قال لنا ذات غداةٍ: إنه أتاني ٱلليلةَ آتيانِ وإنهما ٱبتعثاني وإنهما قالا لي: ٱنطلق وإني ٱنطلقت معهما، وإنا أتينا عَلَى رجلٍ مُضطَجِع وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، وإذا هو يَهْوِي بٱلصخرة لرأسه فيَثْلَغُ رأسه فيَتَدَهْدَهُ [ٱلحجرُ] ها هنا، فيَتْبَعُ ٱلحجرَ فيأْخُذه فلا يرْجِعُ إِليه حتى يَصِحَّ رأْسُه كما كان، ثم يعود إِليه فيفعَلُ به مثل ما فعَلَ ٱلمرَّة ٱلأُولى قال: قلت لهما: سبْحَانَ ٱللهِ ما هذَانِ؟ [قال]: قالا لي: ٱنطلق ٱنطلق، [فٱنطلقنا] فأَتينا عَلَى رجلٍ مُسْتَلْقٍ لقفاه، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديدٍ، وإذا هو يأْتي أَحَدَ شِقَّيْ وجهه فيُشَرْشِرُ شِدْقَه إلى قفاه، ومَنْخِرَه إلى قفاه، وعينَه إلى قفاه، ثم يتَحَوَّل إلى ٱلجانب ٱلآخر فيَفْعل [به] مثلَ ما فَعَلَ بٱلجانب ٱلأَوَّل، فما يفْرُغ من ذلك ٱلجانب حتى يَصِحَّ ذلك ٱلجانبُ كما كان، ثم يعود عليه فيفْعَل مثل ما فعلَ ٱلمرَّةَ ٱلأُولى قال: قلت: سبْحَانَ ٱللهِ ما هذان ؟ قال: قالا لي: ٱنْطَلِقْ ٱنطلِق، فٱنطلقنا فأْتينا عَلَى مِثْلِ ٱلتَّنُّور، فإذا فيه لَغَطٌ وأصواتٌ، قال: فٱطَّلَعْنَا فيه فإذا فيه رجالٌ ونسآءٌ عُرَاةٌ، وإذا هم يأْتيهم لَهَبٌ من أَسفلَ منهم، فإذا أَتاهم ذلك ٱللَّهَبُ ضَوْضَوْا قال: قلت لهما: ما هؤُلَآء ؟ قال: قالا لي: ٱنطلِق ٱنطلق، فٱنطلقنا فأْتينا على

نَهَرٍ أحمرَ مثلِ الدّم ، وإذا في النَّهرِ رجلٌ [سابح] يَسبَحُ ، وإذا على شطِّ [النّهر] رجل قد جمع عنده حجارةً كثيرةً ، وإذا ذلك السابحُ يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارةَ ، فيفغرُ له فاه فيُلقِمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً ، قال : قلت لهما : ما هذان ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجلٍ كريهِ المرآةِ كأكرهِ ما أنت راءٍ رجلاً (مرآةً) ، وإذا عنده نارٌ يحشُّها ويسعى حولها ، قال : قلت لهما : ما هذا ؟ قال : قالا لي انطلق انطلِق ، فانطلقنا فأتينا على روضةٍ معتمّةٍ فيها من كل نوْرِ الرَّبيع ، وإذا بين ظهْري الرَّوضة رجلٌ طويلٌ لا أكاد أرى رأسَهُ طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قطّ قال : قلت لهما : ما هؤلاء قال : قالا لي : انطلق انطلق ، [فانطلقنا] فأتينا على دوْحةٍ لم أرَ دوْحةً قطّ أعظمَ منها ولا أحسنَ ، قال : قالا لي : ارْقَ فيها ، فارتقينا فيها إلى مدينةٍ مبْنيّةٍ بلَبِنِ ذهبٍ ولَبِن فضةٍ ، قال : فأتينا بابَ المدينة فاستفتحنا ففُتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خلْقِهم كأحسنِ ما أنت راءٍ ، وشطرٌ كأقبحِ ما أنت راءٍ قال : قالا لهم : اذهبوا فقعُوا في ذلك النَّهر قال : وإذا نَهَرٌ معترِضٌ يجري كأن ماءه المحْضُ في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السُّوءُ عنهم فصاروا في أحسنِ صورةٍ قال : قالا لي : هذه جنة عدْن ، وهذاك منزلُك قال :

فسما بصري صُعُداً فإذا قصرٌ مثل ٱلرَّبَابَة ٱلبَيْضَاء قال : قالا لي : هٰذاك منزلك قال : قلت لهما : بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا ذرَانِي فَأَدْخُلَهُ قالا : أما ٱلآن فلا، وأنت داخله . قال : قلت لهما : فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ ٱللَّيْلَةِ عجباً فما هٰذا ٱلَّذِي رَأَيْتُ ؟ قال : قالا لي : [أَمَا إِنا] سنخبرك أَمَّا ٱلرجل ٱلأَوَّل ٱلذي أتيت عليه يُثْلَغُ رأسُه بِٱلحجر فإنه ٱلرجلُ يأخذ ٱلقرآن فيرفُضُه وينام عن ٱلصلاة ٱلمكتوبة، وأما ٱلرجلُ ٱلذي أتيت [عليه] يُشَرْشَرُ شِدْقُه إلى قفاه ومَنْخِرُه إلى قفاه وعينُه إلى قفاه فإنه ٱلرجلُ يغدُو من بيته فيكذبُ ٱلكَذْبَةَ تبلُغ ٱلآفاق، وأما ٱلرجالُ وٱلنساءُ ٱلعُرَاةُ ٱلذين هم في [مثل] بناء ٱلتَّنُّور فإنهم ٱلزُّنَاةُ وٱلزَّواني، وأما ٱلرجلُ ٱلذي أتيت عليه يسبح في ٱلنَّهر ويُلْقَمُ ٱلحجرَ فإنه آكلُ ٱلرِّبَا ، وأما ٱلرجل ٱلكَرِيهُ ٱلمرْآةِ ٱلذي عند ٱلنار يَحُشُّهَا ويسعى حولها فإنه مالكٌ خازنُ جهنم ، وأما ٱلرجلُ ٱلطويل ٱلذي في ٱلروضة فإنه إبراهيم ، وأما ٱلوِلدان ٱلذين حوله فكلُّ مولودٍ [مات] عَلَى ٱلفطرة : قال : فقال بعض ٱلمسلمين : يا رسولَ ٱلله وأولاد ٱلمشركين ؟ قال : وأولاد ٱلمشركين ، وأما ٱلقومُ ٱلذين كانوا شطرٌ منهم حَسَنٌ وشطرٌ منهم قبيحٌ فإنهم قومٌ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز ٱلله عنهم (١)

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وفي هذا الحديث من الفوائد ان الاسراء وقع مراراً يقظة ومناماً على انحاء شتى . وقال مؤلف هذا الكتاب في كتاب زاد المعاد له ما ملخصه . وكان الاسراء مرة واحدة وقيل : مرتين مرة يقظة ومرة مناماً

وقال أبو مسلم الكجي : حدثنا صدقة بن جابر ، عن سليم بن عامر ، قال : حدثني أبو أمامة الباهلي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأخرجاني فأتيا بي جبلاً وعراً وقالا لي : اصعد فقلت : إني لا أطيقه فقالا : سنسهله لك قال : فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات مديدة فقلت : ما هذه الأصوات ؟ فقالا : هذا عوى أهل النار ، ثم انطلق بي فإذا [أنا] بفوج أشد شيء انتفاخاً وأنتنه ريحاً وأسوأه منظراً فقلت : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء قتلى الكفار ، ثم انطلق وإذا بفوج أشد شيء انتفاخاً وأنتنه ريحاً كأن ريحهم المراحيض فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون والزواني (1) .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا نوح بن قيس قال : حدثني أبو هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليلة أسرى بي انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير نساء متعلقات بثديهن ومنهن بأرجلهن منكسات ، ولهن صراخ وخوار فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن ويجعلن لأزواجهن ورثة من غيرهم .

ـ ومنهم من قال بل ثلاث مرات مرة قبل الوحي ومرتين بعده وكل هذا خبط والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة .

(1) هذا الحديث اورد بعضه الحافظ ابن حجر في الفتح عقب الحديث السابق كما فعل المؤلف هنا .

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكَين : حدّثنا عبد السلام بن شدّاد ، عن غزْوان بن جرَير ، عن أبيه أنهم تذاكروا عند علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه الفواحشَ فقال لهم : هل تدرون أي الزنى أعظمُ ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين كلّه عظيم قال : ولكن سأُخبركم بأَعظم الزنى عند الله ، هو أن يزْنيَ الرجلُ بزوجةِ الرجل المسلم فيصير زانياً وقد أفسدعلى الرجل زوجته ثم قال عند ذلك : إن الناس يرْسَل عليهم يومَ القيامة ريحٌ منتنةٌ حتى يتأذى منها كل برّ وفاجرٍ ، حتى إذا بلغت منهم كلَّ مبلغٍ وألَمَّتْ أن تمسك بأنفاس الأُمم كلهم ناداهم منادٍ يُسمعهم الصوتَ ويقول لهم : هل تدرون ما هذه الريحُ التي قد آذتكم ؟ فيقولون لا ندري والله إلا أنها قد بلغت منّا كلّ مبلغٍ ، فيقال : ألا إنها ريح فروج الزُّناة الذين لقُوا اللهَ بزناهم ولم يتوبوا منه ، ثم يصرف بهم ، فلم يذكر عند الصرف [بهم] جنةً ولا ناراً .

وقال الخرائطي : حدثنا علي بن داود القنطري ، حدَّثنا سعيد ابن عفير ، حدّثني مسلم بن علي الخُشَني ، عن أبي عبد الرحمن ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذَيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يَا معْشَرَ المُسْلمينَ إيَّاكُمْ وَالزِّنَى فَإنَّ فيهِ ستَّ خِصَالٍ : ثَلاَثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلاَثٌ فِي الآخرَةِ ، فَأَمَّا اللَّوَاتي فِي الدُّنيا فذهَابُ الْبَهَاءِ ، وَدَوَامُ الْفقْرِ ، وقِصَرُ العُمْرِ . وَأَمَّا اللَّوَاتي فِي الآخِرَةِ

[فَسَخَطُ ٱللهِ ، وَسُوءُ ٱلحِسَابِ] ، وَدُخُولُ ٱلنَّارِ [1] .

ويُذكر عن أنس بن مالكٍ رضي ٱلله عنه قال : ٱلمُقِيمُ عَلَى ٱلزِّنى كعابد وثنٍ ، ورفعه بعضهم وهذا أولى أن يُشبَّه بعابد الوثن من مدْمِن ٱلخمر ، وفي ٱلمسند وغيره مرفوعاً : مُدْمِنُ ٱلخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ . فإنّ ٱلزنى أعظمُ من شرب ٱلخمر قال ٱلإمام أحمد بن حنبل رحمه ٱلله تعالى : ليس بعد قتل ٱلنفس أعظمُ من ٱلزنى . وفي ٱلصحيحين من حديث أبي وائلٍ عن عبد ٱلله بن مسعود رضي ٱلله عنه قال : قلت يا رسول ٱلله أيُّ ٱلذنبِ أعظمُ عند ٱلله؟ قال أَنْ تَجعلَ لِلهِ نِدًّا وَهوَ خَلَقَكَ قال : قلت : ثُم أي؟ قال : أَنْ تَقتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ : قال : قلت : ثم أَي ؟ قال : أَنْ تزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ فأنزل ٱلله تصديقَ ذلك في كتابه (وَٱلَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلٰهًا آخرَ وَلا يَقتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حرَّمَ ٱللهُ إِلاَّ بِٱلحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) [2]

وقال قُتَيْبَةُ بن سعيد : حدثنا ٱبنُ لَهِيعَة عن ٱبن أَنْعُمٍ عن رجل عن عبد ٱلله بن عمرو رضي ٱلله عنه قال : قال رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : ٱلزَّانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ لا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلقِيامَةِ وَلا

---

(١) ذكره السيوطي بنحوه في الجامع الكبير وقال : رواه الخرائطي في مساوي الاخلاق وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وضعفه ، وابو الفتح الراشدي في جزئه والرافعي .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٨

يزكيه ويقول له : ادخل النار مع الداخلين [1] وذكر سفيان بن عيينة ، عن جامع بن شداد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : إذا بخس المكيال حبس القطر ، وإذا ظهر الزنى وقع الطاعون ، وإذا كثر الكذب كثر الهرج . وفي الصحيحين [2] من حديث الأعمش ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر . وذكر سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي بن حراش ، عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يبغض ثلاثة : الشيخ الزاني ، والمقل المختال ، والبخيل المنان [3] . وذكر الأعمش ، عن خيثمة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل الذي يجلس على فراش المغيبة مثل الذي ينهشه الأساود يوم القيامة [4] . المغيبة هي

---

(١) قال السيوطي : رواه الخرائطي في مساوي الاخلاق والديلمي في مسند الفردوس :

(٢) فتشت عن هذا الحديث في صحيح البخاري فلم اجده فرجعت الى الجامع الصغير فوجدته لم يشر فيه الى رواية البخاري بل قال : رواه مسلم والنسائي .

(٣) قال السيوطي : رواه احمد وابن حبان والضياء المقدسي .

(٤) قال السيوطي : رواه الطبراني في الكبير والخرائطي في مساوي الاخلاق .

ٱلتي قد سافر زوجها في جهادٍ أو حجٍّ أو غيرهما ، وفي ٱلنسائي وغيره من حديث بريدة عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال : حُرْمَةُ نِسَآءِ ٱلْمُجَاهِدِينَ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ كَأُمَّهَاتِهِمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ ٱلْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ إِلاَّ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُقَالُ : يَا فُلاَنُ هَذَا فُلاَنٌ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ ثُمَّ ٱلْتَفَتَ ٱلنبيُّ صلى ٱلله عليه وسلم إلى أصحابهِ فقال : مَا تَرَوْنَ يَدَعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا ؟ وَفِي لَفْظٍ : وإذا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ قِيلَ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ فَمَا ظَنُّكُمْ ؟

ويكفي في قُبح ٱلزنى أن ٱلله سبحانه [وتعالى] مع كمال رحمته شرع فيه أفحشَ ٱلقتلات وأصعبها وأفضحها وأمر أن يشهدَ عبادُه ٱلمؤمنون تعذيبَ فاعِله ، ومن قبحه أن ٱلله سبحانه فطَر عليه بعض ٱلحيوان ٱلبُهْم ٱلذي لا عقلَ له كما ذكر ٱلبخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون ٱلأودي قال : رأيت في ٱلجاهلية قِرْداً زنى بقردةٍ فاجتمع عليهما ٱلقرود فرجموهما حتى ماتا وكُنتُ فيمن رجمهما .

فصل وٱلزنى يجمع خِلال ٱلشرّ كلَّها من قلة ٱلدين وذهابِ ٱلورع وفساد ٱلمرُوءة وقلة ٱلغيرة ، فلا تجد زانياً معه ورعٌ ، ولا وفاءٌ بعهدٍ ، ولا صدقٌ في حديث ، ولا محافظةٌ على صديقٍ ، ولا غيرةٌ تامَّة على أهله . فٱلغدرُ وٱلكذب وٱلخيانةُ وقلةُ ٱلحياء وعدمُ

المراقبة وعدمُ الأَنَفَة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شُعَبه وموجباته. ومن موجباته غضبُ الرّب بإفساد حرمه وعياله، ولو تعرّض رجلٌ إلى ملكٍ من الملوك بذلك لقابله أَسوءَ مقابلة، ومنها سوادُ الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقتِ الذي يبدو عليه للناظرين، ومنها ظلمةُ القلب وطَمسُ نوره وهو الذي أوجب طمسَ نور الوجه وغِشيان الظُّلْمة له. ومنها الفقرُ اللازم وفي أثرٍ يقول الله تعالى: أنا الله مُهْلِكُ الطُّغَاة، ومُفقرُ الزُّناة. ومنها أنه يُذهب حُرْمَةَ فاعله، ويُسقطه من عين ربه ومن أعين عباده. ومنها أنه يسلُبه أَحسنَ الأَسماء وهو اسم العِفّة والبِرّ والعدالة، ويعطيه أضدادَها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن. ومنها أنه يسلُبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يَزْني الزّاني حينَ يزْني وَهوَ مؤمنٌ. فسلبه اسم الإيمان المطلَق وإن لم يَسلُب عنه مطلقَ الإيمان. وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث فخطّ دائرةً في الأَرض وقال: هذه دائرة الإيمان، ثم خطّ دائرةً أُخرى [خارجةً عنها] وقال: هذه [دائرة] الإسلام، فإذا زنى العبد خرج من هذه ولم يخرج من هذه. ولا يلزم من ثبوت جزءٍ ما من الإيمان له أن يسمّى مؤمناً، كما أن الرجلَ يكون معه جزءٌ من العلم والفقه ولا يسمّى به عالماً فقيهاً، ومعه جزءٌ من الشجاعة والجود ولا يسمى بذلك شجاعاً ولا جواداً، وكذلك يكون معه شيءٌ من التقوى ولا يسمى متّقيًّا. ونظائره. فالصواب

إجراء الحديث على ظاهره ولا يتأول بما يخالف ظاهره والله أعلم .
ومنها أن يعرّض نفسه لسُكنى التنّور الذي رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم فيه الزُناة والزواني . ومنها أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيثَ الذي وصف الله به الزُناة كما قال [الله] تعالى : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)(١) وقد حرّم الله [الجنة] على كل خبيثٍ ، بل جعلها مأوى الطيّبين ولا يدخلها إلاّ طيّب قال الله تعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(٢) وقال تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)(٣) فإنما استحقوا سلامَ الملائكة ودخول الجنة بطيبهم ، والزُناة من أخبث الخلق ، وقد جعل الله سبحانه جهنمَ دار الخبيث وأهلِه ، فإذا كان يوم القيامة ميّز الخبيثَ من الطيّب وجعلَ الخبيثَ بعضَه على بعضٍ ثم ألقاه وألقى أهلَه في جهنم [فلا يدخل النارَ] طيبٌ ، ولا يدخل الجنة خبيث .
ومنها الوَحشةُ التي يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب الزاني ، وهي نظير الوَحشة التي تعلو وجهه ، فالعفيف على وجهه حلاوةٌ وفي قلبه أنس ، ومَن جالسه استأنس به ، والزاني تعلو وجهَه الوَحشةُ ومن

---

(١) سورة النور الآية ٢٦
(٢) سورة النحل الآية ٣٢
(٣) سورة الزمر الآية ٧٣

جالسه استوحش به . ومنها قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له ، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم ، بخلاف العفيف فانه يرزق المهابة والحلاوة . ومنها أن الناس ينظرون بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمته ولا على ولده . ومنها الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم ، تفوح من فيه وجسده ، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه ولكن كما قيل :

كلٌّ به مثلُ ما بي غير أنهم من غيرةٍ بعضُهم للبعض عذال

ومنها ضيقة الصدر وحرجه فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم ، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خيرٍ قط . ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيبِ العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعافُ أضعافِ ما حصل له ، دع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته . ومنها أنه يعرِّض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن ، وقد تقدم أن الله سبحانه [وتعالى] إذا كان عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا ، بل كل ما ناله العبد في الدنيا فإن توسع في حلاله ضيق من حظه يوم

ٱلقيامة بقدر ما توسّع فيه ، وإن ناله من حرامٍ فاته نظيرُه يوم ٱلقيامة .

ومنها أن ٱلزّنى يجرّئه عَلَى قطيعة ٱلرّحم وعقوقِ ٱلوالدين وكَسْبِ ٱلحرام وظُلْم ٱلخلق وإضاعة أهله وعياله ، وربما قاده قسراً إلى سفك ٱلدّم ٱلحرام ، وربما ٱستعان عليه بالسحر وبالشرك وهو يدري أو لا يدري: فهذه ٱلمعصية لا تَتِمّ إلاَّ بأنواعٍ من ٱلمعاصي قبلَها ومعها ، ويتولّد عنها أنواعٌ أُخَرُ من ٱلمعاصي بعدها ، فهي محفوفةٌ بجندٍ من ٱلمعاصي قبلَها وجندٍ بعدها ، وهي أجلب شيءٍ لشر ٱلدُّنيا وٱلآخرة ، وأَمنعُ شيءٍ لخير ٱلدنيا وٱلآخرة ، وإذا علَقت بالعبد فوقع في حبائلها وأشراكها عزّ عَلَى ٱلناصحين ٱستنقاذُه ، وأعيي ٱلأطباءَ دواؤه ، فأَسيرُها لا يُفدَى ، وقتيلُها [لا يُودَى] ، وقد وكّلها ٱللّٰه سبحانه بزوال ٱلنّعم ، فإذا ٱبْتُلِيَ بها عبدٌ فليودّع نِعَم ٱللّٰه فإنها ضيفٌ سريعُ ٱلانتقال ، وَشيكُ ٱلزّوال قال ٱللّٰه تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(١) وقال تعالى : (وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)(٢)

فصل فهذا بعض ما في هذه ٱلسبيل من ٱلضرر ، وأما سبيلُ ٱلأمة ٱللُّوطيَّة فتلك سبيلُ ٱلهالكين ٱلمُفْضِيَةُ بسالكها إلى منازل المعذَّبين ٱلذين جمع ٱللّٰه عليهم من أنواع العقوبات ما لم يجمعه عَلَى أمةٍ من ٱلأُمم ،

---

(١) سورة الانفال الآية ٥٣ (٢) سورة الرعد الآية ١١

لا من تأخّر عنهم ولا من تقدّم ، وجعل ديارَهم وآثارهم عبرةً للمعتبرين ، وموعظةً للمتقين . وكتب خالد بن الوليد إلى أبي بكرٍ الصدّيقِ رضي الله عنهما أنه وَجد في بعض ضواحي العَرب رجلاً يُنكَحُ كما تنكح المرأَة ، فجمع أَبو بكر رضي الله عنه لذلك ناساً من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه فاستشارهم ، فكان عليّ رضي الله عنه أَشدَّهم قولاً فيه فقال : إن هذا لم يعمل به أُمةٌ من الأُمم إلاّ أُمةٌ واحدةٌ فصنع الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن تحرقوه بالنار ، فأَحرقوه بالنار[1] . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعةٌ من الصحابة والتابعين : يُرْجَم بالحجارة حتي يموت أُحصن أَو لم يُحصَن ، ووافقه علَى ذلك الإمام أَحمد وإِسحاق ومالك وقال الزُّهري : يرْجَم أُحصِن أَو لم يُحصَن ، سنةٌ ماضيةٌ وقال جابر بن زيد في رجل غَشيَ رجلاً في دُبره قال : الدبرُ أَعظمُ حرُمةً من الفرج ، يرْجَم أُحصن أَو لم يُحصَن وقال الشّعْبي : يُقْتَل أُحصن أَو لم يُحصَن . وسئل ابن عباس عن اللُّوطي ما حدُّه ؟ قال : ينظَر أَعلى بناء في المدينة فيُرمى منه مُنكَساً ثم يُتْبع بالحجارة . ورجم عليٌّ لوطياً وأَفتى بتحريقه . وكأَنه رأى جواز هذا وهذا . وقال إبراهيم النَّخَعي : لو كان أَحدٌ ينبغي له أَن يرْجَم مرّتين لكان ينبغي للوطي أَن يرجَم مرّتين . وذهبت طائفةٌ إلى أَنه يرجَم إن أُحصن ويُجلد إن لم يُحْصَن . وهذا قول الشافعي وأَحمدَ

(١) قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر : رواه ابن ابي الدنيا ومن طريقه البيهقي

في روايةٍ عنه وسعيد بن ٱلمسيَّب في روايةٍ عنه وعطآء بن أبي رباح ·
قال عطآء : شهدت ابن ٱلزبير أُتِيَ بسبعةٍ أُخذوا في ٱللِّواط : أَربعة
منهم قد أُحصنوا ، وثلاثة لم يُحصَنوا ، فأمر بالأربعة فأخرجوا من
ٱلمسجد ٱلحرام فرُجموا بالحجارة ، وأَمر بالثلاثة فضربوا ٱلحدّ وفي
ٱلمسجد [ٱبن] عمر وٱبن عباس فالصحابة ٱتفقوا عَلَى قتل ٱللُّوطيّ وإِنما
ٱختلفوا في كيفية قتله ، فظن بعضُ ٱلناس أَنهم متنازعون في قتله ولا
نزاع بينهم فيه إلاّ في إِلحاقه بالزاني أَو قتله مطلقاً ·

وقد ٱختلف ٱلناس في عقوبته عَلَى ثلاثة أَقوال : أَحدُها أَنها أَعظم
من عقوبة ٱلزنى [كما أَن عقوبته في الآخرة أَشدّ] ، الثاني أَنها مثلُها ،
الثالث أَنها دونها ، وذهب بعض ٱلشافعية إِلى أَن عقوبةَ ٱلفاعل كعقوبة
الزاني ، وعقوبةَ ٱلمفعول به ٱلجَلْدُ مطلقاً بكراً كان أَو ثيباً قال : لأَنه
لا يلتذّ بالفعل به بخلاف ٱلفاعل · وذهب بعضُ ٱلفقهآء إِلى أَنه لا حدّ
عَلَى واحدٍ منهما قال : لأَن ٱلوازع عن ذلك ما في ٱلطباع من ٱلنَّفْرة عنه
وٱستقباحه ، وما كان ذلك لم يحتج إِلى أَن يَزْجرُ ٱلشارعُ عنه بالحدّ
كأَكل ٱلعَذِرَة وٱلميْتة وٱلدم وشربِ ٱلبول ، ثم قال هؤُلآء : إِذا أَكثر
منه ٱللُّوطيّ فللإِمام قتلُه تعزيراً ، صرّح بذلك أَصحاب أَبي حنيفة ·
وٱلصحيحُ أَن عقوبتَه أَغلظُ من عقوبة ٱلزاني لإِجماع ٱلصحابة عَلَى ذلك
ولغِلَظ حرمته وٱنتشار فساده ولأَن الله سبحانه [وتعالى] لم يعاقب أُمةً
ما عاقب اللُّوطيّة ·

قال ابن أبي نجيح في تفسيره عن عمرو بن دينار في قوله تعالى (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)[1] قال : ما نزا ذكرٌ على ذكرٍ حتى كان قوم لوط . وقال محمد بن مخلد : سمعت عباساً الدُّوريَّ يقول : بلغني أن الأرض تعجُّ إذا ركب الذَّكرُ على الذكر .
وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن كعب قال : كان إبراهيم يُشْرِف على سدوم فيقول : ويل لكِ سدوم يوماً ما لك ، فجاءت إبراهيمَ الرُّسلُ وكلّمهم إبراهيم في أمر قوم لوط قالوا : يا إبراهيم أَعْرِضْ عَنْ هَذا قال : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً)[2] فذهب بهم إلى منزله فذهبت امرأته فجاءه قومه يُهْرَعونَ إليه فقال : (يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)[3] أزوِّجكم بهن (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)[3] ؟ وجعل لوطٌ الأضياف في بيته وقعد على باب البيت وقال : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)[4] قال أي عشيرة تمنعني قال : ولم يبعث نبيٌّ بعد لوط إلَّا في عزٍّ من قومه ، فلما رأت الرُّسلُ ما قد لقي لوطٌ في سببهم (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)[5] فخرج [عليهم] جبريل عليه السلام فضرب وجوههم بجناحه ضربة طمست

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٢٨

(٢و٣و٤و٥) سورة هود الآيات ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٨٠ ـ ٨١

أعينهم قال : والطمس أن تذهب حتى تستوي ، واحتمل مدائنهم حتى سمع أهل سماء الدنيا نبيح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل قال : على أهل بواديهم وعلى رعاتهم وعلى مسافريهم ، فلم ينفلت منهم إنسان . وقال مجاهد : نزل جبريل عليه السلام فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فرفعها حتى سمع أهل السماء نبيح الكلاب وأصوات الدجاج والديكة ، ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة .

وفي تفسير أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أغلق لوط على ضيفه الباب فخلعوا الباب ودخلوا ، فطمس جبريل أعينهم فذهبت أبصارهم فقالوا : يا لوط جئتنا بالسحرة ؟ وتوعدوه ، فأوجس في نفسه خيفة قال : يذهب هؤلاء ويؤذي ، فقالوا : لا تخف إنا رسل ربك إن موعدهم الصبح قال لوط : الساعة قال جبريل : أليس الصبح بقريب ؟ قال : فرفعت المدينة حتى سمع أهل السماء نبيح الكلاب ثم أقلبت ورموا بالحجارة . وقال حذيفة بن اليمان : لما أرسلت الرسل إلى قوم لوط لتهلكهم قيل لهم : لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث مرات ، وطريقهم على إبراهيم [قال] فأتوا إبراهيم فبشروه بما بشروه ، (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ)[1] قال : كان مجادلته إياهم أن قال لهم : إن كان فيهم

(١) سورة هود الآية ٧٤

خمسون أتهلكونهم ؟ قالوا : لا قال: أفرأيتم إن كان فيهم أربعون قالوا: لا قال : فثلاثون قالوا : لا حتى انتهى إلى عشرة أو خمسة ، فأتوا لوطاً وهو في أرضٍ يعمل فيها فحسبهم ضيفاً ، فأقبل بهم حين أمسى إلى أهله فأتوا معه فالتفت إليهم فقال : أما ترون ما يصنع هؤلاء قالوا: وما يصنعون؟ قال: ما من الناس أحدٌ شرٌ منهم قال: فانتهى بهم إلى أهله فانطلقت العجوز السوء امرأته فأتت قومه فقالت : لقد تضيّف لوطاً الليلةَ قومٌ ما رأيت قطُّ أحسنَ وجوهاً ولا أطيبَ ريحاً منهم ، فأقبلوا يُهْرَعُونَ إليه حتى دفعوا الباب حتى كادوا أن يقلبوه عليهم ، فقال ملكٌ بجناحه فصفقه دونهم ثم أغلق الباب ثم علوا الأجاجير(١) فجعل يخاطبهم فقال : (هؤلاء بَنَاتي هنَّ أطهَرُ لكُمْ)(٢) حتى بلغ (أوْ آوي إلىٰ رُكْنٍ شَديدٍ . قالُوا يَا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ)(٣) فطمس [جبريل] أعينهم فما بقي أحدٌ منهم تلك الليلة حتى عَمِيَ قال: فباتوا بشرٍّ ليلةٍ عُمْياً ينتظرون العذاب . قال: وسار بأهله واستأذن جبريلُ عليه السلام في هلاكهم فأذن له ، فارتفع بالأرض التي كانوا عليها فألوى بها حتى سمع أهلُ السماء الدنيا ضُغاءَ كلابهم ، وأوقد تحتها ناراً ثم قلبها بهم قال : فسمعت امرأته الوَجْبَةَ وهي معه فالتفتت فأصابها العذاب .

---

(١) الأجاجير : جمع إجّار وهو السطح .

(٢و٣) سورة هود الآيات ٧٨ـ٨٠ و ٨١

وفي تفسير العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما : جادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا فقال : أرأيتم إن كان فيهم عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة أبيات ولا خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان ، فحزن إبراهيم على لوط وأهل بيته و (قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)[1] فذلك قوله : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)[2] فقالت الملائكة (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)[3] فبعث الله إليهم جبريل فانتسف المدينة ومن فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وتبعتهم الحجارة بكل أرض . فأهلك الله سبحانه الفاعل والمفعول به والساكت الراضي والدال المحصن منهم وغير المحصن العاشق والمعشوق ، وأخذهم وهم في سكرة عشقهم يعمهون .

وذكر ابن أبي داود[4] في تفسيره عن وهب بن منبه قال : إن الملائكة حين دخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه فاحتفل لهم وحرص على كرامتهم ، وخالفته امرأته إلى فساق قومه فأخبرتهم أنه ضاف لوطاً أحسن الناس وجهاً وأنضرهم جمالاً وأطيبهم ريحاً ،

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٣٢ (٢و٣) سورة هود الآيات ٧٤و٧٥ـ٧٦

(٤) في نسخة الامير وهامش ن : ابن ابي الدنيا ولا نعلم ان لابن ابي الدنيا تفسيراً .

فكانت هذه خيانتها التي ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه . [وفيه] عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله : (فَخَانَتَاهُمَا)[1] قال : والله ما زنتا ولا بغت امرأة نبيٍّ قطّ فقيل له : فما كانت خيانة امرأةِ نوح وامرأة لوطٍ ؟ فقال : أما امرأة نوحٍ فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما امرأة لوطٍ فإنها كانت تَدُلّ عَلَى الضيف .

وقال أبو مسلم الليثي في مسنده : حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حدّثنا عبد الله بن محمد ابن عقيل قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ أخوفَ ما أخافُ عَلَى أُمتي مِنْ بعْدِي عَمَلُ قوْمِ لُوطٍ[2] وقال هشام بن عمّار : حدثنا عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِي عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قومِ لُوطٍ (رواه الإمام أحمد) وقال القعْنَبي : حدَّثنا عبد العزيز هو الدَّرَاوَرْدي ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب المخزومي ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لَعَنَ اللهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ ، وَلَعَنَ الله

---

(١) سورة التحريم الآية ١٠

(٢) قال السيوطي : رواه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم .

مَنْ كمه أعمى عن السبيل، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط ثلاثاً، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من وقع على بهيمة[1]. هذا الإسناد على شرط البخاري.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا بشر بن المفضل، عن خالد الحذاء، عن محمد بن سيرين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا باشر الرجلُ الرجلَ فهما زانيان وفي لفظ: إذا أتى الرجلُ الرجلَ[2]. وفي المسند والسنن من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقتلوا الفاعل والمفعول به، وفي لفظ: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به[3]. وإسناده على شرط البخاري. وروى سهيلُ بن أبي صالح [عن أبيه]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فارجموه أو قال: فاقتلوا الفاعل والمفعول به.

وحرق اللوطية بالنار أربعةٌ من الخلفاء: أبو بكر الصدِّيقُ، وعليُّ بنُ أبي طالب، وعبدُ الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك[4].

---

(١) قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر: رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي.

(٢) قال السيوطي: رواه البيهقي في السنن.

(٣) قال ابن حجر في الزواجر: رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي.

(٤) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب وغيره.

وقال حمّاد بن سلَمة عن قتادة، عن خِلاس، عن عبيد ٱلله بن معمر قال: يُقتَلُ ٱللوطيّ. وقال سعيد بن ٱلمسيّب: عندنا علَى ٱللُّوطيّ ٱلرجم أُحصن أَو لم يُحصَنْ سنّةٌ ماضية، وهذا يدل علَى أَن ذلك سنةٌ مضى عليها ٱلعمل. وقال ٱلشعبيّ: يُقتَلُ أُحصن أو لم يُحصَن. وقال ٱلزهري وربيعةُ وٱبن هرمز ومالكُ بن أَنس: عليه ٱلرجم أُحصِن أو لم يحصن وقال بعض ٱلعلماء: وإنما قال سعيد بن ٱلمسيَّب إِن ذلك سنةٌ ماضيةٌ لقول ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم: ٱقتلُوا ٱلفاعِلَ وَٱلْمفعُول بِهِ، ولم يقل محصناً أو غيرَ محْصَن. وحرقهم أبو بكرٍ رضي ٱلله عنه بٱلنار بعد مشاورة ٱلصحابة وأشار عليه علي بن أبي طالب رضي ٱلله عنه بذلك وحرقهم عليٌّ وٱبن ٱلزبير كما ذكره ٱلآجريّ[1] وغيرُه عن محمد بن ٱلمنكدر أن خالدَ بن ٱلوليد كتب إلى أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي ٱلعرب يُنكَح كما تُنكَح ٱلمرأَةُ فجمع أَبو بكرٍ لذلك أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عليٌّ بن أبي طالب رضى ٱلله عنهم فقال عليّ: إن هذا ذنبٌ لم يعمل به إلاَّ أُمةٌ واحدةٌ ففعل ٱلله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بٱلنار، فٱجتمع رأي أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحرَق بالنار. فأمر به أبو بكر أن يحرق. قال: و[قد] حرقهم ٱبن ٱلزبير وهشام بن عبد الملك وقال ٱبن عباس رضي الله عنهما يُرجم ٱللوطيّ بكراً كان أو ثيّباً. وقال عمر بن ٱلخطاب رضي الله عنه: من عمِل عمل قوم لوطٍ فٱقتلوه، ولم يفرّق أحدٌ منهم

بين المحصن وغيره وصرح بعضهم بعموم الحكم للمحصن وغير المحصن، فلذلك قال ابن المسيب: إن هذا سنة ماضية .

وفي مسائل إسحاق بن منصور الكوسج قلت لأحمد: يُرْجَم اللوطي أحصن أو لم يُحْصَن؟ فقال: يرجم أحصن أو لم يحصن . قال إسحاق ابن راهويه: هو كما قال . والسنة في الذي يعمل عمل قوم لوط أن يُرْجَمَ محصناً كان أو غيرَ محصن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوهُ، رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ثم أفتى ابن عباس بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يعمل عمل قوم لوطٍ أنه يُرْجَمَ وإن كان بكراً، فحكم في ذلك بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك رُوي عن علي بن أبي طالب مثلُ هذا القول إن اللوطيَّ يُرجم ولم يذكر محصناً [كان] أو غير محصَن، وكذلك فعل الله سبحانه بقوم لوط، وكذا يُرْوى عن أبي بكر الصدّيقِ رضي الله عنه أنه حرقهم بالنار . هذا كلام إسحاق [رحمه الله] .

وذكر الآجري في كتاب تحريم اللواط من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: سَبْعَةٌ لاَ يَنظُرُ اللهُ إِلَيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَيَقُولُ: اُدْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ: الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ، وَالنَّاكِحُ يَدَهُ، وَنَاكِحُ الْبَهِيمَةِ، وَنَاكِحُ الْمَرْأَةِ فِي دُبُرِهَا، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَابْنَتِهَا، وَالزَّانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ، وَالْمُؤْذِي لِجَارِهِ حَتَّى يَلْعَنَهُ . وذكر عن أنس

مرفوعاً [نحوه] وقال : أُدْخُلُوا ٱلنَّارَ أَوَّلَ ٱلدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا ، فَمَنْ تَابَ تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ : ٱلنَّاكِحُ يَدَهُ وَٱلْفَاعِلُ ، وَٱلْمَفْعُولُ بِهِ ، وَمُدْمِنُ ٱلْخَمْرِ ، وَٱلضَّارِبُ أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا ، وَٱلْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ ، وَٱلزَّانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ[1] . وقال مجاهد : لو أن ٱلذي يعمل ذلك ٱلعمل يعني عمل قوم لوطٍ ٱغتسل بكل قطرةٍ في ٱلسماء وكلِّ قطرةٍ في ٱلأرض لم يزل نجِساً ، وقد ذكر ٱلله سبحانه عقوبةَ ٱللوطية وما حلّ بهم من ٱلبلاء في عشر سُوَرٍ من ٱلقرآن وهي سورة ٱلأعراف ، وهود ، وٱلحِجْر ، وٱلأنبياء ، وٱلفرقان ، وٱلشعراء ، وٱلنمل ، وٱلعنكبوت ، وٱلصافّات ، وٱقتربت ٱلساعة ، وجمع علَى ٱلقوم بين عَمى ٱلأبصار وخَسْفِ ٱلديار وٱلقَذْف بالأحجار ، ودخولِ ٱلنار . وقال محذّراً لمن عَمِلَ عمَلَهم ما حلّ بهم من ٱلعذاب ٱلشديد : (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ)[2] وقال بعض ٱلعلماء : إذا علا ٱلذكَرُ ٱلذكرَ هربت ٱلملائكةُ ، وعجّت ٱلأرض إلى ربها ، ونزل سَخَط ٱلجبار جلّ جلاله عليهم ، وغَشِيَتْهم ٱللعنةُ ، وحفّت بهم ٱلشياطين ، وٱستأْذنت ٱلأرض ربها أن تَخْسِف بهم ، وثقُل ٱلعرش علَى حَمَلَته ، وكبّرت ٱلملائكةُ ، وٱستعرت ٱلجحيم ، فإذا جاءته رسُلُ ٱلله لقبض رُوحِهِ نقلوها إلى ديار إخوانهم ، وموضع عذابهم ، فكانت روحُه بين أرواحهم .

---

(١) قال السيوطي : رواه الحسن بن عرفة في جزئه والبيهقي في الشعب .

(٢) سورة هود الآية ٨٩

وذلك أَضيقُ مكانًا وأَعظمُ عذاباً من تَنُّور الزُّناة . فلا كانت لذّةٌ توجب [هذا] العذاب الأَليم ، وتسوق صاحبها إلى مرافقة أَصحاب الجحيم . تذهب اللّذات ، وتُعقب الحسرات ، وتَفْنى الشهوة ، وتَبْقى الشقوة .

وكان الإمام أَحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يُنشِد :

تَفْنى اللّذاذةُ ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الخِزْيُ والعارُ

تَبْقى عواقبُ سوءٍ في مَغَبّتِها ... لاخيرَ في لذّةٍ من بعدها النارُ

فصل وأَما إن كانت الفاحشةُ مع ذي رَحِمٍ مَحْرَمٍ فذلك الهلكُ كلُّ الهُلك ، ويجب قتلُ الفاعل بكل حال عند الإمام أَحمد وغيره .

واُحتج أَحمد بحديث عَدِيّ بنِ ثابت عن البَرَاء بن عازِب قال : لقيت خالي ومعه الرايةُ فقلت : أَين تريد؟ قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى رجلٍ تزوّج امرأة أَبيه أَضرب عنقه وآخذ ماله (رواه الإمام أَحمد) واُحتج به . وقال شعبة : حدّثنا الرُّكَيْنُ بن الربيع عن عَدِيّ بن ثابت عن البَرَاء قال : رأَيت أُناساً ينطلقون فقلت : أَين تذهبون؟ قالوا : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل يأْتي امرأَة أَبيه أَن نقتله . وذكر عبد الله بن صالح : حدّثنا يحيى بن أَيوب ، عن ابن جُرَيجٍ عنْ عِكرِمة ، عن ابن عباس أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : اقتلوا الفاعِلَ والمفعولَ بهِ والَّذي يأْتي البَهِيمَةَ والَّذي يأْتي كلَّ

ذَاتِ مَحْرَمٍ [1] . وقال هشام بن عمّار : حدّثنا رِفدَةُ بنُ قُضاعة ، حدّثنا صالح بن راشد قال : أُتِيَ الحجاج برجلٍ قد اغتصب أُختَه عَلَى نفسها فقال : احبسوه وسلُوا مَن هاهنا من أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم فسأَلوا عبدَ الرَّحمن بن مطرف [2] فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ تخطّى الحُرْمَتَيْنِ فَخُطُّوا وَسْطَهُ بِالسَّيفِ . وأفتى ابنُ عباس رضي الله عنهما بمثل ذلك . وقال عمر بن شَبَّة : حدّثنا مُعاذ ابن هشام ، حدّثنا أبي عن قَتَادة قال : أُتِيَ الحجاجُ برجلٍ زنى بأخته ، فسأل عنها عبدالله فقال : يُضْرَبُ بالسيف ، فأَمر به الحجاجُ فضرب عنقه بالسيف وذكر جماعةٌ عن حمّاد بن سَلَمة عن بكر بن عبدالله المُزَني أن رجلاً تزوج خالته فرُفع إلى عبد الملك بن مروان فقال : إنّي ظَنَنْتُ أَنها تَحِلُّ لي فقال : لا جهالة في الإسلام وأَظنُّ أنه أُمر به فقتل . وفي مسائل صالح بن أحمد قال : سألت أَبي عن الرجل تزوّج ذات مَحرَم

---

(١) اورده الهيتمي في الزواجر من دون الفقرة الاخيرة وقال : رواه البيهقي وغيره .

(٢) هكذا في النسخ الثلاث وقد ذكر هذه القصة الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة وفيها : فسألوا فقال عبد الله بن ابي مطرف : سمعت رسول الله وذكر الحديث قال : فكتب الى ابن العباس فكتب لهم بمثل ذلك قال ابن منده : غريب وقال العسكري تبعاً لأبي حاتم ان رفدة بن قضاعة راويه وهم فيه وانما هو عبدالله بن مطرّف ابن عبد الله بن الشِّخّير قال ابن حجر : ويضعف رواية رفدة أن ابن عباس مات قبل ان يلي الحجاج الامر بمدة طويلة اه ملخصاً . وقال السيوطي : رواه احمد والحاكم عن عبد الله بن ابي مطرف .

منه فقال : إن كان عمداً يُقتَل ويؤخذ ماله ، وإن كان لا يعلم يُفرَّق بينهما ، وأستحبّ أن يكون لها ما أَخذت منه ولا يَرْجع عليها بشيءٍ . وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قال : لاَ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ أَتَىٰ ذَاتَ مَحْرَمٍ (١) .

الباب الخامس والعشرون

في رحمة المحبين والشفاعة لهم الى أحبابهم في الوصال الذي يبيحه الدين

قال ٱلله تعالى : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) (٢) وكلُّ من أعان غيره على أمرٍ بقوله أو فعله فقد صار شفيعاً له ، والشفاعةُ للمشفوع له هذا أصلُها ، فإن ٱلشافع يَشفع صاحبَ ٱلحاجة فيصير له شَفْعاً في قضائها لعجزه عن ٱلاستقلال بها ، فدخل في حكم هذه ٱلآية كلُّ متعاونين على خيرٍ أو شرٍّ بقولٍ أو عمل . ونظيرُها قولُه تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ) (٣) وفي ٱلصحيح عنه صلى ٱلله عليه

---

(١) قال السيوطي : رواه الخرائطي عن ابن عمرو والطبراني في الكبير وابو نعيم في الحلية كلاهما عن ابن عباس .

(٢) سورة النساء الآية ٨٥

(٣) سورة المائدة الاية ٢

وسلم أنه كان إذا جاءه طالب حاجة يقول: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا أَحَبَّ[1] وفي صحيح البخاري أن بَرِيرَة لما عَتَقَتْ اختارت نفسَهَا فكان زوجُها يمشي خلفها ودموعه تسيل على لحيته، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ فقالت: أتأمرني ؟ قال: لاَ إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ قالت: فلا حاجة لي فيه .

فهذه شفاعةٌ من سيّدِ الشُّفَعَاءِ لمحبٍّ إلى محبوبه، وهي من أفضل الشفاعات وأعظمها أجراً عند الله، فإنها تتضمن اجتماع محبوبَيْن على ما يحبه الله ورسوله، ولهذا كان أحبّ ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين المحبوبين . وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وفي السيئة يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا . فإن لفظ الكِفل يشعِر بالحمل والثِقل، ولفظَ النصيب يُشعر بالحظ الذي ينْصَب طالبُه في تحصيله، وإن [كان] كلٌّ منهما يُستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حَسُنَ اختصاصُ حظِّ الخير بالنصيب وحظِّ الشرّ بالكِفل . وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّج ابنةً له وكان خطبها قبل ذلك عم بنتها فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أنها كارهةٌ هذا الذي زوّجها أبوها، وأنه كان يعجبها أن يتزوّجها عمُّ بنتها، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) قال السيوطي: رواه الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي .

[نكاح] أبيها وزوّجها عمَّ بنتها [1] . وقد تقدّم حديثُ عمرو بن دينار عن طاوُس عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله في حِجْري يتيمةٌ قد خطبها رجلٌ موسِرٌ ورجلٌ معْدِمٌ ، فنحن نحب الموسِرَ وهي تحب المعدِم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ لِلْمُتَحَابِينِ مِثْلُ النِّكَاحِ رواه سليمان ابن موسى عنه [2]

وقال مخلد بن الحسين : حدثنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : كان عمر بن الخطاب يعُسّ بالليل فسمع صوتَ امرأةٍ تغني وتقول :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها ... أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجّاج

فقال : أمّا وعمر حيٌّ فلا . فلما أصبح بعث إلى نصر بن حجّاج فإذا رجلٌ جميلٌ فقال : اخرج فلا تساكني بالمدينة ، فخرج حتى أتى البصرة وكان يدخل على مجاشع [بن مسعود ، وكانت له امرأةٌ جميلةٌ فأعجبها نصر ؟ فأحبها وأحبته] فكان يقعد هو ومُجاشعٌ يتحدّثان والمرأة معهما ، فكتب لها نصر في الأرض كتاباً فقالت : وأنا ، فعلم مجاشع أنها جواب كلام ، وكان مجاشعٌ لا يكتب والمرأة تكتب ، فدعا بإناء فأكفأه على المكتوب ودعا كاتباً فقرأه فإذا هو إني لأحبكِ

(١) رويت هذه القصة في صحيح البخاري وسنن النسائي وابن ماجه بألفاظ أخرى عن خنساء بنت خذام الانصارية ورويت من طرق اخرى في كتابي الاصابة واسد الغابة .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة ٢٢٨

حبًّا لو كان فوقك لأظلّك ولو كان تحتك لأقلّك ، وبلغ نصراً ما صنع مُجاشع فاستحيي ولَزِم بيته وضَنِيَ جسمُه حتى كان كالفرخ ، فقال مجاشع لامرأته : اذهبي إليه فأسنديه إلى صدرك وأطعميه الطعام بيدك ، فأبت ، فعزم عليها فأتته فأسندته إلى صدرها وأطعمته الطعام بيدها ، فلما تحامل خرج من البصرة .

إن الذين بخيرٍ كنتَ تذكرهم   هم أهلكوك[1] وعنهم كنتُ أنهاكا
لا تطلبنّ شفاءً عند غيرهم   فليس يُحييك إلا من توفّاكا

فإن قيل : فهل تبيح الشريعة مثل ذلك ؟ قيل : إذا تعين طريقاً للدواء ونجاة العبد من الهلكة لم يكن بأعظمَ من مداواة المرأة للرجل الأجنبي ، ومداواته لها ، ونظرِ الطبيب إلى بدن المريض ومسّه بيده للحاجة . وأما التداوي بالجماع فلا يبيحه الشرع بوجهٍ ما ، وأما التداوي بالضم والقُبلة فإن تحقق الشفاء به كان نظيرَ التداوي بالخمر عند من يبيحه ، بل هذا أسهل من [التداوي] بالخمر فإن شُربَه من الكبائر . وهذا الفعلُ من الصغائر[2] . والمقصود أن الشفاعة للعشاق ، فيما يجوز من الوصال والتلاق ، سنةٌ ماضيةٌ وسعيٌ مشكور . وقد جاء عن غيرِ واحدٍ من الخلفاء الراشدين ومَن بعدهم أنهم شفعوا هذه الشفاعة

---

(١) في ن : اهلّوك وكذا في نسخة الامير .

(٢) هذا القول مخالف لما قرره المؤلف في الصفحة ١٤٥ وما بعدها ودعمه بالادلة والحجج وذلك هو الصواب .

فقال ٱلخرائطي: حدثنا عليٌّ بن ٱلأعرابي، حدثنا أبو غسان ٱلنهدي قال: مرّ أبو بكر ٱلصدّيقُ رضي ٱلله عنه في خلافته بطريقٍ من طرق ٱلمدينة فإذا جاريةٌ تطحن برحاها وهي تقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متمايساً مثل ٱلقضيب ٱلناعم

وكأن نور ٱلبدر سُنّة وجهه ... ينمي ويصعد في ذؤابة هاشم

فدقّ عليها ٱلبابَ فخرجت إليه فقال: ويلك أحرةٌ أنت أم مملوكة؟ فقالت: بل مملوكةٌ يا خليفة رسولِ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قال: فمن هويت؟ فبكت ثم قالت: بحق ٱلله إلا ٱنصرفتَ عني قال: لا أريمُ أو تعلميني فقالت:

وأنا ٱلتي لعب ٱلغرامُ بقلبها ... فبكت لحبّ محمد بن ٱلقاسم

فصار إلى ٱلمسجد وبعث إلى مولاها فٱشتراها منه، وبعث بها إلى محمد ٱبن ٱلقاسم بن جعفر بن أبي طالب وقال: هؤلاء فِتَن ٱلرجال وكم قد مات بهن من كريم، وعطِب عليهم من سليم.

ويُذكَر عن عثمان بن عفّان رضي ٱلله عنه أنه جاءته جاريةٌ تستعدي عَلَى رجلٍ من ٱلأنصار فقال لها عثمان: ما قصتك؟ فقالت: يا أمير ٱلمؤمنين كَلِفتُ بٱبن أخيه، فما أنفكُّ أراعيه، فقال له عثمان: إما أن تهبها لٱبن أخيك أو أعطيك ثمنها من مالي فقال: أشهدك يا أمير ٱلمؤمنين أنها له.

وأُتِيَ عليٌّ بن أبي طالب بغلامٍ من ٱلعرب [وُجد] في دار قومٍ بٱلليل فقال له: ما قصتك؟ فقال: لست بسارقٍ ولكني أصدُقك

تعلّقتُ في دار ٱلرباحيّ خَوْدَةً ... يَذِلّ لها من حسنها ٱلشمسُ وٱلبدرُ

لها في بنات ٱلرّوم حسنٌ ومَنْصِبٌ ... إذا ٱفتخرت بٱلحسن صدّقها ٱلفخرُ

فلما طرَقتُ ٱلدارَ من حرِّ مهجةٍ ... أَتيت وفيها من توقّدها جمرُ

تبادر أهلُ ٱلدار لي ثم صيّحوا ... هو ٱللصُّ محتوماً له ٱلقتلُ وٱلأسرُ

فلما سمع عليٌّ شعرَه رقّ له وقال للمهلّب بن رباح: اسمح له بها ونعوّضك منها فقال: يا أَمير ٱلمؤمنين سَلْه من هو لنعرِف نسبه فقال: ٱلنَّهّاس بن عُيَيْنَة ٱلعُجَلي فقال: خذها فهي لك.

وذكر ٱلتميمي في كتابه ٱلمسمى بٱمتزاج ٱلنفوس أَن معاوية بن أَبي سفيان ٱشترى جارية من ٱلبحرين فأَعجب بها إعجاباً شديداً فسمعها يوماً تنشد أَبياتاً منها:

وفارقته كٱلغصن يهتزُّ في ٱلثرى ... طَرِيراً وَسِيماً بعدما طرّ شاربُهْ

فسأَلها فقالت: هو ٱبن عمي، فردّها إليه وفي قلبه منها.

وقال سالم بن عبد ٱلله: كانت عاتكة ٱبنةُ زيد تحت عبد ٱلله بن أَبي بكر ٱلصدّيق رضي ٱلله عنه، وكانت قد غلبته على رأيه وشغلته عن سُوقه، فأمره أبو بكر بطلاقها واحدةً ففعل، فوَجدَ عليها فقعد لأَبيه على طريقه وهو يريد ٱلصلاة، فلما بَصُر بأَبي بكر [بكى و] أنشأ يقول:

ولم أرَ مثلي طلّق ٱليومَ مثلها ... ولا مثلَها في غير جُرْمٍ يطلَّق

لها خُلُقٌ جزْلٌ وحلمٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سويٌّ في ٱلحياة ومَصْدَق

فرقّ له أبو بكر رضي ٱللّٰه عنه وأمره بمراجعتها ، فلما مات قالت ترثيه :

آليتُ [١] لا تنفكّ عيني سخينةً ... عليكَ ولا ينفكّ جلديَ أغبرا

فلله عينا مَن رأى مثله فتى ... أعفَّ وأمضى في ٱلهِيَاج وأصبرا

إذا شَرعت فيه ٱلأَسنةُ خاضها ... إلى ٱلموت حتى يترك ٱلرمحَ أحمرا

فلما حلّت تزوّجها عمر بن ٱلخطاب رضي ٱللّٰه عنه وأولم عليها ، فقال له علي ابن أبي طالب رضي ٱللّٰه عنه : أتأْذن لي يا أَمير ٱلمؤْمنين أُدخل رأسي إلى عاتكة أكلمها ؟ قال : نعم فأدخل عليٌّ رأْسَه إليها وقال : يا عُدَيَّة نفسها

آليتُ [١] لا تنفكُّ عيني قريرةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جلدي أصفرا

فبكتْ ، فقال له عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كلُّ ٱلنساء يفعلن هذا . فلما قُتل عمر قالت ترثيه :

عين جُودي بعبرةٍ ونحيبِ ... لا تَمَلّي على ٱلجواد ٱلنجيب

فجعتني ٱلمنون بٱلفارس ٱلمُعْـ ... ـلَم يوم ٱلهِيَـاج وٱلتثويب [٢]

قل لأَهل ٱلضرّاء وٱلبؤْس موتوا ... قد سقته ٱلمنونُ كأْسَ شعُوب

فلما حلّت تزوجها ٱلزبير بن ٱلعوّام فاستأْذنت ليلةً أن تخرج إلى ٱلمسجد فشقّ ذلك عليه وكرِه أن يمنعها لقول رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم : لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ ٱللّٰهِ مَسَاجِدَ ٱللّٰهِ [٣] فأْذن لها ثم ٱنكمي في موضعٍ مظلمٍ

---

(١) رواية الاغاني : فأقسمت .

(٢) هكذا في النسخ الثلاث ، ورواية الاغاني : والتلبيب .

(٣) قال السيوطي : رواه مسلم واحمد .

من ٱلطريق، فلما مرّت وضع يدَه عليها فكرّت راجعةً تسبّح، فسبقها ٱلزبير إلى ٱلمنزل، فلما رجعت قال لها: ما ردَّك عن وجهك؟ قالت: كنا نخرج والناس ناس، وأما ٱليوم فلا. وتركت ٱلمسجد، فلما قُتل ٱلزبير قالت ترثيه:

غدر ٱبن جرموز بفارس بُهْمَةٍ	يوم اللقآء وكان غير معرَّدِ
يا عمرو لو نبَّهتَه لوجدتَه	لا طائشاً رَعِشَ ٱلسِّنانِ ولا ٱليد
ثكلتك أُمُّك إن ظفرت بمثله	فيما مضى حتى تروحَ وتغتدي
كم غمرةٍ قد خاضها لم يثْنِه	عنها طرادُك يا [ٱبن] أُم ٱلفرقد
إن ٱلزبير لذو بلآءٍ صادقٍ	سمحٌ سجيتهُ كريمُ ٱلمشهد

فلما حلّت خطبها علي بن أَبي طالب رضي ٱلله عنه فقالت: [إني لأَضِنّ بك علَى ٱلقتل.

وذكر ٱلخرائطي أَن ٱلمهديّ خرج إلى الحج حتى إذا كان بزُبالة[1] جلس يتغدّى فأَتى بدويٌّ فناداه: يا أَميرَ ٱلمؤمنين إني عاشقٌ ورفع صوته فقال للحاجب: ويحك ما هذا؟ قال: إنسان يصيح إني عاشق قال: أَدخلوه فأَدخلوه عليه فقال: مَن عشيقتُك؟ قال: ٱبنة عمي قال: أَوَلَها أَبٌ؟ قال: نعم قال: فما له لا يزوّجك إياها؟ قال: ها هنا شيءٌ يا أَمير ٱلمؤمنين قال: ما هو؟ قال: إني هجينٌ وٱلهجينُ ٱلذي أُمُّهُ أَمَةٌ ليست عربيةً. قال له ٱلمهدي: فما يكون؟ قال: إنه عندنا عيبٌ، فأَرسل

---

(١) قال ياقوت: زبالة بضم اوله: منزل بطريق مكة من الكوفة.

في طلب أبيها فأُتي به فقال: هذا ٱبن أخيك؟ قال: نعم قال: فلمَ لا تزوّجه كريمتك؟ فقال له مثلَ مقالة ٱبن أخيه، وكان من ولد ٱلعباس عنده جماعةٌ فقال: هؤُلاء كلُّهم بنو ٱلعباس وهم هُجُن ما ٱلذي يضرهم من ذلك؟ قال: هو عندنا عيبٌ، فقال له ٱلمهدي: زوّجه إياها على عشرين ألف درهمٍ، عشرة آلافٍ للعيب، وعشرة آلاف مهْرُها قال: نعم فحمِد ٱلله وأثنى عليه وزوّجه إياها فأتى ببدْرَتيْن فدفعهما إليه فأنشأ ٱلشاب يقول:

إبتْعْتُ ظبيةَ بٱلغلآء وإنما يُعطي ٱلغلآءَ بمثلها أمثالي
وتركت أسواق ٱلقِباح لأهلها إن ٱلقِباح وإن رَخُصْنَ غوالي

وذكر ٱلخرائطي من حديث ٱلهيثم بن عَدِيّ عن عوَانة بن ٱلحكم أن عمر بن أبي رَبيعة كان قد ترك ٱلشعر ورغب عنه ونذر على نفسه بكلّ بيتٍ يقوله هَدْيَ بَدَنَةٍ، فمكث كذلك حيناً ثم خرج ليلةً يريد ٱلطواف بٱلبيت إذ نظر إلى ٱمرأةٍ ذات جمالٍ تطوف، وإذا رجلٌ يتلوها، كلما رفعت رِجلها وضع رِجلَه موضعَ رِجلها، فجعل ينظر إلى ذلك من أمرهما، فلما فرغت ٱلمرأة من طوافها تبعها ٱلرجل هُنَيَّة ثم رجع، فلما رآه عمر وثب إليه وقال: لَتُخْبِرَنّي عن أمرك قال: نعم هذه ٱلمرأة ٱلتي رأيتَ ٱبنةُ عمي وأنا لها عاشقٌ وليس لي مال، فخطبتها إلى عمي فرغب عني وسألني ٱلمَهْرَ ما لا أقدر عليه، وٱلذي رأيتَ هو حظي منها، وما لي من ٱلدُّنيا أمنيةٌ غيرُها، وإنما ألقاها عند ٱلطواف وحظي ما رأيتَ من فعلي فقال له عمر: ومَن عمك؟ قال: فلان بن فلان،

قال : انطلق معي إليه ، فانطلقا ، فاستخرجه عمر فخرج مبادراً فقال : ما حاجتك يا أبا الخطاب ؟ قال : تزوج ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان ، وهذا المهر الذي تسأله يساق إليك من مالي قال : فإني قد فعلت قال عمر : إني أحب أن لا أبرح حتى يجتمعا قال : وذلك أيضاً قال : فلم يبرح حتى جمعها جميعاً ، وأتى منزله فاستلقى على فراشه فجعل النوم لا يأخذه ، وجعل جوفه يجيش بالشعر ، فأنكرت جاريته ذلك فجعلت تسأله عن أمره وتقول : ويحك ما الذي قد دهاك ؟ فلما أكثرت عليه جلس وأنشد :

تقول وليدتي لما رأتني ... طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً ... وهاج لك البكا داءً دفينا
بربك هل أتاك لها رسولٌ ... فشاقك أم رأيتَ لها خدينا
فقلت شكا إليَّ أخٌ محبٌّ ... كبعض زماننا إذ تعلمينا
فعدَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ ... فوافق بعضَ ما كنا لقينا
وذو القلب المصاب وإن تعزّى ... يهيَّج حين يلقى العاشقينا
وكم من خُلّةٍ أعرضت عنها ... لغير قِلًى وكنتُ بها ضنينا
رأيتُ صدودها فصددت عنها ... ولو هام الفؤادُ بها جنونا

وعرض خالد بنُ عبد الله القسري سجنه يوماً وكان فيه يزيد بن فلان البجلي ، فقال له خالد : في أي شيءٍ حبست يا يزيد ؟ قال : [في تهمة أصلح الله الأمير قال : أفتعود إن أطلقتك ؟ قال : نعم وكره أن يعرّض

بقصته لئلا يفضح معشوقته فقال خالد : أحضروا رجال الحيّ حتى نقطع [يده] بحضرتهم ، وكان ليزيدَ أخٌ فكتب شعراً ووجّه به إلى خالد :

أخالدُ قد أُعطيتَ في الخلق رتبةً ... وما العاشق المسكين فينا بسارق
أقرَّ بما لم يأْتِه المرءُ إنه ... رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خِفْتُ من قطع كفه ... لأُلْفِيتُ في شأن الهوى غيرَ ناطق
إذا بدت الرايات للسبق في العُلى ... فأنت ابنَ عبد الله أولُ سابق

فلما قرأ خالد الأبيات علم صدق قوله ، فأحضر أولياء الجارية فقال : زوّجوا يزيد فتاتَكم فقالوا : أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال : لئن لم تزوّجوه طائعين لتُزَوِّجُنَّه كارهين ، فزوجوه ونقد خالد المَهْرَ من عنده

وذكر أبو العباس المبرّد قال : كان رجلٌ بالكوفة يدعى ليثَ ابن زياد قد ربّى جاريةً وأدَّبها فخرجت بارعةً في كل فنٍّ مع جمالٍ وافر ، فلم يزل معها مدّةً حتى تبيّنت منه الحاجة فقالت : يا مولاي لو بعتَني كان أصلحَ لك مما أراك [به] وإن كنتُ لأظن أني لا أصبر [عنك] فقصد رجلاً من الأغنياء يعرفها و يعرف فضلَها فباعها بمائة ألف درهم ، فلما قبض المالَ وجّه بها إلى مولاها وجزع عليها جزعاً شديداً ، فلما صارت الجارية إلى سيدها نزل بها من الوَحشة للأول ما لم تستطع دفعه ولا كتْمَه ، فباحت به وقالت :

أتاني البلا حقًّا فما أنا صانعُ ... أمصطبرٌ للبين أم أنا جازعُ
كفى حزَنًا أني على مثل جمرةٍ ... أقاسي نجومَ الليل والقلبُ نازعُ

فإن يمنعوني أن أبوح بحبه فإني قتيلٌ والعيونُ دوامع

فبلغ سيدَها شعرُها فدعا بها وأرادها فامتنعت عليه وقالت له: يا سيدي إنك لا تنتفع بي قال: ولِمَ ذاك؟ قالت: إني لما بي قال: وما بك؟ صفيه لي قالت: أجد في أحشائي نيرانًا [تتوقَّد]، لا يقدر على إطفائها [أحد، ولا تسأل عما وراء ذلك، فرَحِمها ورقّ لها وبعث إلى مولاها] فسأل عن خبره، فوجد عنده مثل الذي عندها، فأحضره فردّ الجاريةَ عليه ووهب له من ثمنها خمسين ألفًا، فلم تزل عنده مدةً طويلةً. وبلغ عبدَ الله بنَ طاهرٍ خبرُها وهو بخُراسان، فكتب إلى خليفته بالكوفة يأمره أن ينظر فإن كان هذا الشعر الذي ذُكر له من قِبَل الجارية أن يشتريَها له بما ملكت يمينه، فركب إلى مولى الجارية فخبره بما كتب إليه عبدُ الله بنُ طاهر، فلم يجد سيدُها بدًّا من عَرْضها عليه وهو كارهٌ، فأراد الأمير أن يعلم ما عند الجارية فأنشأ يقول:

بديعُ حسنٍ رشيقُ قدٍّ جعلت مني له ملاذا

فأجابته [الجارية]:

فعاتبوه فزاد عشقًا فمات شوقًا فكان ماذا

فعلم أنها تَصلُح له فاشتراها بمائتي ألف درهم، فجهزها وحملها إلى عبد الله بن طاهر إلى خُراسان، فلما صارت إليه اختبرها فوجدها على ما أراد، فغلبته على عقله، ويقال: إنها أم محمد بن عبد الله بن طاهر، ولم تزل ألطافُها وجوائزُها تأتي مولاها الأولَ حتى ماتت.

وقال عمر بن شبّة ، حدّثنا أيوب بن عمر الغفاري قال : طلق عبد الله بن عامر [امرأته] ابنةَ سهل بن عمرو ، فقدِمت المدينة ومعها ابنةٌ لها ، ومعها وديعةُ جوهر استودعها إياه ، فتزوّجها الحسنُ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ثم أراد ابن عامر الحجَّ فأتى المدينةَ فلقي الحسن فقال : يا أبا محمد إن لي إلى ابنةِ سهلٍ حاجةً فأُحبّ أن تأذن لي عليها ، فقال الحسن : البسِي ثيابَك فهذا ابن عامرٍ يستأذن عليك ، فدخل عليها فسألها وديعتَه فجاءته بها عليها خاتمه ، فقال لها : خذي ثلثَها فقالت : ما كنتُ لآخذَ على أمانةٍ اؤتُمِنْتُ عليها شيئاً أبداً ، ثم أقبل عليها ابن عامر فقال : [إن] ابنتي قد بلغت فأُحبُّ أن تخلّي بيني وبينها ، فبكت وبكت ابنتُها فرقّ ابن عامر فقال الحسن : فهل لكما ؟ فوالله ما مِن محلّلٍ خيرٌ مني قال : فوالله لا أُخرجها من عندك أبداً ، فكفَلَها حتى مات .

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أن زُبَيْدَة بنت أبي جعفر[1] قرأت في طريق مكة علَى حائطٍ :

أما في عباد الله أو في إمائه	كريمٌ يجلّي الهمَّ عن ذاهب العقل
له مقلةٌ أما المآقي فقرحةٌ	وأما الحشا فالنارُ منه علَى رحل

فنذرت أن تحتال لقائلها حتى تجمعَ بينه وبين من يحبه ، قالت : فإني لَبِمزْدَلِفَةَ إذ سمعت من ينشدهما ، فاستدعيت به فزعم أنه قالهما في بنت عمٍ له وقد حلف أهلُها أن لا يزوّجوها منه ، فوجّهتُ إلى الحيّ

(١) هكذا في النسخ الثلاث والصواب بنت جعفر بن ابي جعفر .

ومازالت تبذلُ لهم ٱلمالَ حتى زوّجوه . وإذا ٱلمرأة أعشقُ من ٱلرجل، فكانت زُبَيْدَة تعدهُ في أعظم حسناتها وتقول : ما أنا بشيءٍ أسرّ مني بجمعي بين ذلك ٱلفتى والفتاة .

قال ٱلزمخشري : وَهَوِيَ أحمد بن أبي عثمان ٱلكاتبُ جارية لزُبَيْدَة ٱسمها نُعْم حتى مرض وقال فيها أبياتاً منها :

وإني ليُرضيني ٱلممرُّ ببابها … وأقنع منها بٱلشتيمة وٱلزّجْرِ

فوهبتها له .

وذكر ٱلخرائطي أنه كان لبعض ٱلخلفاء غلامٌ وجاريةٌ من غلمانه وجواريه متحابَّيْن، فكتب ٱلغلامُ إليها يوماً [يقول] :

ولقد رأيتكِ في ٱلمنام كأنما … عاطَيْتِني من ريق فيكِ ٱلبارد

وكأن كفك في يدي وكأننا … بِتْنا جميعاً في فراشٍ واحد

فطفِقتُ يومي كلّه متراقداً … لأراكِ في نومي ولستُ براقد

ثم ٱنتبهت ومِعْصماكِ كلاهما … بيدي ٱليمين وفي يمينك ساعدي

فأجابته ٱلجارية :

خيراً رأيتَ وكلُّ ما أبصرته … ستنالُه مني برغم ٱلحاسد

إني لأرجو أن تكون معانقي … فتبيتَ مني فوق ثَدْيٍ ناهد

وأراكِ بين خلاخلي ودَمالجي … وأراكِ بين ترائبي ومجاسدي

ونبيتَ ألطفَ عاشقين تعاطيا … طرفَ ٱلحديث بلا مخافة راصد

فبلغ ٱلخليفةَ خبرُهما فأنكحهما وأحسن إليهما علَى شدّة غيرته .

وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى : سمع المهلب فتىً يتغنّى بشعرٍ في جاريةٍ له فقال المهلب :

لعمريَ إني للمحبين راحمٌ ... وإني بستر العاشقين حقيق

سأجمع منكم شملَ وُدٍّ مبددٍ ... وإني بما قد ترجُوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار .

وقال الخرائطي : كان رجلٌ [نخّاسٌ] عنده جاريةٌ لم يكن له مالٌ غيرها ، وكان يعرِضها في المواسم فتغالى الناسُ فيها حتى بلغت مبلغاً كثيراً من المال وهو يطلب الزيادة ، فعُلّقها رجلٌ فقيرٌ فكاد عقله أن يذهب ، فلما بلغه ذلك وهبها له ، فعوتب في ذلك فقال : إني سمعت الله [تعالى] يقول : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً)[1] أفلا أحيي الناس جميعاً ؟ وقال علي بن قريش الجرجاني :

شكوت بلاءً لا أُطيق احتماله ... وقلبي مطيعٌ للهوى غيرُ دافع

فأُقسم ما تركي عتابَك عن قِلًى ... ولكن لعلمي أنه غيرُ نافع

وإني متى لم ألزم الصبرَ طائعاً ... فلا بدّ منه مُكرهاً غيرَ طائع

إذا أنت لم يعطفك إلا شفاعةٌ ... فلا خيرَ في ودٍّ يكون بشافع

وكان أبو السائب المخزومي أحد القرآء والفقهاء ، فرؤي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطِف عليهم قلوبَ المعشوقين . فقيل له في ذلك فقال : الدعاء لهم أفضل من عُمْرةٍ من الجِعرانة .

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢

وذكر أحمد بن ٱلفضل ٱلكاتب أن غلاماً[1] وجاريةً كانا في كُتّاب فَهوِيَها ٱلغلامُ ، فلما كان في بعض أيامه في غفلةٍ من ٱلغلمان كتب في لوح ٱلجارية :

ماذا تقولين فيمن شَفَّه سَقَمٌ من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته ٱلجارية ٱغرورقت عيناها بٱلدُّموع رحمةً له وكتبت تحته :

إذا رأينا محباً قد أضرَّ به طولُ ٱلصبابة أَوْلَيْناه إحسانا

وذكر ٱلهيثمُ بن عدِيّ ، عن محمد بن زياد أن ٱلحارث بن ٱلسليل ٱلأزدي خرج زائراً لعلقمة بن حزم[2] ٱلطآئي وكان حليفاً له ، فنظر إلى ٱبنة له تُدعى ٱلرباب وكانت من أجمل ٱلنسآء فأُعجب بها وعشقها عشقاً حال بينه وبين ٱلانصراف إلى أهله ، فقال لعلقمة : إني أتيتك خاطباً وقد يَنكحُ ٱلخاطب ، ويدرك ٱلطالب ، ويُمنَحُ ٱلراغب قال : كفوٌ كريم فأقم ننظر في أمرك ، ثم ٱنكفأ إلى أُم ٱلجارية فقال لها : إن ٱلحارث سيدُ قومه حسباً ومَنصِباً وبيتاً فلا ينصرفنَّ من عندنا إلاَّ بحاجته فشاوري ٱبنتك وأديريها عما في نفسها ، فقالت لها : أي بُنيّة أي ٱلرجال أعجب [إليك] ؟ ٱلكَهْلُ ٱلجحجاح ، ٱلمفضل ٱلميَّاح ، أم ٱلفتى ٱلوَضّاح ، ٱلملول ٱلطمَّاح ، قالت : ٱلفتى ٱلوَضّاح فقالت : إن ٱلفتى

---

(١) هذا الغلام هو علي بن الجهم ، انظر ترجمته في كتاب مختصر طبقات الحنابلة في الصفحة ١٦٤

(٢) في امثال الميداني أن اسمه علقمة بن خصفة واسم ابنته الزباء

يغيرك ، وإن الشيخ يميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن . فقالت : يا أماه أحب الفتى ، كحب الرعا ، أنيق الكلا . قالت : يا بنية إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب . قالت : يا أماه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي ، ويبلي شبابي ، ويشمت بي أترابي . فلم تزل بها الأم حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على خمسين ومائة من الإبل وخادم وألف درهم ، فبنى بها وكانت [عنده] أحب شيء إليه ، فارتحل بها إلى أهله ، فإنه لجالس يوماً بفناء مظلته وهي إلى جانبه إذ أقبل فتية يعتلجون الصراع فتنفست الصعداء ، ثم أرسلت عينيها بالبكاء فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ فقال : ثكلتك أمك قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، فسارت مثلاً ، أي لا تكون ظئراً ، وكان أول من نطق بها ثم قال : أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها ، الحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك ثم أنشأ يقول :

وعيرت أن رأتني لابساً كبراً وغاية النفس بين الموت والكبر

فإن بقيت رأيت الشيب راغمة وفي التفرق ما يقضي من العبر

وإن يكن قد علا رأسي وغيره صرف الزمان وتغيير من الشعر

فقد أروح للذات الفتى جذلاً وهمتي لم تشب فاستخبري أثري

الباب السادس والعشرون

في ترك المحبين أدنى المحبوبين رغبة في اعلاهما

هذا بابٌ لا يدخل فيه إلا النفوسُ الفاضلة الشريفة الأبيّة التي لا تقنع بالدون ، ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيعَ العاجز المغبون ، ولا يملكها لَطْخُ جمالٍ مُغَشّ عَلَى أنواعٍ من القبائح كماقال بعض الأعراب وقد نظر [إلى] امرأةٍ مبرقَعَة :

إذا بارك الله في ملْبس … فلا بارك اللهُ في البُرُقُع

يُريك عيونَ المها مُسبلاً … ويكشفُ عن منظرٍ أشنع

وقال آخر :

لا يغرّنْك ما ترى من نقابٍ … إن تحت النقاب داءً دَوِيّا

فالنفس الأبية لا ترضى بالدّون . وقد عاب الله سبحانه أقواماً استبدلوا طعاماً بطعامٍ أدنى منه ، فنعى ذلك عليهم وقال : (أَتَستَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)(1) وذلك دليلٌ عَلَى وَضاعة النفس وقلّة قيمتها .

وقال الأصمعي : خلا رجلٌ من الأعراب بامرأةٍ فهمّ بالريبة ، فلما تمكّن منها تنحّى سليماً وجعل يقول : إن امرءًا باع جنةً عرضُها السمواتُ والأرض بفِتْرٍ ما بين رِجليكِ لقليلُ البصر بالمساحة .

---

(1) سورة البقرة الآية 61

وقال أبو أسماء: دخل رجلٌ غَيْضَةً فقال: لو خلوت ها هنا بمعصيةٍ مَن كان يراني؟ فسمع صوتاً ملأ ما بين لابتي الغيضة (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ)(١).

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا هيثم [هو] ابن خارجة، حدّثنا إسماعيل ابن عيّاش، عن عبد الرحمن بن عدِي البهْراني، عن يزيد بن مَيْسرة قال: إن الله تعالى يقول: أيها الشابّ التاركُ شهوته لي، المتبذّل شبابَه من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي.

وذكر إبراهيم بن الجُنَيْد أن رجلاً راود امرأَةً عن نفسها فقالت له: أنت قد سمعت القرآن والحديث فأنت أعلم قال: فأَغلقي الأبواب فأغلقتها، فلما دنى منها قالت: بقي بابٌ لم أُغلقه قال: أي باب؟ قالت: الباب الذي بينك وبين الله، فلم يتعرَّض لها.

وذكر أيضاً عن أعرابي قال: خرجتُ في بعض ليالي الظُّلَم فإذا أنا بجاريةٍ كأنها علَم، فأردتها عن نفسها فقالت: ويلك أما كان لك زاجرٌ من عقل، إذ لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقلت: إنه والله ما يرانا إلاَّ الكواكب قالت: فأين مُكوكبُها؟

وجلس زياد مولى ابن عيّاش رضي الله عنهما إلى بعض إخوانه فقال [له]: يا عبدَ الله فقال له: قل ما تشاء قال: ما هي إلا الجنة أو النار؟ قلت: نعم قال: وما بينهما منزلٌ ينزله العباد؟ قلت: لا والله

---

(١) سورة الملك الآية ١٤

فقال: واللّه إن نفسي لنفسٌ أضنُّ بها على النار، والصبرُ اليومَ عن معاصي اللّه خيرٌ من الصبر على الأغلال.

وقال وهب بن منبّه: قالت امرأة العزيز ليوسف عليه السلام: ادخل معي القيطون تعني الستر قال: إن القيطون لا يسترني من ربي

وقال اليزيدي: دخلت على هارون الرشيد فوجدته مكبًّا على ورقةٍ ينظر فيها مكتوبةٍ بالذهب، فلما رآني تبسم فقلت: فائدة أصلح اللّه أمير المؤمنين؟ قال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما فأضفت إليها ثالثاً، [فقال] ثم أنشدني:

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ ... فَدَعْهُ لأُخرى ينفتحْ لك بابُها

فإن قُراب البطن يكفيك مَلْأَه ... ويكفيك سوْآتِ الأُمورِ اجتنابُها

فلا تكُ مِبذالاً لدينك واجتنب ... ركوبَ المعاصي يجْتنبْك عِقابُها

وقال أبو العباس الناشئ:

إذا المرء يحمي نفسه حِلَّ شهوةٍ ... لصحة أيَّامٍ تبيد وتَنفَدُ

فما باله لا يحتمي من حرامها ... لصحة ما يبقى له ويُخَلَّدُ

وقيل: إن عليَّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه كان ينشد هذين البيتين:

إقدع النفسَ بالكفاف وإلاّ ... طلبت منك فوق ما يكفيها

إنما أنتَ طولَ عمرك ما عُمْـ ... ـمِرْتَ في الساعة التي أنت فيها

ومن أحسن شعر العرب وكان عمرو بن العاص يتمثل بهما:

إذا المرء لم يترك طعاماً أحبّه ... ولم ينْهَ قلباً غاوياً حيث يمّما

قضى وطراً منه وغادر سُبَّةً إذا ذُكرت أمثالُها تملأُ الفما

وقال شعبة: عن منصور، عن إبراهيم، كلّم رجلٌ من العُبّاد امرأةً فلم يزل بها حتى وضع يدَه على فَخِذِها فانطلق فوضع يده على النار حتى نَشَّت.

وقال زيد بن أسلَم، عن أبيه: كان عابدٌ في صومعةٍ يتعبّد فأشرف ذات يومٍ فرأى امرأةً ففتن بها، فأخرج إحدى رجليه من الصومعة يريد النزول إليها، ثم فكّر وادّكر فأناب، فأراد أن يعيد رِجلَه إلى الصومعة فقال: والله لا أُدخلُ رِجلاً [خرجت] تريد أن تعصي الله في صومعتي أبداً، فتركها خارجةً من الصَّومَعة فأصابها الثلجُ والبرد والرياح حتى تقطَّعت.

وقال بعض السلف: من كان له واعظٌ من قلبه زاده الله عزّ وجلّ عزًّا، والذلُّ في طاعة الله أقربُ من العزّ في معصيته.

وقال أبو العَتاهِية: لَقِيتُ أبا نُواس في المسجد الجامعِ فعذلته وقلت له: أما آن لك أن ترعوِي وتنزجر؟ فرفع رأسه إليّ وقال:

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي

أتراني مفسداً بالنْ نُسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل أنشأ يقول:

لا ترجِعُ الأنفسُ عن غيِّها ما لم يكن منها لها زاجرُ

فوددت أني قلت هذا البيت بكل شيءٍ قلته.

وقال ابن السماك عن امرأة كانت تسكن البادية : لو طالعت قلوب المؤمنين بفكرها ما ذُخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يَصفُ لهم في الدنيا عيشٌ ولم تقرَّ لهم عين . وقال ضيغم لرجل : إن حبه عز وجل شغل قلوبَ محبيه عن التلذذ بمحبة غيره ، فليس لهم في الدنيا مع محبته عز وجل لذة تداني محبته ، ولا يأملون في الآخرة من كرامة الثواب أكبرَ عندهم من النظر إلى وجه محبوبهم ، فسقط الرجل [مغشياً عليه] .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ وَفِي السُّورَيْنِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ وَلاَ تَعْرَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجْهُ ، فَالصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ وَالسُّتُورُ الْمُرْخَاةُ حُدُودُ اللهِ وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ وَالدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ .

وقال خالد بن معدان : ما من عبد إلاّ وله عينان [في وجهه يبصر بهما أمرَ الدنيا ، وعينان] في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد

ٱللّٰه بعبدٍ خيراً فتح عينيه ٱللتَين في قلبه فأبصر بهما مـا وعده ٱللّٰه بٱلغيب ، وإذا أراد [ٱللّٰه] به غيرَ ذلك تركه عَلَى ما [هو] فيه ، ثم قرأ (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [1] .

وفي ٱلترمذي عنه صلى ٱللّٰه عليه وسلم : ٱلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى ٱللّٰهِ ٱلْأَمَانِي .

وفي ٱلمسند من حديث فُضالة بن عُبيد عن ٱلنبي صلى ٱللّٰه عليه وسلم : ٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ ٱللّٰهِ وَٱلْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى [عَلَى] ٱللّٰه . وقال ٱلإمام أحمدُ رحمه ٱللّٰه تعالى : حدّثنا عبد ٱلرحمن ٱبن مَهْدِي ، حدّثنا عبد ٱلعزيز بن مسلم ، عن ٱلرّبيع بن أَنس ، عن أبي ٱلعالية ، عن أُبَيِّ بن كعب رضي ٱللّٰه عنه قال : من أَصبح وأكثر [2] همه غير ٱللّٰه فليس من ٱللّٰه .

وقال ٱلإمام أَحمد : حدّثنا عبد ٱلرحمن ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أَسلم ، عن أَبيه ، عن عطآء بن يَسَار قال : قال موسى صلى ٱللّٰه عليه وسلم : يا رب من أَهلك ٱلذين تُظلّهم في ظل عرشك ؟ قال : هم ٱلبريئة أَيديهم ، الطاهرة قلوبهم ، الذين يتحابّون بجلالي ، الذين إذا ذُكرت ذُكروا بي ، وإذا ذُكروا بي ذُكرت بذكرهم ، الذين يُسبغون

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤

(٢) في ن : وأكبر همه وفي نسخة الامير : وهمه وكذا اورده السيوطي في الجامع الصغير مرفوعاً عن ابن مسعود وقال : رواه الحاكم .

ٱلوضوء في ٱلمكاره، ويُنيبون إلى ذكري كما تُنيب ٱلنسور إلى وُكورها، ويَكلَفون بحبي كما يَكلَف ٱلصبيّ بحبّ ٱلناس، ويغضبون لمحارمي إذا ٱستُحِلَّت كما يغضب ٱلنَّمِرُ إذا حَرِب. وقال أحمد: حدّثنا إبراهيم ٱبن خالد، حدّثني عبد ٱلله بن يحيى قال: سمعت وهبَ بن منبّهٍ يقول: قال موسى عليه ٱلسلام: أيْ ربّ أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: من أُذْكَرُ برؤيته.

وقال أحمد: حدّثنا سيّار، حدّثنا جعفر، حدّثنا هشام ٱلدّستَوائي قال: بلغني أن في حكمة عيسى بن مريم صلى ٱلله عليه وسلم: تعملون للدُّنيا وأنتم تُرْزَقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا تُرْزَقون فيها إلاَّ بٱلعمل، ويحْكم علماءَ ٱلسوء، ٱلأَجرَ تأْخذون وٱلعملَ تُضيعون، توشكون أن تخرجوا من ٱلدُّنيا إلى ظلمة ٱلقبر وضيقه، وٱللهُ عزَّ وجلَّ نهاكم عن ٱلمعاصي كما أَمركم بٱلصوم وٱلصلاة، كيف يكون من أَهل ٱلعلم مَن دنياه آثرُ عنده من آخرته وهو في ٱلدُّنيا أَعظمُ رغبةً؟ كيف يكون من أَهل ٱلعلم مَن مَسيرُه إلى آخرته وهو مقبلٌ على دنياه وما يضرّه أشهى إليه مما لا يضره[1] كيف يكون من أَهل ٱلعلم من ٱتَّهم ٱلله عزَّ وجلَّ في قضائه فليس يرضى بشيءٍ أصابه؟ كيف يكون من أَهل ٱلعلم من طلب ٱلعلم ليتحدّث به ولم يطلبه ليعملَ به؟

---

(١) في نسخة الامير: وهامش ن: مما ينفعه.

وقال عبدُ ٱللهِ بن ٱلمبارك ، عن مَعْمر ، قال ٱلصبيان ليحيى بن زكريا : ٱذهب بنا نلعب قال : أوَلِلَّعب خُلقنا ؟

وقال أحمد : حدّثنا أبو بكر ٱلحنفي ، حدّثنا عبد ٱلحميد بن جعفر ، حدَّثني ٱلحسن بن ٱلحسن بن علي بن أَبي طالب أن أُمَّه فاطمةَ حدّثته أَن رسولَ ٱللهِ صلى ٱلله عليه وسلم : قال : إنَّ مِنْ شِرَارِ أُمَّتِي ٱلَّذِينَ غُذُوا بِٱلنَّعِيمِ ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَلْوَانَ ٱلطَّعَامِ وَأَلْوَانَ ٱلثِّيَابِ[1] وَيَتَشَدَّقُونَ بِٱلْكَلَامِ . وقال أَحمد : حدّثنا أبو قَطَنٍ ، حدّثنا شعبة ، عن أَبي سلمة ، عن أَبي نَضْرَة قال : قال عمر بن ٱلخطاب رضي ٱلله عنه لأَبي موسى : يا أَبا موسى شوِّقنا إلى ربنا قال : فقرأ فقالوا : الصلاة فقال عمر : أَوَلسنا في ٱلصلاة ؟

فصل وملاكُ ٱلأمر كلِه ٱلرغبةُ في ٱلله وإرادةُ وجهه وٱلتقرُّبُ إليه بأنواع ٱلوسائل وٱلشوقُ إلى ٱلوصول إليه و [إلى] لقائه ، فإن لم يكن للعبد همةٌ إلى ذلك فٱلرغبة في ٱلجنة ونعيمها وما أَعدَّ ٱللهُ فيها لأَوليائه ، فإن لم تكن له همةٌ عاليةٌ تطالبه [بذلك] فخشية ٱلنار وما أَعدَّ ٱللهُ فيها لمن عصاه ، فإن لم تطاوعه نفسه بشيء من ذلك فليعلم أَنه خُلق للجحيم لا للنعيم ، ولا يقدر عَلَى ذلك بعد قدر ٱلله وتوفيقه إلّا بمخالفة هواه ، فهذه فصول أَربعة هنّ ربيع ٱلمؤمن وصَيْفُه وخريفُه وشتاؤُه ،

---

(١) في ن : الشراب

وهنّ منازله في سيره إلى الله [عزّ وجلّ] ، وليس له منزلة غيرها ، فأما مخالفةُ الهوى فلم يجعل اللهُ للجنة طريقاً غيرَ مخالفته ، ولم يجعل للنار طريقاً غير متابعته ، قال الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)[1] وقال تعالى : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)[2] قيل : هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقامَ ربه عليه في الدنيا ، ومقامَه بين يديه في الآخرة فيتركها لله . وقد أخبر سبحانه أن اتّباع الهوى يُضلّ عن سبيله فقال الله تعالى : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)[3] ثم ذكر مآلَ الضالّين عن سبيله ومصيرَهم فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)[3] وأخبر سبحانه أن باتباع الهوى يطبع على قلب العبد فقال : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)[4] وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العاجز هو الذي اتّبع هواه وتمنّى على الله .

وذكر الإمام أحمد من حديث راشد بن سعد ، عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما تحتَ [ظلّ] السماء

---

(١) سورة النازعات الآيات ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠

(٢) سورة الرحمن الآية ٤٧

(٣) سورة ص الآية ٢٦ (٤) سورة محمد الآية ١٦

إلهٌ يعبدُ أعظمَ عندَ ٱللهِ مِنْ هوًى [مُتَّبَعٌ] . وذكر من حديث جعفر ٱبن حيَّان ، عن أَبي ٱلحكم ، عن أَبي بَرْزة ٱلأَسلمي رضي ٱلله عنه قال: قال رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : أَخوَفُ ما أَخافُ علَيكُمْ شهَوَاتُ ٱلْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمَضلَاتُّ ٱلْهَوَىٰ . وفي نسخة كثير بن عبد ٱلله بن عمر بن عوف ٱلمزَني عن أَبيه عن جدّه رضي ٱلله عنه قال : قال رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : إنَّ أَخوَفَ ما أَخافُ عَلَى أُمتَّي حُكم جَائِرٍ وزَلَّةُ عالِمٍ وَهوًى مُتَّبَعٌ .

وقيل لبعض ٱلحكماء : أي ٱلأَصحاب أَبرُّ ؟ قال : العمل ٱلصالح ، قيل : فأَي شيءٍ أَضرّ ؟ قال : النفس وٱلهوى . وقال بعض ٱلحكماء : إذا ٱشتبه عليك أَمران فانظر أَقربهما من هواك فاجتنبه . وأُتِيَ بعضُ ٱلملوك بأَسيرٍ عظيمِ ٱلجُرم فقال : لو كان هواي في ٱلعفو عنك لخالفت [ٱلهوى] إلى قتلك ، ولكن لما كان هواي في قتلك خالفته إلى ٱلعفو عنك . وقال ٱلهيثم بن مالك ٱلطائي : سمعت ٱلنّعمان بن بشير يقول علَى ٱلمنبر : إن للشيطان فخوخاً ومَصاليَ وإن [من] مصالي ٱلشيطان وفخوخه ٱلبطرَ بأَنعُمْ ٱلله ، وٱلفخرَ بإعطاء [ٱلله] وٱلكبرياءَ عَلَى عباد ٱلله ، وٱتباعَ ٱلهوى في غير ذات ٱلله .

وفي ٱلمسند وغيره من حديث قَتادة عن أَنسٍ رضي ٱلله عنه قال : قال رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : ثلاثٌ مهلِكاتٌ وَثلاثٌ منْجياتٌ : فَٱلْمهلِكَاتُ شحٌّ مُطَاعٌ ، وَهوًى متَّبعٌ ، وَإعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ .

وَٱلْمُنْجِيَاتُ تَقْوَى ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ ، وَٱلْعَدْلُ فِي ٱلْغَضَبِ وَٱلرِّضَى ، وَٱلْقَصْدُ فِي ٱلْفَقْرِ وَٱلْغِنَى . وفي جامع ٱلترمذي من حديث أسماء بنت عُمَيْسٍ رضي ٱللهُ عنها قالت : سمعتُ رسولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَٱعْتَدَى ، وَنَسِيَ ٱلْجَبَّارَ ٱلْأَعْلَى . بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَٱخْتَالَ ، وَنَسِيَ ٱلْكَبِيرَ ٱلْمُتَعَالَ . بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا ، وَنَسِيَ ٱلْمَقَابِرَ وَٱلْبِلَى . بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ بَغَى وَعَتَى ، وَنَسِيَ ٱلْمَبْدَأَ وَٱلْمُنْتَهَى . بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ ٱلدِّينَ بِٱلشُّبُهَاتِ ، بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ . بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ . وقد أقسم ٱلنبيُّ صلى ٱلله عليه وسلم أنه لا يؤمن ٱلعبدُ حتى يكونَ هواه تبعًا لما جآء به فيكون هواه تابعًا لا متبوعًا ، فمن ٱتبع هواه فهواه متبوعٌ له ، ومن خالف هواه لما جآء به ٱلرسولُ صلى الله عليه وسلم فهواه تابعٌ له ، فالمؤمن هواه تابعٌ له ، وٱلمنافق ٱلفاجر هواه متبوعٌ له . وقد حكم ٱللهُ تعالى لتابع هواه بغير هدًى من الله أنه أظلم ٱلظالمين فقال ٱللهُ عزَّ وجلَّ : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ)[1] وأنت تجد تحت هذا ٱلخطاب أن ٱلله لا يهدي من ٱتبع هواه ، وجعل سبحانه وتعالى ٱلمتَّبِع قسمين لا ثالث لهما : إمّا ما جآءَ به ٱلرسولُ صلى ٱلله عليه وسلم . وإمّـا ٱلهوى ، فمن ٱتبع أحدهما لم يمكنه ٱتباعُ

(١) سورة القصص الآية ٥٠

ٱلآخر، وٱلشيطانُ يُطيف بٱلعبد من أين يدخل عليه فلا يجد عليه مدخلاً ولا إليه طريقاً إلاّ من هواه . فلذلك كان ٱلذي يخالف هواه يفرَقُ ٱلشيطان من ظلّه، وإنما تطاق مخالفةُ ٱلهوى بٱلرّغبة في ٱلله وثوابه، وٱلخشيةِ من حجابه وعذابه . ووجد حلاوة ٱلشفآء في مخالفة ٱلهوى، فإن متابعتهُ ٱلداءُ ٱلأكبر، ومخالفتهُ ٱلشفآءُ ٱلأعظم، وقيل لأبي ٱلقاسم ٱلجُنَيْدِ: متى تنال ٱلنفوسُ مُناها؟ فقال: إذا صار دآؤُها دواها فقيل له: ومتى يصير دآؤُها دواها؟ فقال: إذا خالفت هواها، ومعنى قوله يصير دآؤها دواها أن دآءها هو ٱلهوى، فإذا خالفته تداوت منه بمخالفته . وقيل: إنما سمي هوًى لأنه يهوي بصاحبه إلى أسفل ٱلسافلين . وٱلهوى ثلاثة أرباع الهوان، وهو شارع النار ٱلأكبر كما أن مخالفته شارعُ ٱلجنة ٱلأعظم [وقال أبو دُلَف ٱلعِجْلي]:

وا سوأتا لفتًى له أدبٌ يُضحي هواه قاهراً أدَبَهْ
يأتي ٱلدنيّة وهو يعرفها فيَشين عِرْضاً صائناً أرَبَهْ
فإذا ٱرْعوى عادت بصيرتهُ فبكى علَى ٱلحين(1) ٱلذي سلَبَهْ

[وقال ٱبن ٱلمرتفق الهُذَلي]:

أبن لي ما ترى والمرءُ يأتي عزيمتَه ويَغْلِبُه هواه
فيعمى ما يرى فيه عليه ويحسب من يراه لا يراه

(١) في نسخة الامير وهامش ن: الخير

فصل وأما الرّغبة في الله وإرادة وجهه، والشوق إلى لقائه فهي رأس مال العبد ومِلاك أمره وقِوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه وقرّة عينه، ولذلك [خُلق]، وبه أُمِر، وبذلك أُرسلت الرُّسل، وأُنزلت الكتب، ولا صلاحَ للقلب ولا نعيمَ إلاّ بأن تكون رغبته إلى الله عز وجلّ وحدَه، فيكون هو وحدَه مرغوبَه ومطلوبَه ومرادَه كما قال الله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)[1] وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)[2]

والراغبون ثلاثة أقسام: راغبٌ في الله، وراغبٌ فيما عند الله، وراغبٌ عن الله. فالمحبّ راغبٌ فيه، والعامل راغبٌ فيما عنده، والرّاضي بالدُّنيا من الآخرة راغبٌ عنه. ومَن كانت رغبته في الله كفاه الله كلَّ مهمّ، وتولاّه في جميع أُموره، ودفع عنه مالا يستطيع دفعَه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات. ومن آثر اللهَ على غيره آثره اللهُ على غيره. ومن [كان لله] كان الله له حيث لا يكون لنفسه، ومن عرف الله لم يكن شيءٌ أَحبَّ إليه منه، ولم تبقَ له رغبةٌ فيما سواه، إلاّ فيما يقرّبه إليه ويعينه على سفره إليه.

ومن علامات المعرفة الهيبةُ فكلّما ازدادت معرفةُ العبد بربه

---

(١) آخر سورة الانشراح. (٢) سورة التوبة الآية ٥٩

ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[1] أي العلماء به وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً[2] ومن عرف الله صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كل شيء ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله ، واستوحش من الناس ، وأورثته المعرفة الحياء من الله ، والتعظيم له ، والإجلال والمراقبة والمحبة والتوكل عليه ، والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره . وقيل للجنيد رحمه الله تعالى : إن ها هنا أقواماً يقولون : إنهم يصلون إلى البر بترك الحركات فقال : هؤلاء تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم ، والذي يزني ويسرق أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله ، وإلى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم انقص من أعمال البر شيئاً . وقال : لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطأه البر والفاجر ، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب . وقال يحيى بن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره من شيئين : بكاؤه على نفسه ، وشوقه إلى ربه . وقال بعضهم : لا يكون العارف عارفاً حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . وقيل : العارف أنس بالله فاستوحش من غيره ، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه ، وذل لله فأعزه في خلقه . وقال أبو

---

(١) سورة الفاطر الآية ٢٨

(٢) فتشت عنه فلم أجد من خرجه .

سليمان ٱلدَّاراني : يُفتَح للعارف عَلَى فراشه ما لا يُفتح له وهو قائمٌ يصلّي .
وقال ذو ٱلنون : لـكل شيءٍ عقوبةٌ وعقوبة ٱلعارف ٱنقطاعه عن ذكر ٱللّه
وبالجملة فحياةُ ٱلقلب مع اللّه لا حياة له بدون ذلك أبداً ، ومتى واطأ
ٱللسانُ ٱلقلب في ذكره ، وواطأَ ٱلقلب مرادَ حبيبه منه ، وٱستقلّ له
ٱلـكثيرَ من قوله وعمله ، وٱستكثر [له] ٱلقليلَ من برّه ولطفه ، وعانق
ٱلطاعة وفارق ٱلمخالفة ، وخرج عن كلّه لمحبوبه فلم يبقَ منه شيءٌ ، وٱمتلأَ
قلبُه بتعظيمه وإجلاله وإيثار رضاه ، وعزّ عليه ٱلصبرُ عنه وعُدِم ٱلقرارَ
دون ذكره وٱلرغبة إليه والاشتياق إلى لقائه ، ولم يجد الأنس إلاَّ
بذكره ، وحفظ حدودَه وآثره عَلَى غيره فهو ٱلمحب حقًّا . وقال ٱلجُنَيْد :
سمعت ٱلحارث ٱلمُحَاسبيَّ يقول : المحبةُ ميلُك إلى ٱلشيءِ بكلّيّتك ،
ثم إيثارُك له عَلَى نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتُك له سرًّا وجهراً ،
ثم علمُك بتقصيرك في حبه . وقيل : المحبةُ نارٌ في ٱلقلب تحرق ما سوى
مرادِ ٱلحبيب من محبه ، وقيل : بل هي بذلُ ٱلمجهود في رضا الحبيب ،
ولا تصِحّ إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب . وفي بعض
الآثار الإلٰهية : عبدي أنا وحقِّك لك محبٌّ فبحقي عليك كن لي محبًّا .
وقال عبد ٱللّه بن ٱلمبارك : من أُعطي شيئًا من ٱلمحبة ولم يُعْطَ مثله
من ٱلخشية فهو مخدوع . وقال يحيى بن معُاذ : مثقال خردلةٍ من
ٱلحب أحبُّ إليَّ من عبادة سبعين سنة بلا حبّ . وقال أبو بكر
الـكتّاني : جرت مسألة في المحبة بمكة أيام ٱلموسم فتكلَّم ٱلشيوخ

فيها ، وكان ٱلجُنَيْد أصغرَهم سنًّا فقالوا : هاتِ ما عندك يا عراقي ، فأطرق رأسه ودَمَعت عيناه ثم قال : عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه ، متصلٌ [بذكر ربه ، قائمٌ بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرق قلبَه أنوار هَوِيَّته ، وصفا شربُه من كأْس ودّه ، فإن تكلّم فبٱلله [وإن نطق فمن ٱلله] ، وإن تحرّك فبأَمر ٱلله ، وإن سكت فمع ٱلله ، فهو بٱلله ولله ومع ٱلله ، فبكى ٱلشيوخ وقالوا : ما عَلَى هذا مزيد ، جبرك ٱلله يا تاج ٱلعارفين . وقيل : أَوحى ٱلله إلى داود عليه ٱلسلام : يا داود إني حرّمتُ عَلَى ٱلقلوب أن يدخلها حبي وحبٌّ [غيري] ، فأَجمع ٱلعارفون كلُّهم أن ٱلمحبة لا تَصِحّ إلاَّ بٱلموافقة حتى قال بعضهم : حقيقة ٱلحب موافقة ٱلمحبوب في مَراضيه ومساخطه ، وٱتفق ٱلقوم أن ٱلمحبة لا تَصِحّ إلاَّ بتوحيد ٱلمحبوب . ويُحكَى أن رجلاً ٱدّعى ٱلاستهلاك في محبة شخص فقال [له] : كيف وهذا أخي أحسن مني وجهاً وأَتمُّ جمالاً ؟ فٱلتفت ٱلرجلُ إليه فدفعه ٱلشابُّ وقال : من يدَّعي هوانا ينظر إلى سوانا ؟ وذكرت ٱلمحبة عند ذي ٱلنون فقال : كُفُّوا عن هذه ٱلمسألة لا تسمعها ٱلنفوس فتدّعيها [ثم أنشأَ يقول] :

الخوف أَولى بٱلمسيءِ إذا تأَلَّه وٱلحَزَنْ

وٱلحبُّ يجمل بٱلتقيِّ وبٱلنقيِّ من ٱلدَّرَنْ

وقال سمنون : ذهب ٱلمحبون [لله] بشرف ٱلدُّنيا وٱلآخرة . إن ٱلنبي صلى

ٱللهُ عليه وسلم قال: ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[1] فهم مع ٱللهِ في ٱلدُّنيا وٱلآخرة.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادقٍ من أدَّعى محبته ثم لم يحفظ حدوده.

فصل فٱلمحبة شجرةٌ في ٱلقلب عروقُها ٱلذلُّ للمحبوب، وساقُها معرفته، وأغصانها خشيتهُ، و ورقُها ٱلحيآءُ منه، وثمرتها طاعته، ومادَّتها ٱلتي تسقيها ذكرُه، فمتى خلا ٱلحبُّ عن شيءٍ من ذلك كان ناقصاً.

وقد وصف ٱللهُ سبحانه نفسهَ [بأنه يحب عباده ٱلمؤمنين ويحبونه، فأخبر أنهم أشدّ حباً لله ووصف نفسه] بأنه ٱلودود وهو ٱلحبيب قاله ٱلبخاري. وٱلود خالص ٱلحب فهو يودّ عباده ٱلمؤمنين ويودونه، وقد روى ٱلبخاري في صحيحه من حديث أنس (بن مالك) رضي ٱللهُ عنه قال: قال رسولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: مَنْ أَهَانَ لي وَلِيًّا فَقَدْ بارزني بِٱلْمُحارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا ٱفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوافِلِ حتى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ ٱلَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ ٱلَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَمْشِي وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ ٱسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي ٱلْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ.

---

(١) قال السيوطي رواه الشيخان وابوداود والترمذي والنسائي.

وفي لفظٍ [في] غير البخاري : فَإِذَا أَحببْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً وَمُؤَيِّداً . فتأمَّل كمالَ الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهةَ الرب تعالى لمساءَة عبده بالموت لما كره العبد مَساخطَ ربه ، وكمالَ الموافقة في الإرادة كيف اقتضى موافقتَه في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته مما استعاذ به ، كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أرى ربَّكَ إلاَّ يسارع في هواكَ[1] ، وقال له عمه أبو طالب : يا ابن أخي ما أرى ربك إلاَّ يطيعك فقال له : وَأَنْتَ يا عمّ لَوْ أَطَعْتَهُ أَطَاعَكَ[2] . وفي تفسير ابن أبي نَجيح عن مجاهد في قوله عزَّ وجلَّ : (وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)[3] قال : حبيباً قريباً إذا سأله أعطاه ، وإذا دعاه أجابه . وأوحى الله [تعالى] إلى موسى عليه الصلاة والسلام : يا موسى كن [لي] كما أريد أكن لك كما تريد . وتأمل هذه الباء في قوله : فبي يسمع وبي يُبصر وبي يَبْطِش وبي يمشي كيف تجدها مبنيةً لمعنى قوله كنت سمعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يُبصر به إلى آخره فإن سمع سمع بالله ، وإن أبصر أبصر به ، وإن بطش بطش به ، وإن مشى مشى به . وهـذا تحقيق قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) لم أجد من خرّجه

(٣) سورة النساء الآية ١٢٥

ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[١] وقولِه : (وَإِنَّ ٱللهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ)[٢] وقولِه : (وَأَنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[٣] وقولِه فيما رواه [عنه] رسولُه (من قوله) : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرَّكت بي شفتاه . وهذا ضدّ قوله : (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلاَ هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ)[٤] فالصحبة ٱلتي نفاها هاهنا هي ٱلتي أَثبتها لأَحبابه وأوليآئه ، فتأَمل كيف جعل محبته لعبده متعلقةً بأَداء فرآئضه ، وبالتقرّب إليه بالنوافل بعدها لا غير ، وفي هذا تعزيةٌ لمدَّعي محبته بدون ذلك أَنه ليس من أَهلها ، وإنما معه الأَماني ٱلباطلة وٱلدَّعاوي ٱلكاذبة .

وفي ٱلصحيحين من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه أَن ٱلنبي صلى الله عليه وسلم قال : إِذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ فِي ٱلأَرْضِ . وفي لفظٍ لمسلم . إِنَّ ٱللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي ٱلسَّمَآءِ فَيَقُولُ : إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ فِي ٱلأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِنَّ ٱللهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ

---

(١) آخر سورة النحل .
(٢) آخر سورة العنكبوت .
(٣) سورة الأنفال الآية ١٩
(٤) سورة الانبيآء الآية ٤٣

ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ ٱلْبَغْضَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ . وفي لفظٍ آخر لمسلم عن سهيل بن أَبي صالح قال : كُنَّا بعرفة فمرّ عمر بن عبد ٱلعزيز وهو علَى ٱلموسم ، فقام ٱلناس ينظرون إليه فقلت لأَبي : يا أَبَتِ إِني أرى ٱلله يحبُّ عمر أبن عبد ٱلعزيز قال : وما ذاك ؟ قلت : لما له من ٱلحبّ في قلوب ٱلناس فقال : إِني سمعت أَبا هريرة رضي ٱلله عنه يحدّث عن رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم ثم ذكر ٱلحديث . وأخرجه ٱلترمذي ثم زاد في آخره فذلك قولُ ٱلله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا) [1] أنتهى ، وقال بعضُ ٱلسلف في تفسيرها يحبّهم ويحببهم إلى عباده .

وفي ٱلصحيحين من حديث أَنسٍ رضي ٱلله عنه أَن رجلاً سأل ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم عن ٱلساعة فقال : وَمَا أَعْدَدْتَ لها ؟ قالَ : لا شيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ ؟ فقال : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قال أَنس رضي ٱلله عنه : فما فَرِحْنا بشيءٍ فَرَحَنا بقول ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قال [أَنس] : فأَنا أُحبّ ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم وأَبا بكر وعمر وأَرجو أَن أكون معهم بحبي إِياهم وإِن لم أَعمل أَعمالهم . وفي ٱلترمذي عنه أَن رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قال : ٱلمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَلَهُ مَا ٱكْتَسَبَ . وفي سنن أَبي داود عنه قال : رأَيت أَصحاب ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم فرِحوا [بشيءٍ لم أَرهم فرحوا]

---

(١) سورة مريم الآية ٩٦

بشيءٍ أشدَّ منه قال رجل : يا رسولَ اللهِ الرجلُ يحبُّ الرجلَ علَى العمل من الخير يعملُ به ولا يعملَ بمثله . فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : المرْءُ مع مَنْ أحبَّ . وهذه المحبة لله توجب المحبة في الله قطعاً ، فإن من محبة الحبيب المحبة فيه والبغضَ فيه . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : يَقُولُ اللهُ تعالى يومَ القِيامَةِ أينَ المُتَحابُّونَ بجلالي اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلّي يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي . وفي جامع أبي عيسى الترمذي من حديث مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول : قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : المُتَحابُّونَ بجلالي لهُمْ منابِرُ مِنْ نورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبيُّونَ والشُّهَدَاءُ . وفي لفظ لغيره : المُتَحابُّونَ بجلالِ اللهِ يكونونَ يوْمَ القِيامَةِ على منابِرَ مِنْ نورٍ يَغْبِطُهُمْ أهْلُ الجَمْعِ . وفي الموطَّأ من حديث أبي إدريس الخولاني قال : دخلت مسجدَ دمشق فإذا [فتىً] برّاقُ الثنايا والناسُ حوله فإذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه وصدَروا عن رأيه فسألت عنه فقالوا : هذا مُعاذ بن جبل ، فلما كان الغدَ هجَّرت إليه فوجدتُه قد سبقني بالتهجير [1] ، ووجدته يصلي ، فانتظرتُه حتى قضى صلاتَه ، ثم جئته من قِبَلِ وجهه فسلّمت عليه ثم قلت : واللهِ إني لأُحبك في الله فقال : آلله ؟ قلت : آلله فقال : آلله فقلت : آلله فأخذ بحَبْوَةِ ردائي فجبذني إليه وقال : ابشرِ فإني سمعت رسولَ اللهِ صلى الله

(١) التهجير : التبكير الى كل شيء والمبادرة اليه .

عليه وسلم يقول: قال اللهُ (تبارك و) تعالى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ. وفي سنن أبي داود من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ. وفيه أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ قالوا: يا رسولَ اللهِ تخبرُنا من هم؟ قال: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ وقرأ هذه الآية: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [1]. وفي لفظٍ لغيره: إِنَّ لِلهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ قالوا يا رسولَ اللهِ صِفْهُمْ لنا، حلِّهم لنا لعلنا نحبّهم قال: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ تَبَاذَلُوهَا وَلَا أَرْحَامٍ تَوَاصَلُوهَا هُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ وَعَلَى كَرَاسِيَّ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ثُمَّ قَرَأَ هذه الآية: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٢

عنه أَنَّ رسولَ ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم قال: إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ ٱللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قال: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ قَالَ: لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ فِي ٱللهِ تعالى قال: فَإِنِّي رَسُولُ [ٱللهِ] إِلَيْكَ أَنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ. وقال رجلٌ لمعاذ بن جبل: إِني أُحبك في ٱلله قال: أَحَبَّكَ ٱلذي أَحببتني له. وفي سنن أَبي داود أَن رجلاً كان عند رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم فمرّ رجلٌ فقال: يا رسولَ ٱلله إِنِي لَأُحِبُّ هذا فقال له رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم: أَعْلَمْتَهُ؟ قال: لا قال: أَعْلِمْهُ فلحقه فقال: إِني أُحبك في ٱلله قال: أَحَبَّكَ ٱلذي أَحببتني له. وفيها أَيضاً عن ٱلمِقْدام بن معدي كَرِب رضي ٱلله عنه أَن رسولَ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قال: إِذا أَحَبَّ ٱلرَّجلُ أَخاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنهُ يحِبُّهُ. وفي ٱلترمذي من حديث يزيدَ بن نَعامة ٱلضَّبِيِّ رضي ٱلله عنه قال: قال رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم: إِذا آخَى ٱلرَّجُلُ ٱلرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ. وفي صحيح مسلم من حديث أَبي هريرة رضي ٱلله عنه أَن رسولَ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قال: وَٱلَّذِي نفسي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذا فعلتموهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا ٱلسَّلَامَ بَيْنَكُمْ. وقال ٱلإِمام أَحمد:

حدّثنا حجاج بن محمد الترمذي، حدّثنا شريك، عن أبي سنان[1] عن عبد الله بن أبي الهُذيل عن عمّار بن ياسِر أن أصحابه كانوا ينتظرونه، فلما خرج قالوا : ما أبطأك عنا أيها الأمير؟ قال : أمَا إني سوف أحدّثكم أنّ أخاً لكم ممن كان قبلكم وهو موسى صلى الله عليه وسلم قال : يا ربّ حدّثني بأحبّ الناس إليك قال : ولِمَ ؟ قال : لأحبّه بحبك إياه قال : عبدٌ في أقصى الأرض أو طرف الأرض سمع به عبدٌ آخرُ في أقصى أو طرف الأرض لا يعرفه، فإن أصابته مصيبةٌ فكأنما أصابته، وإن شاكته شوكةٌ فكأنما شاكته، لا يحبه إلاّ لي فذلك أحبُّ خلقي إليّ قال : يا ربّ خلقتَ خلقاً تدخلهم النار أو تعذّبهم، فأوحى الله إليه كلُّهم خلقي ثم قال : ازرع زرعاً فزرعه فقال : اسقِهِ فسقاه ثم قال : قم عليه فقام عليه ما شاء الله من ذلك فحصده ورفعه فقال : ما فعل زرعك يا موسى؟ قال : فرغت منه ورفعته قال : ما تركتَ منه شيئاً ؟ قال : ما لا خيرَ فيه أو ما لا حاجة [لي] فيه قال : فكذلك أنا لا أُعذّب إلاّ مَن لا خير فيه .

فصل ولو لم يكن [في] محبة الله إلاّ أنها تنجي محبهّ من عذابه لكان ينبغي للعبد أن لا يتعوّض عنها بشيء أبداً . وسئل بعض العلماء

---

(١) في الاصل : اسرائيل عن ابي سفيان وفي ن ونسخة الامير : شريك عن ابي سيّار وكلها تصحيف .

أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذّب حبيبه؟ فقال: في قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم)[1] الآية. وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل بن يونس عن الحسن رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: واللهِ لا يعذِّبُ اللهُ حبيبهُ ولكنْ قد يبتليه في الدُّنيا. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سيّار، حدّثنا جعفر، حدّثنا أبو غالب قال: بلغنا أن هذا الكلام في وصية عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: يا معشر الحواريّين تحبّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقرّبوا إليه بالمقت لهم والتمسوا رضاه بسخطهم قالوا: يا نبيّ الله فمن نجالس؟ قال: جالسوا من يزيد [في] أعمالكم منطقه، ومن تذكركم بالله رؤيته، ويزهّدكم في دنياكم علمهُ[2]

ويكفي في الإقبال على الله تعالى ثواباً عاجلاً أن الله سبحانه وتعالى يُقبل بقلوب عباده إلى من أقبل عليه، كما أنه يُعرض بقلوبهم عمن أعرض عنه، فقلوب العباد بيد الله لا بأيديهم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسن في تفسير شيبان عن قتادة قال: ذُكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبدٌ [علَى] الله بقلبه إلا أقبل الله عزّ وجلّ بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودّتهم ورحمتهم. وقد روي هذا مرفوعاً ولفظه: وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللهِ بِقَلْبِهِ إِلاَّ أَقْبَلَ اللهُ [عزَّ وجلَّ]

---

(١) سورة المائدة الآية ١٨

(٢) في نسخة الامير: عمله.

عَلَيْهِ بِقُلُوبِ عِبَادِهِ وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ . وإذا كانت القلوبُ مجبولةً على حب من أحسن إليها وكلُّ إحسانٍ وصل إلى العبد فمن الله عزّ وجلّ كما قال الله تعالى : (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ)[1] فلا ألأمَ ممن شغل قلبه بحبّ غيره دونه . قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو معاوية قال : حدّثني الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود أحببني وحبّب عبادي إليّ وحببني إلى عبادي قال : يا رب هذا أحبك وأُحبّب عبادك إليك فكيف أُحبّبك إلى عبادك ؟ قال : تذكرني عندهم ، فإنهم لا يذكرون مني إلا الحسن .

ومن أفضل ما سُئل اللهُ عزّ وجل حبه وحبُّ من يحبّه وحبّ عملٍ يقرّب إلى حبه ، ومن أجمع ذلك أن يقول : اللهمَّ إني أسألك حبّك وحبَّ من يحبك وحبَّ عملٍ يقرّبني إلى حبك ، اللهم ما رزقتني مما أُحب فاجعله قوّةً لي فيما تحب ، وما زَوَيْتَ عني مما أحبّ فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ ، اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من أهلي ومالي ومن الماء البارد على الظمأ ، اللهم حبّبني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين واجعلني ممن يحبّك ويحبّ ملائكتك وأنبياءك ورسلك وعبادك الصالحين ، اللهم أحيِ قلبي بحبك واجعلني لك كما تحبّ ، اللهم اجعلني أحبك بقلبي كلِّه ، وأرضيك بجهدي

---

(١) سورة النحل الآية ٥٣

كلّه ، اللهم أجعل [حبي كلّه] لك ، وسعيي كلّه في مرضاتك[1]

وهذا ٱلدُّعآء هو فُسطاطُ خيمة ٱلإسلام ٱلذِي قيامُها به ، وهو حقيقة شهادة أن لا إِلٰه إلاّ ٱللّٰه وأن محمداً رسولُ ٱللّٰه ، وٱلقائمون بحقيقة ذلك هم ٱلذين هم بشهادتهم قائمون ، وٱللّٰهُ سبحانه تعرّف إِلى عباده من أسمآئه وصفاته وأَفعاله بما يوجب محبتَهم له ، فإِن ٱلقلوب مفطورةٌ [عَلَى] محبة ٱلكمال ومن قام به ، وٱللّٰهُ سبحانه وتعالى له ٱلكمالُ ٱلمطلقُ من كلّ وجهٍ ٱلذي لا نقصَ فيه بوجهٍ ما ، وهو سبحانه ٱلجميلُ ٱلذي لا أَجمل منه ، بل لو كان جمالُ ٱلخلق كلّهم عَلَى رجلٍ واحدٍ منهم وكانوا جميعُهم بذلك ٱلجمال لما كان لجمالهم قطُّ نسبةٌ إِلى جمال ٱللّٰه ، بل كانت ٱلنسبةُ أَقلّ من نسبة سراجٍ ضعيفٍ إِلى حِذآء جِرم ٱلشمس[2] (وَلِلّٰهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ)[3] . وقد روَى عن ٱلنبي صلى ٱللّٰه عليه وسلم قوله إِنَّ ٱللّٰهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ ٱلْجَمَالَ عبدُ ٱللّٰه بن عَمرو بن ٱلعاص ، وأَبو سعيد ٱلخدري ، [وعبد ٱللّٰه بن مسعود] ، وعبد ٱللّٰه بن عمر بن ٱلخطاب ، وثابت بن قيس ، وأَبو ٱلدَّرداء ، وأَبو هريرة ، وأَبو ريحانة رضي ٱللّٰه عنهم . ومن أَسمآئه ٱلحسنى ٱلجميلُ ، ومَن أَحقُّ بٱلجمال ممن كلُّ جمالٍ في ٱلوجود فهو من آثار صُنعه ، فله جمالُ ٱلذات ، وجمالُ ٱلأَوصاف ، وجمالُ

---

(١) قال الترمذي في جامعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان من دعاء داود اللهم .. وذكر نحواً من هذا الدعاء . (٢) في نسخة الامير : سراج ضعيف جداً الى جرم الشمس وكذلك أصلحت بالقلم في ن . (٣) سورة النحل الآية ٦٠

الأفعال، وجمالُ الأسماء، فأسماؤه كلُّها حُسْنَى، وصفاتُه كلُّها كمال، وأفعاله كلُّها جميلة[1]، فلا يستطيع بشرٌ النظرَ إلى جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدنٍ أنستهم رؤيتُه ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذٍ إلى شيءٍ غيره، ولولا حجابُ النور على وجهه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه سبحانه وتعالى ما انتهى إليه بصرُه من خلقه، كما في صحيح البخاري[2] من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: إنَّ اللهَ لا ينامُ ولا ينبغي له أن ينامَ يخفضُ القسطَ ويرفعُهُ، يرفعُ إليهِ عملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ حجابُهُ النورُ لو كشفهُ لأحرقت سبحاتُ وجهِهِ ما انتهى إليهِ بصرُهُ من خلقهِ.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهارٌ نورُ السموات من نور وجهه، وإن مقدار كلِّ يومٍ من أيامكم عند الله اثنتا عشرة ساعة، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس [فتعرض عليه] أول النهار أو اليومِ فينظر فيها ثلاث ساعات، فيطّلع منها على بعض ما يكره فيغضبه ذلك، فأولُ من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقُل عليهم فيسبحه الذين يحملون العرش وسُرادقات العرش والملائكةُ المقرَّبون وسائر الملائكة، وينفخ جبريلُ في القرنِ فلا يبقى شيءٌ إلا الثقلين الجنّ والإنس، فيسبحونه ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمنُ رحمةً،

(١) في الاصل: جميل وفي نسخة الامير: حميدة. (٢) هو في مسلم.

فتلك ستُّ ساعاتٍ ، ثم يُؤتى بما في الأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات فيصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم ، فتلك تسع ساعات ، ثم ينظر في أرزاق الخلق كلّهم ثلاث ساعات ، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيءٍ عليم ، ثم قرأ : (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شأنٍ)[1] ثم قال عبدالله : هذا من شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى (رواه عثمان بن سعيد الدّارمي) حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب بن عبدالله الفهري[2] ، عن ابن مسعود رضي الله عنه . ورواه الحسن بن إدريس ، عن خالد بن الهياج[3] ، عن أبيه ، عن عبّاد بن كثير ، عن جعفر بن الحارث ، عن معدان[4] ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن ربكم ليس عنده نهار ولا ليلٌ ، وإن السموات مملوءاتٌ نوراً من نور الكرسي ، وإن يوماً عند ربك اثنتا عشرة ساعةً ، فترفع فيها أعمال الخلائق في ثلاث ساعات ، فيرى فيها ما يكره فيغضبه ذلك ، وإن أوّل من يعلم بغضبه حملةُ العرش يرونه يثقل عليهم فيسبّحون له ويسبح له سُرادقات العرش

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٩

(٢) هكذا في النسخ الثلاث وبفهم من تهذيب التهذيب ان حماد بن سلمة يروي عن الزبير ابي عبد السلام عن ايوب بن عبد الله بن مَكرِز القرشي عن ابن مسعود .

(٣) كذا في الاصل ون . وفي نسخة الامير وهامش ن : خالد بن التياح .

(٤) في نسخة الامير : عن موران .

في ثلاث ساعاتٍ من ٱلنهار، حتى يمتلئ ربنا رضاً فتلك ست ساعات من ٱلنهار، ثم يأمر بأرزاق ٱلخلائق فيعطي من يشآء في ثلاث ساعاتٍ من ٱلنهار، فتلك تسع ساعات، ثم يرفع إليه أرحام كل دابّةٍ فيخلق فيها ما يشآء، ويجعل ٱلمدّة لمن يشآء في ثلاث ساعاتٍ من ٱلنهار، فتلك أثنتا عشرة ساعةً، ثم تلا أبن مسعود رضي ٱلله عنه [هذه ٱلآية] (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) هذا من شأن ربنا تبارك وتعالى. وفي دعآء ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم ٱلذي دعا به يوم ٱلطائف، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ ٱلظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطُكَ لَكَ ٱلْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ [1]. وإذا جآء سبحانه [وتعالى] يوم ٱلقيامة لفصل ٱلقضآء بين عباده تشرق لنوره ٱلأرض كلها كما قال ٱلله تعالى: (وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ) [2] وقولُ عبد ٱلله بن مسعود رضيَ ٱلله عنه نورُ ٱلسموات والأرض من نور وجهه تفسيرٌ لقوله تعالى: (ٱللهُ نُورُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ) [3]. وفي ٱلصحيحين من حديث أبي بكر رضي ٱلله عنه في أستفتاح ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم قيامَ ٱلليل: ٱللّٰهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ. وفي سنن أبن ماجه وحرب ٱلكرماني من حديث ٱلفضل بن عيسى ٱلرَّقاشي،

---

(١) رواه ابن اسحاق في السيرة والطبراني في الدعآء والمعجم الكبير.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٩ (٣) سورة النور الآية ٣٥

«ر: م ٥٦»

عن محمد بن ٱلمُنكَدِر ، عن جابر بن عبد ٱلله رضي ٱلله عنهما قال : قال رسولُ ٱلله صلى ٱللهُ عليه وسلم : بَيْنَا أَهلُ ٱلْجَنَّةِ في نعيمهِمْ إذ سطعَ لَهُمْ نُورٌ فرفعوا رُؤُوسَهُمْ فإذا ٱلرَّبُّ قد أشرفَ عليهِمْ مِن فوقِهِمْ فيقولُ ٱلسَّلامُ عليكُمْ يا أهلَ ٱلْجَنَّةِ وذلكَ قولُهُ : (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)[1] فيرفعونَ رُؤُوسَهُمْ فينظرُونَ إليهِ وَينظرُ إليهِمْ ولا يلتفتونَ إلى شيءٍ مِنَ ٱلنَّعيمِ حتّى يحتجبَ عنهُمْ فيبقى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عليهِمْ وعلى دِيارِهِمْ ومنازِلِهِمْ لفظ حديث حرب فما ظَنُّ ٱلمُحِبِّينَ بلذَّةِ ٱلنَّظرِ إلى وَجهِهِ ٱلكريمِ في جنَّاتِ ٱلنَّعيمِ ؟ وقد كان من دعاء ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم : أسألُكَ لذَّةَ ٱلنَّظرِ إلى وجهِكَ وَٱلشَّوقَ إلى لِقائِكَ (ذكره ٱلإمام أحمد وٱلنَّسائي وٱبن حِبَّان في صحيحه) فٱسمع ٱلآن شأنَ أوليائه وأحِبَّائه عند لقائه ثم ٱختر لنفسك :

أنت ٱلقتيلُ بكلِّ من أحببتَه فٱختر لنفسك في ٱلهوى من تصطفي

قال هشام بن حسّان عن ٱلحسن : إذا نظر أهل ٱلجنة إلى ٱلله تعالى نسُوا نعيمَ ٱلجنة وقال هشام بن عمّار : حدّثنا محمد بن سعيد بن سابور[2] حدّثنا عبد ٱلرحمن بن سليمان[3] حدّثنا سعيد بن عبد ٱلله ٱلجرشي ٱلقاضي

---

(١) سورة يس الآية ٥٨

(٢) هكذا في النسخ الثلاث والذي في تهذيب التهذيب ان هشام بن عمار يروي عن محمد بن شعيب بن شابور وهو يروي عن عبد الرحمن بن حسان الكناني .

(٣) في ن : عبد الرحمن بن سليم .

أنه سمع أبا إسحاق الهمداني يحدّث عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفعه قال : إنّ الله إذا أسكن أهل الجنّة الجنة وأهل النّار النّار بعث إلى أهل الجنّة الرّوح الأمين فيقول : يا أهل الجنّة إنّ ربّكم يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروه إلى فناء الجنّة وهو أبطح الجنة تربته المسك وحصباؤه الدرّ والياقوت وشجره الذهب الرّطب وورقه الزمرّد فيخرج أهل الجنّة مستبشرين مسرورين فثمّ يجمعهم وثمّ كرامة الله والنظر إلى وجهه وهو موعد الله أنجزه لهم فيأذن الله لهم في السّماع والأكل والشّرب ويكسون حلل الكرامة ثمّ ينادي مناد : يا أولياء الله هل بقي ممّا وعدكم الله[1] شيء فيقولون لا وقد أنجزنا ما وعدنا فما بقي شيء إلاّ النظر إلى وجهه ، فيتجلّى لهم الرّبّ (تبارك وتعالى) في حجب فيقول : يا جبريل ارفع حجابي لعبادي كي ينظروا إلى وجهي قال : فيرفع الحجاب الأوّل فينظرون إلى نور من نور الرّبّ فيخرّون [له] سجّداً فيناديهم الرّبّ يا عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنّها ليست بدار عمل إنما هي دار ثواب ، فيرفع الحجاب الثّاني فينظرون أمراً هو أعظم وأجلّ فيخرّون لله حامدين ساجدين فيناديهم الرّبّ [أن] ارفعوا رؤوسكم إنّها ليست بدار عمل إنّما هي دار ثواب ونعيم مقيم فيرفع الحجاب

---

(١) في ن ونسخة الامير : وعدكم ربكم .

الثالث فعند ذلك ينظرون إلى وجه رب العالمين فيقولون حين ينظرون إلى وجهه سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فيقول كرامتي أمكنتكم من النظر [إلى وجهي] وأحللتكم داري فيأذن الله للجنة أن تكلمي فتقول: طوبى لمن سكنني وطوبى لمن يخلد في وطوبى لمن أعددت له وذلك قوله تعالى: (طوبى لهم وحسن مآب)[1] وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة)[2]. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن. وذكر عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا أبو الربيع، حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن كعب قال: ما نظر الله إلى الجنة إلا قال: طيبي لأهلك فزادت طيباً على ما كانت، وما من يوم كان عيداً في الدنيا إلا يخرجون في مقداره إلى رياض الجنة، ويبرز لهم الرب تبارك وتعالى وينظرون إليه، وتسفي عليهم الريح بالطيب والمسك فلا يسألون ربهم تبارك وتعالى شيئاً إلا أعطاهم، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا على ما كانوا عليه من الحسن والجمال سبعين ضعفاً. وقال عبد بن حميد:

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٩

(٢) سورة القيامة الآيتان ٢٢ و ٢٣

أخبرني شبابة عن إسرائيل ، حدثنا ثوير بن أبي فاختة سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر [إلى] خدمه ونعيمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الآية (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) رواه الترمذي في جامعه عنه .

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه [إلى] النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ أهل الجنة إذا بلغ منهم النعيم كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن . وقال الحسن البصري في قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال : حسنها الله تعالى بالنظر إليه سبحانه وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها عز وجل : قال أبو سليمان الداراني : لو لم يكن لأهل المحبة أو قال المعرفة إلا هذه الآية : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) لاكتفوا بها . وذكر النسائي من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضامون في رؤية الشمس في يوم لا غيم فيه وفي القمر ليلة البدر لا غيم فيها ؟ قلنا : لا قال : فإنكم سترون ربكم حتى إنَّ أحدكم ليحاضره

محاضرةً فيقولُ : عبدِي هل تعرفُ ذنبَ كذا وكذا ؟ فيقول : [يا] ربِّ ألمْ تغفرْ لي؟ فيقولُ : بمغفرتي صرتَ إلى هذا . وفي الصحيحين من حديث مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله تعالى يقولُ لأهلِ الجنةِ يا أهلَ الجنةِ فيقولون : لبيكَ ربَّنا وسعدَيكَ والخيرُ في يديكَ فيقولُ : هل رضيتُمْ ؟ فيقولون : ومَا لنَا لا نرْضى وقدْ أعْطيتَنا مَا لَمْ تُعطِ أحداً مِن خلقِكَ فيقولُ : ألا أُعطيكُمْ أفضلَ مِنْ ذلكَ ؟ فيقولون : يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلِكَ ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكُمْ رِضوَاني فلاَ أسخطُ عليكُمْ أبداً .

وفي الصحيح (1) والسنن والمسانِد من حديث ثابت البُناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخَلَ أهْلُ الجنةِ الجنَّةَ نادى منادٍ : يا أهْلَ الجنةِ إنَّ لكُمْ عِندَ اللهِ موعِداً يريدُ أنْ يُنجزكُمُوهُ فيقولون : ما هوَ ألَمْ يبيِّضْ وُجوهنا ويُثقِّلْ موازِينَنا ويُدْخِلنا الجنَّةَ ويُجِرْنا مِنَ النَّارِ ؟ فيكْشِفُ الحجابَ فينظُرُونَ إليْهِ فواللهِ ما أعطاهُمُ اللهُ شيئاً أحبَّ إليهِمْ مِنَ النظَرِ إليهِ ولاَ أقرَّ لأعينِهِمْ .

وفي صحيح البخاري من حديث جرير بن عبد الله قال : كُنَّا

---

(1) في ن : الصحيحين .

جلوساً عِنْدَ ٱلنبي صلى ٱللهُ عليه وسلم إِذْ نظرَ إلى ٱلْقمرِ لَيْلَةَ ٱلْبدْرِ فقَالَ: إِنَّكُمْ ستَروْنَ ربَّكُمْ كَمَا تروْنَ هٰذا ٱلْقمرَ لا تُضامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ ٱسْتطعتمْ أَنْ لا تغْلبُوا على صلاةٍ قبلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وقَبْلَ غرُوبِهَا فَٱفْعَلُوا. وفي ٱلصحيحين من حديث ٱلزُّهرِي، عن عطآءِ بن يزيدَ ٱلليثي، عن أَبي هريرة رضي ٱلله عنه أَنَّ ٱلناسَ قالوا: يا رسولَ ٱلله هل نرى ربَّنا يوم ٱلقيامة؟ فقال رسولُ ٱلله صلى الله عليه وسلم: هَلْ تُضارُّونَ فِي ٱلْقَمرِ لَيْلَةَ ٱلْبدْرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ ٱلله قال: فَهلْ تضارُّونَ فِي ٱلشَّمْسِ لَيْسَ دُونها سحَابٌ؟ قالوا: لا يا رسولَ ٱلله قال: فَإِنَّكُمْ ترَوْنَهُ كَذٰلِكَ. وَفِي لفظٍ فإِنَّكُمُ لا تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ ربِّكُمْ إِلاَّ كَما تُضارُّون فِي رُؤْيتِهما.

وقال ٱلترمذي: حدَّثنا قُتَيبة، حدثنا عبدٱلعزيز بن محمد، عن ٱلعلآءِ بن عبد ٱلرحمن، عن أَبيه، عن أَبي هريرة رضي ٱلله عنه أَنَّ رسولَ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قال: يجمعُ ٱللهُ ٱلنَّاسَ يوْمَ ٱلْقيامةِ في صعِيدٍ واحدٍ ثُمَّ يطَّلِعُ عليهِمْ ربُّ ٱلْعالَمِينَ تبارَكَ وَتعالى فيقولُ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ إِنْسانٍ ما كانَ يَعبدُ فيُمثَّلُ لِصاحبِ ٱلصَّلِيبِ صلِيبُهُ ولِصاحِبِ ٱلتَّصاوِيرِ تَصاوِيرُهُ ولِصاحِبِ ٱلنَّارِ نارُهُ فيَتَّبِعونَ ما كانُوا يعبُدُونَ ويَبْقَى ٱلْمُسلِمُونَ فيَطَّلِعُ عليهِمْ ربُّ ٱلْعالَمِينَ تبارَكَ وتعالى فيقولُ: أَلا تتَّبِعُونَ ٱلنَّاسَ؟ فيقولُونَ: نعُوذُ بِٱللهِ مِنكَ نعوذُ بِٱللهِ مِنكَ، ٱللهُ ربُّنَا، هٰذا مكانُنا حتَّى نرى ربَّنا،

وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فيقول: أَلاَ تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ [نعوذُ باللهِ مِنكَ] أَللهُ رَبُّنَا، وَهذَا مَكَانُنَا حتّى نَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ قالوا: وَهَلْ نَرَاهُ يارسول اللهِ؟ قال: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قالوا: لا يَارَسُولَ اللهِ قال: فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ. قال: ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ ثم يقول: أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ عليهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عليه: سَلِّمْ سَلِّمْ، وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ فَيُقَالُ هَلِ امْتَلأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ فَيُقَالُ: هَلِ امْتَلأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حتى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمٰنُ تبارك وتعالى فِيهَا قَدَمَهُ فَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وقالت: قَطْ قَطْ، فَإِذَا أَدْخَلَ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ[1] الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ: قَدْ عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا، فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ[1] ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلاَ مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلاَ

---

(١) في النسخ الثلاث الصور والتصويب من جامع الترمذي .

مَوْتٌ . قال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ (صحيحٌ) وأَصلُه في الصحيحين لكن هذا السياقُ أجمع وأَخصر . وفي لفظِ الترمذي : فَلَوْ أَنَّ أَحداً مَاتَ فَرَحاً لمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ أَنَّ أَحداً مَاتَ حُزْناً لمَاتَ أَهْلُ النَّارِ .

وفي مسند الحارث بن أَبي أُسامة من حديث قُرَّة[(١)] ، عن مالك ، عن زياد بن سعد ، حدثنا أبو الزبير قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما [يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم] يقول : إذا كانَ يومُ القيامَةِ جُمِعَتِ الأُمَمُ وَدُعِيَ كُلُّ أُناسٍ بِإِمَامِهِم . فَجِئْنَا آخِرَ النَّاسِ فيَقُولُ قائِلٌ (مِنَ) النَّاسِ : مَنْ هٰذِهِ الأُمَّةُ ؟ قَالَ فَيَشْرِفُ[(٢)] إِلَيْنَا النَّاسُ فَيُقَالُ : هٰذِهِ الأُمَّةُ الأَمِينَةُ ، هٰذِهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ، وَهٰذا مُحَمَّدٌ في أُمَّتِهِ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ إِنَّكُمُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ قال : فَنَأْتِي فَنَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ حَتَّى نَكُونَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى اللهِ تعالى مَنْزِلَةً ، ثُمَّ يُدْعَى النَّاسُ كُلُّ أُناسٍ بِإِمَامِهِمْ ، فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ اليَهُودُ فيقول : مَنْ نَبِيُّكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ نَبِيُّنَا مُوسَى فيقول : ما كِتَابُكُمْ ؟ فيقولون : كِتَابُنَا التَّوْرَاةُ فيقول : ما تَعْبُدُونَ ؟ فيقولون : نَعْبُدُ عُزَيْراً ونَعْبُدُ اللهَ ، فيقول لِلْمَلإِ حوله اسْلُكُوا بِهِمْ في جَهَنَّم . ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارى فيقول : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فيقولون : نَحْنُ النَّصَارى

---

(١) في نسخة الأمير : من حديث ابي قرد عن زياد .

(٢) في الاصل ون : ويشرف وفي نسخة الامير : فيشر .

فيقول: مَنْ نَبِيُّكُمْ؟ فيقولون: نَبِيُّنَا عِيسى فيقول: مَا كِتَابُكُمْ؟ فيقولون: كِتَابُنَا الْإِنْجِيلُ فيقول: مَا تَعْبُدُونَ؟ فيقولون: نَعْبُدُ عِيسى وَأُمَّهُ وَاللهَ، فيقول لِلْمَلَإِ حوله: اسْلُكُوا بِهَؤُلَاءِ فِي جَهَنَّمَ، فَيُدْعَى عِيسى فيقول لِعِيسى يا عِيسى (ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ)[1] فيقول: (سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ)[1] إلى قوله (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[2] ثم يُدْعَى كُلُّ أُناسٍ بِإِمَامِهِمْ وَمَا كانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ يَصْرَخُ الصَّارِخُ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ إِلٰهًا فَلْيَتَّبِعْهُ تَقَدَّمَهُمْ آلِهَتُهُمْ مِنْهَا الْخَشَبُ وَالْحِجَارَةُ، وَمِنْهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْهَا الدَّجَّالُ حَتَّى تَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فَيَقِفُ عليهم فيقول: مَنْ أَنْتُمْ؟ فيقولون: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ قال: خَيْرُ اسْمٍ وَخَيْرُ دَاعِيَةٍ فيقول: مَنْ نَبِيُّكُمْ؟ فيقولون: مُحَمَّدٌ فيقول: مَا كِتَابُكُمْ؟ فيقولون: الْقُرْآنُ فيقول: مَا تَعْبُدُونَ؟ فيقولون: نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قال: سَيَنْفَعُكُمْ ذٰلِكَ إِنْ صَدَقْتُمْ قالوا: هٰذَا يَوْمُنَا الَّذِي وُعِدْنَا فيقولُ: أَتَعْرِفُونَ اللهَ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فيقولون: نَعَم فيقول: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ؟ فيقولون: [نَعْلَمُ][3] أَنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ قالَ: فَيَتَجَلَّى لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيقولون: أَنْتَ رَبُّنَا تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُكَ وَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا ثُمَّ يَمْضِي النُّورُ بِأَهْلِهِ.

(١و٢) سورة المائدة الآية ١١٦ـ١١٨

(٣) في نسخة الامير: نعم

وفي مسند الإمام أحمد [رضي الله عنه] من حديث أبي الزبير قال: سألت جابراً عن الورود فأخبرني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نَجِيءُ يومَ القيامةِ على كَوْمٍ فوقَ النَّاسِ فتُدعى الأُمَمُ بأوثانِها وما كانت تعبدُ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، ثُمَّ يأتينا ربُّنا بعدَ ذلكَ فيقولُ: ما تَنْتَظِرُونَ؟ فيقولون: نَنْتَظِرُ ربَّنا فيقول: أنا ربُّكُمْ فيقولون: حتَّى نَنظُرَ إليكَ فيتجلَّى لهُمْ يَضحكُ فيتَّبِعونَهُ.

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي أن أبا بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري أتى عمرَ بن عبد العزيز فقال: حدَّثنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: يَجمعُ اللهُ الأُمَمَ يومَ القيامةِ في صَعيدٍ واحدٍ فإذا بَدا له أنْ يَصدعَ بينَ خلقهِ مَثَّلَ لِكُلِّ قومٍ ما كانوا يعبدُونَ فيتَّبعونَهُمْ حتَّى يُقحمُوهُمُ النَّارَ ثُمَّ يأتينا ربُّنا ونحنُ في مكانٍ فيقول: مَنْ أنتُمْ؟ فنقولُ: نَحْنُ المؤمنُونَ فيقول: ما تَنْتَظِرُونَ؟ فنقول: نَنْتَظِرُ ربَّنا فيقولُ: مِنْ أَيْنَ تعلمونَ أنَّهُ ربُّكُمْ؟ فنقولُ: حَدَّثَتْنا الرُّسُلُ أَوْ جاءَتْنا الكُتُبُ فيقولُ: هَلْ تعرِفُونَهُ؟ فيقُولُونَ: نعلَمُ[1] أَنَّهُ لا عِدلَ لهُ، فيتجلَّى لنا ضاحكاً ثم يقول: ابْشِرُوا معشرَ المُسلمينَ فإنَّهُ لَيسَ منكُمْ أحدٌ إلَّا وقدْ جعلتُ مكانَهُ في النَّارِ يهُودِيّاً أَوْ نَصْرانِيّاً فقال عمر لأبي بُرْدَةَ: آللهِ لقد سمعتَ أبا موسى يحدِّث

---

(١) في نسخة الامير: نعم.

بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرةٍ ولا مرتين ولا ثلاثاً فقال عمر بن عبد العزيز : ما سمعت في الإسلام حديثاً هو أحبُّ إليّ منه ·

وفي الترمذي من حديث الأوزاعي حدثني حسان بن عطية ، عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة ، أسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد : أَوَفيها سوق ؟ قال : نعم أخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤْذَن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى فيبرُز لهم عرشه ويتبدّى لهم في روضةٍ من رياض الجنة فتُوضع [لهم] منابرُ من نورٍ ومنابرُ من لؤلؤٍ ومنابرُ من ياقوتٍ ومنابرُ من زبرجدٍ ومنابرُ من ذهب ومنابر من فضةٍ ويجلس أدناهم وما فيهم دنيءٌ على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أهل الكراسي أفضلُ منهم مجلساً قال أبو هريرة : قلت : يا رسولَ الله وهل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : نَعَمْ هَلْ تُمارُونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قلنا : لا قال ؟ كَذٰلِكَ لا تُمارُونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ وَلا يَبْقَى فِي ذٰلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلاَّ حَاضَرَهُ اللهُ تَعَالَى مُحاضَرَةً حَتّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ : يا فُلانَ بْنَ فُلانٍ أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذا عَمِلْتَ كَذا وَكَذا فَيُذَكِّرُهُ بِبَعْضِ غَدَراتِهِ فِي الدُّنْيا فَيَقُولُ :

يَا رَبِّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ : بَلَى فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هٰذِهِ فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذٰلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ [شَيْئًا] قَطُّ ثُمَّ يَقُولُ : قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ وَلَمْ تَسْمَعِ الْآذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ فَيُحْمَلُ إِلَيْنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى وَفِي ذٰلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ وَذٰلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَتَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطِّيبِ أَكْثَرَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا .

وقال يعقوبُ بن سفيان في مسنده : حدَّثنا ابن المصفَّى ، حدّثنا سُويد بن عبد العزيز ، حدّثنا عمرو بن خالد ، عن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَزُورُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ وَذَكَرَ مَا يُعْطَوْنَ قال : ثم يقول الله تعالى : اكْشِفُوا الْحُجُبَ

فيكشفوا حجاباً ثم حجاباً حتى يتجلى لهم عن وجهه تبارك وتعالى وكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قول الله تعالى : (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)[١]

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي من حديث الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً أنه قال : يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع فيتجلى لنا ضاحكاً (مرسل صحيح) وقال عثمان الدارمي : حدثنا أبو موسى ، حدثنا أبو عوانه ، حدثنا الأجلح ، حدثنا الضحاك ابن مزاحم قال : إن الله يأمر السماء يوم القيامة فتنشق بمن فيها فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ثم يأمر السماء الثانية حتى ذكر سبع سموات فيكونون سبعة صفوف قد أحاطوا بالناس ، ثم ينزل الملك الأعلى جل جلاله في بهائه وجماله ومعه ما شاء من الملائكة . وقال عثمان بن سعيد : حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة ؟ حدثنا محمد بن شعيب بن ابن شابور[٢] ، حدثنا عمرو بن عبد الله مولى غُفْرَة[٣] ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني جبريل وفي كفه مرآة فيها نكتة سوداء فقلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة أرسل بها إليك ربك فتكون هدى لك ولأمتك من بعدك فقلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون

---

(١) سورة ق الآية ٣٥

(٢) في النسخ الثلاث : سابور وهو تصحيف .

(٣) في الاصل ون : عفرة وفي نسخة الامير عنزة وكلاهما تصحيف .

ٱلسَّابِقُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ ٱللهَ خَيْراً هُوَ لَهُ قسم إِلَّا أَتَاهُ وَلَا خَيْراً لَيْسَ لَهُ بقسم إِلَّا ادُّخِرَ(١) لَهُ أَفْضَلَ مِنْهُ وَلَا يَسْتَعِيذُ [بِٱللهِ] مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَّا دُفِعَ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْهُ قلت: مَا هٰذِهِ ٱلنُّكْتَةُ ٱلسَّوْدَاءُ ؟ قال: هٰذِهِ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَ تَقُومُ ٱلْقِيَامَةُ وَهُوَ سَيِّدُ ٱلْأَيَّامِ وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ عِنْدَنَا يَوْمَ ٱلْمَزِيدِ قلت: وَلِمَ تُسَمُّونَهُ يَوْمَ ٱلْمَزِيدِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قال: لِأَنَّ رَبَّكَ ٱتَّخَذَ فِي ٱلْجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ [ٱلْجُمُعَةِ] مِنْ أَيَّامِ ٱلْآخِرَةِ هَبَطَ ٱلْجَبَّارُ عَنْ عَرْشِهِ إِلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْوَادِي وَقَدْ حُفَّ ٱلْكُرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَجْلِسُ عَلَيْهَا ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ ٱلْغُرَفِ حَتَّى يَحُفُّوا بِٱلْكَثِيبِ ثُمَّ يَبْدُو لَهُمْ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: أَنَا ٱلَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَأَحْلَلْتُكُمْ دَارَ كَرَامَتِي فَسَلُونِي فَيَقُولُونَ بِأَجْمَعِهِمْ: نَسْأَلُكَ ٱلرِّضَا عَنَّا فَيَشْهَدُ لهم عَلَى ٱلرضا ثم يقول لهم: سلوني [فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى يَنْتَهِي نَهْمَةُ كُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ ثم يقول: سَلُونِي] فيقولون: حَسْبُنَا رَبَّنَا رَضِينَا فَيَرْجِعُ ٱلْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى عَرْشِهِ فَيَفْتَحُ لَهُمْ بِقَدْرِ إِشْرَافِهِمْ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَيَرْجِعُ أَهْلُ ٱلْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ وَهِيَ غُرْفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ

---

(١) كذا في الاصل وفي ن: ادخر في نسخة الامير: ذخر وكلها بمعنى واحد.

بَيْضَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَزُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ لَيْسَ فِيهَا قَصْمٌ وَلاَ وَصْمٌ مُطَّرِدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا مُتَدَلِّيَةٌ فِيهَا ثِمَارُهَا فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا وَمَسَاكِنُهَا فَلَيْسُوا إِلَىٰ يَوْمٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا. رواه عن أنسٍ جماعةٌ منهم عثمان بن عُمَيْر بن اليقظان[1] ومن طريقه رواه الشافعي في مسنده، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة[2]، ومنهم أبو صالح، والزُّبير بن عدي، وعلي بن الحكم البُناني، وعبد الملك بن عُمَيْر، ويزيد الرَّقاشي، وعبد الله بن بريدة كلُّهم عن أنسٍ وصححه جماعة من الحفاظ، وزاد الشافعي في مسنده في آخره: وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي اسْتَوَىٰ فِيهِ رَبُّكُمْ عَلَى الْعَرْشِ وساقه عثمان بن أبي شيبة من طرقٍ وقال في بعضها: ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيقول: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَهٰذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي إلى أن قال: ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَيَرْتَفِعُ مَعَهُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ.

وروى محمد بن الزِّبرقان، عن مقاتل بن حيَّان، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنَّهم يَزُورُونَ رَبَّهم فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فيقول لَهُمْ: تمنوا

---

(١) كذا في النسخ الثلاث وفي تهذيب التهذيب: ابو اليقظان.

(٢) كذا في الاصل: وفي ن: في المسند وكذلك هو في نسخة الامير.

[فيقولون : وما نتمنى وقد أدخلتنا الجنة و (قد) أعطيتنا ما أعطيتنا فيقال لهم : تمنوا] فيلتفتون إلى العلماء وذكر الحديث في قصة الجمعة ·

وروى ابن منده من حديث الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قصة الجمعة بطولها وفيها يقول : سلوني فيقولون أرنا وجهك رب العالمين ننظر إليك فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فينظرون إليه ·

وذكر عثمان الدارمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه حدث عمر بن عبد العزيز قال : إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة فيسلم على أهل الجنة في أول درجة فيردون عليه السلام قال القرظي : وهذا في القرآن (سلام قولاً من رب رحيم)[1] فيقول : سلوني يفعل بهم ذلك في درجهم حتى يستوي على عرشه ، ثم تأتيهم التحف من الله تحمله[2] الملائكة إليهم ·

وقال عبد الواحد[3] بن زيد ، عن الحسن : لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا ، وقال هشام بن حسان عنه أنه تبارك وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه نسوا نعيم الجنة ·

أعجب الصبر صبر المحبين قال الشاعر :

---

(١) سورة يس الآية ٥٨

(٢) كذا في النسخ الثلاث ولعل الصواب تحملها ·

(٣) في نسخة الامير : عبد الرحمن ·

والصبرُ يُحْمَدُ في المواطن كلِّها إلاَّ عليك فإنه لا يُحْمَدُ[1]

وقف رجلٌ على الشبلي فقال: أي الصبر أشدُّ على الصابرين؟ قال: الصبر في الله فقال السائل: لا فقال: الصبر لله قال: لا قال: فالصبر مع الله قال: لا قال: فما هو؟ قال: الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخةً كادت رُوحه تزْهَق [قال الشاعر]:

والصبرُ عنك فمذمومٌ عواقبُه والصبرُ في سائر الأشياء محمود

الخوف يبعدك عن معصيته. والرجاء يخرجك إلى طاعته، والحبّ يسوقك إليه سوقاً. لما علم الله سبحانه أن قلوبَ المشتاقين إليه لا تهدأ إلاّ بلقائه ضرب لهم أجلاً للقاء تسكيناً لقلوبهم فقال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ)[2]

يا من شكى شوقَه من طول فُرقته إصبر لعلك تلْقى من تحب غدا

وسِرْ إليه بنار الشوق مجتهداً عساك تلقى على نار الغرام هدى

المحبُّ الصادق كلما قرب من محبوبه زاد شوقاً إليه.

وأعظمُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دَنَت الخِيامُ من الخيام[3]

كلما وقع بصرُ المحب على محبوبه أحدثت له رؤيتُه شوقاً على شوقه

ما يرْجِعُ الطرفُ عنه حين يبصره حتى يعودَ إليه الطرفُ مشتاقاً[4]

---

(١) في نسخة الامير وهامش ن: فانه مذموم

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥

(٣) في نسخة الأمير وهامش ن: اذا دنت الديار من الديار.

(٤) في نسخة الامير وهامش ن: لا يرجع ... حتى يعود إليه وهو مشتاق

المحب الصادق إذا سافر طرفه في الكون لم يجد له طريقاً إلا على محبوبه ، فإذا انصرف بصره عنه رجع إليه خاسئاً وهو حسير

ويسرح[1] طرفي في الأنام وينثني ... وإنسانُ عيني بالدموع غريق

فيرجعُ مردوداً إليك وما له ... على أحدٍ إلاّ عليكَ طريق

أقرّ شيء لعيون المحبّ خلوته بسرّه مع محبوبه . حدّثني من رأى شيخنا في عنفوان أمره خرج إلى البرّية بكرةً فلما أصحر تنفّس الصعداء ثم تمثل بقول الشاعر :

وأخرجُ من بين البيوت لعلّني ... أحدّث عنك القلبَ بالسر خاليا

الشوق يحمل المحبّ على العجلة في رضا المحبوب والمبادرة إليها على الفور ولو كان فيها تلفه[2] . (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)[3] قال بعضهم : أراد شوقاً إليك فستره بلفظ الرضا .

ولو قلتِ طَأْ في النارِ أعلمُ أنه ... رضاً لكِ أو مُدْنٍ لنا من وصالكِ

لقدّمتُ رِجلي نحوها فوطئتُها ... هدًى منكِ [لي] أو ضلّةً من ضلالكِ

ليهنكِ إمساكي بكفّي على الحشا ... ورقراقُ عيني خشيةً من زيالكِ

وإن ساءني أن نلتِني بمساءةٍ ... لقد سرّني أنّي خطرتُ ببالكِ

---

(١) في الأصل : ويرجع .

(٢) في نسخة الأمير وهامش ن : كلفه .

(٣) سورة طه الآيتان ٨٣ و ٨٤

من علامات المحبة الصادقة أن المحب لا يتمّ له سرورٌ إلاَّ بمحبوبه، وما دام غائباً عنه فعيشه كلُّه منغّصٌ .

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلاَّ بكم يتمُّ السرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غُيَّبٌ ونحن حضور

وقال آخر :

من سرّه العيدُ الجديد د فقد عدِمتُ به السرورا
كان السرور يتمُّ لي لو كان أحبابي حضورا

لو قيل للمحبّ على الدّوام : ما تتمنى؟ لقال : [لقاء] المحبوب .

ولما نزلنا منزلاً طلّه الندى أنيقاً وبستاناً من النّوْرِ حاليا
أجدَّ لنا طيبُ المكان وحسنُه منىً فتمنَّيْنا فكنت الأمانيا

وقال الجُنيْد : سمعت السريَّ يقول : الشوق أجلُّ مقامِ العارف إذا تحقّق فيه ، وإذا تحقق بالشوق لها عن كل ما يَشْغَلُه عمن يشتاق إليه .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ، قل لشبان بني إسرائيل لِمَ تَشْغَلُون نفوسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم ؟ ما هذا الجفاء ؟ ولو يعلم المُدْبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم ومحبتي لترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليَّ وانقطعت أوصالهم من محبتي . هذه إرادتي للمُدْبرين عني فكيف إرادتي للمقبلين علي ؟ وسئل الجُنيْد من أي شيءٍ بكاء المحب إذا لقي المحبوب؟ فقال : إنما يكون ذلك سروراً به ووجداً من شدّة الشوق إليه قال : ولقد بلغني أن أخوين تعانقا فقال أحدهما :

وا شوقاه [وقال الآخر] : وا وَجْداه . وكانت عجوزٌ لها غائبٌ فقدم من السفر فأظهر أهلها الفرح والسرور به . فجعلت تبكي فقيل لها : ما هذا البكاء ؟ فقالت : ذكّرني قدوم هذا الفتى [يوم] القدوم على الله . وقال بعض المحبين : قلوب المشتاقين منوَّرةٌ بنور الله ، فإذا تحرّك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض ، فيعرضهم الله سبحانه وتعالى على الملائكة فيقول : هؤلاء المشتاقون إليّ أشهد كم أني إليهم أشوق .

فصل قال ابن أبي الحواري رحمه الله تعالى : سئل أبو سليمان الدّاراني رحمه الله وأنا حاضرٌ ما أقرب ما يُتقرّب به إلى الله عز وجلّ ؟ فبكى ثم قال : مثلي يُسأل عن هذا ؟ أقربُ ما يُتقرّب به إليه أن يطّلع على قلبك وأنت لا تريد من الدّنيا والآخرة إلا هو . وقال يحيى بن معاذ : النسكُ هو العناية بالسرائر وإخراجُ ما سوى الله من القلب . وقال سهل ابن عبد الله : ما من ساعةٍ إلا والله سبحانه يطّلع فيها على قلوب العباد ، فأي قلبٍ رأى فيه غيره سلّطَ عليه إبليس . وقال سهل بن عبد الله : من نظر إلى الله عزّ وجلّ قريباً منه بعُد عن قلبه كلّ شيءٍ سوى الله ، ومن طلب مرضاته أرضاه الله سبحانه وتعالى ، ومن أسلم قلبه إلى الله تولّى الله جوارحه . وقال سهل أيضاً : حرام على قلبٍ أن يَشَمّ رائحة اليقين وفيه سكونٌ إلى غير الله ، وحرامٌ على قلب أن يدخله النور وفيه شيءٌ مما يكره الله . وسئل بعضهم عن أفضل الأعمال فقال : رعايةُ السرّ

عن ٱلالتفات إلى شيء سوى ٱلله عز وجل . وقال مسلم : تركتموه وأقبل بعضكم علَى بعضٍ . لو أقبلتم عليه لرأيتم ٱلعجائب .

فصل فإن تقاصرت همتك ٱلدَّنيّة عن ترك ٱلفواحش [محبةً لهذا ٱلمحبوب ٱلأعلى ولست هناك فٱتركها] محبةً للنسآء ٱللاّتي وصفهن ٱلله في كتابه ، وبعث رسولَه داعياً إلى وصالهن في جنة ٱلمأوى . وقد تقدَّم ذكرُ بعض صفاتهن ولذَّة وصالهنَّ ، فإن تقاصرت همتُك عنهن ولم تكن كفوءاً لخطبتهن ودعتك نفسُك إلى إيثار ما ها هنا عليهن فكن من عقوبته ٱلعاجلة وٱلآجلة علَى حذر . وٱعلم أن ٱلعقوبات تختلف ، فتارةً تُعَجَّل وتارةً تؤَخّر وتارةً يجمع ٱلله علَى ٱلعاصي بينهما . وأشدُّ ٱلعقوبات ٱلعقوبة بسلب ٱلإيمان ، ودونها ٱلعقوبةُ بموت ٱلقلب ومحوِ لذَّة ٱلذكر وٱلقرآءة وٱلدُّعاء وٱلمناجاة منه ، وربما دبّت عقوبةُ ٱلقلب فيه دبيبَ ٱلظلمة إلى أن يمتلئَ ٱلقلبُ بها فتعمى ٱلبصيرة ، وأهونُ ٱلعقوبة ما كان واقعاً بٱلبدن في ٱلدنيا ، وأهونُ منهما ما وقع بٱلمال ، وربما كانت عقوبةُ ٱلنظر في ٱلبصيرة أو في ٱلبصر أو فيهما .

قال ٱلفضيل : يقول الله تعالى : ٱبنَ آدم إذا كنتُ أُقلّبك في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فٱحذر لئلا أصرَعك بين معاصيك ، ٱبن آدم ٱتَّقِني ونم حيث شئت ، إنك إن ذكرتني ذكرتُك ، وإن نسيتني نسيتُك ، وٱلساعة ٱلتي لا تذكرني فيها عليك لا لك . وقال ٱلفضيل أيضاً : ما يؤمنك

أن تكون بارزت ٱلله تعالى بعملٍ مقتك عليه فأغلقَ عنك أبوابَ ٱلمغفرة وأنت تضحك ؟ وقال علقمة بن مرثَد : بينا رجلٌ يطوف بٱلبيت إذ برَق له ساعدُ ٱمرأةٍ فوضع ساعدَه عَلى ساعدها [فالتذّ به] فلَصِقت ساعداهما ، فأَتى بعضَ أولئك ٱلشيوخ فقال : ارجِع إلى ٱلمكان ٱلذي فعلتَ هذا فيه فعاهد ربَّ ٱلبيت أن لا تعود ، ففعل فخلِّي عنه . وقال ٱبن عباس ، وأنس رضي ٱلله عنهم : إن للحسنة نوراً في ٱلقلب ، وزَيْناً في ٱلوجه ، وقُوّةً في ٱلبدن ، وسَعَةً في ٱلرزق ، ومحبةً في قلوب ٱلخلق . وإن للسيئة ظلمةً في ٱلقلب ، وشيْناً في ٱلوجه ، ووهناً في ٱلبدن ، ونقصاً في ٱلرزق ، وبغضةً في قلوب ٱلخلق . وقال ٱلحسن : ما عصى ٱللهَ عبدٌ إلاّ أذلّه [ٱلله] وقال ٱلمعتَمِرُ بن سليمان : إن ٱلرجل لَيُصيب ٱلذنبَ في ٱلسر فيصبح وعليه مَذَلّتُه . وقال ٱلحسن : هانوا عليه فعصَوْه ، ولو عزّوا عليه لعصمهم . وكان شيخ من ٱلأعراب يدور عَلَى ٱلمجالس ويقول : من سرّه أن تدوم له ٱلعافية فليتّقِ ٱلله . وقال أبو سليمان ٱلدَّاراني : من صفا صفا له ، ومن كدر كدر عليه ، ومن أَحسن في ليله كُفِيَ في نهاره ، ومن أَحسن في نهاره كُفِيَ في ليله ، ومن ترك لله شهوة من قلبه فٱلله أكرمُ أن يعذّب بها قلبه . وكتبت عائشة أمّ ٱلمؤمنين رضي ٱلله عنها إلى معاوية : أما بعد فإن ٱلعامل[1] إذا عَمِل بمعصية ٱلله

---

(١) في ن : العمل . وفي نسخة الأمير : العبد .

عاد حامده من الناس ذاماً . وقال محارب بن دثار: إنّ الرجل ليذنب الذنب فيجده في قلبه وهناً . وقال الحسين بن مطير:

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها
ولا تقرب الأمر الحرام فإنما حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكان سفيان [الثوري] يتمثل بهذين البيتين:

تفنى اللذاذة ممن ذاق[1] صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

فصل واعلم أن الجزاء من جنس العمل، والقلب معلق بالحرام كلما همّ أن يفارقه ويخرج منه عاد إليه، ولهذا يكون جزاؤه في البرزخ وفي الآخرة هكذا . وفي بعض طرق حديث سمرة بن جندب الذي في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني فانطلقت معهما فإذا بيت مبني على مثل بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فيه رجال ونساء عراة فإذا أوقدت النار ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا فإذا أخمدت رجعوا فيها فقلت: من[2] هؤلاء؟ قال: هم الزناة . فتأمل مطابقة هذا العذاب لحال قلوبهم في الدنيا فإنهم كلما هموا بالتوبة والإقلاع والخروج

---

(١) في ن ونسخة الامير: نال .

(٢) كذا في الاصل . وفي نسخة الامير: ماهؤلاء؟ وفي ن: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزناة .

من تنُّور الشهوة إلى فضاء التوبة أركسوا فيه وعادوا بعد أن كادوا يخرجون ولما كان الكفار في سجن الكفر والشرك وضيقه وكانوا كلما هموا بالخروج منه إلى فضاء الإيمان وسعته وروحه رجعوا على حوافرهم كان عقوبتهم في الآخرة كذلك، قال الله تعالى (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا)[1] وقال في موضع آخر (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا)[2] فالكفر والمعاصي والفسوق كله غموم، وكلما عزم العبد أن يخرج منه أبت عليه نفسه وشيطانه ومألفه، فلا يزال في غم ذلك حتى يموت، فإن لم يخرج من غم ذلك في الدنيا بقي في غمه في البرزخ وفي القيامة، وإن خرج من غمه وضيقه هاهنا خرج منه هناك فما حبس العبد عن الله في هذه الدار حبسه عنه بعد الموت. وكان معذباً به هناك كما كان قلبه معذباً [به] في الدنيا، فليس العشاق[3] والفجرة والظلمة في لذة في هذه الدار، وإنما هم يعذبون فيها وفي البرزخ وفي القيامة، ولكن سكر الشهوة وموت القلب حال بينهم وبين الشعور بالألم، فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أحضرت نفوسهم الألم الشديد وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في لحومهم. فالآلام تأكل أرواحهم غير أنها لا تفنى، والدود يأكل

(١) سورة السجدة الآية ٢٠

(٢) سورة الحج الآية ٢٢

(٣) في نسخة الأمير: الفساق.

جسومهم . قال الإمام أحمد رضي الله عنه : حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال : حدّثني عبد الصمد بن معقِل ، حدّثني وهب بن مُنَبّه قال : كان حزقيل قائماً [١] فأتاه ملَكٌ فذكر حديثاً طويلاً وفيه أنه مرَّ بقومٍ أموات فقيل له : ادْعُهم فدعاهم فأحياهم الله له فقال : سلهم فيمَ كنتم ؟ فقالوا : لما فارقنْا الحياة لَقينا ملَكاً يقال له ميكائيل فقال : هلموا أعمالكم وخذوا أُجوركم فذلك سنّتُنا فيكم وفيمن كان قبلكم وفيمن هو كائن بعدكم ، فنظروا في أعمالنا فوجدونا نعبد الأوثان ، فسلّط [الدُّود] علَى أَجسادنا وجعلت الأرواح تألَم ، وسلّط الغمّ علَى أرواحنا وجعلت الأجساد تَألَم ، فلم نزل كذلك نعذّب حتى دعوتنا .

---

(١) في ن ونسخة الامير : نائماً .

الباب السابع والعشرون

فيمن ترك محبوبه حراماً فبذل له حلالاً أو أعاضه الله خيراً منه

عنوانُ هذا ٱلباب وقاعدتهُ أَن من ترك لله شيئاً عوّضه ٱلله خيراً منه ، كما ترك يوسف ٱلصّديق عليه ٱلسلام ٱمرأَة ٱلعزيز لله وٱختار ٱلسجنَ عَلَى ٱلفاحشة فعوّضه ٱلله أَن مكّنه في ٱلأَرض يتبوّأُ منها حيث يشآء ، وأَتته ٱلمرأَة صاغرة سائلةً راغبةً في ٱلوصل ٱلحلال فتزوّجها ، فلما دخل بها قال : هذا خيرٌ مما كنتِ تريدين . فتأَمَّلْ كيف جزاه ٱلله سبحانه وتعالى عَلَى ضيق ٱلسجن أن مكّنه في ٱلأَرض ينزل منها حيث يشآء ، وأَذلّ له ٱلعزيزَ وٱمرأَته ، وأَقرّت ٱلمرأَة وٱلنّسوةُ ببراءته ، وهذه سنّتهُ تعالى في عباده قديماً وحديثاً إلى يوم ٱلقيامة . ولما عقر سليمان بن داود عليهما ٱلسلام ٱلخيلَ ٱلتي شغلته عن صلاة ٱلعصر حتى غابت ٱلشمس سخر ٱلله له ٱلرّيحَ يسير عَلَى متنِها حيث أَراد[1] ، ولما ترك ٱلمهاجرون ديارَهم لله وأَوطانهم ٱلتي هي أَحبُّ شيءٍ إِليهم أَعاضهم ٱلله أَن فتح عليهم ٱلدُّنيا وملّكهم شرقَ ٱلأَرض وغربها ، ولو ٱتقى ٱلله ٱلسارقُ وترك

---

(١) في ن ونسخة الامير : حتى غابت الشمس غضباً لله أعاضه الله عنها الريح يركب هو وعسكره على متنها الخ

سَرِقَةَ المال المعصوم لله لآتاه الله مثله حلالاً ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)[1] فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا اتقاه بترك أخذ ما لا يحلّ له رزقه [الله] من حيث لا يحتسب ، وكذلك الزاني لو ترك ركوبَ ذلك الفرج حراماً [لله] لأثابه الله بركوبه أو ركوب ما هو خيرٌ منه حلالاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا عبد الرّحمن بن إسحاق ، عن مُحَارِب بن دِثَار ، عن صِلَة ، عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النَّظْرَةُ إلى الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ مَنْ تَرَكَهُ خَوْفَ اللهِ أثابهُ اللهُ إيماناً يجِدُ حَلَاوَتَهُ في قلبهِ . وقال عمرُ بن شَبَّة : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدّثنا عَنْبَسَةُ[2] بن عبد الرحمن ، حدّثنا أبو الحسن المدني ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نَظَرُ الرَّجُلِ فِي مَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ السَّهْمِ أَعْقَبَهُ اللهُ عِبَادَةً تَسُرُّهُ .

وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى : بلغني عن بعضِ الأشراف

---

(١) سورة الطلاق الآيتان ٢و٣

(٢) كذا في النسخ الثلاث وقد تقدم في الصفحة ١١٦ وهو هناك عيينة بن عبد الرحمن كما تقدم فيها الاختلاف بنسبة أبي الحسن الذي روى عنه عيينة وهو هنا في نسخة الأصل المزني وفي النسختين الاخريين المدني .

أنه اُجتاز بمقبرةٍ فإذا جارية حسناء عليها ثياب سوادٍ ، فنظر إليها فعلقت بقلبه فكتب إليها :

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة   والبدر في منظرٍ بالحسن موصوف
حتى رأيتك في أثواب ثاكلةٍ   سودٍ وصدغك فوق الخد معطوف
فرحت والقلب مني هائم دنف   والكبد حرى ودمع العين مذروف
ردي الجواب ففيه الشكر واغتنمي   وصل المحب الذي بالحب مشغوف

ورمى بالرقعة إليها فلما قرأتها كتبت :

إن كنت ذا حسبٍ زاكٍ وذا نسبٍ   إن الشريف بغض الطرف معروف
إن الزناة أناس لا خلاق لهم   فاعلم بأنك يوم الدين موقوف
واقطع رجاك لحاك الله من رجلٍ   فإن قلبي عن الفحشاء مصروف

فلما قرأ الرقعة زجر نفسه وقال : أليس امرأة تكون أشجع منك ؟ ثم تاب ولبس مدرعةً من الصوف والتجأ إلى الحرم ، فبينما هو في الطواف يوماً وإذا بتلك الجارية عليها [درع] (١) من صوف فقالت له : ما أليق هذا بالشريف : هل لك في المباح ؟ فقال : قد كنت أروم هذا قبل أن أعرف الله وأحبه ، والآن قد شغلني حبه عن حب غيره فقالت له : أحسنت ثم طافت [وهي تنشد] :

فطفنا فلاحت في الطواف لوائح   غنينا بها عن كل مرأى ومسمع

---

(١) بياض في الاصل . وفي نسخة الامير : جبة .

وقال ٱلحسن ٱلبصري : كانت ٱمرأةٌ بَغِيٌّ قد فاقت أهل عصرها في ٱلحسن لا تمكّن من نفسها إلا بمائة دينار ، وإن رجلاً أبصرها فأعجبته ، فذهب فعمِل بيديه وعالج فجمع مائة دينار ، فجاء فقال : إنك قد أعجبتِني فٱنطلقت فعمِلت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت: ادفعها إلى ٱلقهرَمان حتى ينقُدَها ويزِنَها ، فلما فعل قالت : ادخل وكان لها بيتٌ مُنَجَّدٌ وسريرٌ من ذهب فقالت: هلمَّ لك ، فلما جلس منها مجلس ٱلخائن تذكر مقامَه بين يدي ٱلله فأخذته رِعدةٌ وطَفِئَت شهوته فقال : أتركني لأخرج ولك ٱلمائة دينار فقالت: ما بدا لك وقد رأيتني كما زعمتَ فأعجبتُك فذهبت فعالجت وكَدَحت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت عليَّ فعلت ٱلذي فعلت؟ فقال: ما حملني عَلَى ذلك إلاّ ٱلفرقُ من ٱلله ، وذكرتُ مقامي بين يديه قالت: إن كنت صادقاً فما لي زوجٌ غيرُك قال : ذَرِيني لأخرج قالت: لا إلاّ أن تجعل لي عهداً أن تتزوَّجَني [فقال: لا حتى أخرج قالت: عليك عهدُ ٱلله إن أنا أتيتك أن تتزوَّجني] قال: لعل فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده ، وارتحلت ٱلمرأةُ بدُنياها (١) نادمةً عَلَى ما كان منها حتى قدمت بلده ، فسألت عن ٱسمه ومنزله فدُلَّت عليه فقيل له : ٱلملكة جاءت بنفسها تسأل عنك ، فلما رآها شَهِق شهقةً فمات ، فأُسقط في يدها فقالت : أمَّا هذا فقد فاتني أما له من قريب ؟

---

(١) في ن : فارتحلت المرأة تائبة نادمة .

قيل: بلى أخوه رجلٌ فقيرٌ فقالت: إني أتزوجك حبًّا لأخيك قال: فتزوجته فولدت له سبعة أبناء [١] .

وقال يحيى بن عامر التيمي: خرج رجلٌ من الحيّ حاجًّا فورد بعضَ المياه ليلاً، فإذا هو بامرأةٍ ناشرةٍ شعرَها، فأعرض عنها فقالت له: هلمَّ إليَّ فلِمَ تعرض عني؟ فقال: إني أخاف الله ربَّ العالمين، فتجلببت ثم قالت هِبتَ والله مهاباً، إن أولى من شَرِكك في الهيبة لَمَن أراد أن يَشْرَكك في المعصية، ثم ولّت فتبعها، فدخلت بعض خيام الأعراب قال: فلما أصبحتُ أتيتُ رجلاً من القوم فسألته عنها وقلت: فتاةٌ صِفَتُها كذا وكذا فقال: هي والله ابنتي فقلت: هل أنت مُزَوِّجي بها؟ فقال: علَى الأكفاء فمن أنت؟ فقلت: رجلٌ من تَيْمِ الله قال: كفوٌ كريم فما رِمْتُ حتى تزوّجتُها ودخلت بها، ثم (قلت): جهِّزوها إلى قدومي من الحج، فلما قدمنا حملتها إلى الكوفة، وها هي ذي ولي منها بنون وبناتٌ قال: فقلت لها: ويحك ما كان تعرُّضُكِ لي حينئذ؟ فقالت: يا هذا ليس للنساء خيرٌ من الأزواج، فلا تعجبنَّ من امرأةٍ تقول هَوِيتُ فوالله لو كان عند بعض السودان ما تريده من هواها لكان هو هواها.

وقال الحسن بن زيد: وَلِيَنَا بديار مصر رجلٌ فوجد علَى بعض عُمَّاله فحبسه وقيّده، فأشرفت عليه ابنة الوالي فهوِيَتْه فكتبت إليه.

---

(٢) في الاصل ون . انبياء وفي هامش ن : اولياء وفي نسخة الامير: اولاد.

أيها الرامي بعينيـ ـه وفي الطرف الحتوف
إن ترد وصلا فقد أمـ ـكنك الظبي الألوف

فأجابها الفتى :

إن تريني زاني العيـ ـنين فالفرج عفيف
ليس إلا النظر الفا تر والشعر الظريف

فأجابته [1] :

قد أردناك فألفيـ ـناك إنسانا عفيفا
فتأبيت فلا زلـ ـت لقيديك حليفا

فأجابها [2] :

ما تأبيت لأني كنت للظبي عيوفا
غير أني خفت ربا كان بي برا لطيفا

فذاع الشعر وبلغت القصة الوالي فدعا به فزوجه إياها ودفعها إليه .

وذكر أن رجلا أحب امرأة وأحبته ، فاجتمعا فراودته المرأة عن نفسه فقال : إن أجلي ليس بيدي ، وأجلك ليس بيدك ، فربما كان الأجل قد دنا فنلقى الله عاصيين فقالت : صدقت فتابا وحسنت حالهما وتزوجت به .

وذكر بكر بن عبد الله المزني أن قصابا ولع بجارية لبعض جيرانه ، فأرسلها أهلها إلى حاجة في قرية أخرى ، فتبعها فراودها عن نفسها

(١ و ٢) في ن ونسخة الامير : فكتبت إليه ـ فكتب إليها

فقالت: لا تفعل لأَنا أَشد حباً لك مني ، ولكني أخاف ٱللهَ قال: فأَنت تخافينه وأَنا لا أَخافه؟ فرجع تآئباً فأَصابه ٱلعطش حتي كاد ينقطع عنقهُ، فإِذا هو برسولٍ لبني إِسرآئيل، فسأَله فقال: ما لك؟ قال: ٱلعطش فقال: تعالَ حتى ندعوَ ٱللهَ حتى تظلَّنا سحابةٌ حتى ندخل ٱلقرية قال: ما لي من عملٍ فأَدعوَهُ قال: فأَنا أَدعوه وأَمِّنْ أَنت، فدعا وأَمَّن ٱلرجل فأَظلتهما سحابةٌ حتى أنتهيا إلى ٱلقرية، فذهب ٱلقصّاب إِلى مكانه فرجعت ٱلسحابة معه، فرجع [إِليه] ٱلرسولُ فقال: زعمتَ أَنْ ليس لك عملٌ وأَنا ٱلذي دعوت وأَنت أَمَّنت، فأَظلتنا سحابةٌ ثم تبعتْكَ، لَتُخْبِرَنِّي ما أَمرُك، فأَخبره فقال ٱلرسول: إِن ٱلتائب إِلى ٱللهِ بمكانٍ ليس أَحدٌ من ٱلناس بمكانه.

وقال يحيى بن أيوب: كان بٱلمدينة فتًى يُعجب عمرَ بن ٱلخطاب رضي ٱللهُ عنه شأْنُهُ، فأنصرف ليلةً من صلاة ٱلعشآء فتمثّلت له ٱمرأةٌ بين يديه، فعرّضت له بنفسها ففُتِن بها ومضت، فأتبعها حتى وقف عَلَى بابها فأَبصر وجلا عن قلبه وحضرته هذه ٱلآية (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)[1] فخرَّ مغشياً عليه، فنظرت إِليه ٱلمرأة فإِذا هو كٱلميّت، فلم تزل هي وجاريةٌ [لها] يتعاونان عليه حتى ألقياه عَلَى باب داره، فخرج أبوه فرآه مُلقًى عَلَى باب ٱلدار لما به فحمله وأدخله فأفاق، فسأله ما أصابك يا بني؟

---

(١) سورة الاعراف الآية ٢٠١

«ر: م ٦٠»

فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره ، فلما تلا ٱلآية شهق شهقةً فخرجت نفسه ، فبلغ عمرَ رضي ٱلله عنه قصتُه فقال : ألا آذنتموني بموته ؟ فذهب حتى وقف على قبره فنادى : يا فلان (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)[1] فسمع صوتًا من داخل ٱلقبر : قد أعطاني ربي يا عمر .

وذكر ٱلحسن هذه ٱلقصة عن عمر رضي ٱلله عنه على وجهٍ آخر قال : كان شابٌّ على عهد عمر بن ٱلخطاب رضي ٱلله عنه ملازماً للمسجد والعبادة ، فهوِيَته جارية فحدّثت نفسه بها ، ثم إنه تذكّر وأبصر فشهق شهقةً فغُشِيَ عليه منها ، فجاء عمٌّ له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عمّ ٱنطلق إلى عمر فأقرئه مني ٱلسلام وقل له : ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فأخبر عمر فأتاه وقدمات فقال : لك جنَّتان .

وفي جامع ٱلترمذي من حديث ٱبن عمر رضي ٱلله عنهما قال : قال رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم : كَانَ ذُو ٱلْكِفْلِ[2] لا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ ، فَأَتَتْهُ ٱمْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَاراً عَلَى أَنْ يَطَأَهَا ، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ ٱلرَّجُلِ مِنِ ٱمْرَأَتِهِ أُرْعِدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ ؟ أَكْرَهْتُكِ ؟ قَالَتْ لاَ وَلَكِنْ هٰذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ وَإِنَّمَا حَمَلَتْنِي

---

(١) سورة الطلاق الآية ٤٦

(٢) هكذا هو في النسخ الثلاث في المواضع كلها . والذي في جامع الترمذي كان الكفل وكذلك هو في تهذيب التهذيب في ترجمة سعد مولى طلحة راوي القصة عن ابن عمر رضي الله عنهما وقد تقدمت في الصفحة ٣٤٧

عَلَيْهِ ٱلْحَاجَةُ . قَالَ : فَتَفْعَلِينَ هٰذَا وَأَنْتِ لَمْ تفعليه [قطُّ] ؟ ثُمَّ قَالَ : أذْهَبِي وَٱلدَّنَانِيرُ لَكِ ثُمَّ قَالَ : وَٱللهِ لا يَعْصِي ٱللهَ ذُو ٱلْكِفْلِ أَبداً ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوباً عَلَى بَابِهِ : قَدْ غفَرَ ٱللهُ لِذِي ٱلْكِفْلِ ، قال ٱلترمذي : هذا حديث حسن .

وقال أبو هريرة ، وٱبن عباس رضي ٱلله عنهم : خطب رسولُ ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم قبل وفاته فقال في خطبته[١] : وَمَنْ قَدَرَ عَلَى ٱمْرَأَةٍ أَوْ جَارِيَةٍ حرَاماً فتَرَكَهَا مَخَافَةً مِنَ ٱللهِ أَمَّنَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْفَزَعِ ٱلْأَكْبَرِ وَحَرَّمَهُ عَلَى ٱلنَّارِ وَأَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ .

وقال مالك بن دينار: جناتُ ٱلنعيم بين ٱلفردوس وبين جنات عدن ، فيها جوارٍ خُلِقْنَ من ورد ٱلجنة ، يسكنها ٱلذين همّوا بٱلمعاصي فلما ذكروا ٱلله عز وجل راقبوه فٱنثنت رقابهم من خشية ٱلله عزَّ وجلَّ .

قال ميمون بن مهران : الذِّكرُ ذكران : فذكرُ ٱلله عزَّ وجلَّ بٱللسان حسن ، وأفضل منه أن تذكر ٱلله عز وجلَّ عندما تُشرف عَلَى معاصيه .

وقال قَتَادة رضي ٱلله عنه : ذُكر لنا أن نبي ٱلله صلى ٱلله عليه وسلم كان يقول : لا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حرَامٍ ثُمَّ يَدَعهُ لَيسَ بِهِ إِلاَّ مَخَافَةُ ٱللهِ عزَّ وَجلَّ إِلاَّ أَبْدَلَهُ فِي عَاجِلِ ٱلدُّنْيَا قَبْلَ ٱلْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَٰلِكَ[٢] . وقال عبيد بن عُمَير : صدقُ ٱلإيمان وبِرُّه أن يخلوَ ٱلرجل بٱلمرأة ٱلحسناء فيدعها لا يدعها إلاَّ لله عزَّ وجل .

---

(١) فتشت عن هذه الخطبة فلم أعثر عليها . (٢) لم أر من خرّجه .

وقال أبو عِمْران الجَوْني : كان رجلٌ من بني إسرائيل لا يمتنع من شيءٍ ، فَجَهِدَ أهل بيتٍ من بني إسرائيل [فأرسلوا إليه] جاريةً منهم تسأله شيئاً فقال : لا أَوْ تمكنيني من نفسك ، فخرجت فجهدوا جَهداً شديداً فرجعت إليه فقالت : أَعْطنا فقال : لا أَوْ تمكنيني من نفسك ، فرجعت فجهدوا جَهداً كثيراً فأَرسلوها إليه فقال لها ذلك فقالت : دونك ، فلما خلا بها جعلت تنتفض كما تنتفض السَّعَفَةُ قال لها : ما لك ؟ قالت : [إني] أخاف الله [ربَّ العالمين] هذا شيءٌ لم أَصنعه قطّ قال : أنتِ تخافين الله ولم تصنعيه وأفعلُه ؟ أُعاهد الله أني لا أرجع إلى شيءٍ مما كنت فيه ، فأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائهم أَن فلاناً أَصبح في كتب أهل الجنة .

وذُكر أنَّ شاباً في بني إسرائيل لم يكن فيهم شابٌّ أَحسن منه كان يبيع المكاتِل ، فبينا هو ذاتَ يومٍ يطوف بمكاتِله إذ خرجت امرأةٌ من دار مَلِكٍ من ملوك بني إسرائيل ، فلما رأته رجعت مبادرةً فقالت لابنة الملك : إني رأيت شاباً بالباب يبيع المكاتِل لم أرَ شاباً قطُّ أَحسنَ منه قالت : أدخليه فخرجت فقالت : ادخل فدخل فأغلقت الباب دونه ، ثم قالت : ادخل فدخل فأغلقت باباً آخرَ دونه ، ثم استقبلته بنتُ الملك كاشفةً عن وجهها ونحرها فقال لها : استتري عافاك الله فقالت : إنا لم ندْعُك لهذا ، إنما دعوناك لكذا وراودته عن نفسه فقال لها : اتقي الله قالت : إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما

دخلت تكابرني عَلَى نفسي قال لها : فضعي لي وَضوءاً فقالت : أعليَّ تتعلل ؟ يا جارية ضعي له وَضوءاً فوق ٱلجَوْسق مكاناً لا يستطيع أن يفِرَّ منه ، فلما صار في ٱلجَوْسَق قال : ٱللهم إني دُعيتُ إلى معصيتك وإني أختار أن ألقيَ نفسي من هذا ٱلجَوْسَق ولا أركب معصيتَك ثم قال : بسم ٱلله وألقى نفسه من أعلاه ، فأهبط ٱلله ملكاً أخذ بضَبْعَيْه فوقع قائماً عَلَى رِجليه ، فلما صار في ٱلأرض قال : اللهم إن شئتَ رزقتني رزقاً يغنيني عن بيع هذه ٱلمكَاتِل ، فأرسل الله عليه رِجلاً من جرادٍ من ذهبٍ فأخذ منه حتى ملأ ثوبه ، فلما صار في ثوبه قال : اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتَنيه من ٱلدُّنيا فبارك لي فيه ، وإن كان ينقصني مما لي عندك في ٱلآخرة فلا حاجة لي فيه ، فنودي إن هذا ٱلذي أعطيناك جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً لصبرك عَلَى إلقائك نفسك فقال : اللهم فلا حاجة لي فيما ينقصني مما لي عندك في ٱلآخرة فرُفع ٱلجراد .

وذكر أبو ٱلفرج بن ٱلجوزي عن رجلٍ من بعض ٱلمياسير قال : بينا أنا يوماً في منزلي إذ دخل عليَّ خادمٌ لي فقال لي : رجلٌ بالباب معه كتابٌ ، فقلت : أدخله أو خذ كتابه فأخذ ٱلكتاب منه فإذا فيه :

تجنّبكَ ٱلردى ولقيتَ خيراً ... وسلّمك ٱلمليكُ من ٱلغموم
شكونُ بنات أحشائي إليكم ... وما إن تشتكين إلى ظلوم
وسالتْني ٱلكتابَ إليك فيما ... يخامرها فدَتْك من ٱلهموم
وهنّ يقلن يا ٱبن ٱلجود إنا ... برِمنا من مراعاة ٱلنجوم

وعندك لو مَنَنْتَ شفاءُ سُقْمٍ   لأعضاءٍ دَمِينَ من الكُلوم

قال : فلما قرأت الأبيات قلت : عاشق فقلت للخادم : أدخله فخرج فلم يره فارْتَبْتُ في أمره فجعل الفكر يتردد في قلبي ، فدعوت جواريَّ كلَّهن فجمعتهن فقلت لهن : ما قصة هذا الكتاب ؟ فحلفن لي وقلن : يا سيدنا ما نعرف لهذا الكتاب سبباً فمن جاءك به ؟ فقلت : قد فاتني وما أردت سؤالكن إلاَّ أني ظننت له هوىً في بعضكن ، فمن عرفت منكنَّ أنها صاحبتُه فهي له فلتذهب إليه ولتأخذ كتابي إليه ، وكتبت كتاباً أشكره عَلَى فعله وأسأله عن حاله ، ووضعت الكتاب في موضع من الدَّار فمكث الكتاب في موضعه حيناً لا يأخذه أحد ولا أرى الرجل ، فاغتممت غمًّا شديداً ثم قلت : لعله بعض فتياننا ثم قلت : إن هذا الفتى قد أَخبر عن نفسه بالورع وقد قنع ممن يحبه بالنظر ، فدبرت عليه فحجبت جواريَّ عن الخروج ، فما كان إلا يومٌ وبعض الآخر إذ دخل عليَّ الخادمُ ومعه كتاب قال : أرسل به إليك فلان وذكر بعضَ أصدقائي ففضضته فإذا فيه مكتوبٌ :

ماذا أَردتَ إلى روحٍ معلَّقةٍ   عند التراقي وحادي الموت يحْدُوها
حَثَثْتَ حاديَها ظلماً فجدَّ بها   في السير حتى تولّت عن تراقيها
حجبت مَن كان تحيى عند رؤيتها   روحي ومَن كان يشفيني تراآيها
فالنفسُ تجنَحُ نحو الظلم جاهلةً   والقلبُ مني سليمٌ ما يؤاتيها
واللهِ لو قيل لي تأتي بفاحشةٍ   وان عقباك دنيانا وما فيها

لقلت لا وٱلذي أخشي عقوبتَه   ولا بأضعافها ما كنتُ آتيهـا
لولا ٱلحياء لبُحنا بٱلذي كتمت   بنتُ ٱلفؤاد وأبدينـا تمنّيها

قال: فبهتُّ: وقلت: لا أدري ما أحتال في أمر هذا ٱلرجل وقلت للخادم: لا يأتيك أحدٌ بكتابٍ إلّا قبضت عليه حتى تدخلَه عليّ، ثم لم أعرف له خبراً بعد ذلك: فبينا أنا أطوف بٱلكعبة إذا فتىً قد أقبل نحوي وجعل يطوف إلى جنبي ويلاحظني، وقد صار مثلَ ٱلعود، فلما قضيت طوافي خرجت وٱتبعني فقال: يا هذا أتعرفني؟ قلت: لا أنكرك لسوء قال: أنا صاحب ٱلكتابين فما تمالكت أن قبلت رأسه وبين عينيه وقلت: بأبي أنت وأمي وٱلله لقد شغلت قلبي وأطلت غمي بشدّة كتمانك لأمرك فهل لك فيما [سأَلت و] طلبت؟ قال: بارك ٱلله لك وأقرّ عينيك إنما أتيتك أستحِلّك من نظرةٍ كنت نظرتها عَلَى غير حكم ٱلكتاب وٱلسنة، وٱلهوى داعٍ إلى كل بلآء وأستغفر ٱلله ٱلعظيم . فقلت: يا حبيبي أحب أن تصير معي إلى منزلي فآنسَ بك وتجريَ ٱلحرْمة بيني وبينك قال: ليس إلى ذلك سبيل فقلت: غفر ٱلله لك ذنبك وقد وهبتها لك ومعها مائة دينار، ولك في كل سنةٍ كذا وكذا قال: بارك ٱلله لك فيها فلولا عهودٌ عاهدت ٱلله بها وأشياءُ أكّدتها عليّ لم يكن في ٱلدُّنيا شيءٌ أحبَّ إليّ من هذا ٱلذي تَعرِضه عليَّ، ولـكن ليس إلى ذلك سبيل وٱلدُّنيا منقطعة، فقلت له: فإذا أبيت

أن تقبل مني ذلك فأخبرني من هي حتى أكرمها لأجلك ما بقيت فقال: ما كنت لأذكرها لأحدٍ ثم قام وتركني.

وذكر عبد الملك بن قُرَيب قال: هَوِيَ رجلٌ من النساء جارية فاشتدّ حبُّه لها، فبعث إليها يخطبها. فامتنعت وأجابته إلى غير ذلك فأبى وقال: لا إلاَّ ما أحلَّ الله، ثم إن محبته أُلقيت في قلبها فبذلت له ما سأل فقال: لا والله لا حاجة لي بمن دعوتها إلى طاعة الله ودعتني إلى معصيته.

وحكى المبرّدُ عن شيخه أبي عثمان المازني أنه قصده بعضُ أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار، فامتنع ورده، فقلت له: أتردُّ هذا القدر مع شدة فاقتك؟ فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائةٍ وكذا وكذا آيةً من كتاب الله ولست أرى تمكينَ هذا الذميّ منها غيرةً على القرآن، فاتفق أن غنَّت جاريةٌ بحضرة الواثق بقول العَرْجيّ:

أظلومُ إن مصابَكم رجلاً أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ

فاختلف أهل مجلسه في إعراب رجلٍ فمنهم من قال: هو نصب وجعله اسمَ إن، ومنهم من رفعه على أنه خبرها، والجارية أصرّت على النصب وقالت: لقَّنني إياه كذلك شيخي أبو عثمان المازني، فأمر الواثق بإحضاره إلى بين يديه [قال]: فلما مثَلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن قال: أي الموازن؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن

ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة فكلّمني بكلام قومي فقال لي : با أسمك ؟ وقومي يقلبون [ٱلميم بآء و] ٱلبآءَ ميماً ، فكرهت أن أُواجهه بلفظة مكر فقلت : بكر يا أمير ٱلمؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب [به] فقال : [ما] تقول في قول ٱلشاعر ؟

أظلومُ إن مصابَكم رجلاً أهدي ٱلسلامَ تحيةً ظلمُ

أترفع رجلاً أم تنصبه ؟ فقلتُ : ٱلوجهُ ٱلنصبُ يا أميرَ ٱلمؤمنين فقال : ولمَ ذلك ؟ فقلت : لأن مصابَكم مصدرٌ بمعنى إصابتكم ، فأخذ ٱليزيدي في معارضتي فقلت : هو بمنزلة قولك إن ضربَك زيداً ظلمٌ فرجلاً مفعول مصابكم ومنصوبٌ به والدَّليل عليه أن ٱلكلام معلَّقٌ إلى أن تقول ظلم فيتمّ ، فٱستحسنه ٱلواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم يا أمير ٱلمؤمنين بُنَيَّة قال : فما قالت لك عند مسيرك إلينا ؟ قلت : أنشدت قول ٱلأعشى :

أيا أبتا لا ترِمْ عندنا فإنا بخيرٍ إذا لم ترِمْ

ترانا إذا أضمرتك ٱلبلا دُ نُجفى وتُقطَعُ منا ٱلرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلت قولَ جرير :

ثقي بٱلله ليس له شريكٌ ومن عند ٱلخليفة بٱلنجاح

فقال : عليَّ ٱلنجاح إن شآء ٱلله ثم أمر لي بألف دينار وردَّني إلى ٱلبصرة مُكرَماً ، فقال أبو ٱلعباس ٱلمبرِّد : فلما عاد إلى ٱلبصرة قال لي : كيف رأيت يا أبا ٱلعباس ؟ رددنا لله مائة [دينار] فعوَّضنا ٱلله ٱلفاً .

الباب الثامن والعشرون

فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام ، على لذة الوصال الحرام

هذا بابٌ إنما يدخل منه رجلان : أحدُهما مَن تمكّن من قلبه الإيمان بالآخرة وما أعدّ الله فيها من الثواب والعقاب لمن عصاه ، فآثر أدنى الفوتين ، واختار أسهلَ العقوبتين . والثاني رجلٌ غلب عقله على هواه فعلم ما في الفاحشة من المفاسد ، وما في العُدول عنها من المصالح ، فآثر الأعلى [على] الأدنى ، وقد جمع الله سبحانه وتعالى ليوسفَ الصديق صلواتُ الله وسلامهُ عليه بين الأمرين ، فاختار عقوبة الدُّنيا بالسجن على ارتكاب الحرام ، فقالت المرأةُ : (وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ . قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[1] فاختار السجن على الفاحشة ثم تبرّأ إلى الله من حوله وقوّته ، وأخبر أن ذلك ليس إلاّ بمعونة الله له وتوفيقه وتأييده لا من نفسه فقال : (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ [وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ] فلا يركن العبد إلى نفسه وصبره وحاله وعفته ، ومتى ركن إلى ذلك تخلّت

---

(١) سورة يوسف الآيتان ٣٢و٣٣

عنه عصمة الله وأحاط به الخذلان . وقد قال الله تعالى لأكرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) [1] ولهذا كان من دعائه : يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ [2] وكانت أكثر يمينه لا ومقلب القلوب [3] كيف وهو الذي أنزل عليه : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) [4] وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن من آثر الألم العاجل على الوصال الحرام أعقبه ذلك في الدنيا المسرة التامة ، وإن هلك فالفوز العظيم ، والله تعالى لا يضيع ما تحمل عبده لأجله . وفي بعض الآثار الإلهية يقول الله سبحانه وتعالى : بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي . وكل من خرج عن شيء منه لله حفظه الله عليه أو أعاضه الله ما هو أجل منه ، ولهذا لما خرج الشهداء عن نفوسهم لله جعلهم الله أحياء عنده يرزقون ، وعوضهم عن أبدانهم التي بذلوها له أبدانَ طيرٍ خضرٍ جعل أرواحهم فيها تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتأوي إلى قناديلَ معلقةٍ بالعرش [5] ، ولما تركوا مساكنهم له عوضهم مساكنَ طيبةً في جنات عدن ذلك الفوز العظيم .

وقال وهب بن منبه : كان عابدٌ من عباد بني إسرائيل [يتعبد في صومعةٍ ، فجاء رجلٌ من بني إسرائيل] إلى امرأةٍ بغيٍّ فبذل لها مالاً

---

(١) سورة الاسراء الآية ٧٤
(٢) رواه الترمذي في جامعه .
(٣) رواه البخاري .
(٤) سورة الأنفال الآية ٢٤
(٥) ذكره مسلم في صحيحه .

وقال: لعلك أن تفتنيه، فجاءته في ليلةٍ مَطيرةٍ فنادته فأشرف عليها، فقالت: آوِني إليك، فتركها وأقبل عَلَى صلاته، فقالت: يا عبدالله آوِني إليك، أما ترى الظُّلمة والمطر؟ فلم تزل به حتى آواها، فاضطجعت قريباً منه فجعلت تريه محاسنها حتى دعته نفسه إليها، فقال: لا والله حتى أنظر كيف صبرك عَلَى النار، فتقدّم إلى المصباح فوضع اصبعاً من أصابعه حتى احترقت، ثم عاد إلى صلاته فدعته نفسه إليها، فعاود المصباح فوضع اصبعه الأُخرى حتى احترقت، فلم يزل تدعوه نفسه وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعاً وهي تنظر، فَصعِقَت وماتت.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا إبراهيم بن خالد، حدّثنا أُمية بن شبل[1] عن عبدالله بن وهب قال: لا أَعلمه إلا ذكره عن أبيه أن عابداً من بني إسرائيل كان في صومعته يتعبّد، فإذا نفرٌ من الغُواة قالوا: لو استنزلناه بشيء فذهبوا إلى امرأةٍ بَغِيّ فقالوا لها: تعرّضي له، فجاءته في ليلةٍ مظلمةٍ مَطيرة فقالت: يا عبدالله آوِني إليك، وهو قائمٌ يصلي ومصباحهُ ثاقبٌ، فلم يلتفت إليها فقالت: يا عبدالله الظُّلمة والغيث، آوِني إليك، فلم تزل به حتى أدخلها إليه فاضطجعت وهو قائم يصلي، فجعلت تتقلّب وتريه محاسنَ خَلْقها حتى دعته نفسه إليها، فقال: لا والله حتى أنظر كيف صبرك عَلَى النار، فدنا إلى المصباح فوضع

اصبعاً من أصابعه فيه حتى احترقت ، قال : ثم رجع إلى مُصلاه قال : فدعته نفسه أيضاً ، فعاد إلى المصباح فوضع اصبعه أيضاً حتى احترقت أصابعه وهي تنظر إليه فَصعِقت فماتت : فلما أصبحوا غدَوْا لينظروا ما صنعت فإذا بها ميتة فقالوا : يا عدو الله يا مرآء وقعت عليها ثم قتلتها قال : فذهبوا به إلى ملكهم فشهدوا عليه فأمر بقتله ، فقال : دعوني حتى أُصليَ ركعتين ، قال : فصلى ثم دعا فقال : أي ربّ إني أعلم أنك لم تكن لتؤاخذَني بما لم أفعل ، ولكن أسألك أن لا أكون عاراً عَلَى القُرى بعدي ، قال : فردّ الله نفسها [1] فقالت : انظروا إلى يده ، ثم عادت ميتة .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : بينما رجلٌ عابدٌ عند امرأةٍ إذ عَمَد فضرب بيده عَلَى فَخِذها ، فأخذ يده فوضعها في النار حتى نَشَّت .

وقال حُصَين بن عبد الرحمن : بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلَوات كلَّها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر يتفقّده إذا غاب ، فعشقته امرأةٌ من أهل المدينة فذكرت ذلك لبعض نسائها ، فقالت : أنا أحتال لك في إدخاله عليك ، فقعدت له في الطريق ، فلما مرَّ بها قالت له : إني امرأةٌ كبيرةُ السنّ ولي شاةٌ لا أستطيع أن أحلِبها ، فلو دخلت فحلبتها لي ، وكانوا أرغبَ شيءٍ في الخير ، فدخل

---

(١) في ن : فرد الله عليها روحها .

فلم يرَ شاةً فقالت: اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محرابٍ في البيت فقعد فيه فأرادته عن نفسه فأبى وقال: اتقي الله أيتها المرأة، فجعلت لا تكفّ عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت عليه فجاءوا فقالت: إن هذا دخل عليَّ يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه، فلما صلى عمرُ الغداة فقده، فبينا هو كذلك إذ جاءوا به في وثاقٍ، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلِفْ ظني به قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثت امرأةٌ بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلامَ عندها فضربناه وأوثقناه، فقال عمر رضي الله عنه: اصدُقْني، فأخبره بالقصة علَى وجهها، فقال له عمر رضي الله عنه: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم إن رأيتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن فعرضهن فلم يعرفها فيهن حتى مرّت به العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عمر عليها الدِرّةَ وقال: اصدُقيني، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى فقال عمر: الحمد لله الذي [جعل] فينا شبيهَ يوسف.

وقال أبو الزناد: كان راهبٌ يتعبد في صومعته فأشرف [منها] فرأى امرأةً ففتن بها، فأخرج رِجله من الصومعة لينزل إليها، فنزلت عليه العصمة فقال: رِجلٌ خرجت من الصومعة لتعصيَ اللهَ واللهِ لا تعود معي في صومعتي، فتركها معلقةً خارجَ الصومعة يسقط عليها الثلوج والأمطار

حتى تناثرت وسقطت ، فشكر ٱللهُ ذلك من صنعه ومدحه في بعض كتبه بذي ٱلرِّجْل ·

وقال مُصْعَب بن عثمان : كان سليمان بن يسار من أحسن ٱلناس وجهاً فدخلت عليه ٱمرأةٌ بيته فسألته نفسه فٱمتنع عليها ، فقالت : إذن أفْضَحُك فخرج هارباً عن منزله وتركها فيه ·

وقال جابر بن نوح : كنت بٱلمدينة جالساً في حاجةٍ فمرَّ بنا شيخٌ حسن ٱلوجه حسن ٱلثياب ، فقام إليه ذلك ٱلرجل فسلم عليه وقال : يا أَبا محمد أسأل ٱللهَ أن يُعظِّم أجرك ، وأَن يربُط علَى قلبك بٱلصبر ، فقال ٱلشيخ :

وكان يميني في ٱلوغى ومساعدي · فأَصبحتُ قد خانت يميني ذراعُها
وقد صِرتُ حيرانًا من ٱلثُّكل باهتاً · أَخا كلَفٍ ضاقت عليَّ رِباعُها

فقال له ٱلرجل : ابشر فإِن ٱلصبر معوَّل ٱلمؤْمن ، وإني لأَرجو أَن لا يحْرِمَك ٱللهُ ٱلأَجرَ علَى مصيبتك ، فقلت له : من هذا ٱلشيخ ؟ فقال : رجلٌ منا من ٱلأنصار فقلت : وما قصته ؟ قال : أُصيب بٱبنه وكان به بارًّا قد كفاه جميعَ ما يعنيه ، ومَنِيَّتُه عَجَبٌ قلت : وما كانت ؟ قال : أَحبته ٱمرأةٌ فأرسلت إليه تشكو حبَّه وتسأله ٱلزيارة ، وكان لها زوج فألحت عليه ، فأفشى ذلك إلى صديقٍ له فقال له : لو بعثت إليها بعضَ أهلك فوعظتها وزجرتَها رجوت أن تكُفَّ عنك ، فأمسك وأرسلت إليه إما أن تزورني وإما أن أزورك فأَبىٰ ، فلما يئست منه ذهبت إلى

أمرأةٍ كانت تعمل ٱلسحر فجعلت لها ٱلرّغائب في تهييجه ، فعمِلت لها
في ذلك ، فبينا هو ذاتَ ليلةٍ مع أبيه إذ خطر ذكرُها بقلبه وهاج منه
أمرٌ لم يكن يعرفه وٱختلط ، وقام مسرعاً فصلى وٱستعاذ وٱلأمر يشتدّ ،
فقال : يا أبه أدركني بقيد فقال : يا بني ما قصتك ؟ فحدّثه بٱلقصة فقام
وقيَّده وأدخله بيتاً ، فجعل يضطرب ويخور كما يخور ٱلثور ، ثم هدأ فإذا
هو ميّت وٱلدَّم يسيل من منخرِه .

فصل وهذا ليس بعجيب من ٱلرجال ولكنه من ٱلنساء أعجب ،
قال أبو إدريس ٱلأودي : كان رجلان في بني إسرآئيل عابدان ، وكانت
جاريةٌ جميلةٌ فأحباها وكتم كلٌّ منهما صاحبه وٱختبأ كلٌّ منهما خلف
شجرة ينظر إليها ، فبصر كلٌّ منهما بٱلآخر فأفشى كلٌّ منهما سرَّه إلى
صاحبه ، فٱتفقا علَى أن يراوداها ، فلما قرُبت منهما قالا لها : قد عرفت
منزلتنا في بني إسرائيل ، وإنك إن لم توءآتينا وإلاّ قلنا إذا أصبحنا :
إنا أصبنا معك رجلاً وإنه أفلتنا وإنا أخذناك ، فقالت : ما كنت
لأطيعكما في معصية ٱلله ، فأخذاها وقالا : إنا أصبنا معها رجلاً
فأفلتنا ، وأقبل نبيٌّ من أنبيائهم فوضعوا له كرسياً فجلس عليه وقال :
أقضي بينكم ؟ فقالا : [نعم] اقضِ بيننا ، ففرّق بين ٱلرجلين وقال :
لأحدهما خلف أي شجرةٍ رأيتها ؟ قال : شجرة كذا وكذا ، وقال

للآخر: فقال: شجرة كذا و كذا غيز ٱلتي ذكر صاحبه، و نزلت نارٌ من ٱلسماء فأحرقتها وأفلتت ٱلمرأة.

وقال عبدٱلله بن ٱلمبارك: عشق هارون ٱلرشيد جاريةً من جواريه فأرادها فقالت: إن أباك مسّني، فشغف بها وقال فيها:

أرى ماءً وبي عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيلَ إلى ٱلورود

أما يكفيكِ أنكِ تملكيني وإن ٱلناس عندي كٱلعبيد

وأنك لو قطعتِ يدي ورِجلي لقلت من ٱلرضا أحسنت زيدي

فسأل أبا يوسف عن ذلك فقال: أوَ كلما قالت جاريةٌ شيئاً تصدّق؟ قال ٱبن ٱلمبارك: فلا أدرى ممن أعجب، من هارون ٱلرشيد حيث رغب فيها، أو منها حيث رغبت [عنه]، أو من أبي يوسف حيث سوّغ له إتيانها.

وقال أبو عثمان ٱلتيمي: مرّ رجلٌ براهبةٍ من أجمل ٱلنسآء فٱفتتن بها، فتلطّف في ٱلصعود إليها فراودها عن نفسها [فأبت عليه وقالت: لا تغترّ بما ترى وليس ورآءه شيءٌ، فأبى حتى غلبها علَى نفسها] (1) وكان إلى جانبها مِجْمَرة فوضعت يدها فيها حتى ٱحترقت، فقال لها بعد أن قضى حاجته منها: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قالت: إنك لما قهرتني علَى نفسي خِفتُ أن أُشاركك في ٱللذّة فأُشاركك في ٱلمعصية

---

(1) هذه الجملة الحقت بهامش ن إلحاقاً بخط مغاير لخط النسخة فربما كانت من نسخة أخرى.

«ر: م ٦٢»

ففعلت ما رأيت، فقال الرجل: والله لا أعصي الله أبداً وتاب مما كان عليه

وذكر الحسين بن محمد الدامغاني أن بعض الملوك خرج يتصيد وانفرد عن أصحابه، فمر بقرية فرأى امرأة جميلة فراودها عن نفسها، فقالت إني غير طاهر فأتطهر وآتيك، فدخلت بيتها وخرجت إليه بكتاب فقالت: انظر في هذا حتى آتيك، فنظر فيه فإذا فيه ما أعد الله للزاني من العقوبة فتركها وذهب، فلما جاء زوجها أخبرته الخبر فكره أن يقربها مخافة أن يكون للملك فيها حاجة فاعتزلها، فاستعدى عليه أهل الزوجة إلى الملك وقالوا: إن لنا أرضاً في يد هذا الرجل فلا هو يعمرها ولا هو يردها علينا وقد عطلها، فقال الملك: ما تقول؟ فقال: إني رأيت في هذه الأرض أسداً وأنا أتخوف دخولها منه، ففهم الملك القصة فقال: اعمر أرضك فإن الأسد لا يدخلها، ونعم الأرض أرضك.

وكانت بعض النساء المتعبدات وقعت في نفس رجل موسر وكانت جميلة وكانت تخطب فتأبى، فبلغ الرجل أنها تريد الحج، فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكتر من فلان، فاكترت منه المرأة، فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال: إما أن تزوجيني نفسك، وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق الله فقال: ما هو إلا ما تسمعين، والله ما أنا بجمال ولا خرجت إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال عين لم تنم؟ فقال: لا. ناموا كلهم قالت: أفنامت عين رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة خرت

ميتة وخرّ ٱلرجلُ مَغْشِيًّا عليه، فلما أفاق قال: ويحي قتلت نفسًا ولم أبلغ شهوتي.

وقال وهب [بن مُنبّه]: كان في بني إسرائيل رجلٌ متعبّدٌ شديدُ ٱلاجتهاد، فرأى يومًا ٱمرأةً فوقعت في نفسه بأوّل نظرة، فقام مسرعًا حتى لحقها فقال: رويدك يا هذه، فوقفت وعرفته فقالت: ما حاجتك؟ قال: أذاتُ زوجٍ أنتِ؟ قالت: نعم فما تريد؟ قال: لو كان غير هذا لكان لنا رأي قالت: [على ذلك] وما هو؟ قال: عرض بقلبي من أمرك عارض قالت: وما يمنعك من إنفاذه؟ قال: وتتابعيني عَلَى ذلك؟ قالت: نعم، فخلت به في موضعٍ فلما رأته مُجِدًّا في ٱلذي سأل قالت: رويدك يا مسكين لا يسقط جاهك عنده، فٱنتبه لها وذهب عنه ما كان يجد فقال: لا حَرَمك ٱللهُ ثوابَ فعلك، ثم تنحّى ناحيةً فقال لنفسه: ٱختاري إما عمى ٱلعين، وإما ٱلجَبُّ، وإما ٱلسياحة مع ٱلوحوش، [فٱختارت ٱلسياحةَ مع ٱلوحوش] فكان كذلك إلى أن مات.

وأحبَّ رجلٌ جاريةً من ٱلعرب وكانت ذاتَ عقل وأدب، فما زال يحتال في أمرها حتى ٱجتمع معها في ليلةٍ مظلمةٍ شديدةِ ٱلسواد، فحادثها ساعةً ثم دعته [نفسه] إليها فقال: يا هذه قد طال شوقي إليك قالت: وأنا كذلك فقال: هذا ٱلليل قد ذهب وٱلصبح قد ٱقترب قالت: هكذا تَفْنَى ٱلشهوات وتنقطع ٱللَّذّات فقال لها: لو دنوت مني فقالت: هيهات أخاف ٱلبعد من ٱلله قال: فما ٱلذي دعاك إلى ٱلحضور معي؟

قالت: شقوتي وبلائي قال لها: فمتى أراك؟ قالت: ما أنساك و [أما] ٱلاجتماع معك فما أراه يكون، ثم تولت قال: فاستحييت مما سمعت منها. وأنشد:

توقت عذاباً لا يُطاق انتقامه ... ولم تأتِ ما تخشى به أن تُعذبا

وقالت مقالاً كدتُ من شدة ٱلحيا ... أهيم عَلَى وجهي حياءً وتعجبا

ألا أُفّ للحب ٱلذي يورث ٱلعمى ... ويُورد ناراً لا تَمَلُّ ٱلتلهبا

فأقبل عوذي فوق بدني مفكراً ... وقد زال عن قلبي ٱلعمى فتسرّبا

وقال ابن خلف: أخبرني أبو بكر ٱلعامري قال: عشقت عاتكةُ ٱلمرّيّة ابنَ عمٍ لها فأرادها عن نفسها فامتنعت عليه وقالت:

فما طعمُ ماءٍ من سحابٍ مُرَوَّقٍ ... تحدَّر من غُرٍّ طوالِ ٱلذوائب

بمُنعَرَجٍ أو بطنِ وادٍ تطلَّعت ... عليه رياحُ ٱلصيف من كلّ جانب

ترقرق ماءُ ٱلمزْنِ فيهنّ وٱلتقت ... عليهن أنفاس ٱلرّياض ٱلغرائب

نفت جِرْيَةُ ٱلماءِ ٱلقذى عن متونه ... فليس به عيبٌ تراه لشارب

بأطيبَ مما يقصر ٱلطرفُ دونه ... تُقى ٱللهِ وٱستحياءُ تلك ٱلعواقب

الباب التاسع والعشرون

في ذم الهوى، وما في مخالفته من نيل المنى

وقد تقدم ذكر الآيات في ذلك وبعض ما ورد في السنة.

الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميلُ خلق في الانسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهوى مستحثٌّ له لما يريده، كما أن الغضب دافعٌ عنه ما يؤذيه، فلا ينبغي ذمّ الهوى مطلقاً، [ولا مدحُه مطلقاً، كما أن الغضب لا يُذَمّ مطلقاً ولا يُحْمَد مطلقاً] وإنما يُذَمّ المفرط من النوعين، وهو ما زاد عَلَى جلب المنافع ودفع المضارّ، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه عَلَى حدّ المنتفع به أُطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر، لأنه يَنْدُر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده، كما أنه يَنْدُر في الأمزجة المِزاجُ المعتدل من كل وجه، بل لا بدّ من غلبة أحد الأخلاط والكيفيات عليه، فحِرْصُ الناصح عَلَى تعديل قوى الشهوة والغضب من كل وجهٍ كحرص الطبيب عَلَى تعديل المزاج من كل وجهٍ، وهذا أمرٌ يتعذّر وجودُه إلا في حق أفرادٍ من العالم، فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلاّ ذمّه، وكذلك في السنة لم يجئ إلاّ مذموماً إلا ما جاء

منه مقيداً كقوله صلى الله عليه وسلم : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّٰى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ[1] . وقد قيل : الهوى كمينٌ لا يؤمن . قال الشّعبي : وسمي هوى لأنه يهوي بصاحبه ، ومطلقه يدعو إلى اللذّة الحاضرة من غير فكرٍ في العاقبة ، ويحثّ عَلَى نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً لأعظم الآلام عاجلاً وآجلاً ، فللدّنيا عاقبةٌ قبل عاقبة الآخرة ، والهوى يُعمي صاحبه عن ملاحظتها ، والمرُوءَة والدّين والعقل ينهى عن لذّةٍ تعقب ألماً ، وشهوةٍ تورث ندما ، فكلٌّ منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك : لا تفعلي ، والطاعة لمن غلب ، ألا ترى أن الطفل يؤثر ما يهوى وإن أدّاه إلى التلَف لضعف ناهي العقل عنده ، ومن لا دين له يؤثر ما يهواه وإن أدّاه إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهي الدّين ، ومن لا مرُوءَة له يؤثر ما يهواه وإن ثَلَم مرُوءته أو عدمها[2] لضعف ناهي المرُوءة ، فأين هذا من قول الشافعي رحمه الله تعالى : لو علمتُ أَنّ الماء البارد يَثْلِم مرُوءتي لما شربته .

ولمّا امتحن المكلَّفُ بالهوى من بين سائر البهائم وكان كلَّ وقتٍ تحدُثُ عليه حوادثُ جُعل فيه حاكمان : حاكم العقل وحاكم الدّين ، وأُمر أن يرفع حوادثَ الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين وأن ينقاد لحكمهما ، وينبغي أن يتمرّن عَلَى دفع الهوى المأمون العواقب ليتمرّن بذلك عَلَى ترك ما تؤذي عواقبه . وليعلم اللبيبُ أن مُدْمني الشهوات

(١) تقدم تخريجه في الصفحة ٢٦ (٢) في ن : أو هدمها .

يصيرون إلى حالةٍ لا يلتذّون بها ، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها ، لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بُدّ لهم منه ، ولهذا ترى مُدْمن الخمر لا يلتذّ به عُشْرَ معشار التذاذ من يفعله نادراً في الأحيان ، غير أنَّ العادة مقتضيةٌ ذلك فيُلقي نفسه في المهالك لنيل ما تطالبه به العادة ، ولو زال عنه رَيْن الهوى لعلم أنه قد شَقِيَ من حيث قدّر السعادة ، واغتمّ من حيث ظنّ الفرح ، وأَلِمَ من حيث أراد اللذّة ، فهو كالطائر المخدوع بحبة القمح ، لا هو نال الحَبّة ولا هو تخلّص مما هو فيه ، فإن قيل : فكيف يتخلص مِنْ هذا مَنْ قد وقع فيه ؟ قيل : يمكنه التخلص بعون الله وتوفيقه له بأُمور :

أَحدُها عزيمة حرٍّ يغار لنفسه وعليها .

الثاني جرعة صبرٍ يصبر نفسه عَلَى مرارتها تلك الساعة .

الثالث قوة نفسٍ تشجّعه عَلَى شرب تلك الجرعة ، والشجاعةُ كلُّها صبر ساعة ، وخير عيشٍ أدركه العبد بصبره .

الرابع ملاحظته حسنَ موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة .

الخامس ملاحظته الألم الزائد عَلَى لذة طاعة هواه .

السادس إبقاؤُه عَلَى منزلته عند الله تعالى وفي قلوب عباده ، وهو خيرٌ وأَنفع له من لذّة موافقة الهوى .

السابع إيثاره لذّةَ العفة وعزّتها وحلاوتها عَلَى لذّة المعصية .

الثامن فرحه بغلبة عدوّه وقهره له وردّه خاسئاً بغيظه وغمه وهمه

حيث لم ينل منه أُمْنِيَتَه ، والله تعالى يحب من عبده أن يراغم عدوّه و يغيظه كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : (وَلَا يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ)[1] وقال : (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)[2] وقال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً)[3] أي مكاناً يراغم فيه أعداء الله . وعلامة المحبة الصادقة مغايظة أعداء المحبوب و مُراغمتهم .

التاسع التفكر في أنه لم يُخلق للهوى وإنما هُيِّئَ لأمرٍ عظيم لا يناله إلا بمعصيته للهوى كما قيل :

قد هيّأوك لأمرٍ لو فطِنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

العاشر أن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوانُ البهيمُ أحسن حالاً منه ، فإن الحيوان يميز بطبعه بين مواقع ما يضرّه وما ينفعه ، فيؤثر النافع على الضارّ ، والإنسان أعطي العقلَ لهذا المعنى ، فإذا لم يميّز به بين ما يضرّه وما ينفعه أو عرف ذلك وآثر ما يضرّه كان حال الحيوان البهيم أحسنَ منه ، ويَدُلّ عَلَى ذلك أن البهيمة تصيب من لذّة المطعم والمَشْرب والمنكح ما لا يناله الإنسان مع عيشٍ هنيءٍ خالٍ عن الفكر والهمّ ، ولهذا تُساقُ إلى مَنْحَرِها وهي منهمكةٌ عَلَى شهواتها لفقدان العلم بالعواقب ،

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٠

(٢) الآية الأخيرة من سورة الفتح .

(٣) سورة النساء الآية ١٠٠

والآدمي لا يناله ما يناله الحيوان لقوة الفكر الشاغل ، وضعف الآلة المستعملة وغير ذلك ، فلو كان نيل المشتهى فضيلةً لما بُخس منه حقُّ الآدمي الذي هو خلاصة العالَم ، ووفر منه حظُّ البهائم ، وفي توفير حظ الآدمي من العقل والعلم والمعرفة عِوَضٌ عن ذلك .

الحادي عشر أن يسير بقلبه[1] في عواقب الهوى فيتأمل كم أفاتت معصيتُه[2] من فضيلة ، وكم أوقعت في رذيلة ، وكم أكلةٍ منعت أكلات ، وكم من لذةٍ فوّتت لذات ، وكم من شهوةٍ كسرت جاهاً ، ونكست رأساً ، وقبّحت ذكراً ، وأورثت ذماً[3] [وأعقبت ذلاً] ، وألزمت عاراً لا يغسله الماء ، غير أن عينَ صاحب الهوى عمياء .

الثاني عشر أن يتصوّر العاقلُ انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصوّر حالَه بعد قضاء الوطر وما فاته وما حصل له

فأفضل الناس من لم يرتكب سبباً   حتى يميز لما تجني عواقبُه

الثالث عشر أن يتصوّر ذلك في حقّ غيره حقَّ التصوُّر ، ثم يُنزل نفسه تلك المنزلة فحكم الشيء حكمُ نظيره .

الرابع عشر أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك ويسأل عنه عقلَه ودينَه يُخبرانه بأنه ليس بشيء . قال عبد الله بن مسعود رضي الله

---

(١) في ن : بفكره .   (٢) كذا في النسختين ولعل الصواب : كم افاتت طاعته من فضيلة لأن الظاهر ان الضمير عائد على الهوى الخ .

(٣) في ن : ندماً .

عنه : إذا أعجب أحدَكم أمرأةٌ فليذكر مَنَاتِنَهَا ، وهذا أحسن من قول أحمد بن ألحسين :

لو فكّر ٱلعاشقُ في منتهى ... حسنِ ٱلذي يسبيه لم يَسْبِهِ

لأن ٱبن مسعود رضي ٱلله عنه ذكر ٱلحال ٱلحاضرة ٱلملازمة ، وٱلشاعر خال عَلَى أمرٍ متأخر .

ٱلخامس عشر أن يأْنفَ لنفسه من ذل طاعة ٱلهوى ، فإنه ما أطاع أحدٌ هواه قط إلاّ وجد في نفسه ذُلاًّ ، ولا يغترّ بصولة أتباع ٱلهوى وكِبرِهم فهم أذلُّ ٱلناس بواطنَ قد جمعوا بين فضيلتَي ٱلكبرِ وٱلذلّ .

ٱلسادس عشر أن يوازن بين سلامة ٱلدّين وٱلعِرض وٱلمال وٱلجاه ونيل ٱللذّة ٱلمطلوبة ، فإنه لا يجد بينهما نسبةً ٱلبتّةَ فليعلم أنه من أسفه ٱلناس ببيعه هذا بهذا .

ٱلسابع عشر أن يأْنَفَ لنفسه أن يكون تحت قهر عدوه ، فإن ٱلشيطان إذا رأى من ٱلعبد ضعف عزيمةٍ وهمةٍ وميلاً إلى هواه طمع فيه وصرعه وألجمه بلجام ٱلهوى وساقه حيث أراد ، ومتى أحسّ منه بقوة عزمٍ وشرفِ نفسٍ وعلوّ همةٍ لم يطمع فيه إلاّ ٱختلاساً وسَرِقة .

ٱلثامن عشر أن يعلم أن ٱلهوى ما خالط شيئاً إلاّ أفسده ، فإن وقع في ٱلعلم أخرجه إلى ٱلبدعة وٱلضلالة وصار صاحبُه من جملة أهل ٱلأهواء ، وإن وقع في ٱلزهد أخرج صاحبه إلى ٱلرياء ومخالفة ٱلسنة ، وإن وقع في ٱلحكم أخرج صاحبه إلى ٱلظلم وصده عن ٱلحقّ وإن

وقع في ٱلقِسْمة خرجت عن قسمة ٱلعدل إلى قسمة ٱلجَوْر، وإن وقع في ٱلولاية وٱلعزل أخرج صاحبه إلى خيانة ٱلله وٱلمسلمين حيث يُوَلِّي بهواه ويعزِل بهواه، وإن وقع في ٱلعبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربةً، فما قارن شيئاً إلاّ أفسده.

التاسع عشر أن يعلم أن ٱلشيطان ليس له مدخلٌ عَلَى ٱبن آدم إلا من باب هواه، فإنه يُطيفُ به من أين يدخل عليه حتى يفسدَ عليه قلبه وأعماله فلا يجد مدخلاً إلاّ من باب ٱلهوى، فيسري معه سريان ٱلسمّ في ٱلأعضاء.

العشرون أن الله سبحانه وتعالى جعل ٱلهوى مضاداً لما أنزله عَلَى رسوله، وجعل ٱتّباعه مقابلاً لمتابعة رسله، وقسم ٱلناس [إلى] قسمين: أتباع ٱلوحي، وأتباع ٱلهوى، وهذا كثيرٌ في ٱلقرآن كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[2] ونظائره.

الحادي وٱلعشرون أن ٱلله سبحانه وتعالى شبّه أتباعَ ٱلهوى بأخس ٱلحيوانات صورةً ومعنى، فشبّهم بٱلكلب تارة كقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾[3]

---

(١) سورة القصص الآية ٥٠

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٦

وبالحُمُر تارةً كقوله تعالى]: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)[1] وقلب صُوَرَهُم إلى صورة القِرَدَةِ والخنازير تارة.

الثاني والعشرون أن متَّبِع الهوى ليس أهلاً أن يطاع ولا يكون أماماً ولا متبوعاً فإن الله سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة ونهى عن طاعته، أما عزله فإن الله سبحانه وتعالى قال لخليله إبراهيم: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[2] أي لا ينال عهدي بالإمامة ظالماً. وكل من اتّبع هواه فهو ظالمٌ كما قال الله تعالى: (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)[3] وأما النهي عن طاعته فلقوله تعالى (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)[4]

الثالث والعشرون أن الله سبحانه وتعالى جعل متَّبِع الهوى بمنزلة عابد الوثن فقال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)[5] في موضعين من كتابه، قال الحسن: هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه. وقال أيضاً: المنافق عبد هواه لا يهوى شيئاً إلاّ فعله.

الرابع والعشرون أن الهوى هو حِظارُ جهنم المحيطُ بها حولها، فمن وقع فيه وقع فيها كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

(١) سورة المدثر الآيتان ٥٠ و٥١
(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤
(٣) سورة الروم الآية ٢٩
(٤) سورة الكهف الآية ٢٨
(٥) سورة الفرقان الآية ٤٣

قال : حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِٱلشَّهَوَاتِ . وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضي ٱلله عنه يرفعه : لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا جبريل فقَالَ : انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلى مَا أَعَدَّ ٱللهُ لِأَهْلِهَا [فيها] فرجع إِلَيْهِ وقَالَ : وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عِبَادِكَ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِٱلْمَكَارِهِ وقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَٱنظُرْ إِلَيْهَا فرجع فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِٱلْمَكَارِهِ فقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ ٱذْهَبْ إِلى ٱلنَّار فَٱنظُرْ إِلَيْهَا وَإِلى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلى مَا أَعَدَّ ٱللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً فقَالَ : وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِٱلشَّهَوَاتِ فقَالَ : ارْجِعْ فَٱنظُرْ إِلَيْهَا فرجع إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِٱلشَّهَوَاتِ فرجع [إِلَيْهِ] فقال : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ قال ٱلترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

الخامس والعشرون أنه يُخاف على من اتبع الهوى أن ينسلخ من ٱلإيمان وهو لا يشعر ، وقد ثبت عن ٱلنبي صلى ٱلله عليه وسلم أنه قال : لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ[1] . وصحّ عنه أنه قال : أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ شَهَوَاتُ ٱلْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتُ ٱلْهَوَى[2] .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة ٢٦

(٢) تقدم هذا الحديث بسنده في الصفحة ٤٢٩

السادس والعشرون أن اتباع الهوى من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم: ثَلاثٌ مُنْجِياتٌ وَثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ: فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ فَتَقْوَى اللهِ عزَّ وَجلَّ في السرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضا وَالسخط، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنى وَالْفقرِ. وأَمَّا الْمُهْلِكاتُ فَهَوىً مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ(١)

السابع والعشرون أن مخالفة الهوى تورث العبد قوّةً في بدنه وقلبه ولسانه، قال بعض السلف: الغالبُ لهواه أشدُّ من الذي يفتح المدينة وحدَه، وفي الحديث الصحيح المرفوع: لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ وَلٰكِنِ الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ(٢) وكلما تمرَّنَ على مخالفة هواه اكتسب قوّةً إلى قوّته.

الثامن والعشرون أن أغزر الناس مُرُوءةً أشدُّهم مخالفةً لهواه. قال معاوية: المُرُوءَةُ تركُ الشهوات وعصيان الهوى، فاتّباع الهوى يزمن المُرُوءَة، ومخالفته تنعشُها.

التاسع والعشرون أنه ما من يوم إلا والهوى والعقلُ يعتلجان في صاحبه، فأيهما قوِيَ على صاحبه طرده وتحكم وكان الحكم له، قال أبو الدرداء: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله

---

(١) قال السيوطي: رواه الطبراني في الأوسط. وقد تقدم في الصفحة ٤٢٩ معزواً إلى المسند وغيره.

(٢) رواه البخاري ومسلم واحمد في مسنده.

تبعاً لهواه فيومُه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح .

الثلاثون أن الله سبحانه و تعالى جعل الخطأ و اتباع الهوى قرينين ، وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين ، كما قال بعض السلف : إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيها أرشد فخالف أقربَهما من هواك ، فإن أقربَ ما يكون الخطأ في متابعة الهوى .

الحادي والثلاثون أن الهوى داء ودواؤه مخالفته ، قال بعض العارفين : إن شئت أخبرتك بدائك ، وإن شئت أخبرتك بدوائك ، داؤك هواك ، ودواؤك ترك هواك ومخالفتُه . وقال بشر الحافي رحمه الله تعالى : البلاء كلُّه في هواك ، والشقاء كلُّه في مخالفتك إياه .

الثاني والثلاثون أن جهاد الهوى إن لم يكن أعظمَ من جهاد الكفّار فليس بدونه قال رجلٌ للحسن البصري رحمه الله تعالى : يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل ؟ قال : جهادُك هواك . وسمعت شيخنا يقول : جهادُ النفس والهوى أصلُ جهاد الكفّار والمنافقين ، فإنه لا يقدر عَلَى جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أوّلاً حتى يخرج إليهم .

الثالث والثلاثون أن الهوى تخليطٌ ومخالفته حِمْيَةٌ ، ويُخاف عَلَى من أفرط في التخليط وجانَبَ الحِمْيَة أن يصرعَه داؤه . قال عبد الملك بن قُرَيب : مررت بأعرابي بِهِ رمدٌ شديد ودموعه تسيل عَلَى خدّيه فقلت : ألا تمسح عينيك ؟ قال : نهاني الطبيب عن ذلك ، ولا خير فيمن إذا زُجر لا ينزجر ، وإذا أُمر لا يأتمر ، فقلت : ألا تشتهي شيئاً ؟ فقال :

بلى ولكني أحتمي ، إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم فهلكوا.

الرابع والثلاثون أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان ، فتراه يَلْهج بأن الله لو وَفَّق لكان كذا وكذا ، وقد سدّ على نفسه طرُق التوفيق باتباعه هواه ، قال الفُضيل بن عياض : من استحوذ عليه الهوى واتباعُ الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق. وقال بعض العلماء: الكفر في أربعة أشياء: في الغضب، والشهوة، والرغبة، والرهبة، ثم قال: رأيت منهن اثنتين: رجلاً غضب فقتل أُمه ورجلاً عشق فتنصر. وكان بعض السلف يطوف بالبيت فنظر إلى امرأةٍ جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال:

أهوى هوى الدين واللذاتُ تعجبني　　فكيف لي بهوى اللذاتِ والدين

فقالت: دع أحدهما تنَلْ الآخر.

الخامس والثلاثون أَن من نصر هواه فسد عليه عقلُه ورأيه ، لأنه قد خان الله في عقله فأفسده عليه ، وهذا شأنه سبحانه وتعالى في كل من خانه في أمرٍ من الأمور، فإنه يفسده عليه. وقال المعتصم يوماً لبعض أَصحابه: يا فلان إذا نُصر الهوى ذهب الرأي . وسمعت رجلاً يقول لشيخنا : إذا خان الرجلُ في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد أو قال نَسِيَه ، فقال الشيخ : هكذا من خان الله [تعالى] ورسولَه في مسائل العلم.

السادس والثلاثون أن من فسح لنفسه في اتباع الهوى ضيّق

عليها في قبره ويوم معاده، ومن ضيق عليها بمخالفة الهوى وسع عليها في قبره ومعاده ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله تعالى: (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً)[1] فلما كان في الصبر الذي هو حبسُ النفس عن الهوى خشونةٌ وتضييقٌ جازاهم على ذلك نعومة الحرير وسعة الجنة .

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى في هذه الآية : جزاهم بما صبروا عن الشهوات .

السابع والثلاثون أن اتباع الهوى يَصْرَع العبدَ عن النهوض يوم القيامة عن السعي مع الناجين ، كما صرع قلبه في الدُّنيا عن مرافقتهم قال محمد بن الورد[2] : إن لله عزَّ وجلَّ يوماً لا ينجو من شرِّه منقادٌ لهواه ، وإن أبطأ الصَّرْعى نهضةً يوم القيامة صريعُ شهوته ، وإن العقول لما جرت في ميادين الطلب كان أوفرُها حظًّا من يطالبها بقدر ما صحبه من الصبر . والعقلُ معدِن والفكر معوَّل .

الثامن والثلاثون أن اتّباع الهوى يحُلُّ العزائم ويوهنها، ومخالفته تشدُّها وتقوّيها . والعزائم هي مركبُ العبد الذي يسيّرهُ إلى الله والدّار الآخرة ، فمتى تعطّل المركوبُ أوشك أن ينقطع المسافر . قيل ليحيى ابن معاذ : مَن أصحُّ الناس عزماً ؟ قال : الغالبُ لهواه : ودخل خلف ابن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب وعنده جاريةٌ يقال لها البدر من أحسن الناس وجهاً ، فقال له سليمان : كيف ترى هذه الجارية ؟

---

(١) سورة الدهر الآية ١٢   (٢) في ف : ابن ابي الورد .

فقال: أصلح الله الأمير ما رأت عيناي أحسن منها قط، فقال له: خذ بيدها فقال: ما كنت لأفجع الأمير بها وقد رأيت شدة عجبه بها، فقال: ويحك خذها على شدة عجبي بها ليعلم هواي أني له غالب، وأخذ بيدها وخرج وهو يقول:

لقد حباني وأعطاني وفضّلني ... عن غير مسألةٍ منه سليمانُ

أعطاني البدر خَوْداً في محاسنها ... والبدرُ لم يعطه إنسٌ ولا جانُ

ولست يوماً بناسٍ فضله أبداً ... حتى يغيّبني لحدٌ وأكفانُ

التاسع والثلاثون أن مثَلَ راكب الهوى كمثَل راكب فرسٍ حديدٍ صعبٍ جموحٍ لا لجام له فيوشك أن يصرعه فرسُه في خلال جرْيه به أو يسيرَ به إلى مهلكٍ، قال بعض العارفين: أسرعُ المطايا إلى الجنة الزهدُ في الدنيا، وأسرعُ المطايا إلى النار حبُّ الشهوات، ومَن استوى على متن هواه أسرع به إلى وادي الهلكات. وقال آخر: أشرف العلماء من هرب بدينه [من الدنيا]، واستصعب قياده على الهوى. وقال عطاء: من غلب هواه عقلَه وجزعه صبرَه افتضح.

الأربعون أن التوحيد واتباع الهوى متضادّان، فإن الهوى صنم ولكل عبدٍ صنمٌ في قلبه بحسب هواه. وإنما بعث اللهُ رسلَه بكسر الأصنام وعبادته وحدَه لا شريك له، وليس مرادُ الله سبحانه كسرَ الأصنام المجسَّدة وتركَ الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرُها من القلب أوّلاً. قال الحسن بن علي المطّوّعي: صنمُ كلّ إنسان هواه، فمن كسره بالمخالفة استحق اسمَ الفتوّة. وتأمل قولَ الخليل صلى الله عليه وسلم

[لقومه] (ما هٰذهِ التَّماثِيلُ الَّتي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ)[1] كيف تجده مطابقاً للتماثيل التي يهواها القلبُ ويعكفُ عليها ويعبدُها من دون الله، قال الله تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخذَ إِلٰهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً. أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)[2]

الحادي والأربعون أن مخالفةَ الهوى مَطْرَدَةٌ للداء عن القلب والبدن، ومتابعته مَجْلَبَةٌ لداء القلب والبدن، فأمراضُ القلب كلها [من] متابعة الهوى، ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبَها من إيثار الهوى عَلَى ما ينبغي تركُه.

الثاني والأربعون أن أصل العداوة والشرّ والحسد الواقع بين الناس من اتّباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبَه وبدنَه وجوارحه فاستراح وأراح. قال أبو بكر الورّاق: إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخُلُقُ أبغضه الخلق وأبغضهم، فانظر ما ذا يتولّد من التباغض من الشرّ والعداوة وترك الحقوق وغيرها.

الثالث والأربعون أن الله سبحانه وتعالى جعل في العبد هوًى وعقلاً فأيهما ظهر توارى الآخر. كما قال أبو علي البيهقي[3]: من غلبه هواه توارى

---

(١) سورة الانبياء الآية ٥٢ (٢) سورة الفرقان الآيتان ٤٣ و٤٤

(٣) في ن: الثقفي.

عنه عقله، فٱنظر عاقبة من ٱستتر عنه عقله وظهر عليه خلافه. وقال علي بن سهل رحمه ٱلله: العقل وٱلهوى يتنازعان، فٱلتوفيقُ قرينُ ٱلعقل وٱلخذلان قرينُ ٱلهوى، وٱلنفس واقفةٌ بينهما، فأيهما غلب كانت ٱلنفس معه.

الرابع وٱلأربعون أن ٱلله سبحانه و تعالى جعل ٱلقلب مَلِكَ ٱلجوارح، و [معدن] معرفته ومحبته وعبوديته، وٱمتحنه بسلطانين وجيشين وعونين وعُدّتين، فٱلحقُّ وٱلزهدُ وٱلهدى سلطانٌ وأعوانه ٱلملائكة وجيشُه ٱلصدق وٱلإخلاص ومجانبة ٱلهوى، وٱلباطلُ سلطانٌ. وأعوانُه ٱلشياطين وجنده وعُدّته ٱتباعُ ٱلهوى، وٱلنفسُ واقفةٌ بين ٱلجيشين ولا يقدم جيش ٱلباطل عَلَى ٱلقلب إلا من ثغرتها وناحيتها، فهي تخامر عَلَى ٱلقلب و تصير مع عدوّه عليه فتكون ٱلدّائرة عليه فهي ٱلتي تعطي عدوّها عُدّةً [من] قِبَلِها، وتفتح له باب ٱلمدينة فيدخل ويتملك ويقع ٱلخذلان عَلَى ٱلقلب.

الخامس وٱلأربعون أن أعدى عدوٍّ للمرء شيطانُه وهواه، وأصدق صديق له عقلُه وٱلملك ٱلناصح له، فإذا ٱتبع هواه أُعطى بيده لعدوّه وٱستأسر له وأشمته به وساء صديقَه ووليّه، وهذا هو بعينه هو جَهْدُ ٱلبلاء، ودَرْكُ ٱلشقاء، وسوء ٱلقضاء، وشماتة ٱلأعداء.

السادس وٱلأربعون أن لكل عبدٍ بدايةً ونهايةً، فمن كانت بدايتُه ٱتباعَ ٱلهوى، كانت نهايته ٱلذلَّ وٱلصَّغارَ وٱلحرمان وٱلبلاء ٱلمتبوع

بحسب ما اُتّبع من هواه ، بل يصير له ذلك في نهايته عذاباً يُعذّب به في قلبه كما قال ٱلقائل :

ما ربُ كانت في ٱلشباب لأَهلها عِذاباً فصارت في ٱلمشيب عذابا

فلو تأَمّلت [حال] كلّ ذي حال سيئةٍ زَرِيّة لرأيت بدايته ٱلذهابَ مع هواه وإيثاره علَى عقله ، ومن كانت بدايتُه مخالفةَ هواه وطاعةَ داعي رشده كانت نهايتُه ٱلعزّ وٱلشرف وٱلغنى وٱلجاه عند ٱلله وعند ٱلناس . قال أَبو علي ٱلدّقاق : من ملك شهوته في حال شبيبته أَعزّه ٱلله تعالى في حال كهولته . وقيل للمهلّب بن أَبي صفْرة : بمَ نلتَ ما نلت ؟ قال : بطاعة ٱلحزم وعصيان ٱلهوى ، فهذا في بداية ٱلدّنيا ونهايتها ، وأَما ٱلآخرةُ فقد جعل ٱلله سبحانه وتعالى ٱلجنة نهايةَ من خالف هواه ، وٱلنارَ نهايةَ من اُتّبع هواه .

السابع وٱلأَربعون أَن ٱلهوى رِقٌّ في ٱلقلب ، وغُلٌّ في ٱلعنق ، وقيدٌ في ٱلرِّجلِ ، ومتُابعه أَسيرٌ لكل سيّء ٱلملكة ، فمن خالفه عتَق من رِقه وصار حرّاً ، وخلع ٱلغُلّ من عنقه وٱلقيدَ من رِجله وصار بمنزلة رَجلٍ سالمٍ لرجل بعد أَن كان رجلاً فيه شركآء متشاكسون .

ربّ مستورٍ سبَتْه شهوةٌ فتعرّى سترُه فاُنهتكا

صاحبُ ٱلشهوة عبدٌ فإِذا غلبَ ٱلشهوةَ أَضحى ملِكا

[وقال ٱبن ٱلمبارك] :

ومن ٱلبلآء وللبلآء علامةٌ أَن لا يُرى لك عن هواك نزوعُ

العبدُ عبدُ ٱلنفس في شهواتها　　　والحرُّ يشبع تارةً ويجوع

الثامن والأربعون أن مخالفةَ ٱلهوى تقيم العبد [في] مقام من لو أقسم عَلَى ٱللهِ لأَبَرَّه، فيقضي له من ٱلحوائج أَضعافَ أَضعافِ ما فاته من هواه، فهو كمن رغب عن بعرةٍ فأُعطيَ عِوَضَها درةً. ومتبّعُ ٱلهوى يفوته من مصالحه ٱلعاجلة والآجلة والعيش ٱلهنيء ما لا نسبة لما ظفر به من هواه ٱلْبَتَّةَ، فتأمّل ٱنبساطَ يد يوسف ٱلصدّيق عليه ٱلصلاة والسلام ولسانِه وقدمه ونفسه بعد خروجه من ٱلسجن لما قبض نفسه عن ٱلحرام.

وقال عبد ٱلرحمن بن مَهْدي: رأَيت سفيان ٱلثوريَّ رحمه ٱلله تعالى في ٱلمنام فقلت [له]: ما فعل ٱلله بك؟ قال: لم يكن إلا أن وُضعت في لحدي حتى وُقفت بين يدي ٱلله تبارك وتعالى فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى ٱلجنة، فبينا أَنا أَدور بين أَشجارها وأَنهارها لا أَسمع حِساً ولا حركةً إذ سمعت قائلاً يقول: سفيان بن سعيد فقلت: سفيان بن سعيد فقال: تحفظ أنك آثرت ٱلله عز وجل عَلَى هواك يوماً؟ قلت: إي وٱلله فأَخذني ٱلنِّثار من كل جانب　وقال عبد الرزاق: بعث أَبو جعفر ٱلخشّابين حين خرج إلى مكة وقال: إن رأَيتم سفيان فاصلُبوه، فجاءوا ونصبوا ٱلخشب وطُلبَ ورأْسه في حِجر ٱلفُضيل فقال له أَصحابه: ٱتقِ ٱلله عز وجلّ ولا تشمت بنا ٱلأَعداءَ، فتقدم إلى ٱلأَستار ثم أَخذها بيده وقال: برئت منه إن دخلها أَبو جعفر، فمات قبل أَن يدخل مكة، فتأَمّل عاقبةَ مخالفة ٱلهوى كيف أَقامه في هذا ٱلمقام.

التاسع والاربعون أن مخالفةَ الهوى توجب شرفَ الدُّنيا وشرفَ الآخرة وعزَّ الظاهر وعزَّ الباطن، ومتابعته تضع العبدَ في الدُّنيا والآخرة وتُذلّه في الظاهر وفي الباطن، وإذا جمع اللهُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ نادى منادٍ: ليعلمن أهلُ الجمع مَن أهلُ الكرم اليوم، ألا لِيَقُمِ المتقون، فيقومون إلى محل الكرامة وأتباعُ الهوى ناكسو رؤوسهم في الموقف في حرّ الهوى وعرَقه وألَمه، وأُولئك في ظل العرش.

الخمسون أنك إذا تأملتَ السبعةَ الذين يُظلّهم اللهُ عزَّ وجلّ في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّه[1] وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى، فإن الإمام المسلّطَ القادرَ لا يتمكّن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشابَّ المؤْثر لعبادة الله عَلَى داعي شبابه لولا مخالفةُ هواه لم يقدر عَلَى ذلك، والرجلَ الذي قلبُه معلّقٌ بالمساجد إنما حمله عَلَى ذلك مخالفةُ الهوى الدّاعي له إلى أماكن اللذّات، والمتصدّقَ المخْفِيَ لصدقته عن شماله لولا قهرُه لهواه لم يقدر عَلَى ذلك، والذي دعته المرأةُ الجميلةُ الشّريفةُ فخاف اللهَ عزَّ وجلّ وخالف هواه، والّذي ذكر اللهَ عزَّ وجلّ خالياً ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفةُ هواه فلم يكن لحَرّ الموقف وعرَقه وشدّته سبيل عليهم يوم القيامة، وأصحابُ الهوى قد بلغ منهم الحرّ والعرَقُ كُلَّ مبلَغٍ وهم ينتظرون بعد هذا

---

(١) تقدم حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله في الصفحة ٣٤٥ ولم يذكر المؤلف هنا غير ستة.

دخول سجن الهوى ، فالله سبحانه و تعالى المسؤول أن يعيذنا من أهواء نفوسنا الأمّارة بالسوء ، وأن يجعل هوانا تبعًا لما يحبه و يرضاه ، إنه علَى كل شيءٍ قدير ، وبالإجابة جدير .

تم الكتاب بعون الله سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى سائر الانبياء والمرسلين ، وآل كلٍ وسائر الصالحين ، صلاة وسلاماً دائمان (كذا) الى يوم الدين . ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين .

علق هذا الكتاب المبارك لنفسه الفقير الى رحمة ربه وغفرانه احمد بن محمود ابن عبد الله بن عبد الملك الشهير بخطيب الصلصى غفر الله له ذنوبه و بصره بعيوبه وشغله بها عن عيوب الناس وكان الفراغ منه فى يوم السبت رابع عشرين ربيع الآخر من شهور تسعين وسبعماية أحسن الله تعالى تقضيها بخير وعافية بمنه و كرمه لا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم

هذا ما جاء في آخر نسخة دمشق

وجاء في آخر نسخة لبنان ما نصه :

تم الكتاب بعون الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه صلاةً دائمة بدوامك ولله الحمد والكرم والنعمة والفضل أبداً دائماً .

طالعه العبد الفقير الي الله سبحانه وتعالى خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان خصه الله وأسلافه بالرفد والاحسان وأباحه واياهم رياض المحبين ودار الرضوان إنه أكرم مسؤل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

طالعته مرة أخرى والحمد لله على ذلك ونسئله أن يهدينا سبل السلام و يقينا عن المهالك .

فهارس الكتاب

فهرس الابواب والفصول

١ — فهرس مقدمة المصحح احمد عبيد

٢ — فهرس كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين

فهرس المطالب

فهرس الاحاديث

مرتبا على حروف الهجاء باعتبار الحرف الأول والحرف الثاني وما يليهما مع اعتبار علامة التعريف كأن لم تكن

(ب)

فهرس الأعلام (١)

مرتباً على حروف الهجاء باعتبار الحرف الاول والحرف الثاني وما يليهما مع اعتبار الاب والام والابن والبنت ونحوها كائن لم تكن .

---

(١) لم نذكر في هذا الفهرس اسم الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لوروده في اكثر صفحات الكتاب كما اننا لم نذكر الاعلام الواردة في مقدمة المصحح وتعليقاته .

(خ)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

فهرس القوافي

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ض)

(ع)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

خاتمة وتصحيح

لقد تم بعون ٱلله ٱلذي بنعمته تتمّ ٱلصالحاتُ طبعُ كتاب روضة المحبين ونُزهة ٱلمشتاقين، بعد أن بذلنا جُهدَ ٱلطاقة في تصحيحه، وحرصنا عَلَى أَن نخرجه للناس عَلَى غايةٍ من ٱلضبط والاتقان، ولكن ٱلكمال لله وحده سبحانه. فقد عثرنا بعد الانتهآء من ٱلطبع عَلَى غلَطات قليلة، بالنسبة إلى صفحات ٱلكتاب ٱلكثيرة، رأينا أن ننبّهَ إلى ٱلمُهمّ منها. وهنالك حروفٌ ونقطٌ وحركات غابت أثنآء ٱلطبع، فهي موجودة في بعض ٱلنسخ دون بعض، وكلها مما لا يخفى عَلَى القارئ ٱلنبيه.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ج	٦	رضي عنهم	رضي الله عنهم
د	٢	مُشْتٍ	مُشَتٍّ
ه	١٥	منحيين	منحنيين
و	١٦	فلا	فلان
ع	٢١	الحوارنيين	الحورانيين
١١	٩	ذلك الى	ذلك [ٱلهوى] الى
٢٢	١٦	أحبّ	أحبّه
٥٤	١٥	الآية ٢٥	الآية ١٢٥
٧٧	١٢	ويصلِح	ويصلح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٩	١٨	قال	وقال
٩٠	٢	أعفو	أغفو
١٠٩	١٧	نسخ في	في نسخ
١١٩	١٩	وكان	وكانوا
١٢٦	١٤	لا أثم	لا إثم
١٢٨	٢	الواسِطيِّن	الواسِطيِّين
١٣٢	١	والوطيّ	والوَطْء
١٣٧	١٩	وطيّ	وطء
١٣٨	١٠	سِرّية	سُرِّيَّة
١٤٠	١٢	إذا أسندت	إذ أسندت
١٧٥	٨	الحشّ	الحشِّ
١٨٥	١٣	من حيث	من حديث
١٨٧	٩	سماوات	سموات
١٩٠	٩	ألعَبيّ	ألعبيّ
١٩١	٤	الحسين بن الحسين بن مطير	الحسين بن مطير
١٩٣	٩	المرزبان	المرزباني
٢٠٠	١٩	٤٥	٤٩
٢٠١	١٢	أغتياطاً	أغتباطاً

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٦	١٠	فوقُ	فوقَ
٢١٦	١٧	حبًّا	حُبًّا
٢٢٣	٩	طمعهم	طبعهم
٢٣٤	١٧	لِلفَرجِ	للفَرَجِ
٢٤٤	٩	أبن	بنيه
٢٤٥	١و٢	فقال أما	أما
٢٥٤	٣	تَطْمَع	تَطْمَح
٢٥٦	٨	أرقّ	أَرقُ
٢٥٨	٥	نَبأْسَ	نَبأْسُ
٢٦٢	٦	اللّحمّ — عزَب	اللّحمِ — أَعْزَبَ
٢٦٥	٦	ما سمعها	سمعها
٢٦٥	١٥	بمسند	بسند
٢٦٧	١٨	سُنْدُسٍ	سُنْدُسٍ
٢٧٥	١٤	وسئل	وسل
٢٨٣	١	سماواته	سمٰواته
٢٨٣	١٣	عبدي يذكرني	عبدي [ٱلذي] يذكرني
٢٩٢	١٢	وقال آخر	[وقال آخر
٢٩٨	٥	منك ودي	منك في ودي

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٦	٤	ولا يظن بعمر	ولا يظن [ذلك] بعمر
٣١٢	٣	ناظراً	ناظرٌ
٣١٢	١٠	الله	[إن] الله
٣١٣	٢	فيَشغَلهُ	فَيَشْغَلُه
٣٢٨	١٨	سَمَاوَاتٍ	سَمٰوَاتٍ
٣٤٠	٥	يغنِيهم	يغنِيهم
٣٤٢	٧	كُلُفَةٌ	كُلْفَةٌ
٣٤٩	٣	وُلله	وأُلله
٣٥٥	٦	إذا تطاول	إذ تطاول
٣٥٩	١٨	ابو عوانة	عوانة
٣٦٢	١٤	بشر ٱلوليد	بشر بن ٱلوليد
٣٧١	١٥	ما يَحِلّ	ما يَحِلُّ
٣٧١	١٧	فَمٍ	فَمٍ
٣٧١	١٨	ونزاهةً وأَنسُ	ونزاهةٌ وأُنسُ
٣٧٢	١٧	فلأَعلمنك	فلأُعلمنك
٣٧٣	١	لا يُتْبِعَ	لا يُتْبِعُ
٣٧٥	١٣	شقهت	شهقت
٣٨٤	١٣	ٱلْمَغيبَة (مكررة)	ٱلمُغيبَة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٨٧	٥	أَلْخَبِيثَاثُ	أُلْخَبِيثَاتُ
٤٠٢	١	ذاتٍ	ذاتِ
٤٠٧	١٢	عليهم	عليهن
٤١٠	١٠	[إني	[إني]
٤٣١	٥	متابعتُه	متابعتَه
٤٧٨	٨	أُ ترِكني	أُترِكيني
٤٨٥	١٧	شكونُ	شكونَ
٤٩٢	١٠	شبل (١)	شبل
٤٩٣	٤	يا مُراءُ	يا مُرائي
٥٠٦	٨	فضيلتي	فصيلتي (او فضلتي)
٥٠٩	٤	فرَجعَ	فَرَجَعَ
٥١٦	٣	قريرُ	قرينُ

تصحيح الفهارس

الصفحة	النهر	السطر	الخطا	الصواب
٥٢٣	٢	١٩	لاجلها	ولاجلها
٥٢٤	٢	٢١	ومنعت	او منعت
٥٢٦	٢	٢	٣ ٥	٣٠٥
٥٢٦	٢	٨	٣ ٥	٣١٥
٥٢٩	٢	٢١	١٥	١١٥
٥٣١	٢	٨	٤٠	٤٠٤
٥٣٢	٢	١٥	٤٠٣	٣٠٤
٥٣٥	٢	٢٧	قرآة	قرآءة
٥٤٠	٢	١٩	٥٤٠	٥٤
٥٤٢	٢	٤	١٤٧	١١٧
٥٤٣	١	٢	للقاريء	الى القاريء
٥٤٥	٢	١٩	٩٦	١٩٦
٥٤٧	١	١٥	ايوب	أبو ايوب
٥٤٩	١	٤	٢٧	١٢٧
٥٤٩	١	٦	٢٢	٢٢٩
٥٤٩	١	٢٦	٧٤ و٢٧	١٧٤و٢٧٠
٥٤٩	٢	٦	٤٨	٤١٨
٥٤٩	٢	٧	٣٦	٣٦٠
٥٤٩	٢	١٨	٨٢ و٣٩	٣٨٢ و٣٩٣
٥٥٢	٢	١٤	٨٥	١٨٥
٥٥٢	٢	٢٤	٨٥	١٨٥
٥٦٥	١	١٥	عينية	عينة
٥٧٢	١	١٢	اللذادة	اللذاذة

تصدر قريباً



طبقات الحنابلة

تأليف

القاضي محمد بن محمد بن أبي يعلى الحسين بن الفرآء المتوفى سنة ٥٢٧ ﻫ

اختصار

الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي

من أصحاب ابن قيم الجوزية

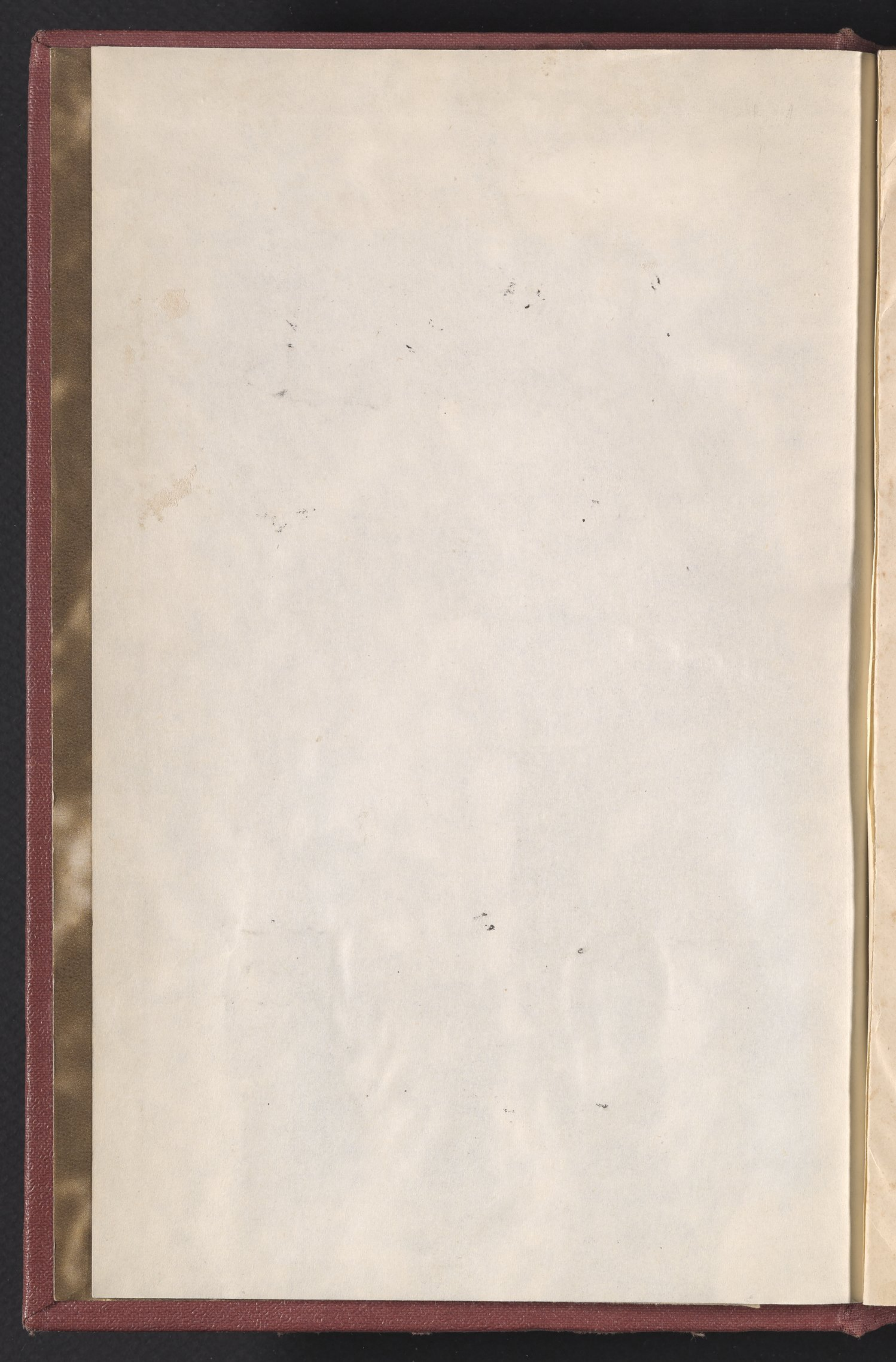
صححها وعلّق عليها

أحمد عبيد

معظم هذه الطبقات في تراجم من اجتمعوا بالامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه • من رجال ونساء • سوآء اكانوا من الحنابلة ، أم الشافعية ، أم الحنفية ، أم المالكية • وفيه كثير من المسائل التي تلقوها عنه في العقائد والعبادات •

تطبع بحرف جميل ، وعناية فائقة بالتصحيح • ورقها من نوع ورق هذا الكتاب

صفحاتها زهاء ٤٥٠ صفحة



DATE DUE

